



مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الثامن

حسن بن موسى الصفار



مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح



الجزء الثامن

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: 1439هـ-2018م



أطيف للنشر والتوزيع
Atiyaf For Pub. & Dist.

المملكة العربية السعودية - القطيف - تليفون : 00966138549545
a t y a f . q a t i f @ g m a i l . c o m

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَتَمَامِ عِدَّةِ الْمُرْسَلِينَ
وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَصَحْبِهِ
الْمُتَّبِعِينَ.

أول المسار



كلما ازداد وضع الأمة سوءاً في هذا العصر، ارتفعت حدة النقد للحالة الدينية فيها، فكراً ومؤسّساتٍ ورموزاً، بتحميلها المسؤولية أو الجزء الأكبر منها، عمّا وصلت إليه الأمة من تخلفٍ وانحدار.

ففي المجتمعات الأخرى - خارج الأمة - تتصاعد موجات الاتّهام للإسلام بأنه دين تخلف وإرهاب، ويُنظر إلى مظاهر التدين الإسلامي كمؤشرات سلبية مريية، وإلى المراكز والمؤسّسات الإسلامية كمبعث قلق وخطر على الأمن الوطني.

وداخل الأمة تتعامل السلطات السياسية في معظم البلدان الإسلامية، مع التوجهات والجماعات الدينية بحذر وقلق بالغ، وتخوض المواجهة العنيفة مع بعض أجنحتها وأطرافها.

وقد تحدث مسؤولون بارزون في عدد من الحكومات الإسلامية، عن دور سلبي معيق للتنمية والاستقرار تشكّله الجهات الدينية.

وأذكر بالمناسبة كلاماً سمعته من رئيس إحدى دول المنطقة، في لقاء لي معه قال: إنّه كان مرة في ضيافة زعيم دولة أخرى، وكان في مجلسه كبار علماء الدين في بلده، فالتفت الزعيم المضيف لضيفه هامساً في أذنه، وهو يشير إلى العلماء قائلاً: إنّه هؤلاء أّخرونا مّتي سنة!!

أما التيارات الليبرالية والعلمانية في الأمة، فإنّها لا تتوقف عن تسجيل الإدانة والنقد للحالة الدينية، وتحميلها المسؤولية عن كلّ المساوئ والشّرور.

وحتى في الأوساط الدينية، يتساءل كثير من المتديّنين العاديين بغرابة وامتعاض، عن بعض ما يصدر من فتاوى وآراء دينية، يرونها غير مقبولة ولا منسجمة مع العقل ومنطق العصر، كما يبدون استياءهم ورفضهم لتصرفات وممارسات تقوم بها جهات محسوبة على الإسلام.

وهكذا، فإنّ الحالة الدينية يحاصرها النقد والاثّهام من كلّ جهة، وتوجّه إليها سهام الإدانة من كلّ جانب.

ومن الإنصاف أن نشير إلى أنّه حتى في داخل الحالة الدينية تتصاعد ظاهرة النقد الذاتي، حيث ظهرت اعترافات وإقرارات بوجود أخطاء في المناهج والآراء والمواقف والممارسات.

وقد تحدّثت عن ذلك قيادات أساسية في الحالة الدينية، من بينها مراجع دين كبار كالإمام الخميني، والشهيد السيد محمد باقر الصدر، والعلامة السيد فضل الله، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ القرضاوي، والشيخ الجامع الأزهر أحمد الطيب وأمثالهم.

كما اعترفت قيادات مهمة، في حركات إسلامية بارزة، بضرورة المراجعة لمسيرتها، وتصحيح الأخطاء، وتغيير استراتيجيات العمل.

ونجد مثل هذه المواقف في مستويات مختلفة من جهات الحالة الدينية، في البعد العلمي والسياسي والثقافي والحركي والاجتماعي.

فواقع الحالة الدينية، لا يقبل الدفاع والتبرير. لكن ما تجب مناقشته وبحثه هو مدى وحجم المسؤولية الذي تتحمله هذه الحالة تجاه سوء الواقع الذي تعيشه الأمة؟ وعن

كيفية التصحيح والمعالجة لمسار الحالة الدينية؟

وهذا ما نريد تسليط الضوء عليه من خلال النقاط التالية:

أولاً: إنَّ الحالة الدينية جزءٌ من واقع الأمة، وهي كما تؤثر فإنَّها تتأثر بحال سائر الأجزاء، إنَّها لم تنزل من السماء، ولم تنبت في أرض كوكب آخر، ولا تعيش خارج فضاء مجتمعاتها، ولأنَّ الحال العام في الأمة سيئٌ فإنَّها جزء منه، ولا يمكن الادِّعاء بأنَّها العنصر المحرك لكُلِّ الأوضاع، وأنَّها تنفرد بالتأثير على كَلِّ شيء، دون أن تؤثر فيها العوامل الأخرى.

إنَّها شريكة مع سائر العناصر في صناعة هذا الواقع، فتحمّل جزءاً من المسؤولية عنه، بمقدار حجم تأثيرها في كَلِّ مجتمع، وليس صحيحاً أن تصبح شماعة تعلق عليها كَلِّ الأطراف مسؤولية ما يجري، وتبريء نفسها عن أيِّ دور.

وواضح أنَّ العامل السياسي هو الأكثر تأثيراً من العوامل الأخرى، بما فيها الجانب الديني؛ لأنَّ العامل السياسي بيده القوة والسلطة والمال والإعلام وسائر الإمكانيات.

وفي معظم الأحيان يكون هو المسيّر والمهيمن على الحالة الدينية، يوجهها لتبرير وتأييد سياساته وقراراته، وقد تتمرّد أو تستعصي عليه بعض أطرافها، لكنَّ السيطرة عليها ليست عسيرة، بالفاهم معها، أو الفرض عليها، بالترغيب أو التهيب. وقد تكون هناك استثناءات في بعض الموارد والمجتمعات.

إنَّ واقع الاستبداد السياسي، وتخلّف التنمية والاقتصاد، وانحدار المستوى العلمي والتعليمي، وسوء الخدمات المعيشية، كَلِّ ذلك ليس من صنع الحالة الدينية، وإن كانت قد تُستغل لتبريره، لكنها ليست الأساس فيه.

ثانياً: ليس بعيداً عن الحقيقة ما أكّده الدراسات والبحوث الميدانية، من أنَّ سوء الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، هو سبب رئيس للتخلف وتعثر

التنمية ونشوء حركات التطرف والعنف، وقد شهدت حقبة زمنية سابقة ظهور مثل هذه الحركات العنيفة بغطاءات إيديولوجية أخرى، مثل الشيوعية والقومية. مما يعني أنّ هناك واقعا سيئا يدفع للانفجار، يمكن أن تستغله الجهات والتوجهات المختلفة.

ثالثًا: إنّ الدين نزعة وجدانية إنسانية، وشأن اجتماعي، لا يملكه الناطقون باسمه، ولا يحتكره الممثلون له، وإذا ما حصل تزييف وتحريف في الدين، أو أساء المتصدّون له ممارسة دورهم، ووظّفوا الدين ضدّ أهدافه النبيلة، وقيمه السامية، لخطأ والتباس في فهمهم، أو خدمة لأغراض وأجندة مصلحة، فإنّ على الواعين المخلصين من مختلف الشرائح والطبقات أن يهبوا لإنقاذ الدين، وأن يضعوا حدًا لاستغلاله، وأن يستعيدوه من أيدي المتاجرين به.

فالنص الديني مفتوح أمام عقل الإنسان، وليس محظورًا على أيّ أحد أن يتأمل فيه ويستنتج منه، يقول تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، ويقول تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

وإذا كان علماء الدين أكثر تفرغًا وتخصّصًا في التعامل مع النصوص الدينية، فإنّ ذلك لا يعني حرمان المفكرين والمثقفين وعلماء الطبيعة من الانفتاح على النصّ الديني والإفادة منه، وإثراء الثقافة الدينية بإبداعاتهم وإسهاماتهم، وبإمكانهم أن يقدموا إضافة نوعية للفكر الديني، حيث ينظرون من زوايا أخرى خارج تخصصات عالم الدين.

وفي تاريخ الأمة الماضي والحاضر شواهد عديدة لكفاءات أسهمت في إنتاج المعرفة الدينية، مثل محمد إقبال، ومالك بن نبي، والدكتور علي شريعتي وغيرهم.

كما أنّ الأمة مدعوة للرقابة على أداء المؤسسة الدينية، فليست هناك حصانة ولا قداسة لأصحاب المواقع والمناصب الدينية.

وحين يتحدث القرآن الكريم عن انحراف زعامات الديانات السابقة، من علماء اليهود والنصارى، من الأحرار والرهبان، فإنه يوجه بذلك رسالة تحذير للأمة، بلزوم اليقظة والانتباه والمراقبة لأداء قياداتها الدينية، حتى لا تقع فيما وقع فيه أولئك الأحرار والرهبان.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

وفي الأحاديث والروايات نصوص كثيرة، تتحدث عن خطورة فساد وانحراف عالم الدين، حتى لا تغفل الأمة عن مراقبتهم، ولا يتوهم أحدُ حصانتهم وقداستهم. فهم بشرٌ يستحقُّ الصادقون المخلصون منهم أعلى درجات الإكرام والتقدير، ويكونون في موقع القدوة والأسوة، والقيادة والاتباع، بينما يجب فضح وإسقاط المنحرفين الفاسدين منهم، حتى لا يتلاعبوا بالدين، ويعبثوا بأحكامه وتشريعاته، فيصدّون عن سبيل الله.

فكما في أيّ شريحة من شرائح المجتمع كالسياسيين والأطباء والمهندسين والفنانين، هناك تفاوت في مستوى أفراد كلّ شريحة، وفي مدى إخلاصهم لأداء دورهم الوظيفي، كذلك الحال في شريحة رجال المؤسسة الدينية، وعلى الناس أن يعتمدوا المقاييس والمعايير السليمة للتمييز بين الكفوئين الصالحين، وبين الأذعياء الفاسدين.

وعلى مستوى الآراء والأفكار الدينية بإمكان الناس أن يميّزوا بين رأيٍ وآخر، فينتصرون للتوجهات الأكثر موضوعية واعتدالاً وانسجاماً مع مصالح المجتمع وتطورات الحياة.

ما نريد أن نقوله هو أن الحالة الدينية ليست كتلة واحدة، في الآراء والتوجهات والصفات والسمات، ولا يمكن الرّهان على إبعاد الأمة عن انتمائها الديني، فقد فشلت كلّ المحاولات التي تبنت هذا الاتجاه، والخيار الصحيح هو ترشيد الحالة الدينية، بالمساعدة على إصلاحها وتطويرها من داخلها، وتوفير الأجواء لنمو التوجهات التغييرية والإصلاحية فيها.

لقد وصلت الأمة إلى مرحلة بالغة السوء من التخلف والانحطاط، فمجتمعاتنا مهدّدة بالتمزّق والانقسام، وأوطانها تواجه خطر الدمار والانهيار، وسمعتها في العالم مشوهة، بحيث أصبحت حالة شاذة بين الأمم والمجتمعات، فلا بُدّ وأن يتجاوز الواعون من أبنائها بمختلف انتماءاتهم الدينية والفكرية والسياسية، ومن مختلف شرائحهم وطبقاتهم الاجتماعية، من علماء دين وسياسيين وأكاديميين و مثقفين وناشطين اجتماعيين. أن يتجاوز هؤلاء الواعون جميعًا، ممن تحترق قلوبهم على مستقبل أمّتهم وأوطانهم، كلّ خلافاتهم الجانبية مهما كان حجمها، وأن يتعاونوا بأقصى حدّ ممكن لوقف مسيرة التدهور والتمزّق، لتستعيد الأمة شيئًا من عافيتها، وتستفيد من تجارب الأمم الأخرى التي نهضت من تحت الركام، واستطاعت بناء قوتها وحضارتها من جديد، بعد أن أودت بها صروف الزمان، كما حصل في أوروبا واليابان.

لا خيار لنا إلا أن نتجاوز كلّ الأطراف مرحلة تسجيل النقاط على بعضها بعضًا، وتبادل اللوم والاتهام والإدانة، فكلنا شركاء في صنع هذا الواقع المرّ، وكلنا نعاني منه، وتهدّدنا أخطاره، وتحاصرنا أضراره، ولا بُدّ أن نشترك ونتعاون من أجل تغييره وإصلاحه، حماية لوجودنا، وضمانيًا لمستقبلنا ومستقبل أبنائنا. ولن تتمكن جهة بمفردها أن تنجز هذه المهمة الشاقّة، كما لا تستطيع جهة أن تلغي دور جهة أخرى.

إنّ القبول بهذه الحقيقة، والانطلاق منها، هو نقطة البداية والتحرك نحو طريق الخلاص والنجاة، أمّا استمرار تخندق كلّ جهة في مقابل الأخرى، فهذا يعني أن

تعيش الأمة والوطن بلاءً تطول مدته، ويدوم مقامه، ولا يخفف فيه عن أهله.
ويين يدي القارئ الكريم، الجزء الثامن من كتابي (مسارات في ثقافة التنمية والإصلاح) الذي تحمل صفحات أجزاءه هذه الرسالة، وتؤكد هذه الدعوة، من خلال الكتابات والخطابات والحوارات، التي تمثل جهدي ونشاطي المتواضع في العمل الديني والاجتماعي، ويختص هذا الجزء الثامن بتوثيق أنشطة العام ١٤٣٧هـ.
أسأل الله تعالى أن يجعل فيه ما يخدم هذا الهدف النبيل، وأن يغفر لي زلاتي وأخطائي، وأن يتقبل مني هذا القليل في سبيله، وأن يوفقني وجميع الدعاة الدينيين للإخلاص والاستقامة والنجاح. فهو وليّ التوفيق.
والحمد لله رب العالمين.

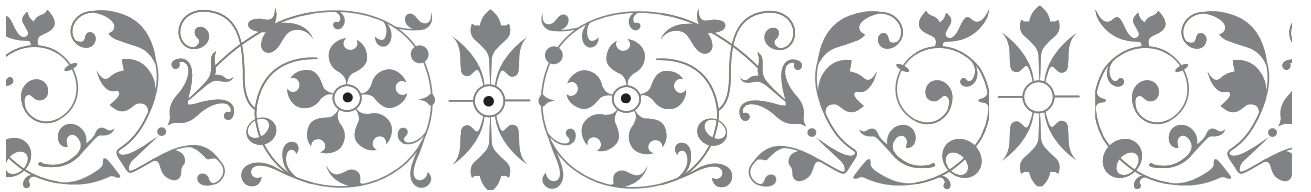
حسن الصفار

1 شعبان 1438هـ

27 أبريل 2017م



نُطْبُ الْجُمُعَةِ





عقلية المغالبة وخراب الأوطان

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال مخاطبًا الجيش الأموي: «أيّها الناس! إنّها معذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم، إنني لم آتكم حتى أتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جنّتم، فإن تعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومن موثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم»^(١).

شاءت الإرادة الإلهية أن يتحمّل الإنسان المسؤولية المطلقة عن تصرفاته في هذه الحياة. وحيث إنّ الله تعالى هو العالم بما كان وما يكون، فهو الملمّ بحصول الطاعات، وحدوث المعاصي، يعلم بما يجري على أوليائه، ومحيط بما يفعله أعداؤه، لكنه تعالى ترك للإنسان حرية الاختيار، مع سابق علمه تعالى بما سيختاره كلّ إنسان. إنّ علم الله باختيارات البشر، خيرًا كانت أم شرًّا، لا يعني إجبارهم عليها، ولتقريب

(١) محمد بن جرير الطبري. تاريخ الطبري. ج ٤، الطبعة الخامسة ١٤٠٩ هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٣٠٣.

الفكرة يمكن تشبيه الحالة، بحالة المعلم الذي يعلم بمستوى وجدية كل واحد من طلابه، وهذا ما يكسبه العلم المسبق بمن هو الأجدر بالنجاح أو الأقرب إلى الفشل، غير أنه مع ذلك يقدم لهم الامتحان ويتركهم، كل بحسب اجتهاده. إن العلم المسبق لدى المعلم بالطلبة الجادّين والأقرب للنجاح، لا يعني أن للمعلم دخلاً مباشراً في نجاح هذا أو فشل ذلك. وهكذا الحال معه سبحانه وتعالى، فهو يعلم بالمطيعين والعاصين، غير أنه أعطى هؤلاء وهؤلاء حرية الاختيار في هذه الحياة.

وكذلك الحال مع ما يحدث في الحياة من الحوادث، فإنه عالم بها قبل حدوثها، فقد أحاط سبحانه وتعالى في سابق علمه بواقعة كربلاء، ولما لتلك الواقعة من عظيم الأهمية والتأثير، فقد أخبر نبيه ﷺ عنها، وهذا ما تناولته الكثير من الأحاديث التي رواها المسلمون بشتى فرقهم، والتي أجمعت على أن النبي قد أخبر بما سيحدث على سبطه الحسين ﷺ، وأخبر ﷺ أهل بيته وأصحابه. غير أن العلم المسبق عند الله سبحانه وتعالى بها، لا يقلل من كونها جريمة بشعة وفاجعة كبرى، ما كان ينبغي لها أن تقع من حيث الأصل. على مرأى ومسمع من الأمة.

لماذا حدثت فاجعة كربلاء؟

وحقيقة الأمر، لم تكن واقعة كربلاء لتحصل لو أن الأمة قامت بواجب الولاء لأهل البيت ﷺ. فلو استجابت الأمة لأمر نبيها ﷺ، وأعطت أهل بيته حقهم ومكانتهم، وانحازت إليهم، لما حصل ما حصل في كربلاء. ولو تحلّت السلطة الأموية الحاكمة بشيء من التعقل، لأمكن تلافي وقوع هذه الفاجعة، سيّما وأن الإمام الحسين ﷺ لم يكن متعطشاً للسلطة، فهو ﷺ كسائر أئمة أهل البيت ﷺ لم تكن السلطة بالنسبة لهم مطلباً أساساً، بقدر ما هي تكليف شرعي من قبل الله، يقومون به ما سنحت لهم الفرصة بذلك، وإلا فهم ليسوا في وارد التكالب عليها.

إن الإمام الحسين لم يكن ليتحرك باتجاه الكوفة لو لم تأت كتب أهل العراق

بعشرات الآلاف، حتى بلغت أربعين أو خمسين ألفاً بحسب بعض الروايات، بخلاف الوفود والمبعوثين والرسل الذين أقبلوا عليه في المدينة المنورة، ليدعوه «أن أقدم، ليس علينا إمام غيرك»، وبمعنى أدق، لقد كانت الأمة تريد منه تحمل المسؤولية تجاهها، وما كان له أن يتهرّب عن التصدي لهذه المسؤولية، وفي ذات الوقت لم تكن له رغبة في قتال. حتى إنه ﷺ رفض مهاجمة طلائع الجيش الأموي، حين دعاه بعض أصحابه لانتهاز الفرصة ومهاجمتهم، وأخذ سلاحهم ليكونوا بذلك عبرة لمن خلفهم، وقد كانوا حينها لا يتجاوزون الألف فارس، قد كظّم العطش، وأنهكهم التعب، بقيادة الحرّ بن يزيد الرياحي، فما كان منه ﷺ إلا أن أجابهم بالقول: «إني أكره أن أبدأهم بقتال»، وقد تكررت منه ﷺ ذات المقولة في يوم العاشر من المحرم.

لقد بلغ من حرص الإمام الحسين ﷺ على تجنبّ الصدام والحرب، أن نأى عن الذهاب للكوفة، وقد كانت وجهته الأساس. ولطالما خطب في الجيش الأموي عارضاً عليهم أن يدعوه ينصرف، رغبة منه في العودة إلى المدينة المنورة، أو التوجه إلى أيّ مكان آخر. ولو كان لدى السلطة الأموية شيء من العقل والإدراك، لما تورطت في سفك دماء الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته، ولو فرّوا على الأمة مآسي هذه الفاجعة الكبرى. ولو شئنا الوقوف على سبب التعنّت الأموي تجاه الإمام الحسين ﷺ، لرأيناه يعود إلى رغبتهم في انتزاع البيعة منه عنوة، وهو تعنّت سلطوي ليس له ما يبرره، فقد حصل في التاريخ الإسلامي أن رفض بعض الصحابة أداء البيعة للخليفة، وتأخرت بيعة بعضهم الآخر، وقد حصل ذلك مع الخليفة الأول أبي بكر، كما حصل مع الإمام عليّ، دون أن يصل الأمر إلى هذا القدر من الوحشية تجاه الرافضين أو المتأخرين عن البيعة، فما الضّير في أن يترك الحسين ﷺ للذهاب في حال سبيله، سيما وقد قال لهم ﷺ: «.. وإن لم تفعلوا، وكنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم».

وتكرّرت مراراً دعوته ﷺ للجيش الأموي بأن يتركونه ينصرف عنهم. فقد وردت

عنه عليه السلام عدة خطب في هذا السياق، ومن ذلك ما ورد في خطبة له أمام الجيش الأموي قال فيها: «أما بعد، أيها الناس فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله، يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم وقدمت به عليّ رُسُلُكم انصرفت عنكم»^(١)، وقد استمرّ عليه السلام يدعوهم على هذا النحو حتى اليوم العاشر من المحرم، فلم يكن عليه السلام يريد لهذه الواقعة المؤلمة أن تقع.

وقد جاء في آخر خطبة له يوم عاشوراء أنه قال: «أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه، قال فنأدى: يا سبث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أئبعت الثمار، واخضرّ الجناب، وطمّت الجمام، وإنما تقدّم على جنديك مجند فأقبل، ... فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه، فقال له الحسين عليه السلام: ... لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد»^(٢). وقد كانت جلّ دعوته عليه السلام في سبيل درء خطر النزاع ونشوب القتال بين أبناء الأمة. غير أنّ جوهر المشكلة الكامنة خلف التعنت الأموي تكمن في المكابرة، والرغبة في الإخضاع، وفرض الغلبة فرضاً على الإمام الحسين عليه السلام. إنّ هذه العقلية الأموية المتعنتة تُعدّ سبباً رئيساً من أسباب فاجعة كربلاء.

بين المغالبة وتلمّس الحلول

واستلهاماً من فاجعة كربلاء، يمكن الوقوف على نمطين من طرق حلّ النزاعات.

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٠٣.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٢٣.

تنحو الطريقة الأولى نحو ابتداع الحلول والمعالجات للخروج من المشكلة، فيما تنحو الأخرى نحو الرغبة في كسر الطرف الآخر والانتقام منه، لا التوصل معه إلى حلول معقولة. ولا شك بأن الطريقة الأولى في إدارة الصراع، يغلب عليها التفكير العقلاني، الذي يميل نحو ترجيح المصلحة، ويبحث عن التسويات المعقولة، وطرح التنازلات المتبادلة، وتدوير الزوايا، بما يفضي إلى حل النزاع. وغالبًا ما يجري حلّ المشاكل على هذا النحو متى ما توفرت الرغبة الصادقة، كما يقول تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، ذلك أن الخروج من النزاعات مشروط بتوفر الإرادة الحقيقية، والعقلية الراغبة، في اجترار الحلول والتسويات.

إن المشكلة الأساس تكمن في التشبث بعقلية المغالبة في حمأة الصراعات. تلك العقلية القائمة على المكابرة والتحدّي، التي لا تجد مكانًا للتوافق والصلح مع الآخر، على طريقة القول الشعبي الدارج «إمّا أنا أو هو»، ولماذا يا ترى لا تكونان سويًا؛ أنت وهو!.

إن عقلية المغالبة ليست مقتصرة على مجال دون آخر، فقد تأخذ طريقها إلى النزاعات العائلية مثلاً، حيث ينشب خلاف بين زوج وزوجته، فإذا بالزوج يرعد ويزبد، مهذّبًا ومتوعّدًا امرأته بعظائم الأمور، والعكس بالعكس، فقد يجري الأمر نفسه على لسان المرأة تجاه زوجها، وهذا نمط من عقلية المغالبة والمكابرة، الذي يجرّ وراءه تداعيات مؤسفة، تلقي بظلالها السيئة على آخرين، كالأطفال مثلاً، فقد تتحول قضية حضانة الأطفال بين الزوجين المنفصلين إلى مشكلة المشاكل، حتى تطرق أقسام الشرطة، وتصل أروقة المحاكم، وقد يكون الزوج المكابر غير مهيب أصلاً ولا أهلاً لحضانة الأطفال، لانشغاله بعمله، أو زواجه من أخرى، غير أن عقلية المغالبة تأبى إلا أن يمضي بعيداً في إيذاء طليقته، حتى لو كان على حساب أولادهما، وقد يحصل العكس أيضاً من طرف المرأة، لا لشيء إلا انتقاماً وتحدياً. في حين ينبغي أن يسود التفكير العقلاني، القائم على الرغبة في معالجة الموضوع، وحل المشكلة،

وهذا ما ينبغي أن يجري على النزاعات في كل المجالات والمواضيع.

قد تكون عقلية المغالبة هي السمة الأبرز للمزاج العام، كما هو حال الأمة العربية في عصرنا الراهن. حيث لم يعد في الأمة صوت يعلو على صوت المغالبة، ولا محلّ فيها للحديث عن العقلانية في حلّ النزاعات، والخروج من الصراعات، بقدر ما باتت تجثم على صدور الجميع الرغبة في سحق الآخر، حتى لو جرّ ذلك إلى إزهاق الأرواح، وخراب الأوطان، وتدخّل الأجنبي. وترجع جذور عقلية المغالبة هذه إلى الماضي السحيق، التي عبّر عنها الشاعر العربي أبو فراس الحمداني في البيت الشهير القائل:

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوْسُطَ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ

فهذه العقلية أبعد ما تكون عن الوسطية والاعتدال، فهي بين خيارين لا ثالث لهما؛ إما الهيمنة على كرسي الحكم أو الموت دون ذلك. والأسوأ أن تغدو حالة المغالبة وغياب الاعتدال مجال فخرٍ واعتزاز، في تناقض صريح مع المنهج القرآني والمنحى العقلاني، الذي تكشف عنه الآية الكريمة ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْصِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾، فالصلح هو الأفضل دائماً، دونما حاجة للاحتباس ضمن أضيق الخيارات المتعنتة.

تونس أنموذج مشرق

إنّ العقلية القائمة على المكابرة والمغالبة تتحمل المسؤولية عن معظم مآسي الأمة. فهي العقلية التي دمّرت أوطاننا، وقسّمت شعوبنا، وجعلت الدماء أنهاراً تجري طوال السنوات الأخيرة في بلاد المسلمين. في حين ليس هناك مشكلة لا يوجد لها حلّ، وليس هناك أزمة لا يكون لها مخرج.

ونحن هنا لا نتحدث عن مثاليات ولا عن نظريات، فقد رأينا ما جرى هذا الأسبوع من إعلان عن فوز الرباعي التونسي بجائزة نوبل للسلام لعام ٢٠١٥م، والرباعي التونسي يمثل أربع مؤسسات مدنية تونسية، وهي الاتحاد العام للشغل، والاتحاد

التونسي للصناعة والتجارة، والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، والهيئة الوطنية للمحامين، وقد لعبت المؤسسات الأربع دورًا مهمًا في أعقاب الثورة التونسية، وسقوط الرئيس بن عليّ عام ٢٠١١، وذلك حين برزت بوادر نزاع حادّ بين مختلف القوى السياسية الجديدة والقديمة، ومساعي كلّ فريق لضمان حصته السياسية كاملة، حتى أوشكت تونس على الدخول في نفق النزاعات الدموية التي اجتاحت بلدان الربيع العربي الأخرى. غير أنّ هذا الرباعي نشط بقوة، وقاد جهود وساطة جديدة، بين مختلف الأطراف السياسية المتنافسة، حتى نجح في وضع حلول معقولة، أجمعت عليها مختلف الأطراف السياسية في البلاد، وساهمت في إنقاذ البلاد من الدمار الذي آلت إليه بلدان أخرى. كلّ ذلك بفضل تحكيم العقلانية، والركون للحكمة، عند مختلف الأطراف، بالإضافة إلى توفر الوسيط المخلص.

إنّ حصول الرباعي التونسي على جائزة نوبل للسلام، يُعدّ تقديرًا مستحقًا للتجربة الناجحة في إدارة الصراع. وما أحوج أمتنا في جميع الساحات؛ السياسية والاجتماعية والدينية، إلى السير على هذا المنحى المتعقل في إدارة النزاعات الداخلية، حتى نوفرّ على أوطاننا الدمار والخراب، وفقد الأرواح والممتلكات. أوليس الأولى إذا اندلعت مشكلة أن نسعى جميعًا في تطويقها، والبحث عن حلول عقلانية لها، سواء جرت تلك المشكلة بين دول المنطقة، أو بين الأحزاب والجماعات المختلفة. وهل نحن بدعًا من الأمم!، أوليس هناك في الأمم الأخرى نزاعات معقدة ومتشعبة وأكثر عمقًا مما عندنا، تشب بين الحين والآخر، وقد راقبنا منذ أيام مجريات الاستفتاء على انفصال إقليم كاتلونيا في إسبانيا، ما يدلّ على وجود خلافات عميقة في تلك البلاد، غير أنّ الفرق بينهم وبيننا، أنهم يعتمدون المنحى العقلاني القائم على البحث عن الحلول الممكنة لمعالجة المشاكل، فيما يجري عندنا العكس تمامًا.

إرادة الصّح والسلام

لقد كرّس المنهج القرآني طريق البحث عن الصلح، باعتباره منهجًا حاكمًا على ما عداه. ولطالما وجّهت آيات القرآن الكريم إلى التزام طريق السلم، والنأي عن النزاع والقتال، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، ومضمون ذلك الحثّ الشديد على التقدم نحو الطرف المقابل، في حال بدت هناك بوادر للحوار والبحث عن الحلول.

وجاء عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلَّهِ فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِحُجُودِكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ»^(١).

لقد آن أن تسود شعوب هذه الأمة حالة التعقل عند النزاع والصراع، والنأي عن الانفعال الأجوف والحماس المنفلت، القائم على عقلية المغالبة والمكابرة، كما نجد في حالات الانجرار الأعمى خلف الأصوات المتشنجة، التي ترفض الصلح مع الطرف الآخر، وتأبى إلا الصّراع طمعًا في التغلب عليه، كلّ ذلك نتيجة غياب العقلانية ضمن المحيط العام.

إنّ أمتنا بحاجة إلى بذل جهود كبيرة على شتّى الصُّعد، في التربية والتثقيف والتوعية، وترشيد الخطاب الديني، لعلنا نتجنب منحى المغالبة والمكابرة الذي عانت منه الأمة على مدى تاريخها الطويل، وكان من أبرز نتائجه المرة، حصول واقعة كربلاء، مع كلّ ما قام به الإمام الحسين عليه السلام من فتح للأبواب من أجل تلافي حدوث الفاجعة، لولا استحكام عقلية المكابرة والمغالبة عند فريق السُّلطة، الذي قاد في نهاية المطاف إلى ارتكاب هذه الجريمة البشعة، بحق آل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

(١) نهج البلاغة، كتاب ٥٣.

الخطاب الديني حين يخدم الإرهاب

﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٥].

شهدت البشرية على مدى تاريخها نزاعات وحروباً كثيرة. ولا تكاد تخلو حقبة زمنية في تاريخ البشر من نشوب نزاع، أو اندلاع حرب. وعادة ما تأتي النزاعات والحروب نتيجة صراع على المكاسب السياسية، ورغبة في تحقيق المصالح بمختلف أوجهها، غير أن ما يجري في أحيان كثيرة، هو استخدام الدين غطاءً لبعض تلك الحروب والنزاعات.

الحروب الدينية هي الأبعث

وقد أثبتت التجارب أن الحروب ذات الشعارات الدينية كانت الأسوأ والأكثر بشاعة من بين الحروب، ومرد ذلك إلى أن خوض الحرب تحت عنوان ديني، يحفز في الإنسان أعمق قدراته وطاقاته، دفاعاً عمماً يؤمن به ويقدّسه، وبذلك يكون المقاتل أكثر شراسة وعنفًا؛ نظرًا للعمق الدوافع الذاتية عنده، قياسًا على المقاتل في سبيل تحقيق مصلحة أو بلوغ غرض سياسي. من هنا، درج السياسيون والمصلحيون طوال التاريخ

على توظيف الشعارات الدينية، بغرض جذب المقاتلين الأسرع استجابة للاستشارة الدينية، والأكثر شراسة واستعدادًا للقتال.

إنّ السمة الأسوأ في الحروب الدينية أنّها تفرّغ الدين نفسه من محتواه، وتأخذه بعيداً عن غاياته ومقاصده. وتنبع فلسفة الدين ووظيفته من دوره في توفير الطمأنينة والاستقرار في العلاقات الاجتماعية بين البشر، إلى جانب تهذيب الأخلاق، وتعزيز القيم الإنسانية. إلا أنّ الحروب الدينية تفعل فعل الانقلاب، وتفتك بالقيم الدينية، ليتحوّل الدين عندها من مصدر للنقاء والطهر، إلى دافع للانتقام وارتكاب العدوان الفتك، وهذا ما يمثل نقضاً لغرض الدين في حياة الإنسان.

الدين لا يأمر بالعدوان

ونجزم أنه ما من دين إلهيّ يمكن أن يشجّع الناس على شنّ الحروب والعدوان. وهناك آيات صريحة في القرآن الكريم، تكبح جماح الناس عن القتال في سبيل فرض دينهم على الآخرين، وغاية ما سمحت به الآيات القرآنية هو القتال دفعاً للعدوان، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، وجاء في آية ثانية قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، كما يرفض القرآن رفضاً قاطعاً أن يكون الاختلاف في الدين سبباً للحرب أو العدوان، يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

إنّ الاستبداد السياسي الذي عاشته الأمة ذهب بعيداً في استغلال الدين، وابتداع فقه ديني يُشرّع القتل وشنّ الحروب لأغراض دينية مزعومة. رغم أنّ الشريعة تنهى بكلّ صراحة عن إكراه الآخرين على الدين، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وبموجب ذلك لا يجوز بأيّ حال استخدام القوة من أجل فرض الدين، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فهو الذي بدأ العلاقة مع أهل الكتاب من اليهود

والنصارى، بتوقيع المعاهدات، وعقد التحالفات، لا التوسل بالحرب ضدّهم، وإنّما اندلعت الحروب معهم لاحقاً ردّاً على نقضهم العهود والمواثيق، وإلاّ فالأصل كان النأي عن خوض الحرب معهم.

وقد تأخذ الحروب الدينية أشكالاً عدة. وعلى مدى قرون عانت مختلف الأمم من الحروب الدينية، التي ربما جرت بين أتباع دين وأتباع دين آخر، أو بين فرق ومذاهب من أتباع الدين الواحد، وهذا ما عانى منه الأوروبيون طويلاً، فقد طحتهم الحروب الطويلة بين الكاثوليك والبروتستانت، حتى أطلق على إحدى هذه الحروب حرب الثلاثين سنة، وهي المدة التي استغرقتها تلك الحرب، بين أتباع الفرقتين ضمن الدين المسيحي نفسه. وشهد القرنان السادس عشر والسابع عشر سلسلة من الحروب الدينية الداخلية بين المسيحيين أنفسهم، انطلاقاً من الاختلاف الديني. غير أنّ الأوروبيين تجاوزوا هذا النزاع في نهاية المطاف، بعد أن بلغوا حالة من الرشد والنضج، بخلاف ما يجري اليوم في الأمة الإسلامية التي لم تتجاوز بعد مرحلة الحروب الدينية، والتي جعلت من المنطقة العربية بؤرة للاحتراب الديني.

أغراض سياسية باسم الدين

يدرك الجميع أنّ هناك أغراضاً سياسية تقف خلف النزاعات والحروب المستعرة، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع مختلف الأطراف من استمرار استغلال الدين في تسعير تلك الحروب. ونتيجة لذلك افتقدت العديد من المجتمعات الإسلامية الأمن والاستقرار الداخلي، حيث بات الناس يجدون أنفسهم في خضم حرب طاحنة دونما خطوط فاصلة، ولا جبهات معروفة، فلم يعد يقتصر العنف على ساحة دون أخرى، ولا مختصاً بمكان دون آخر، ولم يعد الإنسان في كثير من مناطق العالم العربي يعرف مكاناً آمناً يلتجئ إليه للنجاة بنفسه من آفة الإرهاب، فهناك أسواق تستهدف، ومجمعات سكنية تضرب، ودور عبادة تفجّر، من مساجد وحسينيات وكنائس، بل لم توفر أعمال

الإرهاب والتفجيرات الانتحارية مواكب تشييع الموتى ولا سرادقات العزاء! ويبقى السؤال المطروح دائماً؛ إلى متى يستمر هذا الواقع المرعب في منطقتنا العربية والإسلامية؟ وما هي السبل لأن تتجاوز الأمة هذا الواقع السيء؟ وإلى متى تعيش شعوبنا هذه الحالة من الاحتراب الداخلي، والعنف المفتوح على مختلف الساحات؟ فلا تكاد تنطفئ النار في بؤرة حتى تستعر في بؤرة أخرى، فمرة في أفغانستان، وأخرى في الشيشان، وثالثة في العراق، وبعدها في سوريا، حيث تشكلت بؤر تجتذب العناصر الإرهابية للتدريب ونيل الخبرة، ولتبتث بعدها أجواء الاحتراب والعنف في فضاء الأمة. إن مردّ تصاعد الإرهاب مرتبط بدرجة كبيرة بالإرادات السياسية لدول المنطقة. فمتى يا ترى تتوفر الإرادة السياسية عند حكومات المنطقة لتضع حدًا لحالة الاحتراب من خلال الحوار والتفاوض المباشر، والوصول من ثم إلى توافق على حلّ مشاكلهم السياسية؟

الجهات الدينية غطاء وأدوات

إنّ الجهات الدينية في المنطقة ينبغي أن تتحمّل مسؤوليتها، وأن تنأى بنفسها عن حالة الاحتراب القائمة. فليس من المقبول أن ترضى الجهات الدينية لنفسها أن تتحول إلى وقود لهذا الصراع، وأن تمضي في صبّ الزيت على نار هذه الحرب القذرة في بلاد المسلمين. ينبغي الإقرار بأنّ هناك مذاهب ومدارس متعددة داخل الأمة، بما يحمل ذلك من تنوع عقدي وفقهي، غير أنه لا يجوز للقيادات الدينية أن تضطلع بدور التبرير والتوظيف للدين ضمن الصراعات السياسية. وعلى النقيض من ذلك، ينبغي أن تتحمّل القيادات الدينية مسؤوليتها في إيقاف هذا النزاع المدمر، وإن لم يكن بيدها فعل ذلك، فلتنأى بنفسها عن أن تكون أداة في يد الأطراف السياسية المتناحرة، وألا تتحول إلى بوق يؤجج العنف ويصبّ الزيت على نار الفتنة الناشبة في بلاد المسلمين.

التوصيفات الطائفية

ينبغي أن يتجلى النأي الديني عن الصراعات السياسية في اتخاذ العديد من الخطوات.

وأول هذه الخطوات أن يجري تجريد الخطاب العام من التوصيفات المسيئة، من قبيل وصم الآخرين بالروافض والنواصب. إن هذه العناوين والتصنيفات هي التي تسبغ الحالة الطائفية والمذهبية على النزاعات السياسية المستعرة، وما هي إلا توصيفات اختلقت ضمن بيئات وعصور سابقة، لم يعد لها وجود حقيقي على أرض الواقع، وليس هناك من داع لها، ولا مبرر لبقائها، ولا الاستمرار في تداولها. فلا واقعية لمصطلح الروافض مثلاً، ولو تتبعنا كتب التاريخ بحثاً عن ظروف نشأة واستخدام هذا المصطلح المسيء، لوجدنا التباساً شديداً حول ظروف النشأة وماهية الفئة التي ينطبق عليها، كما سنجد أن استخدام المصطلح في تلك الظروف الزمنية السحيقة، مغاير تماماً لنمط استخدامه في وقتنا الراهن.

والحال نفسه ينطبق على المصطلح المقابل للروافض، أي النواصب، فلا وجود في عصرنا الراهن لفرقة النواصب، وهي التي كان أتباعها يعلنون العدا والبغض لأهل البيت عليهم السلام ويتعبّدون به. وضمن سياق الحرب على الإرهاب وقاتل المجموعات الإرهابية في العراق، سئلت المرجعية الدينية في العراق عن إطلاق مصطلح النواصب على الإرهابيين، فصرّحت المرجعية بأن هؤلاء وإن كانوا مجرمين يُقاتلون دفعاً لإجرامهم لا ينطبق عليهم وصف النواصب، إلا إذا أعلنوا بغضهم لأهل البيت عليهم السلام.

إنّ من الخطأ الفادح تداول التوصيفات الطائفية المسيئة بين السنة والشيعة وكأنّ النزاع المستعمر في المنطقة ليس إلا حرباً بين المذهبيين. وهذا غير صحيح جملةً وتفصيلاً، ولا أدلّ على ذلك من أنّ رقعة النزاعات الأهلية المسلحة عمّت مناطق لا وجود فيها للشيعة، كما في ليبيا، والسودان، ومصر، وأفغانستان، ومناطق أخرى. ذلك

أنّ المسألة مسألة عنف وإرهاب له أغراض سياسية دنيئة.

الجدل العقيم استفزاز وتحريض

أما الخطوة الأخرى ضمن إطار النأي الديني عن الصراعات السياسية، فهي التوقف عن الجدل المذهبي. إنّ من المسلمات أنّ هناك مسائلَ جمةً مختلفَ بشأنها بين السنة والشيعة، على المستوى العقدي والفقهي، ولم تكفنا ١٤٠٠ سنة من الجدل حولها، وكلّ جماعة لا تزال مصرّة على قناعاتها، فإلى متى نستمرّ في هذا الجدل المذهبي العقيم، القائم على نحو بالغ العبثية؟ إنّ مما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار، أنّ هناك من يوظف هذا الجدل المذهبي سياسياً، بغرض صبّ الزيت على نار الفتنة والاحتراب المذهبي.

منذ قرون والشيعة يحتفلون بمناسبة عاشوراء، ذكرى استشهاد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، ولهم في هذا أدلتهم وبراهينهم، ولطالما قالوها وكتبوا عنها وبيّنوها، فتلك هي قناعتهم ووجهة نظرهم، فإن كان هناك من لديه وجهة نظر أخرى، ولا يرى شرعية هذه المراسيم العاشورائية، فذلك حقّه وتلك وجهة نظره، وله في ذلك أدلته، ولطالما طرح كلّ طرف رأيه واستعرض أدلته. غير أنّ السؤال المطروح الآن؛ هو: هل أنّ زمننا الراهن هو الوقت المناسب لإثارة المزيد من الجدل والتراشق المذهبي، سيّما وأنّ الشيعة كجماعة بشرية ورثوا هذه المراسيم، إضافة إلى أدلتهم الشرعية عليها، وأثبتت التجارب أنّ محاولة ثنيهم عن إحياء هذه الشعائر لم تفلح قطّ، حتى مع استخدام القوة والقمع ضدهم، وهذا شأن أيّ قوم مؤمنين بمعتقدهم، فلماذا نجدّد معركة الجدل المذهبي في كلّ عام؟

إنّ مواقف بعض الرموز الدينية في المملكة تتسم بالغرابة الشديدة حيال المسألة المذهبية. وينبع وجه الغرابة من عدم اتّساق تلك المواقف مع ظروف التشنج الطائفي، وما يكتنفه من أعمال الإرهاب، والتهديدات المتوالية لأتباع مذهب أهل

البيت، واستهدافهم في شعائرهم. وقد رأينا انعكاس ذلك في الهجوم الإرهابي الذي استهدف قرية الدالوة في الأحساء، وهذا ما يقتضي ألا يُقدّم هؤلاء مزيداً من التبريرات للإرهابيين، وألا يُجدّدوا الغطاء الشرعي للممارسات الإرهابية. فقد تعود بعضهم مع حلول مناسبة عاشوراء في كلّ عام، أن يصدر البيانات والفتاوى التي تسيء للمحتفلين بالمناسبة، وذلك من الجدل العقيم الذي لا لزوم له. فكما هو الحال عند السنة، لدى الشيعة أيضاً ملاحظاتهم، فللشيعة مثلاً رأيهم الفقهي حول صلاة التراويح التي يحرص السنة على تأديتها بصرامة في ليالي شهر رمضان المبارك، إلا أنه من غير المقبول أن يعتمد علماء الشيعة سنوياً إلى إصدار البيانات الرافضة لصلاة التراويح، والتأكيد على أنّها بدعة لا تصحّ كلما حلّ شهر رمضان!

فليس هناك أسهل من إصدار البيانات والفتاوى، غير أنّهم لم يفعلوا ذلك؛ لأنّ إصدار الفتاوى في هذا الشأن كتصرّف لا يمتّ للعقل بصلّة، فضلاً عن أنّهم ليسوا بوارد تضيخيم هذه المسألة الفرعية لدرجة تحريض الناس بعضهم على بعض.

معزوفة الفتاوى ومراسم عاشوراء

إننا نستغرب بشدة إصرار بعض المفتين في المملكة على إثارة مسألة الخلاف حول الاحتفاء بمناسبة عاشوراء سنوياً. مع علمهم بحساسية المشهد الطائفي الراهن، وبذلك يُقدّمون المبرر والغطاء للاعتداءات الإرهابية، والدفع قدماً بمسألة الشحنة والبغضاء بين الناس، إنّ هذا أمر بالغ الغرابة حقاً. وإن كانت الجهات الدينية غافلة عن مضاعفات الفتاوى الطائفية، فإنّ على الجهات السياسية التي يفترض فيها الوعي والإدراك لمخاطر هذا النوع من الفتاوى، أن تضع حدّاً لها. إلا أنّ من المؤسف غياب الإرادة المستعدة لكبح جماح هذا التشدّد الطائفي غير المبرر، لذلك لن نكون في موقع الاستغراب لو وقعت المزيد من الاعتداءات الإرهابية التي تستهدف الأبرياء.

ومن ذلك ما رأينا قبل أيام من اعتداء دموي استهدف محيط الحسينية الحيدرية في

سيهات بالمنطقة الشرقية ليلة الرابع من المحرم ١٤٣٧ هـ، حين أقدم إرهابي منفلت، على إطلاق النار على مواطنين أبرياء، بينهم رجال ونساء، سقط منهم خمسة شهداء وعشرة جرحى، لا ذنب لهم سوى أنهم كانوا يحيون مراسم دينية يعتقدون بشرعيتها وصحتها. إن بلادنا في أمس الحاجة الى الأمن والاستقرار، ومواجهة الإرهاب والعنف، ومقتضى ذلك أن تتضافر الجهود، في سبيل تفويت الفرصة على الإرهابيين، من خلال النأي عن صناعة الأراضية التي تنطلق منها أفعالهم الإرهابية.

لقد أثبت المؤمنون مرارًا أنهم صامدون، ماضون في طريقهم، ملتزمون بمبادئهم، حتى مع تعرّضهم لخطر الإرهاب. فمع كل التهديدات الإرهابية، التي أخذ بعضها طريقه للتنفيذ عمليًا، إلا أن ذلك لم يفت من عضد المؤمنين، ولم يؤثر على مستوى حضورهم في مجالس العزاء، ولم ينخفض مستوى المشاركة، بل على العكس من ذلك، فالمؤشرات تدلّ على أن الناس ازدادت حضورًا وثباتًا وتمسكًا بإحياء شعائرهم ومراسيمهم الدينية، مع وجود التهديد الإرهابي الجاثم على الصدور، وهذا ما ينبغي أن يكون محلّ شكر وتقدير، فهؤلاء الناس الذين يتوجهون للمجالس والمواكب الحسينية، وهم يعلمون بوجود المخاطر والتهديدات الإرهابية، إنما يفهم إلى ذلك، الروح الإيمانية، والحالة القيمية، والمشاعر الوجدانية التي تجلّ لهم، فحيًا لله هؤلاء الولائيين الحسينيين المتمسكين بإحياء ذكرى استشهاد أبي عبدالله الحسين (عليه السلام)، غير أبهين بمختلف الأخطار والاحتمالات.

الشكر والتقدير للجهات الأمنية

كما لا بُدّ وأن نشيد بالحضور اللافت للجهات الأمنية، الذي ازداد كثافة بعد وقوع الاعتداء الإرهابي. فهذا التواجد الأمني في المنطقة هو ما يمنح الناس الاطمئنان، ويؤكّد معاني الوطنية السلمية، حيث ينظر المواطنون بعين التقدير للقوات الأمنية وهي تقوم بواجبها الأساس في حماية الناس، والدفاع عن الوطن. هنا ينبغي القول

أيضاً، إنّ من الصحيح أن أفراد القوات الأمنية إنّما يقومون بذلك انطلاقاً من واجبهم، إلا أنهم مع ذلك يستحقون منا كلّ الشكر والتقدير، سيّما وأنّ قيامهم بواجبهم في مثل هذه الظروف الحرجة فيه الكثير من العناء والمشقة، ومن خلفهم مسؤولو الأجهزة الأمنية، الذين يشرفون على التوجيه والإدارة، فهم أيضاً يستحقون الشكر والتقدير.

إنّ وقوف رجال الأمن إلى جانب المواطنين في حماية أمن البلاد، تمثل صورة رائعة. حيث ينبغي أن يستمرّ التنسيق بين المواطنين وقوات الأمن، حتى يشعر المواطنون أنّ القوات الأمنية إنّما وجدت لحمايتهم والدفاع عنهم، وأنّ يشعر أفراد الأمن في المقابل بأنّ لا قلق من هؤلاء المواطنين. إنّما هم مواطنون مسالمون، موالون ومحّبون لوطنهم، ومدافعون عنه.



دروس تربوية من العفو الإلهي.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ
افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨]

خلق الله تعالى البشر تفضلاً منه، وأفاض عليهم نعمه وخيره، وأراد لهم أن يعيشوا في هذه الدنيا حياة طيبة سعيدة. غير أن المشيئة الإلهية أرادت أن تتحقق السعادة والصلاح في حياة البشر انطلاقاً منهم وباختيارهم، لا أن تكون مفروضة عليهم، ورمماً عنهم، وبعبارة أدق؛ أن يحدّدوا مصيرهم مخيّرین لا مسيّرین. بخلاف سائر الكائنات الأخرى، التي جعلها سبحانه مسيرة في أسلوب حياتها. وقد أودع الله في الإنسان نزعات تغريه بالفساد والانحراف، كما منحه ملكات تدفعه نحو الخير والصلاح، وجعل حياته برمتها ساحة امتحان دائم، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٣]، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [سورة البلد، الآية: ١٠].

إنّ الله تعالى يريد للإنسان أن يسلك طريق الخير والصلاح، وأن يعيش حياة طيبة في هذه الدنيا، بوعيه واختياره، لا أن يكون مسيّرًا في هذا الاتجاه.

وجاءت الرسائل والشرائع السماوية لتبيّن للإنسان طريق الخير، وتشجعه على السير فيه. كما حرصت على تحذيره من العواقب الوخيمة المترتبة على انحرافه. وانتهجت الرسائل السماوية التعامل مع الإنسان طبقاً لطبيعته البشرية، ولم تتعاط

معه كملك من الملائكة، وباعتباره بشراً، فإن له أهواء وشهواتٍ ونوازع للانحراف والفساد، إلى جانب ما في أعماقه من بذور الخير والصلاح، التي ينبغي أن تستثار وتحفز وتستنهض، وتبعاً لذلك يمكن القول إن تعامل الرسالات السماوية مع الإنسان يُعدّ تعاملًا واقعيًا، أبعد ما يكون عن المثالية المجردة.

ومردّ ذلك علمه سبحانه وتعالى، بضعف الإنسان، وإمكانية ميله في أحيان كثيرة نحو أهوائه وشهواته، فذلك غير منفيك عن صميم طبيعته البشرية. من هنا يأتي السؤال عن طبيعة التعامل الإلهي مع الإنسان، إذا ما وقع في خطّ الانحراف والفساد وضعف أمام شهواته؟

أبواب النجاة مفتوحة

إنّ من عظيم رحمة الله، أن جعل تعامله سبحانه وتعالى مع عباده المخطئين أبعد ما يكون عن الثأر والانتقام، بل على نحو الاستنقاذ والإصلاح، واستعادة الإنسان إلى الطريق القويم، وإبعاده عن النتائج الوخيمة لأفعاله المنحرفة. لذلك فتح الله أمام الإنسان أبواب التوبة على مصراعيها، حتى آخر نفس من حياته. ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إنّ الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»^(١)، أي إنه تعالى يقبل التوبة عن العبد حتى اللحظات الأخيرة من حياته. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٢٥]، إنه يدعوهم بكلّ تحنن ولطف إلى العودة إلى جادة الصواب، مهما بلغت ذنوبهم ومعاصيهم.

وإلى جانب فتح باب التوبة، جعل سبحانه وتعالى الأعمال الصالحة بابًا للمغفرة والتجاوز عن أخطاء العباد. فقد يوفق الإنسان إلى التوبة تارة، وذلك أعظم أبواب المغفرة، وتارة تكون أعماله الصالحة طريقًا واسعًا نحو شموله بالمغفرة والتجاوز عن أخطائه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود، الآية: ١١٤]، وفي حالة ثالثة،

(١) كنز العمال، ج ٤، ص ٢١٠، حديث ١٠١٨٧.

قد يحظى العبد بالشفاعة التي جعلها الله تعالى للأنبياء والأولياء والأئمة والشهداء والصالحين، فهؤلاء يشكلون باباً من أبواب المغفرة، لما حباهم تعالى من حق الشفاعة في الناس، فيتجاوز سبحانه عن ذنوب العباد وأخطائهم كرامة لعباده الصالحين.

ويُبقى تعالى فرص النجاة متاحة أمام العباد إلى أبعد الحدود. فلو أن إنساناً لم يتب إلى الله، ولم تكن عنده أعمال صالحة، ولم يكن مستحقاً للشفاعة، فلا يعني ذلك نهاية المطاف، والأخذ به إلى جهنم، ذلك أن الله تعالى يمدّ طوق النجاة للعباد حتى وهم في تلك الحالة. وفي هذا الشأن تشير الآية الكريمة إلى أن كل الذنوب والأخطاء، تبقى ذنوباً قابلة للمحو، ما بقي العبد تحت سقف الإيمان بالله والنأي عن الشرك به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

إن الآية الكريمة فيها من الرجاء الكبير ما لا حدّ له، على نحو وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بأنها أرحى آية في القرآن الكريم. فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: «ما في القرآن آية أرحى عندي من هذه الآية»^(١)، فالآية الكريمة تفتح باب الرجاء والأمل أمام الإنسان، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾، أي إنه باستثناء الشرك بالله، فإن كل الذنوب يمكن أن يستوعبها العفو الإلهي. غير أن الآية الكريمة لم تُعطِ وعداً حتمياً بغفران الذنوب على نحو مطلق، وإنما حصرت العفو في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. من هنا، ينبغي أن يتحلّى الإنسان باليقظة والانتباه، فلا يتوهم أن كل ذنب يقترفه سيكون محلّ عفو الله وغفرانه ما دام دون الشرك به تعالى، ويفهم الآية خطأ فتغريه بالمعصية. فقد لا تظلل مشيئة الله بعض العباد عندما يبسطها عليه السلام ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وفق تعبير الآية الكريمة. وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ارْجُ اللَّهَ رَجَاءً لَا يُجَرِّتُكَ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ، وَخَفِ اللَّهَ خَوْفًا لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ رَحْمَتِهِ»^(٢).

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٣، ص ٢٣٢.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢١٧، حديث ٢٠٣١٧.

لا يأس ولا استهانة

وتزخر الآية الكريمة بجملة من الدروس والأبعاد المهمة. ويأتي في طليعتها؛ إيلاء الأهمية القصوى للتوازن النفسي عند الإنسان حيال تعامله مع خالقه جلّ وعلا، فمن جهة ينبغي ألا يصاب بالقنوط واليأس مهما بلغت ذنوبه وأخطاؤه؛ لأنّ اليأس منهّي عنه بشدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٥٣]، ومن جهة أخرى ينبغي ألا يكون متهاوناً في المعصية. فالأمران في الإفراط والتفريط سيّان.

وروي أنه قيل للإمام الصادق (عليه السلام): «قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت، فقال: هؤلاء قوم يترجحون في الأمان، كذبوا، ليسوا براجين، إنّ من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه»^(١).

ومما روي في سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، أنّ الزهري الذي كان عاملاً عند بني أمية، عاقب رجلاً حتى مات جرّاء العقوبة، فخرج هائماً على وجهه، لما تسبب من موت إنسان مسلم، وترك الناس ملتجأً إلى غار بأحد الجبال، فطال مقامه حتى بلغ تسع سنين، وفي إحدى السنوات كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الحج، فأتاه الزهري، فقال له الإمام: «إني أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك فابعث بدية مسلمة إلى أهلها، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك، قال: فقال: فرّجت عني يا سيدي، والله عزّ وجلّ وتبارك وتعالى أعلم حيث يجعل رسالاته»^(٢).

الصفح عن الخطأ

أمّا الدرس الثاني الذي يُستلهم من الآية الكريمة فهو أن ننتهج نهجاً تربوياً مع من يخطئون علينا. وذلك ما ينبغي أن يتجسّد في تعاملنا مع مرتكبي الأخطاء ضمن

(١) الكافي، ج ٢، ص ٦٨، حديث ٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٧، حديث ١٧.

محيطنا البشري، فقد يصدر الخطأ من أي فردٍ من أفراد العائلة تجاه الآخر، زوجًا أم زوجة أو أبناء، وقد يصدر الخطأ من الأصدقاء والمعارف، والحال نفسه مع العمال والخدم، هنا ينبغي أن يتخلق المرء بأخلاق الله سبحانه، فلا يكون قاسيًا، ولا يوصد الأبواب أمام المخطئ، في إمكانية تصحيح نهجه، والتعديل من مسيره؛ لأنّ مآل ذلك سيكون دفعًا له إلى مربع اليأس والقنوط، وسيكون مشجعًا له على الاستمرار في خطأه والإصرار على انحرافه. ولعلّ فيما ينشر من قضايا العمالة المنزلية خير مثال، فإذا ما أخطأ العامل أو العاملة، وتمّ استيعاب الخطأ، ومنحه فرصة أخرى للرجوع والتصحيح من مسلكه، فستمضي الأمور على نحو طبيعي هادئ، وعلى النقيض من ذلك فيما لو جرى التعامل معه على نحو قاسٍ غليظ، فلربما دفعه ذلك إلى ارتكاب جرائم داخل المنزل. وكذلك الحال في التعامل مع أخطاء الأصدقاء، فإنّما هم بشر خطأون، أرأيت كيف يتعامل الله تعالى مع أخطائك تجاهه؟ كذلك ينبغي أن تتعامل مع الآخرين، ذلك أنّ من كان يعفو عن الناس كان إلى عفو الله أقرب.

ينبغي للمؤمن الواعي أن ينأى عن العقلية التعصبية الميالة إلى نفض اليد من الأقربين والأبعدين عند أول اصطدام بهم أو خلاف معهم، فذلك لا ينم عن وعي ولا حكمة، بقدر ما ينم عن عصبية وانغلاق. ولطالما قرأنا في سير أئمة أهل البيت عليهم السلام وتعاملهم مع مناوئهم والقساة من أعدائهم، إذ لم يكونوا عليهم السلام يتعاملون معهم بروح انتقامية، بقدر ما كانوا يفسحون أمامهم مجال العودة، وكم من عدوّ تحول إلى موالٍ وصديق، كما في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٤].

إنّ المنهج الإلهي في استيعاب المخطئين والتجاوز عن المسيئين، ينبغي أن يكون نهجًا معتمدًا على كلّ المستويات، بما يشمل ذلك الحكومات. فقد يخطئ مواطن، ويتجاوز النظام، ويخالف قانون البلد، ومع التسليم بضرورة وجود الروادع ووضع العقوبات في سبيل حفظ النظام، إلا أنّ تطبيق القانون يمكن أن يأتي على نحو انتقائي

محض، أو على نحو إصلاحي، يكون الهدف منه استعادة المواطن المخطئ إلى دائرة الخير والصلاح، من خلال فتح المجال أمامه حتى يعود إلى دائرة الهدى. إن هذا النهج الاستيعابي مع المخطئين، هو ما ينبغي أن يجري حتى مع السجناء المجرمين، فهذه الفئة من الناس لا ينبغي للمجتمع أن يتعامل معها بقسوة بالغة، على نحو لا يدع أمام الفرد منها خياراً آخر سوى الاستمرار في خطّ الجريمة.

قد يصبح العاصي تقياً

أما الدرس الثالث الذي نستلهمه من الآية الكريمة فهو أن نلتزم الإيجابية في النظرة إلى الآخرين. فقد ينظر بعض الناس إلى بعضهم الآخر باعتبارهم مخطئين، وأهل ضلال وانحراف، غير أنّ السؤال المطروح هنا؛ وما يدريك عن المصير الأخير لهذا الإنسان المخطئ، سيّما وأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، فلعلّ التوبة تدرك هذا الإنسان عاجلاً أم آجلاً، فيصبح صالحاً في مستقبل الأيام، ولربما استوعبه عفو الله سبحانه وتعالى وأدر كته المغفرة.

من هنا ينبغي ألاّ ينظر المرء للآخرين من حوله على نحو سلبي، كمنحرفين وفاسدين وحسب، إنّ هذا الإنسان الذي يمكن أن نراه اليوم قطعة من السوء، وبؤرة للخطيئة، وكتلة من الفساد، ربما أخذ منحى آخر في مقلب الأيام. من هنا تنبع أهمية التحلّي بالإيجابية في النظر إلى الآخرين، بأن يتوقع لهم الهدى، ويتمنّى لهم السير في طريق الصلاح. على النقيض مما يفعل البعض، الذي لا يكاد يرى إنساناً قد وقع في خطأ حتى يذهب بعيداً في النظر إليه نظرة حالكة السواد، وتبقى هذه النظرة راسخة عنده حتى مع مرور السنين وتقدم الأيام، وهذا نمط من السلوك المتحجّر في الحكم على الآخرين، ينبغي ألاّ يقع الإنسان المؤمن في برائته.

الأغراض السياسية والتدريـض الطائفيـ.

عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام
أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «الخلق عيال
الله فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال
الله»^(١).

وعنه عليه السلام أنه قال: سئل رسول الله ﷺ:
من أحبّ الناس إلى الله؟ قال: «أنفع الناس
للناس»^(٢).

ثمة تأكيد واضح في منظومة المفاهيم والقيم الإسلامية حيال اعتبار الإنسانية أسرة واحدة. وهو ما تشير إليه جملة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، ومنها؛ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة النساء، الآية: ١]، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٩٨]، ومن ذلك، ما ورد عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال، قال رسول الله ﷺ: «الخلق عيال الله فأحبّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله». وعنه عليه السلام أنه قال، سئل رسول الله ﷺ: من أحبّ الناس إلى الله قال: «أنفع الناس للناس»، وبذلك تؤكد هذه النصوص وغيرها بوضوح أنّ البشر جميعاً يعودون إلى نفس واحدة، فهم بمنزلة أفراد الأسرة الواحدة، التي ينبغي أن يسود بين أعضائها التعايش والتعاون والتراحم.

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٦٤، حديث ٦.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ١٦٤، حديث ٧.

إنّ من المعلوم أنّ هناك تمايزات داخل الأسرة البشرية، دينية وعرقية وقبلية، لكن هذه التمايزات لا ينبغي أن تؤثر على حالة الانتماء الإنساني الواحد، وما تستلزمه من تعايش وتعاون وتراحم.

وكلّ الأديان الإلهية تؤكّد على مفهوم الأسرة البشرية الواحدة. حيث لا توجد شرعة سماوية فيها ما يؤلّب الناس بعضهم على بعض، أو يبعد الناس عن بعضهم بعضاً، وإنّما العكس هو الصحيح، حيث دأبت الشرائع السماوية على دفع الناس نحو الاقتراب من بعضهم بعضاً، تحت ظلّ المفهوم المتجسّد في اعتبار الخلق عيال الله. أرايت كيف يحبّ الإنسان عياله، ويرى نفسه معنياً بسلامتهم ومعيشتهم، ويحبّ من يكرمهم ويخدمهم؟ كذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ أبناء البشر، وهو المعني برعايتهم وسلامتهم، ويثب من يعمل لصالحهم.

إنّ مفهوم الأسرة البشرية الواحدة يبقى ثابتاً في ظلّ التعددية الدينية والطائفية بين البشر، وقد كشف الإمام عليّ (عليه السلام) عن هذا المفهوم في أجلى صورته، وذلك في عهده إلى واليه على مصر مالك الأشر، بقوله: «فإنّهم - أي الناس - صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»، ومضمون قوله (عليه السلام) أنّ الناس إمّا لهم حقّ الإسلام، أو حقّ الإنسانية باعتبارهم أعضاء في الأسرة البشرية الواحدة.

واقع المسلمين ومفاهيم الدين

غير أنّ هناك مفارقة كبيرة يكشف عنها واقع المسلمين المناقض لمفهوم الأسرة البشرية الواحدة، الذي عبّر عنه الإسلام. حيث تعجّ الأوساط الدينية بحالات النزاع والخلاف والتشنج، مع أنّهم ينتمون إلى دين تشدّد مفاهيمه وقيمه على التعايش والانسجام مع الآخرين. وإلّا ما الدافع وراء الحروب الدينية؟ وما السرّ خلف الصراعات المذهبية التي تطحن هذه المجتمعات؟ وأين هذا الواقع المتشظّي في أوساط المتدينين من قيم الدين ومفاهيمه؟

ولعل أكثر ما يلفت النظر في هذا السياق أن تجد واقع الناس غير المتدينين أقرب إلى التعايش والانسجام من المتدينين. حيث ترى هناك من لا ينتمون للحالة الدينية بتاتاً، وهم ينعمون بالوئام والانسجام مع غيرهم، حتى إذا انتموا إلى الحالة الدينية، وأظهروا الالتزام الديني، أصبحوا في وضع مناقض تماماً للحالة الأولى، وسرعان ما تجدهم ينتقلون إلى مريع العداوة والنزاع.

ولعل أوضح مثال على هذا التلازم بين التدين المتشدّد وبين التنزاع مع الآخرين، هو واقع ما عُرف بالصحوة الإسلامية، وما صاحبها من نزاعات حادة عوضاً عن أن يحدث العكس. حيث كانت مجتمعاتنا قبل الصحوة تعيش أوضاعاً عادية على صعيد العلاقات الاجتماعية والدينية، وعندما سادت أجواء الصحوة أوساط المسلمين سنة وشيعة، وتزايد اهتمام كل مجموعة بأحكام دينهم ومذهبهم، رأينا تزايداً مضطرباً في حالات التنافر والعداء، وتوسّعاً في أجواء الصدام والاختلاف. فلماذا يحصل ذلك، سيّما مع وضوح المفهوم الديني حيال وجوب التعايش والانسجام مع الآخرين على أسس دينية؟

فتش عن السياسة

للإجابة عن هذه التساؤلات نقول: فتش عن السياسة. إذ إنّ المصالح السياسية تقف خلف غالب النزاعات، وإن تسربلت بشعارات دينية، ومردّد ذلك إلى التأثير الكبير للدين على نفوس الناس، بما يجعل كل طرف يلجأ لاستخدامه طمعاً في تحقيق أغراض سياسية وحشد للأتباع، وليس هناك أفضل من إثارة العواطف الدينية باعتبارها الطريق الأقصر لبلوغ المآرب السياسية.

وهذا ما يفسّر استخدام الأطراف المختلفة الدين في التعبئة ضد بعضهم بعضاً، في سبيل تحشيد أكبر عدد من الأتباع، وتحقيق أكبر قدر من المكاسب.

وقد درجت الأطراف المهيمنة في كل منطقة من المناطق على إثارة القلق في نفوس المحيطين، وتعبئتهم وتخويفهم من أتباع الدين أو المذهب أو الخطّ السياسي

المنافس، كل ذلك في سبيل خلق حالة الاصطفاف من حولهم، والمحافظة على مساحة الهيمنة المتاحة وإبعاد المزاحمين عنها.

كما قد يلجأ لهذه الحيلة أيضًا طرف يشتكي التهميش، وسلب ما يعتبرها حقوقاً مشروعاً، ثم لا يجد من سبيل لحشد المحيطين به إلا من خلال إثارة المظلومية الدينية، والتخويف من مؤامرات مزعومة تستهدف الدين، وإلغاء المذهب، وإطباق الحصار عليه. من هنا نجد أن النزعات والمصالح السياسية تقف خلف توظيف الدين توظيفاً سلبياً في مختلف المجتمعات.

انبعاث الطائفية في الهند

وقد برز في الهند مؤخراً أحد الأمثلة للعبث السياسي، واستخدام الدين في تحقيق المكاسب. فهذه البلاد التي طالما ضرب بها المثل في التنوع والتعددية الدينية، والتعايش القومي والعربي بين أتباع الديانات المختلفة، بدأ هذا البلد يشهد في السنوات الأخيرة تشنّجاً بين المسلمين والهندوس، ومرّد ذلك إلى بروز حزب سياسي هندوسي يطمح في الوصول إلى الحكم، ويدعى حزب (جاناتيا بهاراتيا)، ولم يجد هذا الحزب بعد أن فقد أغلب مقاعده في البرلمان، إلا الاعتماد على إثارة العواطف الهندوسية عند الناخبين، ودعوتهم للحفاظ على هندوسيتهم، مقابل الهيمنة الإسلامية المزعومة، إضافة إلى تخويف الجمهور من انتشار الإرهاب الإسلامي هناك، وقد آتت هذه الحملات أكلها، وحصد الحزب أغلب مقاعد البرلمان، وحكم الهند في مايو ٢٠١٤م.

وعلى هذا النحو مضى في تحشيد الجمهور مع كل حملة انتخابية، مما قاد إلى حوادث مأساوية، ومن شواهد ما حدث مؤخراً من هجوم بعض أهالي قرية (بيسارا) ذات الغالبية الهندوسية، التي تبعد نحو ٤٠ كيلومتراً عن نيودلهي، على منزل مواطن مسلم، يدعى (أخلاق أحمد) وقتله وسحله في الشوارع، استجابة لنداء

عبر مكبرات الصوت، صادر عن معبد القرية، على خلفية ما ثبت لاحقاً أنّها إشاعة مكذوبة، حول ذبحه بقرة، وأكله لحمها بمناسبة عيد الأضحى، وذلك ما اعتبر إهانة للهندوس الذين يقدّسون البقر، في حادثة هي الأولى التي تشهدها القرية منذ أكثر من ٧٠ سنة. وقد ثبت لاحقاً أنّ من يقف خلف الحادثة هم من أتباع الحزب الهندوسي المتشدّد (بهاراتيا جاناتا) نفسه، وغرضهم كسب التعاطف وخلق اصطفاًف سياسي خلف الحزب بغرض الفوز في الانتخابات^(١).

التفسير الطائفي

إنّ توظيف الدين من أجل حشد الجمهور، وتعبئته لأغراض سياسية، تُعدّ حالة سائدة في الكثير من المناطق، وينبغي للناس أن تأخذ العبرة حيال هذا الأمر. ولعلّ المطلوب إزاء هذه الحالة أمران:

أولهما: أن يجري تعزيز الوعي الأهلي؛ حتى لا ينخدع الناس بالتعبئة التي تتظاهر بالدفاع عن الدين، والمنافحة عن العقيدة. إنّ من المشكلات المستفحلة في منطقتنا العربية والإسلامية سيادة التفسير العقدي للصراعات القائمة، وخاصة في هذا المقطع الزماني الراهن، على نحو يندفع فيه كلّ طرف إلى تفسير صراع الطرف الآخر معه، لاعتبارات الخلل الديني، والضلال المذهبي، والتأمر التاريخي، كما تفعل بعض القنوات الطائفية السنية، التي تجهد في إقناع جمهورها بأنّ الحوادث الراهنة نتاج للمعتقد الشيعي وليست وليدة اليوم، وإنّما امتداد لتاريخ طويل من الصراع العقدي ضدّ أهل السنة، مستحضرين في هذا السبيل رموز النزاعات السابقة من ابن سبأ حتى ابن العلقمي على ما يزعمون.

والحال نفسه مع الفضائيات الطائفية الشيعية، التي تتكئ على حجج دينية وتاريخية مشابهة. وبذلك يجري إرجاع المشكلة إلى التضاد العقدي بين الأطراف المتنازعة،

(١) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ الأحد، ١٨ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٥م.

وهذا تفسير خطأ جملة وتفصيلاً، وينطوي على تضليل متعمد للناس، غرضه تأجيج الصراع. بينما يشير واقع الحال إلى أمر مختلف تماماً، حيث تعايش الناس مع اختلافاتهم المذهبية على مدى قرون طويلة، حتى برزت الأغراض المصلحية والدوافع السياسية خلف الصراعات الراهنة.

إنّ التحليل المذهبي للصراعات الراهنة تحليل غير صحيح، وأبعد ما يكون عن الدقة. ولا أدلّ على ذلك من انتشار النزاعات السياسية والاحتراب داخل أتباع المذهب الواحد، وإلاّ فيماذا نفسّر اندلاع حالات الاحتراب بين أبناء السنة أنفسهم، وأبناء الشيعة أنفسهم؟ من هنا، ينبغي ألاّ تنطلي علينا التحليلات الساذجة المغرضة للنزاعات الراهنة.

ترشيد الحالة الدينية

أما الأمر الثاني فهو أن يتحمل الواعون مسؤوليتهم في سبيل ترشيد حالة الانتماء الديني، وتوظيفه في الاتجاه الإيجابي، نحو التعايش والمحبة والتنمية وتقديم الأوطان، والنأي عن إثارة مشاعر الناس، وتأليب بعضهم على بعض. إنّ من المؤسف ما يحدث ضمن هذا الصراع، من الجور على المفاهيم الدينية، ومن ذلك الترويج إلى معنى اعتباطي لمفهوم الأخوة الإسلامية الوارد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

وبعيداً عن الدخول في إشكالية الفرق بين المؤمن والمسلم في القرآن الكريم، لا ينبغي أن يغيب عن الأذهان ما ورد في أحاديث ومرويات أهل البيت عليهم السلام حول اعتبار المسلم أخو المسلم مطلقاً. فقد ورد في الكافي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يَشْجَعَ وَيَجُوعَ أَخُوهُ، وَلَا يَرَوْى وَيَعْطَشُ أَخُوهُ، وَلَا يَكْتَسِي وَيَعْرِى أَخُوهُ، فَمَا أَعْظَمَ حَقَّ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ»^(١). وجاء في رواية أخرى في الكافي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «للمسلم على

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٧٠، حديث ٥.

أخيه المسلم من الحق أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمته إذا عطس، ... ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات»^(١). كما ورد في البحار عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً»^(٢). لذلك ينبغي ألا ينساق المؤمنون الواعون خلف أجواء التعبئة الطائفية، وإثارة العواطف، ودغدغة المشاعر.

من هنا، يمكن القول إن التدين الحقيقي يتجسد في تنمية المشاعر الإنسانية تجاه جميع الناس. دون اعتبار للاختلاف الديني والمذهبي أو العرقي، فالناس جميعاً أعضاء في الأسرة الإنسانية الواحدة، وهم عيال الله بحسب تعبير المرويات الدينية، فإن كان الإنسان يطمح إلى رضا الخالق عزّ وجلّ فليحسن إلى عياله، لا أن يعتدي عليهم. ويستثنى من ذلك ما يندرج تحت ردّ العدوان، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٠].

وبخلاف ذلك، ينبغي ألا يكون الانتماء الديني سبباً للعداوة بين الإنسان وأخيه الإنسان. ولا مبرر مطلقاً للانجراف خلف موجات التآليب لمجرد انجراف الآخرين نحوها، كما يحتاج البعض، مرددين بأن أولئك بدأوا، وهم الذين فعلوا، وما إلى ذلك من تبريرات جوفاء، متناسين المبدأ والقيمة الإنسانية التي يجسدها قول الشاعر: «وكلّ إناء بالذي فيه ينضح»، فالأولى أن يتمسك الإنسان بالقيم الأخلاقية الواردة في منظومته الدينية وإن تجاوزها الآخرون. ومع إدراكنا لصعوبة الوقوف بوجه حالة الاصطفاف والتآليب المذهبي، ومقاومة الانجراف خلفها، وأن تلك باتت مهمة عسيرة، إلا أن ثبات الواعين المصلحين على المبدأ، طلباً لرضا الله، يُعدُّ أكثر أهمية من أيّ شيء آخر.

(١) الكافي، ج ٢، ص ٦٥٣، حديث ١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٣٦، حديث ٣٦.

يوم التسامح العالمي.. كيف تستقبله الأمة

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ
وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ
اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ
وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران،
الآية: ٢٠]

أخذ مفهوم التسامح في العصور الأخيرة أبعاداً واسعة تتجاوز معناه اللغوي المحدود. إذ في حين يذهب المعنى اللغوي للتسامح إلى نواح أخلاقية تنحصر في مفردات التساهل والجلود والسخاء والعفو، إضافة إلى تنازل الإنسان عن حقه تجاه الآخرين، فقد أخذ هذا المفهوم في العصر الراهن أبعاداً أوسع وأرحب، خاصة بعدما تبنى هذا المفهوم التنويريون الأوروبيون. وقد حددت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «يونسكو»، في بيان صادر عنها عام ١٩٩٥ مفهوم التسامح، وعيّنت بمقتضاه يوم ١٦ من نوفمبر من كل عام يوماً للتسامح العالمي الذي اعتمدته الأمم المتحدة، وحددت المنظمة في ذلك البيان معنى التسامح في اللغة الإنسانية المعاصرة.

تناول البيان مفهوم التسامح على نحو أرحب وأكثر تفصيلاً. ومن ذلك، جاء في معنى التسامح أنه الاحترام والقبول للتنوع الشري لثقافات عالمنا، ذلك أنّ شعوب العالم تزخر بالتنوع الثقافي فلا بُدَّ وأن يقبل بعضهم بعضاً، وأن يحترم بعضهم بعضاً،

وأن لكل جماعة الحقّ في أن تمارس دينها وتعبّر عن ثقافتها وعن ذاتها الحضارية بالطريقة التي تريدها، وعلى الآخرين أن يحترموا هذا الأمر.

حيث جاء في المادة الأولى من البيان الفقرات التالية:

■ إنّ التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا.

■ التسامح هو اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحياته الأساسية المعترف بها عالمياً.

■ ممارسة التسامح تعني أن المرء حرّ في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم. والتسامح يعني الإقرار بأنّ البشر المختلفين بطبعهم في مظهرهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، لهم الحقّ في العيش بسلام وفي أن يطابق مظهرهم مخبرهم، وهي تعني أيضاً أن آراء الفرد لا ينبغي أن تفرض على الغير.

وبذلك أصبح معنى التسامح في مفهومه الإنساني العالمي؛ هو الإقرار بالتعددية واحترام الناس في تنوعاتهم الدينية والثقافية والحضارية.

الحروب الدينية في أوروبا

ولقد تبلور مفهوم التسامح في شكله الراهن على خلفية أجواء الاحتراب والصراع الذي عاشته أوروبا في العصور الوسطى. فقد شهدت القارة في تلك الآونة استبداداً دينياً وسياسياً متعاضداً، فهناك جهة السلطة الدينية المتمثلة في الكنيسة، والمتحالفة مع سلطة مقابلة متمثلة في الملك أو الإمبراطور، ومن ثم فقد بات من المحتم على الناس الخضوع على نحو مطلق للكنيسة التي تمثل الدين الرسمي للدولة، ونشأت على خلفية هذه الحالة، المقولة الشهيرة «الناس على دين ملوكهم»، ومضمون ذلك

أنّ من حقّ الحاكم في أيّ بلد أوروبي أن يعين للناس شكل دينهم، تمامًا كما يعين للدولة اتجاهها السياسي والاقتصادي.

وقد كان للكنيسة تصوراتها الخاصة حول الخلق والكون ومجمل نواحي الحياة، حيث لم تقتصر آراء الكنيسة على الأمور الروحية بل كانت لها تفسيراتها لحركة الطبيعة وأنظمة الكون، ولم يكن يحقّ لأحد من الناس تبني أيّ تصور آخر مغاير، ولو كان عالمًا متخصصًا، حتى بات يوصف بالهرطقة كلّ صاحب رأي علمي أو فلسفي مخالف لرؤية الكنيسة، وقد كان مصير كلّ متهم بالهرطقة التعرض لمختلف أنواع العقوبات بما في ذلك الموت حرقًا.

وقد حدثت إثر ذلك انشقاقات داخل الكنيسة الكاثوليكية. وتشكّلت عندئذٍ العقيدة البروتستانية في مقابل الكنيسة الكاثوليكية المهيمنة، وقد وقفت الأخيرة موقفًا عنيفًا إزاء هذا الانشقاق، وقاد ذلك إلى الدخول في حروب وصراعات دموية، وحالات اضطهاد مريرة، ضد اتباع العقيدة الجديدة، حتى أحرق أكثر من ثلاثمئة من الأساقفة ورجال الدين البروتستانت. في المقابل، عندما قويت شوكة المذهب البروتستانتية الذي نال حصة الأسد من الاضطهاد فيما سبق، أعاد البروتستانت عندما حكموا بريطانيا الصاع صاعين للكاثوليك. وهكذا عاشت أوروبا حالة استبداد واحتراب عنوانها الدين المسيحي كما تفهمه هذه الكنيسة أو تلك، وحصلت إثر هذا الصراع فظائع في أوروبا راح ضحيتها آلاف العلماء والمفكرين وعامة الناس سجنًا وتعذيبًا وقتلًا وحرقًا وتهجيرًا، حتى ذاع المصطلح الشهير «حرب الثلاثين عامًا» لواحدة من جولات هذا الصراع الذي دراهم خلال القرن السادس عشر، والتي شهد ارتكابات وفظائع من كلّ جهة ضد الجهة الأخرى.

التسامح طريق الخلاص

وإثر هذا الصراع الديني المدمر اتّجه العلماء والمفكرون الواعون إلى تلمّس سبل

الخروج من هذه الدوامة القاتلة. وفي هذا السياق طرح مفهوم التسامح، ذلك التسامح الذي يعني أن يعيش الناس أحراراً في أديانهم وعقائدهم، ولهم وحدهم حرية اختيار الدين أو المذهب أو العقيدة التي يتعبدون بها خالقهم، وأن السلطة الزمنية السياسية معنية فقط بالشؤون العامة السياسية والاقتصادية، ولا دخل لها من قريب أو بعيد في الشأن الفكري والديني للناس. ومن هنا جاءت الدعوات للفصل بين الشأن السياسي والشأن الديني، وأنه لم يعد يجوز لأحدٍ كائناً من كان أن يضطهد أحداً آخر على أساس رأي فكري أو معتقد ديني.

وتبعاً لذلك بدأت تشيع فكرة التسامح. وقد كتب المفكرون التنويريون مقالات ورسائل عديدة حول التسامح، ودفع كثير منهم أثمناً باهظة لتبنيهم هذه الفكرة، فقد سجن وقتل وأحرق كثيرون منهم، خاصة مع وجود كتاب موالين للكنيسة راحوا يقرنون فكرة التسامح بالفوضى ودمار المجتمعات وتقويض العقيدة المسيحية الصحيحة، وزعموا أن التسامح سيجعل الناس تعيش اللامبالاة، مما يقودهم إلى دخول النار يوم القيامة، حتى إن أحدهم التقط عبارة من الانجيل مستدلاً على ضرورة اجبار الناس على اعتناق الدين المسيحي قهراً، جاء فيها «أرغموهم على الدخول - في المسيحية -». ورغم الأثمان الباهظة التي دفعها المفكرون التنويريون إلا أن مفهوم التسامح انتصر في نهاية المطاف، حين قامت الدولة الأوربية الحديثة على أساس هذا المفهوم، وإقرار حقوق المواطنة واحترام خيارات الناس، وبذلك تجاوزت القارة حالة الاستبداد السياسي والديني.

جهود المفكرين الأوربيين وتضحياتهم

لم يتخلص الأوربيون من الاستبداد الديني والسياسي بسهولة ويسر، ولم يحتضن الرأي العام في مجتمعاتهم مفهوم التسامح بين عشية وضحاها، بل تطلب ذلك تضحيات كبيرة، واستغرق قروناً من النضال وجهود المفكرين والمصلحين.

ولعلّ حركة الإصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦م) هي المنعطف التي أعطت لدعوة التسامح زخمًا وتأثيرًا بارزًا في تلك المجتمعات، حيث رفع صوته عاليًا ضد القمع وإرهاب الكنيسة، وتحداها أن تواجه الفكر بالفكر وليس بالعنف، وقال سنة ١٥٢٠م: «ينبغي التغلب على الملحدّين بواسطة الكتابة لا بواسطة النار». وأكدّ مارتن لوثر حرية الاعتقاد، والفصل بين الروحي والديوي، وطالب بإلغاء محاكم التفتيش، ووقف كلّ إجراء ضدّ من تعتبرهم الكنيسة هراطقة وملحدّين.

كما تصدّى المفكر كاستيلو (توفي سنة ١٥٦١م) للدفاع عن التسامح الديني، وألّف كتابًا مهمًّا عن التسامح (سنة ١٥٥٤م) أورد فيه آراء في حرية الاعتقاد لعلماء ومفكرين سابقين، وأكدّ أنّ عدم التسامح يتناقض مع المحبة التي دعا إليها المسيح، كما يتناقض مع العقل.

وفي سنة ١٦٨٧م أصدر المفكر وليم بن كتابًا حول (معقولية التسامح وعدم معقولية قوانين العقوبات والاختبارات) أكدّ فيه أنه لا يجوز مطلقًا استخدام الإكراه في شؤون الإيمان؛ لأنّ القوة لا يمكن أن تضع نفسها محلّ تلك الأمور التي تتصل بعقل الإنسان. مقررًا أنّ حرية الضمير هي الحقّ الطبيعي للإنسانية.

وضمن مسيرة هذا النضال ضدّ الاستبداد الفكري كانت كتابات پير بيل بين سنة ١٦٨١-١٦٨٦م التي فنّد فيها مبررات القمع الديني، الذي يستند إلى سوء تفسير بعض عبارات الكتاب المقدّس، كالعبارة الواردة في إنجيل لوقا (إصحاح ١٤ عبارة ٢٣): «أكرهوهم على الدخول» حيث فسّروها على أنها دعوة إلى إكراه الناس على اعتناق المسيحية.

مشيرًا إلى أنّ عبارة يسوع هذه لا يمكن ولا ينبغي أن تفسّر بمعنى حرفي وإلا فإنّها غير معقولة، وبرهن بحجج برهانية عديدة أنّ لا أمر أفظع من إرغام الناس بالقوة على تغيير دينهم، وقد خصص كتابًا للردّ على مقولة «أكرهوهم على الدخول» المنسوبة ليسوع المسيح.

وكتب في الردّ على المعارضين لمفهوم التسامح بحجة أنه يتيح الفرصة لانتشار الفرق الشاذة وتعددها إلى غير نهاية، مجيباً بأن «هذا التعدد الهائل في الفرق والمذاهب أفضل من المذابح والمشانق والغارات الهمجية وكلّ الاضطهادات القاسية التي سعت الكنيسة بواسطتها إلى المحافظة على الوحدة دون أن تفلح في ذلك».

ويبرز اسم المفكر جون لوك في طليعة المنظرين لمفهوم التسامح والمؤثرين في تعميقه في أوساط المثقفين والنخب الفاعلة في المجتمعات الأوروبية.

جون لوك كان في بداية مشواره الفكري مخالفاً للتسامح ويراها مجرد اسم آخر للعصيان، والفوضى كما تشير إليه كتاباته سنة ١٦٦١ - ١٦٦٢ م، لكن بعد سنوات قليلة بدأ يميل للتسامح وكتب (بحثاً في التسامح) سنة ١٦٦٧ م وفي مذكراته التي كتبها سنة ١٦٧٩ م سجّل ملاحظات مهمة لتعميق فكرة التسامح، ومواجهة القمع والإكراه الديني والفكري.

وجاء كتابه الشهير (رسالة في التسامح) سنة ١٦٨٩ م ليقدم مفهوم التسامح بلغة وبيان أكثر تطوراً ونضجاً، وتلاقفه المفكرون والمثقفون في مختلف أنحاء أوروبا وترجموه من اللاتينية إلى الإنجليزية وسائر اللغات الأوروبية، وكانت بعض طبعات الكتاب تنفذ في شهور قليلة.

ولم يكن الكتاب يحمل اسم مؤلفه في طبعاته الأولى حيث كان لوك يكتفم أنه المؤلف، ولم يعلن ذلك إلا قبل وفاته بشهر واحد في حاشية وصيته، حيث توفي سنة ١٧٠٤ م.

وقد ترجم هذه الرسالة إلى اللغة العربية الدكتور عبدالرحمن بدوي وكتب مقدمة مستفيضة وتعليقات مهمة، ومع اختصار هذه الرسالة إلا أنّها كانت مصدر إلهام لجميع المفكرين في المجتمعات البشرية.



التسامح واجب سياسي قانوني

إنّ مسألة التسامح لم تعد مسألة أخلاقية وعظية. سيما وقد بتنا نسمع في أوساطنا الكثير من الكلام حول التسامح، ذلك أنّ التسامح يجب أن يصبح قانوناً ونهجاً سياسياً تلتزمه الدول وتوفر له البيئة الحاضنة. ولقد أشار البيان العالمي للتسامح لهذا الأمر بوضوح، حيث شدّد البيان على أن تكون سياسة كلّ دولة وحكومة منسجمة ومنبثقة من مفهوم التسامح، وأن تحترم التنوع الموجود لدى مواطنيها على مستوى العقائد والثقافة والتوجهات، وأنه لا يصحّ أبداً لأيّ سلطة أن تنظر إلى مواطنيها من خلال أفكارهم ومعتقداتهم ومذاهبهم، فالسلطات غير معنية بهذا الأمر مطلقاً، لكونه شأنًا خاصًا بالأفراد أنفسهم. وتبعًا لذلك ينبغي أن يكون مفهوم المواطنة قبل أيّ عنوان وفوق أيّ اعتبار آخر.

يقول البيان في المادة الثانية:

إنّ التسامح على مستوى الدولة يقتضي ضمان العدل وعدم التحيز في التشريعات وفي إنفاذ القوانين والإجراءات القضائية والإدارية. وهو يقتضي أيضًا إتاحة الفرص الاقتصادية والاجتماعية لكلّ شخص دون أيّ تمييز. فكلّ استبعاد أو تهميش إنّما يؤدي إلى الإحباط والعدوانية والتعصب.

وقد يتجسّد عدم التسامح في تهميش الفئات المستضعفة، واستبعادها من المشاركة الاجتماعية والسياسية، وممارسة العنف والتمييز ضدها.

كما شدّد البيان العالمي للتسامح في شقّ آخر على أهمية التربية والتعليم. أن تكون التربية والتعليم للناشئة في مختلف المجتمعات قائمة على التسامح واحترام الآخرين. وبالفعل فإنّ مناهج التعليم في البلاد المتقدمة تهتم بتنمية المدارك العلمية، وتربية ذهن الطالب على التفكير، وإعداده مواطنًا صالحًا، بعيدًا عن الخصوصيات الدينية التي قد تختلف فيها انتماءات الطلاب، بل إنّها تغرس في نفوسهم قيمة الاحترام

للآخر وتفهم اختياراته، وفي بعض تلك البلدان كبريطانيا تتاح الفرصة للطلاب عند تنوع توجهاتهم الدينية أن يشرحوا دياناتهم وتقاليدهم أمام زملائهم في الفصل ضمن حصص مخصصة، كما نقل ذلك عدد من المبتعثين.

أمّا في بلاد المسلمين فمنهج التعليم في كثير منها لا تراعي التنوع الديني والمذهبي، بل تفرض منهجاً في التعليم الديني وفق المذهب الرسمي للدولة، وأنه وحده الحقّ دون المذاهب الأخرى، ويتضمّن في بعض الحالات إساءة للمذاهب الأخرى واحتقاراً لأتباعها، وذلك هو ما يصنع أفضية طائفية، ويربّي على التعصّب والتشدد، وينمّي في نفوس الناشئة كراهة الآخر وممارسة التحريض عليه، مما يهيئ لقبول توجهات العنف والإرهاب.

تقول المادة الرابعة من بيان التسامح:

إنّ التعليم هو أنجع الوسائل لمنع اللاتسامح، وأول خطوة في مجال التسامح، هي تعليم الناس الحقوق والحريات التي يتشاركون فيها، وذلك لكي تحترم هذه الحقوق والحريات، فضلاً عن تعزيز عزمهم على حماية حقوق وحريات الآخرين.

وينبغي أن يعتبر التعليم في مجال التسامح ضرورة ملحة، ولذا يلزم التشجيع على اعتماد أساليب منهجية وعقلانية لتعليم التسامح تناول أسباب اللاتسامح الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، أي الجذور الرئيسة للعنف والاستبعاد، وينبغي أن تسهم السياسات والبرامج التعليمية في تعزيز التفاهم والتضامن والتسامح بين الأفراد وكذلك بين المجموعات الإثنية والاجتماعية والثقافية والدينية واللغوية وفيما بين الأمم.

إنّ التعليم في مجال التسامح يجب أن يستهدف مقاومة تأثير العوامل المؤدية إلى الخوف من الآخرين واستبعادهم، ومساعدة النشء على تنمية قدراتهم على استقلال الرأي والتفكير النقدي والتفكير الأخلاقي.

إنّ من المؤسف القول، إنّ المناهج التعليمية في بعض بلاد المسلمين صارت تربي الناشئة على التعصّب الديني، فهي لم تتخلّ عن تربية الناشئة على التسامح وحسب، بل على النقيض من ذلك، ذهبت بعيداً في تربيتهم على التعصّب الديني، واحتقار أتباع الديانات والمذاهب والثقافات الأخرى. والمثير للسخرية أن يأتي بعد ذلك من يستغرب خروج جحافل الإرهابيين من أبناء مجتمعاتنا، أولسنا نحن الذين غرسنا في نفوسهم بذرة الإرهاب، من خلال تربيتهم على التعصّب، والتحريض على الغير، أوليس هذا هو ما يزرع بذور الإرهاب والعنف في نفوسهم!

المؤسسة الدينية والدعوة للتسامح

لا شك أنّ كلّ مؤسسة دينية تقوم على حماية العقيدة التي تتبناها، وتؤمن بأحقيتها وصوابيتها، لكن هناك سؤالين يفرضان نفسيهما على المؤسسة الدينية عبر تاريخها الطويل:

السؤال الأول: هل يحقّ لها أن تفرض عقيدتها على الآخرين بالقهر والإجبار؟

والسؤال الثاني: هل يستلزم الإيمان بأحقية دين أو مذهب الإساءة والظلم والاحتقار لأتباع الأديان والمذاهب الأخرى؟

يمكن القول إنّ الإخفاق في الإجابة عن السؤالين بما ينسجم مع القيم الأخلاقية كان حليفاً لمعظم المؤسسات الدينية في تاريخها الطويل، مع أنّ الأنبياء والرسل الذين جاؤوا بالشرائع الدينية ضربوا المثل الأعلى في التزام قيم الأخلاق ومراعاة العدل والكرامة مع المخالفين لهم والرافضين لدعواتهم.

وللإنصاف، فإنّ الكنيسة المسيحية بعد أن كسر المجتمع الأوربي هيمنتها، أصبح خطابها ينحو نحو الاعتدال وخاصة في هذا العصر.

ولعلنا نشهد اليوم كيف تحوّل دور الكنيسة كلياً في المجتمعات الغربية، فبعد أن

كانت مصدرًا أساسًا من مصادر التعصّب، وتشريع الاضطهاد والقمع، تحول الخطاب الديني فيها - أو معظمها -، حتى صار النهج العام في الكنيسة هو النهج القائم على الدعوة للمحبة، ونحن إنّما نقول ذلك لا للدعاية، وإنّما لعرض جانب من مسارات التوجيه للمجتمع، حيث بات يجري التأكيد من خلال الخطاب الديني في الكنيسة على المحبة والاحترام المتبادل، وإن وجدت توجّهات متعصبة داخل الكنيسة فهي تبقى محدودة ومعزولة، أما النهج العام فيشدد على رفض الاضطهاد الديني والتمييز بين الناس على أساس أديانهم ومذاهبهم.

في المقابل لا يزال الدين يستخدم في مجتمعاتنا الإسلامية لأغراض التعبئة والتحريض، حيث يتجه الخطاب الديني في معظمه نحو تعبئة الأتباع ضدّ الأطراف الأخرى، ورغم أنّ مجتمعاتنا تعجّ بالمشاكل الاجتماعية والأزمات الاقتصادية، إلّا أنّ الخطاب الديني فيها لا يجد نفسه معنيًا بكلّ ذلك، وعوضًا عن ذلك تراه غارقًا في الخلافات العقديّة والمسائل المذهبية، وإثبات الأحقية الدينية لفريقه وبطلان موقف الفرق الأخرى، والولوغ بعيدًا في القضايا التاريخية. إنّ هذه التعبئة، والفعل وردّ الفعل، هي التي تخلق الأجواء للظواهر العنيفة الإرهابية والتوجّهات التعصّبية.

إنّ السلوكيات التعصّبية لم تأت من فراغ، بل جاءت كنتيجة للأجواء العامة التعبوية، والتربية العدوانية تجاه الآخرين، حتى بات المرء لا يستطيع أن يمارس عبادته الخاصة بحرية. ولقد تكرّر معي شخصيًا في حادثتين منفصلتين، مواقف متشنجة من متعصّبين أبدوا ضيقهم الشديد من مجرد وضعي ورقة أردت السجود عليها أثناء الصلاة، وقد حدث ذلك في أحد المستشفيات مرة، وأخرى في أحد المنافذ الحدودية. ولا تفسير لمثل هذا التعصّب سوى أنّ النفوس باتت مشبّعة بالتعصّب، بحيث لم تعد تتقبّل أن يُعبّر الآخر عن ذاته بأيّ شكلٍ من الأشكال، وإلّا فما الذي يضريك أنت من أن أعبر عن هويتي الدينية وأن أمارس عبادتي وفق طريقتي، حتى وإن لم تنل رضاك وإعجابك، تمامًا كما تعطي لنفسك الحقّ في التعبير عن هويتك وعبادتك!. إنّ هذه الحالة من

التنافر هي التي تخلق الأجواء وتصنع البيئة المواتية لحالات العنف والإرهاب ونشوء الصراعات والإحـن والبغضاء بين أبناء المجتمعات.

ونحن نحتفي باليوم العالمي للتسامح ينبغي أن نعود إلى مبادئ ديننا النقية. ولعل إطلالة على الآية الكريمة ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، تفيدنا هذه الآية الكريمة أن الله يأمر نبيه أن يبين دعوته للناس من المتممين للديانات الأخرى وهم أهل الكتاب، ومن غيرهم، وأنهم أصحاب القرار والاختيار لأنفسهم، فإن استجابوا لدعوة الرسول فقد اهتدوا إلى الحق، وإن لم يستجيبوا فهم أحرار، ومسؤولية الرسول تنتهي عند حدود التبليغ، ثم ترك المسألة بين الناس وربهم المطلع على أمورهم.

من هنا، نحن أحوج ما نكون كأفراد ومجتمعات ومؤسسات إلى تعميق مفهوم التسامح في حياتنا، على المستوى العائلي، وعلى مستوى الخطاب الديني، فالواجب الحرص على أن يكون الخطاب الذي نصغي إليه ملتزماً بمفهوم التسامح، وإذا ما كنّا نطالب الآخرين بوجوب التزام الخطاب المتسامح معنا، فإن الواجب علينا نحن فعل الشيء نفسه، ولا يليق أبداً الإساءة للآخرين تحت مزايم الحق في التعبير عن الرأي، فالحق في التعبير مكفول للجميع، لكن العدوان والإساءة للآخرين والتحريض عليهم أمر مرفوض قطعاً أيّاً ما كان مصدره.

آن الأوان أن تفكّر أمتنا، حكومات وشعوباً وجماعات ومؤسسات دينية، في أن تتجاوز هذه الحالة، وأن نعيش في وئام وسلام، وأن نتفرغ جميعاً نحو تنمية أوطاننا ومعالجة مشاكلنا وتحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي والاقتصادي فيها، كما تفعل المجتمعات المتحضرة.

الصراع مع الغرب بين منهجين

ورد عن الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام أنه قال:
«رأس العقل معاشرۃ الناس بالجميل،
بالعقل تُدرَكُ الدّارانِ جميعًا، ومن حُرِّمَ من
العقل حُرِّمَهما جميعًا»^(١).

تركز التعاليم الدينية على محوريتة العقل في حياة الإنسان، خاصة على صعيد العلاقة مع نظرائه من البشر. بأن تكون هي المرجعية الأساس في تنظيم علاقته مع الناس، وقد ورد عن الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام أنه قال: «رأس العقل معاشرۃ الناس بالجميل، بالعقل تُدرَكُ الدّارانِ جميعًا، ومن حُرِّمَ من العقل حُرِّمَهما جميعًا»، وجليُّ أنّ الحرمان من العقل هنا لا يقصد به فقدان العقل والإصابة بالجنون، حيث المجنون غير مكلف فهو ليس بوارد افتقاد سعادة الآخرة، وإئما المقصود بالحرمان من العقل هو التخلّي عن إعماله والاستفادة من إمكاناته الهائلة في تدبير مختلف شؤون الحياة.

مواجهة المشكلات

إنّ من الوارد جدًّا أن يواجه الإنسان ضمن سياق علاقته الاجتماعية حالات من الإزعاج والأذى من الآخرين. ومن ذلك التعرض لحالات الإساءة والعدوان، وتضارب المصالح والتنافس على نيل المكاسب، وقد يواجه حالة من غياب الانسجام

(١) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ١١١، حديث ٦.

مع الغير لجهة اختلاف المزاج وأسلوب نمط الحياة، ما يقود إلى وقوع التنافر. هنا يأتي السؤال المطروح؛ حول سبل التعامل مع مختلف هذه الحالات والمواقف؟، سيّما وأنّ وقوع الإشكالات المزعجة أمر وارد على مختلف الدوائر، القريبة والبعيدة، بدءاً من الزوجة والأولاد والجيران والعاملين والزملاء. وقد يقع التنافر أحياناً مع طرف يمكن الابتعاد عنه بسهولة، ليذهب كلُّ في طريقه وينتهي الأمر، فيما قد يقع مع أطراف لا انفكاك من العلاقة معها، لأسباب معيشية واجتماعية، كان يصطدم المرء مع مديره في العمل مثلاً، أو يدخل في إشكال مع جاره، هنا حين يدخل المرء في إشكالات مع أطراف هو مضطر للتعايش معها، فماذا يصنع؟ وهذا وارد أيضاً على صعيد المجتمعات، بأن تندلع الإشكالات بين مجتمع وآخر، أو جماعة وأخرى، فما هو الحلّ، وما المفروض أن يفعل الناس عند حالات تضارب المصالح، والتعرض للإساءة؟

منهجيتان في إدارة الصراع

هناك منهجيتان في التعامل مع المشكلات الاجتماعية. تنطلق المنهجية الأولى من إعمال العقل والتفكير ملياً في صنع الحلول، وإيجاد المخارج لأيّ مشكلة، وتتطلب هذه المنهجية عدة أمور:

١. ضرورة التوفّر على الفهم الجيد للطرف الآخر في المشكلة، إذ إنّ عدم فهم الطرف الآخر يمكن أن يقود إلى الفشل في المعالجة.
٢. ضرورة البحث عن أسباب وبواعث المشكلة مع ذلك الطرف.
٣. الشروع في البحث عن حلول، والنظر فيما إذا كان يمكن استيعاب المشكلة واحتوائها، أم تجميد المشكلة، أو الذهاب بعيداً في المواجهة، وهذا ما يتطلب النظر في مدى امتلاك إمكانات المواجهة، وكيفية توفيرها.

هذا بمجممله ما يمثل عناصر المنهجية العقلانية في التعامل مع الصراعات والمشكلات الاجتماعية.

في مقابل ذلك، هناك منهجية أخرى في التعاطي مع المشكلات، تنزع نحو الغرائزية والتعامل بانفعالية والركون إلى العاطفة. ضمن هذه المنهجية قد يتصرف الإنسان من وحي الانفعال والتوتر ونزعة الشار تجاه ما يعتبرها حالات عدوان وتضارب مصالح، لتأتي ردود أفعاله سريعة بعيدة عن أي تفكير معمق أو تخطيط مسبق، ما يمكن أن يؤدي إلى إيقاع الإنسان في المزيد من المآزق والأضرار، فضلاً عن العجز عن تقديم حلول عقلانية ومخارج للمشكلة.

وتختصر النصوص الدينية النمط الانفعالي في حل المشكلات في مصطلح الغضب. جاء في كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الغضب شرٌّ إن أطلقته دمّر»، ذلك أن إطلاق العنان لحالات الغضب ربما دمّر حياة الإنسان نفسه، وأنهى مستقبله قبل أن يضرّ بغيره. وعنه عليه السلام: «إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم»، والجنون هنا يعني تجميد العقل، وعدم إعماله فيكون كفاقد العقل وهو المجنون. إن أخطر مشكلة تواجه الإنسان لحظة الانفعال، هو احتجاب نور العقل عنه، فلا يعود يُعمل عقله، وإنما يصبح تحت هيمنة الغريزة وسيطرة المشاعر، وعندها لا يهتدي إلى الطريق الصحيح لمعالجة مشكلته، ويقول عليه السلام: «أقدر الناس على الصواب من لم يغضب»، وجاء عنه عليه السلام: «أعقل الناس أنظرهم في العواقب»، وورد عنه عليه السلام أنه قال: «الغضب يفسد الأبواب ويبعد عن الصواب».

تجربة الصراع مع الغرب

وفي نفس السياق فإنّ الأكثر أهمية هو اتخاذ العقل مرجعية في تنظيم علاقة الشعوب والأمم مع بعضها. ولناخذ مثلاً علاقة الشعوب الإسلامية بالغرب، وما شابها من معاناة تاريخية، بدءاً من الحروب الصليبية ثم تلاها مرحلة الاستعمار الطويل

الذي بسط هيمنته على أغلب أوطاننا، وما صاحبه من ذلّ وهوان ونهب للثروات والخيرات، واستمرار تلك المعاناة لما بعد مرحلة الاستعمار، متمثلاً في دعم الغدة السرطانية المزروعة في جسد الأمة الإسلامية؛ وهي إسرائيل التي أنشأها الغرب وما يزال يدعمها ويقف إلى جانبها، إذ إنّ بريطانيا العظمى هي صاحبة وعد بلفور، فيما ما تزال الولايات المتحدة تصرّح يومياً بالتزامها المطلق بأمن إسرائيل، وجعلها الدولة الأقوى في المنطقة. ناهيك عن معاناة شعوبنا من دعم الغرب للاستبداد، فكيف إذا ينبغي أن يجري التعامل مع هذا الغرب، وما السبيل لمواجهة هيمنته وأطماعه؟

للإجابة عن هذا التساؤل، يمكن القول إنّ سبيل التعامل مع الغرب لا تخرج عن المنهجيتين السابقتين؛ منهجية العقل، أو منهجية الغضب والانفعال. وللإضاءة على السبيل الأفضل للتعامل مع الغرب يمكن النظر إلى تجارب الأمم الأخرى التي عانت من الغرب كما الشعوب الإسلامية، ومن ذلك اليابانيون مثلاً، فقد تعرضت اليابان سنة ١٩٤٥ إبّان الحرب العالمية الثانية إلى هجمات من الولايات المتحدة الأمريكية بالقنابل الذرية، ومع نهاية الحرب بلغ عدد ضحايا اليابان أكثر من مليوني قتيل، وبلغت خسائرها المادية ما يربو على ٥٦٢ مليار دولار، في وقت كانت قيمة الدولار أضعاف ما هي عليه في عصرنا الراهن، والأسوأ هو فرض الاستسلام على اليابان وإخضاعها لشروط مذلة، ومنها أن يتخلى الإمبراطور -المقدس عند اليابانيين - عن موقعه وصلاحياته، وبمعنى آخر جرى شطب الزعامة الدينية ورمز القداسة عند اليابانيين، فضلاً عن إجبارهم على قبول إنشاء قواعد عسكرية أمريكية على أراضيهم، التي ما تزال قائمة حتى اليوم، كما جرى تحديد عدد الجيش الياباني والحدّ من التصنيع العسكري لليابان، بما يلبي الحاجة الداخلية فقط، ويمنعها من التصدير للخارج، ولفرط الإذلال الذي شعر به اليابانيون آنذاك أقدم آلاف الضباط اليابانيين على الانتحار. وبعد كل ذلك، كيف تعامل اليابانيون مع هذا الوضع الجديد وكيف تجاوزوا الصدمة؟

لقد اختار اليابانيون السير وفق المنهجية العقلانية لتجاوز تداعيات الحرب المدمّرة، وما أعقبها من ظروف الاستسلام. وعملوا في المقام الأول على فهم الولايات المتحدة والغرب عمومًا، وأن يفتحوا على الإيجابيات الموجودة عندهم، وأن يعملوا على تقوية أنفسهم من خلال تطوير التعليم وتعزيز الصناعة، على قلة الإمكانيات والثروات الطبيعية في بلدهم، ليصنعوا من بلدهم خلال عقود قليلة أمة قوية عزيزة، وشعبًا منتجًا ولينتقلوا ببلدهم إلى مصاف الاقتصاديات العظمى التي تدير العالم، ولينافسوا الولايات المتحدة حتى داخل الأسواق الأمريكية نفسها. كل ذلك نتاج المنهجية العقلانية التي سار عليها اليابانيون في التعاطي مع ذيول الهزيمة العسكرية والإذلال الذي تجرّعه بعد الحرب.

الانشغال عن بناء القوة الذاتية

في مقابل ذلك، ماذا صنع المسلمون لتجاوز آثار العلاقة المضطربة مع الغرب، منذ الحروب الصليبية حتى مرحلة ما بعد الاستعمار؟ وما المنهجية التي اتبعت لتخطي جميع ذلك؟ باختصار، لقد ابتعدت شعوبنا كل البعد عن انتهاج العقلانية في مواجهة الغرب، فلم نحاول دراسة الغرب وفهمه على أسس صحيحة، بغرض الاستفادة مما عنده من جوانب إيجابية، كما فعل اليابانيون، ولم نتوجه لبناء أوطاننا وتعزيز قوانا الذاتية. و عوضًا عن ذلك انتهجنا المنهجية العاطفية، وتعاملنا بانفعالية كبيرة، وأصبنا بحالة من التوجس والقلق الدائم من الغرب، حتى بتنا نخاف من كل منتج يخرج من هناك، ونخشى كل تطور يمكن أن يرخي بظلاله علينا، وذهبنا بعيدًا في اعتبار كل ما يفعله الغرب من صميم المؤامرة على شعوبنا، واستهداف ديننا والإضرار بأوطاننا، بل رحنا نحارب المنتجات الغربية المفيدة سنين طويلة، من صناعة التلفزيون والإذاعة والهاتف إلى التعليم الحديث، لا لشيء إلا لكونه آتياً من الغرب. ومردّ هذه الحالة هو الشعور العميق بالهزيمة والضعف وتقمص الانفعالية الكبيرة.

وغرق المسلمون في بحرٍ من الشعارات المعادية للغرب. فلا يكاد يخلو منبر من السبِّ والشتم والدعاء بالانتقام والهلاك على اليهود والنصارى، مصحوباً بسرد البكائيات التاريخية، ولم يعلم هؤلاء أنّ دعاءهم المجرد لن يغير من واقع الحال شيئاً، والنتيجة بقي العالم الإسلامي على الضعف الذي كان عليه، فيما انشغلت الأمم الأخرى بالعلم وتحقيق التقدم.

إنّ هذه الأجواء الانفعالية والتعبئة المستمرة ضدّ الأمم الأخرى، خلقت بيئة حاضنة وأرضية خصبة لتفريخ العنف والإرهاب، الذي انساق خلفه فئات كبيرة من الشباب. وبعبارة مقارنة، ذهب اليابانيون نحو تعبئة أبناء شعبهم نحو العلم والصناعة، فيما شحن المسلمون شبابهم بالعواطف والانفعالات السلبية، على نحو جعل من الشباب المسلم قنابل متحركة تبحث عنّ تفجير فيهم من الشعوب الغربية انتقاماً منهم. في ظلّ غياب تامّ لأيّة برامج تهدف لتقوية الذات والتغلب على حالة الضعف والعجز الحضاري.

وقد رأينا جانباً من نتائج الشحن والتعبئة السلبية متمثلاً في الهجمات الإرهابية التي استهدفت الأبرياء في العاصمة الفرنسية باريس. فهل يتوقع المهاجمون من خلال هذه الحوادث أن يُغيّروا من الواقع المتردي للمسلمين، أم يزيدون واقعهم تردّياً، وخسارة من سمعتهم ورصيدهم الأخلاقي، بل واستقلالهم النسبي الذي حازوا شيئاً منه بعد مرحلة الاستعمار، على نحو جعل من أوطاننا، بأجوائها وبحارها وأراضيها، مسرحاً للقوى الخارجية التي طالما تباكيننا على استعمارهم لنا في سنوات سابقة، فإذا بهم يعودون مجدّداً تحت عناوين مكافحة الإرهاب. كلّ ذلك من نتاج النزعة الانفعالية في مواجهة المشاكل.

درس من سيرة أهل البيت عليهم السلام

حين نقرأ سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام وتوجيهاتهم نجدها تدفع نحو ترشيد وتنمية

الحالة العقلانية عند أبناء الأمة. ولعلّ هذا الجانب في سيرة أهل البيت يحتاج إلى وقفة طويلة ودراسة معمّقة، خاصة لجهة مساهمتهم الكبرى في حفظ الوحدة والاستقرار في الأمة، وتعزيز حالة الانضباط في أوساط تلاميذهم وشيعتهم، سيّما في ظلّ أجواء الاستفزازات الكبيرة التي كانوا يتعرضون لها. ولنا أن نتصور أنّ الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام وقد بويع بالخلافة بعد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وكان تحت يده عشرات الآلاف من جنود الجيش، لكنه مع ذلك تنازل عن السلطة عندما تطلبت مصلحة الأمة ذلك، ليجنب الأمة استمرار حالة الاحتراب. وربما ذهب عليه السلام للصلاة في المسجد في الوقت الذي يعمد فيه الخطيب إلى شتم أبيه أمير المؤمنين وسائر أهل البيت، وحين ورد على مجلس معاوية في مناسبتين على الأقل، كان يسمع الإهانة هناك، وكان جلياً أنّ هناك نهجاً متممداً يبتغي استفزاز الأئمة وأتباعهم ودفعهم نحو الاصطدام والدخول في معركة.

غير أنّ الصورة كانت واضحة أمام أئمة أهل البيت. فلم يسمحوا باستدراجهم إلى احتراب داخلي في الأمة، ولعلّ واقعة كربلاء هي الاستثناء الوحيد الذي يبتغي أن يؤكّد القاعدة ولا ينفّيها، فهناك اثنا عشر إماماً، أحدهم فقط وهو الإمام الحسين عليه السلام انتهج طريق المواجهة، نتيجة ظروف معيّنة كانت تمرّ بها الأمة حينها، بعد أن بذل قصارى الجهد لتجنّب الصدام، وقد خاطب القوم بأن يدعوهم يرجع من حيث أتى، إلّا أنّهم تعتّوا وأبوا إلا الصدام. وبذلك نخلص إلى أنّ منهجية أئمة أهل البيت عليهم السلام ليست قائمة على الاستجابة للاستفزاز، إلّا أنّها لم تكن في الوقت عينه منهجية استسلام وخضوع وخنوع، فقد زرعوها في نفوس أبناء الأمة العزيمة والإرادة، والروح النضالية في نشر العلم والمعرفة، وبناء الخط الرسالي المستمر إلى هذا اليوم. ولو لم يمض أهل البيت على انتهاج العقلانية فلربما لم يستمر خطهم على النحو الذي نراه اليوم. حيث بقيت صفحة أئمة أهل البيت ناصعة البياض مشرقة في تاريخ الأمة، ولم يجرؤ أحد على النيل من شخصية أيّ إمام منهم، أو إبراز مأخذ يذكر عليه. هذه الصورة بالغة

النقاء، إنّما كانت نتيجة طبيعية للسياسة العقلانية التي اعتمدها أئمة أهل البيت عليهم السلام.
 إنّ الأمة أحوج ما تكون لانتهاج سبيل العقلانية في إدارة مشكلاتها الداخلية
 والخارجية. سيّما وهي تعيش حالة مزرية من الاحتراب والتشظي في معظم ساحاتها،
 وتغرقها الصراعات تحت عناوين مختلفة.

وما أحوج الخطاب الديني في الأمة إلى العقلانية عوضاً عن المبالغة في التعبئة
 وزيادة مخزون الاحتقان تجاه الآخرين، بذرائع دينية وطائفية، وكيف لا يتورّط الشاب
 السنّي في الإرهاب وهو يخضع لتعبئة مستمرة تُلقِي بمشاكل الأمة جميعها، في الماضي
 والحاضر، على كاهل إخوانه الشيعة. والحال نفسها ما يجري مع الشاب الشيعي الذي
 يعيش أجواءً محتقنة طائفيًا ضد أبناء السنة، ليخرج عندها سببًا لعانًا لرموز الآخرين
 ومستفزًا لجمهورهم، ما أحوج الأمة لقراءة سيرة أهل البيت، وخاصة سيرة الإمام
 الحسن عليه السلام الذي نعيش ذكرى شهادته، والذي طالما تجرّع الآلام والغصص طوال
 حياته وفاءً لمبدئيته ومنهجيته العقلانية.

الأمة بين رهايين



ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١).

وورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، والمؤمن من أئتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»^(٢).

يمثل الإسلام منظومة من القيم التي توجّه سلوك الإنسان وتعامله مع أبناء جنسه. فالإسلام ليس مجرد عقيدة قلبية، ولا مجرد حزمة من العبادات والطقوس الروحية، التي تربط الإنسان بربه، عبادة وخضوعاً، بل ينبغي أن تنعكس هذه العلاقة بالخالق على سلوك الإنسان مع العباد، وللإضاءة على هذا الأمر، يمكن التمعن في الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ الذي يعرف المسلم الحقيقي، حيث يقول ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، إنّ المسلم الحقيقي هو الذي لا يصدر عنه العدوان والجور على حقوق الآخرين المعنوية أو المادية، فهو لا يلجأ إلى تجريح الناس والإساءة إليهم بلسانه، فضلاً عن أن ينال منهم بيده، فإن فعل ذلك، فهو ليس مسلماً حقيقياً، وإن ادّعى الإسلام ومارس الطقوس الدينية.

(١) صحيح البخاري، ج ٤، كتاب الرّفاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ص ٢٠٦، حديث ٦٤٨٤.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص ٢٣٩.

حسن العلاقة مع الناس

إنَّ حسن العلاقة أمر واجب على المسلم حيال جميع الناس، لا مع المسلمين وحدهم. فقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»، وثمة توضيح في هذا الصدد للشيخ محمد جواد مغنية حول حديث النبي صلى الله عليه وآله واقتصره على استخدام مفردة (المسلمون) لا عموم الناس في قوله صلى الله عليه وآله: «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»، يقول مغنية: إنَّ المقصد الأساس في قول النبي صلى الله عليه وآله هم عموم الناس، وإنَّما استخدم النبي مفردة المسلمين؛ لصدور الحديث ضمن بيئة إسلامية خالصة. ذلك أنَّ العلاقة المسالمة مع الناس أمر واجب على المسلم أينما كان، وفي أيِّ مجتمع عاش، فلا يعتدي على شيء من حقوق الناس المادية والمعنوية تحت أيِّ ظرف من الظروف.

وهناك آيات قرآنية عديدة شدّدت القول على حفظ حقوق الناس عمومًا، وتحريم الاعتداء عليهم مطلقًا. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 190]، والخطاب جاء ناهيًا عن الاعتداء على نحو الإطلاق، بصرف النظر عن من هم محلّ الاعتداء، مسلمين كانوا أم غير ذلك. وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، وهو يشمل عموم الناس وفي مطلق الأحوال، دونما فرق بين المسلمين وغيرهم. ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، وفي ذلك نهي صريح عن ظلم الناس عمومًا، لا خصوص المسلمين وحدهم. وبذلك يريد الإسلام من الإنسان المسلم أن يكون مسالمًا وإيجابيًا في علاقته مع أبناء جنسه، سواءً كان ذلك في بيئة إسلامية أم غير إسلامية، حيث يتمثل جوهر الدين في حسن التعامل مع الناس، ويعدّ فاقداً لجوهر الدين كلّ من لا يحسن المعاملة مع الناس، وإن قام بكلّ طقوس الدين.

عبادة الخالق والإحسان إلى الخلق

إنَّ الغاية الأساس من إرسال الرسل ونزول الشرائع، ليس تنظيم علاقة الإنسان بالخالق وحسب، وإنما تنظيم العلاقة بين الإنسان وبني جنسه كذلك. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد، الآية: ٢٥]، أن يقوم الناس بإحقاق العدل فيما بينهم، باعتبار ذلك الهدف الأسمى للرسالات والكتب السماوية كافة، فلا يكون هناك أيّ ظلم أو جور في علاقة الناس بعضهم ببعض الآخر، فهذا هو جوهر الدين ومقصد الشرع، الذي لا يعوّضه أيّ التزام بمظاهر الإسلام. وبذلك ينبغي للإنسان المسلم في المقام الأول أن يكون ملتزمًا بحسن العلاقة مع الناس؛ لأنّ ذلك من صميم واجبه الديني، الذي ينيط به التزام السلم والعدل في علاقته مع أبناء جنسه.

إنّ حسن التعامل مع الناس كافة، عنوان أساس لتقديم الإسلام أمام البشر. ذلك أنّ الناس يرون الإسلام من خلال أتباعه والمنتسبين إليه، فمتى ما كان المسلم حسنًا في علاقته مع الآخرين، فإنّ انطباعهم عن الدين سيكون حسنًا بطبيعة الحال. ومتى ما كان المتدين مسيئًا لخلق الله، فإنّ نظرهم إلى الدين ستكون سيئة؛ لأنّ من يمارس الإساءة للناس لا يسيء لنفسه وحسب، وإنما يسيء إلى الدين برمته بالنظر إلى مقدار التشويه الذي سيغال الإسلام نتيجة ممارساته المسيئة للآخرين.

الكارثة الأخطر على الإسلام

من هنا، يمكن اعتبار بروز الجماعات الإرهابية الموغلة في العنف والعدوان باسم الدين، أكبر كارثة حلّت بالإسلام في هذا العصر، ولا أدلّ على ذلك من أنّ إقامة الحكم الإسلامي، باتت تمثل اليوم فكرة مخيفة في أوساط الأجيال الجديدة من المسلمين أنفسهم، لفرط ما يرون بأمّ أعينهم من المجازر الوحشية التي يرتكبها تنظيم داعش وأضرابه، على نحو جعل من الدين عامل خوف ورهاب بين المسلمين، فضلًا عن

الأضرار الخطيرة التي حلت بالأمة على يد الجماعات الإرهابية من نزاعات ودمار وسفك للدماء، وانتهاك للحرمات. وكذلك الحال مع التداعيات الكارثية التي تركتها الجماعات الإرهابية على الشعوب والأمم الأخرى.

لقد تسببت الجماعات المتطرفة بظهور ما بات يعرف بالإسلام فويبا، أي الخوف من الإسلام، وقد برزت هذه الظاهرة ضمن تجليات وتعايير مختلفة، منها:

أولاً: النظرة السيئة للإسلام، واعتباره مصدرًا للعنف والإرهاب، وقد أخذت هذه النظرة طريقها ضمن الأفلام والرسومات والكتابات المسيئة للنبي ﷺ والقرآن الكريم.

ثانياً: شيوع الصورة السلبية النمطية عن المسلمين، فبالرغم من أن المتورطين في الإرهاب هم عدد ضئيل جداً، قياساً على مليار ونصف مليار مسلم في العالم، إلا أن ذلك لم يمنع من أن تنطبع في الأذهان، صورة نمطية، توحى وكأن كل المسلمين إرهابيون، ونتيجة لذلك بتنا نقرأ عن مسافرين غربيين يرفضون الجلوس بجانب ركاب مسلمين على متن الطائرات، وسكان يخشون مجاورة المسلمين.

ثالثاً: حصول إساءات وإجراءات تمييزية جماعية تطال المسلمين، حيث باتت جاليات إسلامية كبيرة في أوروبا وأمريكا تعيش أجواءً من القلق نتيجة الرهاب من الإسلام في تلك البلاد، سيما في ظلّ استغلال هذه الحالة من قوى معادية للإسلام، ومنها اللوبيات الصهيونية، واليمين المسيحي المتطرف، والقوى المناوئة للمهاجرين، الذين استغلّوا هذه الأجواء للإمعان في تشويه الإسلام والمسلمين، مما جرّ إلى حوادث عنصرية كثيرة، جرى خلالها الاعتداء على مراكز ومساجد إسلامية، والتعرّض للمسلمات المحجبات.

إيجابيات في المجتمعات الغربية

ولا بُدَّ أن نعترف هنا بأن المجتمعات الغربية لها إيجابيات كبيرة لا تنكر، وعلى رأسها تمتعهم بقوانين تحترم حقوق الإنسان، وتعلي من قيمة المواطنة، وترحب باللاجئين. لذلك فالحوادث العنصرية التي تأخذ مكانها بين حين وآخر، يمكن اعتبارها في حكم الاستثناء، وغالبًا ما تأتي ضمن سياق ردود الفعل الآنية. كما تتحلى معظم النخب السياسية في تلك البلاد بروح المسؤولية العالية، لذلك نجدها تصرح باستمرار أنها ليست بواردة محاربة الإسلام والمسلمين.

ورغم اعتقادنا بوقوع قدرٍ من المسؤولية على كاهل الحكومات الغربية في ظهور الجماعات الإرهابية في أوطاننا، وأن بعضها مدعوم على نحوٍ مباشر من تلك الحكومات، إلا أنه وعلى نحوٍ عام بقيت التصريحات الرسمية لكبار المسؤولين في تلك الدول إيجابية تجاه المسلمين. كما لا يمكن تجاهل الدفاع العادل عن المسلمين الذي اضطلعت به منظمات المجتمع المدني، وقطاع واسع من الرأي العام الغربي، المشبع بالتوجهات الإنسانية والحقوقية، وقد تجلّى ذلك في العديد من الحوادث، ومنها مثلاً تلك التي تعرّضت خلالها امرأة مسلمة في مدينة ليون الفرنسية إلى الإساءة من قبل متطرف غربي في مكان عام، لينبري عندها غربيون آخرون للدفاع عن المرأة المسلمة والوقوف بوجه الشخص المسيء لها. وفي الوقت الذي ندين فيه بشدة تعرّض الجاليات الإسلامية في الغرب للمضايقة، إلا أننا ندرك في الوقت نفسه مسؤولية التيارات العنيفة في بلادنا عن وقوع هذه الأفعال والمضايقات.

الإسلام فوبيا والشيعة فوبيا

وهنا ينبغي الإشارة إلى مفارقة لافتة، فبعض المسلمين الذين يدينون ظاهرة التخويف من الإسلام «إسلام فوبيا»، هم أنفسهم يمارسون ما يمكن أن نسميها ظاهرة «الشيعة فوبيا». من خلال تخويف مكونات المجتمعات العربية والإسلامية من بعضها

بعضاً، كالتخويف من المواطنين الشيعة وتخوينهم والإساءة إليهم، وهم جزء لا يتجزأ من نسيج الأمة، ومواطنون أصلاء في الكثير من البلدان الإسلامية.

واللافت أنّ تجليات ظاهرة «الشيعة فوبيا» تكاد تتطابق مع ظاهرة «الإسلام فوبيا» في الغرب، فإن كان بعض الغربيين يتهمون الإسلام بأنه دين إرهاب وعنف، فإن هناك في الداخل الإسلامي من يسعى لاتهم عقائد الشيعة وتاريخهم ووصمهم بمختلف التهم. ويفتعلون لهم صورة نمطية سيئة، وهنا ينبغي القول إنّ الشيعة كغيرهم من المجتمعات ليسوا مجتمعاً ملائكياً، وقد يصدر من بعضهم ما هو غير مقبول، تماماً كما تصدر ذات الأفعال من غيرهم، لذا لا ينبغي أن يجري تكوين صورة نمطية عن جميع الشيعة وشيبتهم.

واستطراداً، لنا أن نسأل عن مبرر فرض العقوبات الجماعية على مجتمعات بأكملها انتقاماً من مواقف وأخطاء أفراد منهم؟ سيّما وقد بلغ مستوى الحملات الإعلامية والدينية حدّاً يهدّد المجتمع الشيعي بالخطر، وقد بات الأبرياء الشيعة في بلاد كثيرة، يدفعون ثمن هذا التشويه الإعلامي والديني من دمائهم وأرواحهم، من خلال استهدافهم في المساجد والحسينيات والأسواق وحافلات الركاب. نتيجة الحملات الجائرة التي استولت على المنابر الدينية والإعلامية فيما نطلق عليه «الشيعة فوبيا».

صراعات لا علاقة لها بالمذاهب

إنّ المنطقة العربية تعجُّ بصراعات سياسية محتدمة، لا شأن لها بالمعتقدات الدينية من قريب أو بعيد. فهناك صراعات سياسية قد تكون أطرافها شيعية وسنية، كما في العراق وسوريا ولبنان، فيما قد تكون أطراف الصراع سنية سنية في ساحات أخرى، كما في الصومال وليبيا والسودان، وبذلك لا شأن للمعتقدات الدينية في هذه الصراعات، إنّما مردّها إلى حالة التحول التي تمرّ بها المنطقة برمتها، والتي يسعى خلالها كلّ

مكوّن لضمان حصته ودوره السياسي في مستقبل المنطقة. لذلك لا نجد مبرراً لإعطاء الصراعات التي يشكل الشيعة طرفاً فيها صبغة مذهبية، وأغراضاً طائفية، ومن المثير ما صدر أخيراً من الحكم بالسجن لسنتين والضرب ٢٠٠ جلدة على شخص بتهمة مجالسة الشيعة، إنّ هذه الممارسات تؤلّب مكوّنات المجتمع بعضها على البعض الآخر، وتهدّد بتفجير النسيج الاجتماعي.

من هنا، لا بدّ أن تتدخل الحكومات في كبح جماح حملات التخويف والتشويه التي تستهدف مكونات اجتماعية أصيلة. وذلك من خلال إقامة العدل والمساواة، وتحقيق مفهوم المواطنة، وقطع الطريق على مثل هذه الممارسات. وعلى رأس الإجراءات المطلوبة يأتي سنّ قانون تجريم العنصرية والطائفية. كما أنّ على الواعين من الكتاب والخطباء والمثقفين، من مختلف التوجّهات، أن يرفعوا الصوت عالياً ضدّ الممارسات التي تهدّد وحدة أوطاننا. وهنا لا يفوتنا أن نتوجّه بالتقدير لبعض الأعلام التي لعبت دوراً إيجابياً على هذا الصّعيد، داعين إلى أن تكون هذه هي الحالة العامة وسط جميع الكتاب والمثقفين.



تطورات العلاقة بين المجتمعات المسيحية والإسلامية

جاء في السيرة النبوية أنه وفد إليه وفد
النجاشي فقام ﷺ يخدمهم بنفسه، فقال
له أصحابه: نحن نكفيك، يا رسول الله،
فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين واني
أحب أن أكافئهم»^(١).

ثمة دلالات تاريخية عديدة حول نشوء علاقة إيجابية بين المسيحيين والمسلمين منذ مطلع الدعوة الإسلامية. ومن أوائل تلك الدلالات، الهجرة الإسلامية الأولى إلى الحبشة، فحينما اشتدت الضغوط على المسلمين في مكة المكرمة، خلال السنة الخامسة من البعثة النبوية الشريفة، شجّع رسول الله ﷺ أصحابه على الهجرة إلى الحبشة، البلد المسيحي، الذي كان يحكمه النجاشي، وجاء في السيرة النبوية أنه ﷺ خاطب ثمانين من أصحابه بالقول: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»^(٢)، فخرجوا بقيادة جعفر بن أبي طالب، متجهين إلى الحبشة بحرّاً. وكما كان متوقّعا فقد استقبل أهل الحبشة المسلمين المهاجرين، استقبالا حسنا. وفي ذلك إشارة إلى طبيعة الأجواء الإيجابية السائدة بين المسيحيين في الحبشة آنئذ، الذين أتاحوا الفرصة لأتباع الديانات

(١) السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٧٥٨.

(٢) البداية والنهاية، ج ٣، ص ٨٥.

الأخرى للعيش بينهم في أمن وسلام، وأن يظهرُوا إيمانهم ويمارسوا عباداتهم. وورد عن أم سلمة وكانت إحدى المهاجرات للحبشة قبل أن تكون زوجًا للنبي ﷺ، أنها قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار، النجاشي، آمننا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه»^(١). وقد بعثت قريش خلف المهاجرين المسلمين إلى الحبشة، فأرسلت وفدًا محملاً بالهدايا إلى النجاشي، طمعًا في أن يطرد المسلمين من بلاده ويعيدهم إلى مكة، غير أن تلك المحاولة باءت بالفشل، وبقي المهاجرون في الحبشة إلى حين عودتهم إلى المدينة المنورة إبّان فتح خيبر، حتى قال النبي ﷺ قولته الشهيرة: «ما أدري بأيهما أنا أشدّ فرحًا، بقدم جعفر أم بفتح خيبر»^(٢).

النبي يردّ الجميل للمسيحيين

وعلى المقلب الآخر، قدّم رسول الله ﷺ، في عزّ انتصاره وقوته، أنموذجًا مشرقًا على صعيد العلاقة الإيجابية بين المسلمين والمسيحيين. فقد قابل صنيع النجاشي وأهل الحبشة مع أصحابه، في تعامله مع وفد النجاشي الذي وفد عليه لاحقًا في المدينة المنورة، إذ بخلاف سائر الوفود، انبرى ﷺ لخدمة وفد الحبشة بنفسه، وحين عرض الأصحاب القيام بخدمة الوفد عارضهم ﷺ بالقول: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحبّ أن أكافئهم». وفي ذلك ردّ جميل لموقفهم الحسن، واستقبالهم للمهاجرين المسلمين.

وعلى ذات المنوال، كان تعامل رسول الله ﷺ، لما جاءه وفد نصارى نجران، فدخلوا عليه المسجد بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم، فقال ﷺ: «دعوهم» فاستقبلوا المشرك فصلّوا بصلاتهم وهم في مسجد رسول الله ﷺ^(٣).

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٢٧٦.

(٣) السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٣٥.

العلاقة الإيجابية مع أتباع الديانات

إنَّ قيم الإسلام تدفع باتجاه قيام العلاقة الإيجابية مع أتباع الديانات الأخرى. ومرد ذلك إقرار الإسلام بأصالة حرمة الإنسان وكرامته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، فالإسلام يقرّ بكرامة الإنسان بما هو إنسان، بصرف النظر عن العرق والدين واللون، كما يقرّ للبشر بالحرية الدينية، واختيارهم الدين الذي يرتضونه لأنفسهم، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. ناهيك عن أن الإسلام يقرّ الإيمان بجميع الأنبياء، باعتبار ذلك جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، فلا يمكن أن يكتمل إيمان مسلم إذا ما تنكّر لأيّ نبيٍّ من الأنبياء السابقين على النبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨٤].

وتبعاً لذلك، يقرّ الإسلام بوجود الديانات الأخرى ويعترف بكيانات أتباعها. فلم يعمد إلى إجبار أتباع الديانات الأخرى على ترك عقائدهم، ولم يأمر بإجلائهم أو التعدي عليهم وإبادتهم، وإنما تعامل معهم كما هم، وعلى دياناتهم، تحت شرط واحد فقط، هو المسالمة وعدم العدوان، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٨]. هذه هي المبادئ الإسلامية للعلاقة مع أتباع الديانات المختلفة.

وقد أولى الإسلام أهل الكتاب، من اليهود والنصارى والمجوس، معاملة أشدّ خصوصية باعتبارهم أتباع ديانات سماوية. بالرغم مما وقع من التحريف في أديانهم، ويكفي أنه تعالى أطلق عليهم وصف أهل الكتاب، وهو وصف ينم عن الاحترام. علاوة على ذلك، دعاهم إلى الحوار والتوافق على المشتركات، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾. وقد أشاد الإسلام بالمسيحيين على نحو خاص، قياساً على اليهود الذين تعاطوا مع الدعوة الإسلامية منذ البدء تعاطياً سلبياً، وحاكوا المؤامرات وخاضوا الحروب مع المسلمين، على النقيض من الموقف

الإيجابي الذي أبداه المسيحيون من الدعوة، من هنا ميّز الإسلام بين الموقفين، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨٢].

تعثر العلاقة مع المسيحيين

غير أن العلاقة بين المسيحية والإسلام أخذت منعطفًا آخر فيما بعد، على خلاف ما كانت عليه عند بداية ظهور الإسلام. فقد شقّ المسلمون طريقهم كأمة صاعدة، فيما اختار المسيحيون، ممثلين في حكوماتهم السياسية، الوقوف في وجه هذه القوة الإسلامية الجديدة، مما قاد لاشتعال الحروب بين أتباع الديانتين، بدءًا من معركة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة، ثم تلا ذلك نشوب معركة تبوك في السنة التاسعة للهجرة، التي لم يقع خلالها اصطدام عسكري فعلي بين الطرفين، لتتابع بعدها حالات الصراع والحروب بين المسلمين والمسيحيين، إلى أن استطاع المسلمون بسط نفوذهم على أنحاء كثيرة من العالم، من خلال الفتوحات الإسلامية، فيما تراجعت القوة المسيحية.

هنا ينبغي الإشارة إلى ما شاب الفتوحات الإسلامية من ممارسات لا تعبّر بالضرورة عن رأي الإسلام، ومردّد ذلك إلى من كان على رأس هذه الغزوات من سياسيين وعسكريين، بعضهم كانوا يمارسون الظلم والجور على المسلمين أنفسهم، فضلًا عن غير المسلمين. ثم جاءت مرحلة الحروب الصليبية التي شنّها المسيحيون ضدّ الأراضي الإسلامية، ليعقبها فيما بعد عهد الاستعمار الغربي لمعظم البلاد العربية والإسلامية. هذا ما يلخّص على نحو سريع المنعطفات التي شابّت العلاقة الشائكة بين المسلمين والمسيحيين خلال القرون الماضية.

هذا العصر وفرص التجاوز

وبصرف النظر عن أحداث التاريخ، يبدو أنّ الفرصة باتت مؤاتية لقيام علاقة أكثر

إيجابية بين الشعوب الإسلامية والمجتمعات الغربية المسيحية، في عصرنا الراهن. ومرد ذلك إلى عوامل عدة، منها: تغيّر الحالة الدينية عند المسيحيين، وانكفاء الهيمنة الكنسية التي كانت تنشب أظفارها في تلك المجتمعات، خلال القرون الوسطى، وجاءت عوضاً عن ذلك حكومات غربية تعتمد مفهوم المواطنة، في النظر إلى أفراد شعوبها، بصرف النظر عن عقائدهم وأعرافهم وألوانهم، وصار أكبر همها العمل من أجل تحقيق المصالح لبلادها.

زد على ذلك عامل التطور الإنساني في العصر الحديث، المتمثل في قيام موثيق دولية تنظم العلاقة بين البشر، ومنها موثيق حقوق الإنسان، ونشوء المؤسسات الدولية الراعية لهذه العهود والموثيق.

وكذلك الحال على الضفة المقابلة، فقد شهدت الأمة الإسلامية حالة انتشار الوعي في صفوف مجتمعاتها، التي أصبحت تدرك أنّ هناك تمايزاً واضحاً للعيان بين الحكومات الغربية من ناحية، وشعوبها من ناحية أخرى، على نحو باتت فيه للحكومات سياساتها وأجندتها، فيما بات للشعوب ثقلها، ورأيها العام، الذي ربما جاء معاكساً لتوجهات حكوماتها. ولذلك توفرت فرص كبيرة للمسلمين لكسب تعاطف الشعوب الغربية مع قضاياهم، بالضد من التوجّهات السياسية الحاكمة هناك. إنّ من الصحيح أنّ هناك مراكز قوى متعددة في الدول الغربية. ولهذه القوى خططها ووسائل نفوذها، كما أنّ المجتمعات الغربية مجتمعات منفتحة على التواصل، ونسج العلاقة، والقابلية وللتأثر التأثير.

الجاليات الإسلامية جسور تواصل

وينبغي أن نضع بعين الاعتبار عاملاً مؤثراً في العلاقة بين الغربيين والمسلمين، يتمثل في الهجرات الكبيرة لأبناء الأمة الإسلامية للدول الغربية، حيث باتت تلك الدول موطناً للملايين من المهاجرين المسلمين، الذين وفدوا عليها لأسباب مختلفة،

وحصلوا على جنسياتها، وباتوا جزءاً من نسيجها الاجتماعي، حتى لا تكاد تخلو مدينة غربية من وجود إسلامي. وقد ذكرنا احتضان الشعوب الغربية للمهاجرين المسلمين في عصرنا الراهن، باستقبال أسلافهم من مسيحيي الحبشة للمسلمين الأوائل، سيماً وأن كثيراً من المهاجرين المعاصرين قد هربوا من الاضطهاد الديني والسياسي والعرقى، أو الحرمان الاقتصادي الواقع عليهم في بلادهم، فلما ذهبوا للغرب احتضنتهم تلك المجتمعات، ووفرت لهم الأمن والاطمئنان، وأتاحت لهم الفرص، بما في ذلك ممارسة شعائرهم الدينية، فأقيمت هناك المساجد والحسينيات والمراكز الدينية والمدارس.

وبعيداً عن رسم صورة مثالية عن الوضع هناك، يمكن الاعتراف بوقوع و بروز المشاكل أمام المسلمين في بعض الأحيان، غير أن هناك في المقابل مبدأ سيادة القانون، ورسوخ مفهوم المواطنة، واحترام حقوق الإنسان، ما يساعد كثيراً في محاصرة المشاكل ومعالجتها.

لقد ساهم تفاعل الجاليات المسلمة في الغرب، مع بيئاتهم الاجتماعية، في ترك تأثير إيجابي على العلاقة المسيحية الإسلامية. ومن مظاهر ذلك بروز حالة التفهم للإسلام في أوساط تلك المجتمعات، الأمر الذي دفع كثيرين منهم للدخول في الإسلام، حتى أصبح أسرع الأديان انتشاراً في الولايات المتحدة الأمريكية وفي بلدان أخرى، فيما اكتسب المهاجرون المسلمون العلم، وتشربوا القيم الحضارية، ما يعني قيام تأثير وتأثر متبادل بين المهاجرين المسلمين وتلك المجتمعات.

كما أن حالة الانفتاح العالمي أسهمت في بروز تفهم أكبر وتداخل عميق بين الشعوب الإسلامية والمجتمعات المسيحية. وذلك بفضل التقدم التكنولوجي، وتقنيات الاتصال، ومواقع التواصل الاجتماعي، على النحو الذي جعل من العالم قرية واحدة.

بين الشعوب الغربية وحكوماتها

وكان متوقعًا أن تقوم في هذا العصر علاقات إسلامية مسيحية أكثر ايجابية وأهمية، حيث كان مسار العلاقة يمضي بهذا الاتجاه، فهناك فرق كبير بين مناوئة المسلمين لسياسات الحكومات الغربية، وبين العلاقة مع شعوب تلك الدول. ولطالما أظهرت فئات من الشعوب الغربية تضامنها مع قضايانا العربية والإسلامية، وعلى رأسها قضية فلسطين المحتلة، التي ضحّى بعض الغربيين بأنفسهم في دفاعهم عن الفلسطينيين. ناهيك عمّا تظهره منظمات المجتمع المدني في الغرب من تعاطف كبير مع معاناة الشعوب العربية والإسلامية، التي ترزح تحت سيطرة حكومات استبدادية.

وخلافًا لما سبق، ظهر من يستغلّ مواقف الحكومات الغربية من قضايا المسلمين ذريعة للإساءة للشعوب والمجتمعات الغربية. وفي ذلك خلط متعمّد للأوراق وحرف للبوصلة، وتضييع للمسار، فأني يكون لدى أيّ طرف كان مشكلة مع الحكومات الغربية فإنّ لديه الحقّ في مواجهتها، وذلك أمر متفهّم، إلّا أنّ من غير المفهوم ولا المقبول أن يمارس الاعتداء على المواطنين الأبرياء في تلك المجتمعات. إنّ المنظمات الإرهابية المنتسبة زعمًا للإسلام أفسدت العلاقة بين الشعوب الإسلامية وبين المجتمعات الغربية، من خلال اعتداءاتها الإرهابية ضدّ أبناء الشعوب الغربية، كما حصل في أمريكا وبريطانيا، وفي العاصمة الفرنسية مؤخرًا، وغير ذلك من المناطق، مما جعل العلاقة الإسلامية المسيحية تمرّ بمرحلة حرجة، وبات الوجود الإسلامي في الغرب مثيرًا للقلق، وألقى بظلاله على كلّ مظاهر التواجد الإسلامي هناك، من مراكز إسلامية ومساجد ومدارس، وعلى نحو جعل العائلات الإسلامية تواجه مصاعب مستجدة لم تقابلها فيما سبق، ناهيك عن الإجراءات الطويلة التي باتت تفرضها السفارات الغربية على المسلمين، من طالبي تأشيرات الدخول إلى أوروبا وأمريكا، وما يتبع ذلك من إجراءات أمنية مشدّدة في المطارات.

التداعيات الخطيرة للحركات الإرهابية

يمكن القول هنا، إنَّ من حقِّ الدول الغربية أن تتخذ الإجراءات التي تحفظ أمنها، وتمنع من تسلل الإرهابيين إلى أراضيها. إلا أنَّ ذلك ترك تداعيات سلبية على شكل العلاقة بين المجتمعات الغربية والوجود الإسلامي فيها، على نحوٍ بات هناك عمل على تكوين رأي عام مناهض للإسلام، ومعادٍ لوجود المسلمين في الغرب. وفي الوقت الذي نعتقد فيه بوجود قوى مستفيدة من حالة التوتر في العلاقة الإسلامية المسيحية، بل وتستثمر فيها، وعلى رأسها الصهيونية العالمية، واليمين المسيحي المتطرف، والجهات السياسية المستفيدة، إلا أننا ينبغي أن نعترف في الوقت عينه بالمشكلة التي نعيشها في داخلنا، حيث يعجُّ تراثنا الديني بالمواقف السلبية المتشجعة من أتباع الديانات الأخرى، بالرغم من وضوح المبادئ الإسلامية الإيجابية، فهناك في هذا التراث نصوص وآراء لا تجعل المسلم ينظر نظرة احترام للآخرين، أو يتعامل معهم على نحو سلمي، لفرط الشحن السلبي الذي توفره بعض مقولات هذا التراث.

صحيح أننا نعتقد أن الإسلام هو الدين الحق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، لكن ذلك لا يعني أبداً إعطاء الضوء الأخضر لممارسة الإساءة للأديان الأخرى. فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجُه يوم القيامة»^(١)، كما أمرنا الباري جل وعلا أن نقابل الناس كافة بالإحسان، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، ونهانا عن ظلم الناس، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾. أن مما لا شك فيه أن هناك مقولات تسللت إلى تراثنا الديني، إما باصطناع واختلاق نصوص مزورة، أو بإنتاج تفسير سيء لبعض النصوص يعتمدها بعض الفقهاء في إصدار فتاوى متشددة، وآراء مخجلة من الناحية الإنسانية في التعامل مع الآخر، والشواهد كثيرة معروفة، كما أن

(١) سنن أبي داود. كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في تعشير أهل الذمة، ص ١٨٧، حديث ٣٠٥٢،

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث ٢٦٢٦.

هناك من علماء الدين، وخطباء المنابر، والدعاة، من احترف التعبئة ضد أتباع الديانات الأخرى على نحو الإطلاق، كالدعاء بالهلاك على جميع اليهود والنصارى، دونما مبرر شرعي أو عقلي يبرر هذا الدعاء، إذ من المفهوم أن يأتي الدعاء بالهلاك على الظالمين والمعتدين، لا أن يكون على عموم الناس لمجرد كونهم من دين معين.

وماذا عسانا نتوقع من أتباع الديانات الأخرى إذا سمعوا مكبرات الصوت تصدح من مساجدنا بالدعاء عليهم بالهلاك؟ والأغرب من ذلك، أن يقع بعض أفراد الجاليات الإسلامية اللاجئين إلى الغرب، في منزلق الدعاء بالهلاك على تلك الشعوب التي احتضنتهم وآوتهم وأحسنّت إليهم، حتى إنَّ أحد هؤلاء اللاجئين المتطرفين سئل في لقاء صحفي، عن سبب بقائه في بلاد الغرب وهو يحمل كمًّا هائلًا من الضغينة عليهم، ويتمنى هلاكهم؟ فجاء بجواب غاية في القبح بقوله: إنَّ الإنسان يضطر إلى دخول بيت الخلاء (المرحاض) ولكنه لا يمتدحه!!.

الخطاب المتشنج والتعبئة المتطرفة

إنَّ الخطاب الديني المتشنج، والتعبئة السياسية المتطرفة، تتحمّل قسطًا كبيرًا من المسؤولية عن العلاقة الشائكة بين الشعوب الإسلامية والشعوب الغربية. ولنا أن نراقب هذه الأيام صدور الفتاوى المتزامنة مع أعياد الميلاد، التي تنصّ على منع المسيحيين في البلاد الإسلامية من الاحتفاء بعيد ميلاد المسيح ﷺ. فما هو يا ترى المبرر من منع ملايين المسيحيين في البلاد الإسلامية من ممارسة عباداتهم والاحتفال بأعيادهم، سيّما وقد استضافتهم البلاد وفتحت لهم أبواب العمل وبعضهم من أبناء هذه البلدان؟

في مقابل ذلك، لنا أن نلقي نظرة على الأوضاع الإيجابية للمسلمين في البلاد المسيحية، على نحوٍ درجت أعلى المؤسسات السياسية والبرلمانية الغربية على تقديم التهاني بالأعياد الإسلامية للجاليات المسلمة في بلادهم، وحول العالم، كما راحت

بعض البلدان المسيحية تعطي عطلة رسمية للعاملين المسلمين في أعيادهم، فإذا كانت البلاد المسيحية تمنح المسلمين كامل حرياتهم الدينية، فإنّ من اللازم أن تعامل البلاد الإسلامية المسيحيين في بلادها معاملة المثل، بأن تمنحهم كامل الحقّ في ممارسة حرياتهم الدينية. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في تعامله مع مسيحيي الحبشة، الذين وفدوا عليه في المدينة المنورة، وقد قال ﷺ فيهم: «.. وإني أحبّ أن أكافئهم».

لذلك، لا وجه لأن يمنع المسيحيون في بلاد المسلمين من أن يعبروا عن ذواتهم، وأن يمارسوا عباداتهم بحرية. إنّ من الصحيح أن لنا كمسلمين أعيادنا ومناسباتنا، ولسنا بوارد الاحتفال بالمناسبات الدينية للأمم الأخرى، ولكن ما ربط ذلك بمنعهم من الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم الخاصة بهم؟ والأنكى من ذلك، ما نجده من فتاوى تمنع المسلمين من مجرد تهنئة المسيحيين وأتباع الديانات الأخرى بمناسباتهم الدينية والاجتماعية، حتى لو كانت التهنة موجهة لعاملة منزلية نصرانية، أو سائق مسيحي! إنّ التعامل مع الآخرين على هذا النحو من الجفاء، هو أبعد ما يكون عن الحالة الإنسانية، ومردّد ذلك التفسير السيئ لآيات وأحكام الجهاد في الإسلام، ما يؤدي بدوره إلى صناعة أرضية غير متسامحة مع أتباع الديانات الأخرى.

نحن مطالبون أن نعيد النظر في تراثنا الديني، لجهة التعامل مع سائر البشر من الديانات الأخرى. كما أنّ على المسلمين الموجودين في الغرب على نحو خاصّ، القيام بمبادرات خلاقية لتحسين صورة الإسلام، وسمعة الأمة، التي لطختها الممارسات الإرهابية، على أن يجري ذلك على نحو منهجي منظم، لا أن يأتي نتيجة ردود فعل على حدث هنا، أو إساءة للإسلام هناك، سيّما وأنّ الجماعات المتطرفة آلت على نفسها إفساد العلاقة بين شعوب الأمتين الإسلامية والمسيحية، إمّا لجهل وحماسة، أو لأنها مدفوعة من جهات مغرضة.

الاحتياط في الدين بين حقوق الله وحقوق الناس

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام انه قال
لكميل بن زياد: «أخوك دينك، فاحتط
لدينك بما شئت»^(١).

تنقسم الأحكام الدينية إلى قسمين، قسم مرتبط بحقوق الله سبحانه وتعالى، وقسم آخر مرتبط بحقوق الناس. وذلك ما يدعو الإنسان المسلم لأن يكون محتاطاً في الجانبين، فكما هو مطالب بالاحتياط في الأمور المتعلقة بالله تعالى، فهو مدعو أيضاً للاحتياط في الأمور المرتبطة بعباد الله.

والاحتياط لغة؛ من الحَيْطَة أو الحَيْطَة، ومعناه الحفظ والتعهد والرعاية، فإذا كان المرء مهتماً بشيء، ويحرص عليه، فإنه سيكون مهتماً برعايته وحفظه وصيانه.

ولأن الإنسان المسلم يهتم بدينه ويحرص على الالتزام به، فإنه مطالب بأن يحتاط في أمور الدين، أي أن يصون أمور الدين ويحفظها، فلا يفرط ولا يتساهل في الالتزام بالأحكام الدينية، فقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصية وجهها لكميل بن زياد النخعي، أنه قال: «يا كميل، أخوك دينك فاحتط لدينك بما شئت».

إن من مصاديق حقوق الله الالتزام بأداء العبادات المشروعة، من الصلاة والصيام والحج، وأن يؤدي الواجبات الشرعية فيما بينه وبين الله، وأن يتجنب المحرمات التي

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٦٧، حديث ٣٣٥٠٩.

حرمها عليه، فيؤدي فرائض الله، كما أراد الله، دون أيّ خلل فيها أو نقص يعتريها، سواء كان ذلك في وضوئه وغسله أو صلاته وصومه، وكذلك سائر الفرائض والواجبات.

الوسوسة والهوس في العبادات

ورغم أنّ الاحتياط في أداء العبادات أمر مطلوب، إلا أنّ المبالغة فيه تعدّ مسألة منبوذة قد ترقى إلى مخالفة أوامر الله تعالى. ذلك أنه تعالى يريد أن يُعبد كما يريد هو ويأمر، لا كما يشتهي الإنسان، فقد يذهب بعض الناس في احتياطاتهم الدينية إلى حدّ الهوس والوسوسة، وذلك سلوك منهي عنه شرعاً. فقد ورد عن عبد الله بن سنان، وهو من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)، أنه قال، ذكرت لأبي عبد الله (عليه السلام) رجلاً مبتلى بالوضوء والصلاة، وقلت هو رجل عاقل، فقال الإمام الصادق (عليه السلام): «وأيّ عقل له وهو يطيع الشيطان»^(١)، وبذلك اعتبر الإمام (عليه السلام) الوسوسة في الوضوء والصلاة بمنزلة الطاعة للشيطان. وروي عنه (عليه السلام) أنه قال: «لا تعودوا الخبيث من أنفسكم بنقض الصلاة فتطمعوه، فإنّ الشيطان خبيث يعتاد لما عود، فليمض أحدكم في الوهم، ولا يكثرن نقض الصلاة، فإنه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشك، قال زرارة ثم قال: إنما يريد الخبيث أن يطاع، فإذا عصي لم يعد إلى أحدكم»^(٢).

من هنا، ينبغي للمسلم ألاّ ينقض صلاته بدواعي التوهم في سلامة تكبيرة الاحرام مثلاً، فليمض في صلاته دون الالتفات لتلك الوسوسة، حتى لا يعطي الشيطان فرصة التمكّن منه. وفي القواعد الثابتة في الفقه: أنّ كثير الشك لا يعتني بشكّه. وبذلك يكون الاحتياط في المسائل العبادية أمراً مطلوباً وفق الحدود المعقولة، التي تفيد الاطمئنان بأداء الواجبات الشرعية تجاه الله دونما تقصير أو مبالغة.

(١) الكافي، ج ١، ص ١٢.

(٢) الكافي، ج ٣، ص ٣٥٨.

الاحتياط الأهم في حقوق الناس

ومع أهمية الاحتياط فيما يرتبط بعبادة الله، إلا أنّ حقوق الناس أولى بالرعاية، وأكثر أهمية عند الله جلّ شأنه. وقد تواترت في هذا الشأن كثير من النصوص الدينية، التي تشير إلى أنّ الله تعالى سريع التجاوز عن الحقوق المرتبطة به سبحانه، فلو اعتري عبادات الإنسان بعض الخلل، فإنّ الله سبحانه قد يغفر له ذلك، إلا أنّ حقوق الناس لها شأن آخر، فلا يمكن أن يغفر سبحانه وتعالى لمن يتجاوز على حقوق الآخرين، ما لم يغفر له أصحاب الحقّ أنفسهم. من هنا تغدو حقوق الناس أجدر بالاحتياط وأولى بالمراعاة، دون أن يعني ذلك التساهل في حقوق الله.

ولعلّ مما يؤسف عليه، الاهتمام بالاحتياط لدى بعض الأوساط الدينية حيال أمر العبادات، من قبيل التزام الدقة المتناهية في دخول أوقات الصلاة، أو الاحتياط المتشدّد في الإمساك عن الطعام مسبقاً في فجر رمضان، وكذلك الحال وقت الإفطار، فلا يتناول الطعام إلاّ بعد غروب الشمس وزوال الحمرة المشرقية، لكنهم يتساهلون في احترام حقوق الناس.

الدماء خطّ أحمر

وهناك مظاهر عديدة لحقوق الناس التي هي الأولى بالمراعاة، والأشدّ حاجة للالتزام الاحتياط حيالها.

ويأتي في الطليعة من ذلك؛ الاحتياط في الدماء، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»^(١)، فقتل إنسان أمر عظيم عند الله تعالى، وسفك الدماء خطّ أحمر، لا يمكن أن يُتسامح فيها أبداً. وجاء في حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «أول ما يقضى بين الناس في القيامة الدماء»^(٢)،

(١) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٩٧، حديث ٦٨٦٢.

(٢) صحيح مسلم، ص ٩٢٠، حديث ١٦٧٨.

وقال ﷺ: «لا يحولنّ بين أحدكم وبين الجنة وهو ينظر إلى أبوابها ملء كفّ من دم أهراقه ظلماً»^(١)، وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من شرك في دم حرام بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله»^(٢)، فقد يأتي شطر الكلمة ذاك على شكل وشاية، أو تقرير كاذب، أو قول زور ضدّ إنسان دون وجه حقّ. وجاء في حديث عنه ﷺ أنه قال: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»^(٣).

من هنا، ورد القول في شأن القضاء والأحكام، أنّ الحدود تدرأ بالشبهات، وتلك قاعدة قضائية عند جميع المسلمين، بحيث لو وردت شبهة مهما كانت ضئيلة حول عدم استحقاق إقامة الحدّ على إنسان، فلا بُدّ وأن تدرأ هذه الشبهة إقامة الحدّ، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ادْرؤوا الحدودَ عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرجٌ فخلّوا سبيله، فإن الإمام أن يخطيء في العفو، خيرٌ من أن يخطيء في العقوبة»^(٤)، وقد تقرّر في الفقه لزوم سقوط الحدّ بسقوط الإقرار بالذنب والتراجع عنه، فلو أن إنساناً أقرّ على نفسه بفعل الزنى مثلاً، كان ذلك موجباً لإقامة الحدّ عليه، إلا أنّ إقامة الحدّ تبقى عرضة للسقوط متى ما تراجع عن إقراره ذلك، فالحدود المتعلقة بالتعدي على حقوق الله تسقط بالتراجع عن الإقرار بارتكابها. كلّ ذلك لبيان عظم حرمة الإنسان.

إنّ مما يؤسف عليه في بلاد المسلمين، أنّ من يحتاطون بشدة في إقامة الصلاة في وقتها، وأداء الصوم بضوابطه، ويرهقون أنفسهم في إثبات ظهور الهلال تبعاً لأصحّ الأقوال عندهم، ليس عند هؤلاء أنفسهم ما يوازي ذلك حيال رعاية دماء الناس والاحتياط فيها. فقد باتت تسفك دماء الناس لأتفه الأسباب، فأين غاب الاحتياط في هذا المجال.

(١) مجمع الزوائد، ج ١، ص ١٨٥.

(٢) كنز العمال، ج ١٥، ص ٣١، حديث ٣٩٩٣٥.

(٣) سنن الترمذي، ج ٢، ص ٣٧٤، حديث ١٣٩٥.

(٤) كنز العمال، ج ٥، ص ٣٠٩، حديث ١٢٩٧١.

الاحتياط في أموال الناس

أما المظهر الثاني فهو التصرف في أموال الناس. حيث يتفق أحياناً أن تجد بعض المتشددين في أمر العبادات، لا يعيرون اهتماماً لأموال الناس، فلا يتردد أحدهم في أخذ الرشاش، ولا يتورع عن أكل أموال الناس بالباطل، من مسروق ومغصوب، ولا يرعوي عن التصرف في ممتلكات الآخرين، ولا يأبه برّد الديون لأصحابها، فأين غاب الاحتياط عن كلّ ذلك. لقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يحلُّ مال امرئٍ مسلمٍ إلا بطيبِ نفسٍ منه»^(١)، وورد عن بعض أهل العلم في هذا الصدد، أنّ من أخجل أحداً لأجل قبض مال منه، فأعطاه عن غير طيب منه، فلا يكون ذلك المال المقبوض حلالاً، وكما قيل: «المأخوذ حياءً كالمأخوذ غصباً»، قاعدة شرعية مستفادة من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ وعن أهل البيت ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس»، و﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾، يعني لا يجوز أن تأكل مال أحد إلا إذا كان راضياً، هذا الذي يعطيك عن حياة فهو ليس راضياً، والذي يعطيك عن خوف فهو ليس راضياً.

وقد صرح الشافعية والحنابلة أنه: إذا أخذ مال غيره بالحياء كأن يسأل غيره مالاً في ملاً فدفعه إليه بباعث الحياء فقط، أو أهدي إليه حياءً هديةً يعلم المهدى له: أنّ المهدى أهدي إليه حياءً لم يملكه، ولا يحلّ له التصرف فيه، وإن لم يحصل طلب من الآخذ، فالممدار مجرد العلم بأن صاحب المال دفعه إليه حياءً، ولا مروءة، ولا لرغبة في خير، ومن هذا: لو جلس عند قوم يأكلون طعاماً، وسألوه أن يأكل معهم، وعلم أنّ ذلك لمجرد حيائهم، لا يجوز له أكله من طعامهم، كما يحرم على الصّيف أن يقيم في بيت مضيفه مدةً تزيد على مدة الصّيافة الشرعية وهي ثلاثة أيام فيطعمه حياءً.

فللمأخوذ بالحياء حكم المغصوب، وعلى الآخذ ردّه، أو التعويض عنه، ويجب

(١) كنز العمال، ج ١، ص ٩٢، حديث ٣٩٧.

أن يكون التعويض بقيمة ما أخذ أو أكل من زادهم، وقال ابن الجوزي: هذا كلام حسن لأن المقاصد في العقود معتبرة^(١).

وقد بلغ الأمر ببعض الناس أنهم لا يراقبون الله في أموال اليتامى، مع أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٠].

إن الاحتياط في أموال الناس أمر في غاية الأهمية، فلا يصح لمتدين أن يتساهل في الديون والحقوق التي في ذمته، كما هو حاصل في أموال الإرث وحقوق الورثة. فقد يتوفى إنسان ويترك خلفه عيالاً وتركته معتبرة، يفترض أن يقوم عليها وصي يرعاها، من ابن كبير أو أخ، يكون ولياً على الأبناء القاصرين، فيتساهل في أداء حقوق الورثة، ويستأثر لنفسه بأكثر مما يستحق، فيذهب حق الورثة هدرًا، سيما إذا كان الورثة نساءً أو قصرًا، وليت هؤلاء يعلمون أنهم في يوم القيامة سيدفعون ثمنًا باهظًا لكل مثقال أكلوه من أموال الآخرين. وينسحب ذلك أيضًا على حقوق العمال، إذ إن للعامل أجره المستحق، قل أو كثر، فأیما اعتداء على شيء من حق العمال، فذلك اعتداء سافر على أموال وحقوق الآخرين.

النيل من سمعة الناس وأعراضهم

ويتمثل المظهر الثالث، في حرمة أعراض الناس. فلكل إنسان حرمة وسمعته الشخصية، ومن الجرم العظيم التعريض بسمعة الآخرين، والإساءة لشخصياتهم. ومن دواعي الأسف أن بعض المتدينين الذين يظهرون حرصًا شديدًا في المسائل الشرعية، من حلال وحرام، لا تجد عندهم ذات القدر من الحرص عندما يتناولون الآخرين بألسنتهم، ولا يباليون في إلقاء القول على عواهنه في أعراض الناس، فما قيمة

(١) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية، ج ١٨، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ،

العبادات إذًا؟

إنّ ثمة نصوصًا كثيرةً تشدّد التأكيد على أنّ سائر العبادات من صلاة وصوم وغير ذلك، لا قيمة لها، وليست بوارد القبول عند الله سبحانه، إذا كان صاحبها متورّطًا في انتهاك أعراض الآخرين، متجاوزًا على حرمتهم، مسيئًا إلى سمعتهم. فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبة الوداع: «أيّها الناس، إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، إنّ الله حرّم الغيبة كما حرّم المال والدم»^(١)، فالرسول ﷺ يساوي حرمة الدماء والأموال بحرمة الأعراض. وورد عنه ﷺ أنه قال: «من اغتاب مسلمًا أو مسلمة، لم يقبل الله صلواته ولا صيامه أربعين يومًا وليلة، إلّا أن يغفر له صاحبه»^(٢)، ولنا أن نتخيل كيف للمرء أن يتعب نفسه في الصلاة والصوم فلا يقبل منه ذلك، ليس مرة ولا يومًا أو أسبوعًا، وإنما على مدى أربعين يومًا، لا لشيءٍ إلّا لأنه انتهك عرض إنسان آخر. وجاء عنه ﷺ أنه قال: «من اغتاب مسلمًا في شهر رمضان لم يؤجر على صيامه»^(٣).

الحذر والاحتياط الحقيقي

إنّ على الإنسان أن يكون شديد الحذر والاحتياط حيال حقوق الناس؛ دماءهم وأموالهم وأعراضهم. فهذا هو الاحتياط الحقيقي، وهنا يكمن الامتحان الفعلي للإنسان، فما قيمة الحج الذي يريد أن يؤدّيه المرء على أكمل وجه، وهو يزاحم الناس في الطواف على نحو فجّ، فيدفع هذا، ويضرب ذاك، أو ليست هذه الممارسات خلاف الاحتياط المدعى؟ إنّ استدراك الخلل في الطواف مثلاً أمر متيسر، بأن يتراجع بضع خطوات ثم يستأنف الطواف، أو أن يعيد الطواف فيما لو اضطر إلى ذلك، ولكن ما الذي يجبر كسر إنسان طاله الأذى وإيذاء الإنسان حرام؟

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٦٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢٥٨، حديث ٥٣.

(٣) مستدرک الوسائل، ج ٧، ص ٣٢٢، حديث ٨٢٩٣.

وكذا الحال مع الموظف المسؤول عن خدمة الناس في الدوائر العامة، حيث يترك عمله بحجة أداء الصلاة، ويستغرق وقتاً طويلاً خارج عمله، فإذا ما عاتبه المراجعون لطول انتظارهم، لم يتردد في إسكاتهم بحجة انشغاله في الصلاة، وليته علم أن صلاته تلك إذا ما زاحمت مصالح المراجعين فإنّ فيها تضييعاً لحقوق الناس، سيما إذا كان هناك متسع من الوقت لأداء الصلاة فيما بعد، وحتى في حال الوقت المخصص لأداء الصلاة، لا ينبغي للمرء أن يسترسل في أداء النوافل والمستحبات، فيما الناس واقفون بانتظاره، وإنما يقتصر في ذلك على الواجب من الصلاة وحسب. إنّ الاهتمام بحقوق الناس أمر مطلوب في المقام الأول، والاحتياط الأهمّ يتمثل في مراعاة حقوق الناس.

معالجة الأزمات واطفاء الحرائق

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا
مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا
إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٥].

تأخذ النزاعات الاجتماعية غالبًا طابع التمدد، وتهدد بالإضرار بالدوائر الأبعد عن محيطها الخاص. لذلك يحث الإسلام على تحمّل أقصى درجات المسؤولية حيال مختلف النزاعات الفردية والمجتمعية، ويرفض رفضًا قاطعًا الوقوف موقف المتفرج منها، ومردّد ذلك إلى أنّ أيّ مشكلة أو نزاع يأخذ مكانه في المجتمع، فإنه لن يبقى محصورًا في دائرته الخاصة، وإنما ينعكس سلبيًا على المجتمع برمته، ويتمدد ضرره إلى حدود أبعد مما يتصور.

إنّ المجتمع الرشيد هو الذي يحاصر مشاكله فور اندلاعها، ويشرع في معالجتها. بخلاف ما إذا جرى السكوت عن المشاكل، التي قد تبدو صغيرة تافهة في بدايتها، إلا أنّها سرعان ما تتضخم وتتوسّع، عندما لا تجد من يسعى في حلّها منذ البداية. شأن ذلك شأن الحرائق، التي متى ما اندلعت في مكان ما، فإنّ على الجميع المبادرة لإخمادها فورًا، تفاديًا لتمددها إلى الأماكن المجاورة، وإلا فإنّ ثمن إهمالها سيكون باهظًا.

من هنا، لا بُدَّ وأن تكون في كلِّ مجتمع ما يمكن أن نسمِّيها فرق إطفاء الحرائق الاجتماعية.

الإصلاح بين الزوجين

لقد تناول القرآن الكريم مسألة الخلاف بين الزوجين باعتباره نموذجًا مصغرًا، ينبغي أن تظهر معه المسؤولية الاجتماعية، باتجاه وضع حدٍّ للخلاف بينهما. ذلك أنَّ الشرع يوجب على المجتمع أن يلعب دورًا في معالجة الخلافات العائلية، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٥]، وقد ذهب جمع من العلماء إلى أنَّ الآية الكريمة تأخذ طابع الوجوب، أي إنها توجب على المجتمع التدخل لمعالجة الخلاف بين الزوجين، ورفض موقف عدم المبالاة منه، ومردِّ ذلك إلى الآثار السلبية التي يمكن أن يتركها هذا الخلاف، فالزوجان عضوان في المجتمع، والخلاف بينهما ينعكس سلبيًا على نفسيتهما وسلوكهما وإنتاجهما، كما يمكن أن يؤثر على تنشئة الأبناء، إضافة إلى إمكانية امتداد الخلاف إلى أُسرتي الزوجين، ناهيك عمَّا يمكن أن يتركه من أثر سلبي على الأمن الأخلاقي للمجتمع، نتيجة التفكك الأسري، وانعكاس ذلك على السلوك الأخلاقي العام للزوجين.

لذلك لا يقبل الشرع أن يبقى المجتمع ساكتًا عن المشاكل الزوجية متفرِّجًا عليها. والسبيل إلى المعالجة هو ما تقترحه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، وقد ذهب مفسِّرون إلى القول إنَّ الأمر ﴿فَابْعَثُوا﴾ منوط بالحاكم الشرعي، فيما ذهب مفسِّرون آخرون إلى اعتبار ذلك واجبًا كفائيًا على الواعين من أبناء المجتمع، في حين قال آخرون بأنَّ مسؤولية ذلك تقع على عائلتي الزوجين. وتشير الآية بوضوح إلى أنَّ أمر تحقيق الإصلاح يبقى مرهونًا بتوفّر الإرادة لدى الأطراف

المعنية، سواء كان المقصود في الآية الزوجان أم الحكمان.

إرادة المصالحة

وعلى نطاق أوسع، يمكن القول إن استحكام حالة التعنت، وغياب الإرادة في الإصلاح، عند أطراف الخلاف، هو ما جعل ساحتنا الإسلامية ساحة احتراب، ومسرحاً للمشاكل الاجتماعية والسياسية.

إن المجتمعات الحيّة التي تنعم بالاستقرار والسلم، لم يتأت لها ذلك لولا إيمانهم بأهمية السلم الاجتماعي أولاً، واحتكامهم لسيادة القانون ثانياً، إضافة لوجود مؤسسات معززة للسلم المجتمعي، وذلك بخلاف الحال في مجتمعاتنا الإسلامية، التي أصبحت ساحة احتراب واضطراب، فلا يكاد يوجد بلد إلا ويرزح تحت وطأة مختلف المشاكل. مع انتماء هذه الأمة للقرآن الكريم الذي يحمل المجتمع كله المسؤولية عن محاصرة المشاكل ومعالجتها.

إن محاصرة المشاكل ومعالجتها أمر مرهون بتوفر إرادة الصلح والإصلاح، كما يقول تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾، غير أن افتقاد الرشد، وغياب الوعي، غالباً ما يقود إلى المكابرة، وتعتت مختلف الأطراف المتنازعة تجاه بعضها بعضاً، لتتلاشى عندها أيّ إرادة للإصلاح.

هناك شروط ينبغي التوفر عليها في سبيل تحقيق إرادة الإصلاح، ومعالجة المشكلات الاجتماعية. ويأتي في الطليعة منها: الرجوع إلى العقل، وحساب الخسارة والربح في كل خطوة، فأیما عاقلٍ أعمل عقله، فسيجد أن النزاع والشقاق لن يعود بالخير على أيّ طرف. إن أحد عوامل تسعير النزاعات، هو نزوع بعض الأطراف إلى التفكير غير العقلاني، ورهان كل طرف على حسم النزاع لمصلحته، على حساب منافسيه وخصومه، إن الساحة العالمية تشهد تداخلاً كبيراً على صعيد إدارة الصراعات، فلم تعد الصراعات المحلية في أيّ مكان معزولة عن الخارج، وإنما

بات الصراع في أيّ منطقة عرضة لتدخل إرادات أخرى تساهم في تسعييره وتعميقه والاستثمار فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، ومن هؤلاء الشياطين؛ تجّار الحروب، ومصنّعو الأسلحة الفتاكة، الذين حققوا أرباحًا خيالية نتيجة الصراعات المستعرة في منطقتنا خلال هذه السنوات.

إنّ ما يعرف بكارتل صناعة السلاح، أسعد ما يكونون في حالات اندلاع الحروب والنزاعات، ولا يمكن أن يسمحو لأحدٍ بالعمل على الحدّ من تجارتهم الفتاكة. ولعلّ أبرز مثال على ذلك النزاع بين الإدارة الأمريكية وكراتل صناعة السلاح في الولايات المتحدة، الذي له نفوذ قويّ في الكونغرس، فالرئيس يحمل شعار الحدّ من اقتناء الأسلحة الفردية داخل أمريكا؛ نظرًا لتفاقم حالات سوء استخدام السلاح هناك، غير أنّ ذلك يصطدم بصخرة الكونغرس الخاضع لكراتل صناعة السلاح.

إنّ أيّ تفكير عقلائي سيقود بطبيعة الحال إلى الاستنتاج بأنّ المستفيد الأول من تفاقم الخلافات في الساحة الإسلامية هم أعداء الأمة.

أما الشرط الثاني فهو التوازن النفسي عند الأطراف المتنازعة. حيث يفقد المتنازعون غالبًا توازنهم النفسي، لتفسح المجال لسيطرة العقد النفسية، وحالات حبّ الانتقام، والرغبة في أخذ الثأر من الطرف المقابل، فلا يعود حينها التفكير عقلائيًا، إنّما يصبح المتنازعون تحت سيطرة العواطف والانفعالات، لتغيب عندها أيّ إرادة للإصلاح.

ويتمثل الشرط الأخير في توفر البيئة المشجّعة على الصلح وإقامة السلم. إنّ هناك في الأمم الواعية بيئة مجتمعية، وأرضية ثقافية، تدفع باتجاه المصالحة وتحقيق السلم، والرغبة في الاستقرار، وعلى النقيض من ذلك في مجتمعاتنا الإسلامية. لدينا بيئة حاضنة للاحتراب، تدفع باتجاه النزاع، تارة تحت عناوين دينية، وأخرى بصفتها امتدادًا لصراعات التاريخ.

الخروج من مأزق الاحتراب

إنّ ديننا الإسلامي يوجب أن نكون جميعاً دعاة أمن وسلم واستقرار. وهذا لن يتأتى ما لم تكن الأطراف المختلفة مستعدة لتقديم التنازلات المتبادلة، فإذا ما توفر هذا الاستعداد، ومن ثم التوجّه نحو معالجة الجذور الباعثة على اندلاع المشاكل، فإنّ من الممكن تحقيق حالة الصلح والاستقرار في مجتمعاتنا. بخلاف ما إذا أُصرَّ كلُّ طرف على اخضاع الطرف الآخر، فذلك ما يجعل من مهمّة تحقيق الاستقرار مهمة عسيرة.

لقد تسببت حالات الاحتراب القائمة في مجتمعاتنا في تداعيات مؤلمة كبيرة. فقد تعطلت التنمية، واستهلكت الثروات، وعبئت النفوس على بعضها بعضاً، وُخلقت الاصطفافات وحالات التخندق تحت مختلف العناوين، وفقدت الأوطان الإسلامية أمنها واستقرارها، وباتت تُسفك الدماء في شوارعها على مدار الساعة، فالى متى تستمر هذه الحالة المدمرة؟ وأين ذهب عقلاء الأمة؟ ولم غابت المؤسسات التي يفترض بها تقديم مبادرات الصلح والسلام، أو ليس هذا الجهد التصالحي منوط بمبادرات من منظمة التعاون الإسلامي، التي تبدو الأمة اليوم أحوج ما تكون لدورها ومبادراتها؟

إنّ على منظمة التعاون الإسلامي أن تتحرك من أجل إطفاء الحرائق بين الدول الإسلامية، وبين الشعوب والحكومات، وبين الطوائف وأتباع المذاهب. وعلى هذا النحو ينبغي أن يتحرك علماء الدين والمفكرون والواعون. ولا شك أنّ المهمة ستكون شاقة نتيجة وقوع المصلحين دائماً بين المطرقة والسندان، فكلّ طرف يضغط عليهم بوسائله الخاصة، حتى يصطفوا معه ويكونوا إلى جانبه، لكن هذه المشقة والصعوبة لا تسقط الواجب عن عاتق الواعين الغيارى على مصالح الأمة ومستقبل شعوبها.

الاقتصاد في العبادة

روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:
«اجتهدت في العبادة وأنا شاب، فقال لي
أبي: يا بني، دون ما أراك تصنع، فإن الله عزّ
وجلّ إذا أحبّ عبدًا رضي عنه باليسير»^(١).

يمثل الدين منظومة من القيم والمفاهيم التي يؤمن بها الإنسان ويسير حياته على هديها. أما العبادات، من الصلاة والصوم والحج وغير ذلك، فهي جزء من الدين، شرعها الله لتذكير الإنسان بعبوديته للخالق، وتدريبه على الخضوع لأوامره. فالعبادات لا تلخّص الدين، ولا يتقوّم بها وحدها، فالصلاة مثلاً، وإن كانت عمود الدين كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «الصلاة عمود الدين»^(٢)، لكن توفّر العمود فقط لا يمثل قيمة بحد ذاته، فأية قيمة تذكر لوجود عمود في الصحراء دونما بناء حوله أو خيمة فوقه؟ وكذلك الصلاة، التي ينبغي أن تكون أساساً لبناء القيم، وتشكيل السلوك، واعتناق المفاهيم، ودون ذلك لا قيمة لها.

إنّ الدين منهج لحياة أفضل، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾، ويقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٧]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

(١) الكافي، ج ٢، ص ٨٧، حديث ٥.

(٢) السيوطي، الجامع الصغير، حديث ٥١٨٦.

لِيُقَوْمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿[سورة الحديد، الآية: ٢٥]. وبذلك يغدو غرض الدين الأساس هو أن يهتدي الناس لتي هي أقوم، وأن يعيشوا الحياة الطيبة، في ظل إقامة العدل والقسط بين الناس.

للعبادات أهداف

وبالرغم من كون العبادات، فرائض ونوافل، تمثل جزءاً لا يتجزأ من الدين، إلا أن هناك مشكلتين تعتري المجتمعات الدينية حيال أمر العبادات.

المشكلة الأولى: هي إغفال الهدف من العبادات، فهناك مجتمعات تمثل للعبادة بصورة شكلية، إلا أنها تغفل عن الهدف من وراء تلك العبادة، ومن ذلك على سبيل المثال، ما جاء في القرآن الكريم من أمر الصلاة، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٥]، ذلك أن مقتضى إقامة الصلاة وفقاً للآية الكريمة، الانتهاء عن فعل الفحشاء والمنكر، لذلك لا يغدو للصلاة قيمة، متى ما التزم الإنسان بها، وأغفل الهدف الذي شرعت من أجله. من هنا تأتي إشارة الإمام الصادق عليه السلام إلى ضرورة انعكاس العبادة على سلوك الإنسان، فإن لم يتحقق ذلك، فلا قيمة لتلك العبادة، قال عليه السلام: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم، حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»^(١)، النصوص الدينية تؤكد أن للعبادات هدفاً ينبغي أن يتحقق من أدائها والالتزام بها، ودون ذلك لا قيمة لها.

إن من الملاحظ أن هناك وفرة في إقامة العبادات لدى المجتمعات الدينية، وسط غياب للأهداف المرجوة منها. ويتضح ذلك من خلال كثرة المساجد، وإقامة الصلوات، وأداء الصيام، والإقبال على الحج والزيارة، إلا أنه في مقابل ذلك، لا أثر واضحاً للأهداف المرجوة من تلك العبادات، مما يشير إلى وجود خلل متمثل في أن

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٠٤، حديث ٢.

الوسيلة لا توصل إلى الهدف الذي شرّعت من أجله.

وقد نشر باحثون في جامعة جورج واشنطن مؤخراً بحثاً مهماً، شارك فيه أكاديميون مسلمون يعيشون في الولايات المتحدة، وقد درس هؤلاء الباحثون دساتير أكثر من ٢١٨ دولة من دول العالم، على ضوء أسس الحكم الرشيد، وإدارة الاقتصاد، وتعاملاتها مع مواطنيها، وقارنوا محصلة ذلك مع ١١٢ مبدأً إسلامياً مستمدًا من الكتاب والسنة، في الاقتصاد والحياة العامة، وأبرزها العدالة وتوزيع الثروة، والحريات العامة، وكان الغرض من ذلك، معرفة أفضل الدول التزامًا بهذه المبادئ الإسلامية، فتوصل الباحثون إلى نتائج مذهلة، وأبرزها أنّ الدول الإسلامية لم تحتل المراتب الأولى في الالتزام بمبادئ القرآن الكريم، سيّما في مجالات العدالة والحريات وإقامة الحياة الطيبة، مع أنّها مبادئ مرتبطة بصميم العقيدة الإسلامية، في مقابل ذلك وجد هؤلاء الباحثون أنّ دولاً غير إسلامية، مثل إيرلندا والدنمارك ولوكسمبورغ، جاءت جميعها على رأس قائمة الدول الأكثر التزامًا بالمبادئ الإسلامية، في مجالات العدالة والحريات وإقامة الحياة الطيبة!

واحتلت المراتب الأولى الـ ٢١ دول غير إسلامية، وجاءت ماليزيا في المرتبة ٢٢ كأول دولة إسلامية في القائمة!، في حين احتلت اسرائيل المرتبة ٢٧ متقدمة على جميع الدول الإسلامية الأخرى، وجاءت الكويت في المرتبة ٥٠، وتونس في المرتبة ٧٢، والسعودية في المرتبة ٩١، فيما جاءت مصر في المرتبة ١٢٨، والمغرب ١٣٠^(١). وهذا ما ينبغي أن يدعونا لإجراء مراجعة جدية حول تطبيقات المبادئ الإسلامية في مجتمعاتنا، ومدى تحقق أهدافها وانعكاسها على أنماط وسبل حياتنا. إنّ هدف العبادات تركيز القيم، ولا ينبغي للمتديّنين أن يكتفوا بالعبادات ويغفلوا عن القيم والأهداف التي شرّعت من أجلها.

تضخم العبادات

أما المشكلة الثانية: فهي تضخم العبادات، على حساب المهام والوظائف الأخرى. لدرجة يكاد يكون فيها الإنسان، وفق ذهنية بعض الأوساط الدينية، مخلوقاً للصلاة والصيام، بمعزل عن أي عمل آخر، بل ويذهبون بعيداً في المنافحة عن هذه النظرة، بالاستشهاد بالآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وليتهم علموا أن العبادة الواردة في الآية الكريمة، جاءت في عموم الطاعة لأوامر الله تعالى في مختلف مجالات الحياة، لا في خصوص أداء الفرائض والنوافل وحسب، تلك الطاعة التي ينبغي أن تشكل منظومة حياة كاملة.

وقد تأتي حالة التضخم في العبادات على المستوى الفردي، وأحياناً تصبح ظاهرة اجتماعية، فقد يندفع الشاب دينياً فيقبل على العبادات والشعائر الدينية بحماس شديد، في حين قد تمرّ بالمجتمعات حالات من الحماس الديني، وخاصة حين تعيش تلك المجتمعات صراعاً على الهوية الدينية، ما ينتج عنه حالة من الاندفاع والإقبال الشديد، إلى حدّ التضخم في إظهار الجوانب العبادية والشعائرية، على حساب المهام الأخرى، وهذا ما قد يؤدي إلى مفعول سلبي نتيجة الإفراط، جرياً على المثل القائل: «كلّ شيء زاد عن حدّه، انقلب إلى ضده».

وفي هذا السياق، ينبغي الإشارة إلى باب في مصادر الحديث المعتمدة عند المسلمين، ككتاب «الكافي» و«بحار الأنوار» عند الشيعة وكتاب «رياض الصالحين» عند السنة، وعنوان هذا الباب؛ الاقتصاد في العبادة، ولكن قلّما سلّط عليه الأضواء، وفحواه الحثّ على النأي عن الزيادة في العبادة وترك المبالغة فيها. والمشكلة أنّ مجرد الحديث عن هذا الموضوع، أي الاقتصاد في العبادة، بات سبباً للاتهام من قبل المزايديين في الدين، بزعمهم أنّ المتحدث في هذا الشأن يناكف الدين، ويقف بالصدّ من الشعائر، ويضرب العقيدة، ويحارب المذهب، في إغفال تامّ إلى أن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت ﷺ هم أول من حثّ على الاقتصاد في العبادة، استناداً إلى دعوة الدين إلى

التوازن، وجعل الأمور العبادية في مقاديرها الطبيعية، وليس على حساب باقي المهام. وقد ورد في شأن الاقتصاد في العبادة عدد من النصوص الدينية. ومن ذلك ما ورد أنّ عابداً كان على عهد رسول الله ﷺ، دائم الاشتغال بالعبادة من الصلاة والصوم وقراءة القرآن في ليله ونهاره، فسأل رسول الله ﷺ عمّن ينفق على هذا العابد، قالوا يا رسول الله ينفق عليه أخوه، فقال ﷺ: «أخوه خير منه»^(١)، ومعنى ذلك أنه ﷺ يرى أنّ الرجل العامل الساعي في سبيل الرزق، هو خير وأفضل من ذلك المتفرغ للعبادة فيما ينفق عليه غيره. وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في وصية لنجمله الحسن ﷺ أنه قال: «واقصد يا بني في معيشتك، واقصد في عبادتك»^(٢)، في دعوة صريحة منه ﷺ إلى أن تكون العبادة متوازنة. وفي رواية عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تكروا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى»^(٣).

المبالغة وردات الفعل

إنّ المبالغة في العبادة ربما قادت إلى ردود فعل معاكسة. ومما ورد في هذا الشأن عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال مخاطباً تلميذه: «.. سأضرب لك مثلاً إنّ رجلاً كان له جار وكان نصرانياً فدعاه إلى الاسلام وزيّنه له فأجابه فاتاه سحيراً فقرع عليه الباب فقال له: من هذا؟ قال: أنا فلان قال: وما حاجتك؟ فقال: توضعاً والبس ثوبيك ومر بنا إلى الصلاة قال: فتوضعاً ولبس ثوبيه وخرج معه، قال: فصلياً ما شاء الله ثم صلّى الفجر ثم مكثا حتى أصبحا، فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله، فقال له الرجل: أين تذهب؟ النهار قصير والذي بينك وبين الظهر قليل؟ قال: فجلس معه إلى أن صلّى الظهر، ثم قال: وما بين الظهر والعصر قليل فاحتبسه حتى صلّى العصر، قال. ثم قام وأراد

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص ٢٨٦٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢١٤، حديث ٩.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٨٦، حديث ١.

أن ينصرف إلى منزله فقال له: إن هذا آخر النهار وأقل من أوله فاحتبسه حتى صَلَّى المغرب ثم أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له: إنّما بقيت صلاة واحدة قال: فمكث حتى صَلَّى العشاء الآخرة ثم تفرّقا فلما كان سحيراً غداً عليه فضرب عليه الباب فقال: من هذا؟ قال: أنا فلان، قال: وما حاجتك؟

قال: توضأ والبس ثوبيك واخرج بنا فصلّ، قال: اطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني وأنا إنسان مسكين وعليّ عيال، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أدخله في شيءٍ أخرجه منه^(١).

وعلى هذا النحو ورد عدد من النصوص الحاثثة على الاقتصاد في العبادة، والتحذير من المبالغة فيها. وذلك ما يدعو إلى التزام أقصى درجات التوازن في حثّ الأبناء على الدين، فلا نحملهم فوق طاقتهم، ولا نضخم في أعينهم القضايا العبادية والشعائرية، فقد يتقبّل الشاب ذلك في ذروة حماسه واندفاعه الديني، لكن ربما انقلب ذلك إلى ردّ فعل سلبي مع تلاشي ذلك الحماس.

فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها وعندها امرأة، فقال من هذه، قالت هذه فلانة، تكثر من صلاتها.. فقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما يشبه الزجر: «مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يملُّ الله عزَّ وجلَّ حتى تملُّوا، ولكنَّ أحبَّ الدين إليَّ ما داومَ عليه صاحبُه»^(٢). وروي أنه «جاء ثلاثُ رهطٍ إلى يبيوت أزواج النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟ قد غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أَحَدُهُم: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وقالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فجاءَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: (أنتُم الذين قتلتم كذا وكذا؟ أما واللهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصومُ

(١) الكافي، ج ٢، ص ٤٣.

(٢) صحيح النسائي، حديث ١٦٤١.

وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

إنَّ جميع ما سبق لا يعني التقليل من شأن العبادة أو الالتزام بالشعائر الدينية. وإنَّما المقصود منه لفت النظر إلى أنَّ للعبادات أهدافاً في الحياة، ينبغي ألاَّ نغفل عنها، وأنَّ يكون هناك توازن في التوجه نحو هذه العبادات والشعائر، حتى لا تكون على حساب المهام الأخرى، من العمل وطلب الرزق، وخدمة الناس، والبحث العلمي، وإعمار الأرض، فهذه كلُّها مصادر للأجر والثواب الإلهي، تضاهي الثواب المتأتي من سائر العبادات. فلا بدَّ أن تتحلى المجتمعات بالتوازن في الفهم الديني من جهة، والسلوك العملي من جهة أخرى، فقد جاء عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «اجتهدت في العبادة وأنا شابٌّ، فقال لي أبي: يا بني دون ما أراك تصنع، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ عبداً رضي عنه باليسير».

(١) صحيح البخاري، حديث ٥٠٦٣.

مجتمعاتنا وما يصرفها عن إنتاج العلم

﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا
يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: ١٠١].

جاء التصميم الإلهي لخلق الإنسان بالشكل الذي يؤهله للقيام بوظيفته ودوره في هذا الكون، فقد خلقه الله تعالى لإعمار الأرض، كما تقول الآية الكريمة: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود: من الآية ٦١] أي أراد منكم عمارتها.

حيث منح الله تعالى الإنسان ما يؤهله لذلك وهي القدرات العقلية، كال تفكير والملاحظة والاستنتاج، والقدرات النفسية كالإرادة والطموح والتحمل.

ويحرك الإنسان لتفعيل قدراته عاملان: عامل الحاجة والتحدّي للظروف الطبيعية التي يواجهها في هذه الحياة، وعامل الفضول الذي أودعه الله في أعماقه ليتساءل عمّا حوله، ويبحث عمّا وراء الظواهر التي يشاهدها في عالم الوجود.

هذا الفضول أو الرغبة في المعرفة هو الذي يستفزّ عقل الإنسان ليتساءل ويبحث ويسجّل الملاحظات، ويضع الاحتمالات، ومن ثم ينتج النظريات، ويقوم بالتجارب، ليحقق الاكتشافات، ويصنع الإنجازات.

وكما يشير أحد الباحثين فإنّ ذلك الفضول العلمي هو الذي كان يملأ وجدان (دارون) حين التحق سنة ١٨٣١ م بالباخرة الاستكشافية التي دارت حول الأرض

في خمس سنين، وعمره يومئذٍ اثنين وعشرين عامًا، وراح يلاحظ الكائنات الحيّة في القارات والجزر والبحار، ويقارن بينها بشغف، حتى وضع نظرياته في أصل الأنواع، وفي النشوء والارتقاء، والانتخاب الطبيعي، فحرّك بها ساكن المعرفة على هذا الصعيد، وأصبحت محل أخذ وردّ.

وهو ذات الدافع الذي حرّك العالم الهولندي (ليفون هوك) ليرى الكائنات الأصغر مما تراه العين المجردة، فانهمك في تطوير العدسات وتكثيف التجارب عليها لعدد من السنين، حتى اكتشف عام ١٦٧٤م من خلال عدساته الكائنات الدقيقة التي سمّيناها الجراثيم.

ونجد مثل ذلك في مسيرة العالم الإيطالي غاليليو، الذي ألحّت على ذهنه التساؤلات حول علاقة الأفلاك والأجرام ببعضها، وقام بعملٍ وجهدٍ دؤوب لتطوير تلسكوب قاده إلى العديد من الملاحظات والاكتشافات الفلكية^(١).

البيئة الاجتماعية وتنمية القدرات العلمية

هذه القدرات وال ميول التي تدفع الإنسان للاكتشاف والاختراع، تحتاج إلى تنمية ورعاية واهتمام، من قبل الفرد ذاته، ومن خلال البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها، أما حين يتجاهل الفرد ما تنطوي عليه نفسه من قدرات واستعدادات، أو حين يعيش ضمن بيئة تفتقد الأجواء المشجّعة، فإنه لن يسلك هذا الطريق.

وهذا هو سرّ التفاوت بين مجتمعات تنجب المبدعين والمخترعين، وتنتج العلم والمعرفة، وبين مجتمعات تعيش التخلف والركود.

إن الهدف الأساس للدين الإلهي هو إثارة عقل الإنسان، واستنهاض قدراته وطاقاته، ليتأمل في ذاته، ويستكشف الكون من حوله، ويدرس الطبيعة التي تحتضنه، وبذلك يعرف عظمة القدرة التي أنشأت الكون والحياة، ويدرك مهمته في الوجود،

(١) إبراهيم كشت. الفضول بمعناه الإيجابي ومعناه السلبي. جريدة الرأي الكويتية الصادرة بتاريخ الأربعاء

المتمثلة في الخضوع لله وإعمار الأرض، عن طريق العلم والمعرفة، والعمل والحركة. لذا نجد معظم آيات القرآن الكريم تدعو إلى التفكير والنظر والتعقل، يقول تعالى:

■ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٢١].

■ ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٨٥].

■ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [سورة الغاشية، الآيات ١٧-٢٠].

وحين استجابت الأمة الإسلامية لنداء مثل هذه الآيات القرآنية، أصبحت أمة رائدة على مستوى الحضارة والإنتاج العلمي، وبرز فيها العلماء المبدعون، الذين انفتحوا على تجارب الأمم الأخرى، واستوعبوها وطوروها، وأضافوا باكتشافاتهم واختراعاتهم مكاسب جديدة، ومنجزات عظيمة، في مسيرة العلم والحضارة الانسانية. هكذا كانت الأمة في ماضيها الزاهر، أما واقع الأمة في الزمن الحاضر فهو على العكس من ذلك تمامًا، حيث تفصلها عن ركب الحضارة مسافة بعيدة، ولا يكاد يذكر لها إسهام في مجال العلم والمعرفة.

وكأن الأمة قد أدارت ظهرها لمعظم آيات قرآنها المجيد، واكتفت بعدد من الآيات حول العبادة والشعائر الدينية.

إن أبناء مجتمعاتنا لا ينقصهم شيء من المؤهلات الذاتية لنيل المعرفة، ولتحقيق الإبداع والإنجاز العلمي، لكن ما ينقصهم هو البيئة المشجعة والأجواء الدافعة.

الانشغال بالصراعات السياسية والدينية

فمنذ زمن طويل تفتقد مجتمعاتنا الإسلامية الاستقرار السياسي، حيث تخضع للاستبداد، وتتفجر فيها الصراعات السياسية القاتلة، مما يعطي الأولوية لمعارك

الصراع، وحرص كل طرف على امتلاك أقوى أدوات المواجهة للطرف الآخر، ويستنزف القدرات والإمكانات الوطنية، وكل ذلك على حساب التنمية، واهتمامات التقدم العلمي.

كما لا تزال الاختلافات الدينية تشغل مساحة واسعة من اهتمامات الناس في مجتمعاتنا، رغم مرور الأزمنة والقرون على نشأة هذه المذاهب المختلفة، لكن الجدل والنزاع لا يزال مستعراً بين أتباعها، يخبو تارة ويتأجج تارة أخرى، بما يستتبعه من إثارة للضغائن والأحقاد، وانقسام في المجتمعات، وتزييف للاهتمامات.

في مثل هذه البيئة المنشغلة بالصراعات السياسية، والاختلافات الدينية، من الطبيعي أن ينحسر الاهتمام بالعلم، وألا تتوفر فرص الإبداع والإنجاز المعرفي، ولا حرية التفكير والبحث العلمي.

العائلة ورعاية مواهب الأبناء

من ناحية أخرى فإن أبناء مجتمعاتنا يفتقدون الأجواء المشجعة والدافعة لهم للإبداع والإنجاز العلمي، بدءاً من العائلة، التي لا تتعامل مع أبنائها على أساس أنهم مشاريع لعلماء ومبدعين، وغاية ما تطمح إليه العائلة غالباً، هو حصول أبنائها على شهادات تؤمن لهم الوظائف لتسيير حياتهم المادية.

أما التعليم في بلداننا فأبعد ما يكون عن تربية الذهنية العلمية؛ لأنه يعتمد أسلوب التحفيظ والتلقين، ولا يمتلك معظم المعلمين مؤهلات تنمية مواهب الطلاب، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، كما تنقص كثير من المدارس أدوات ومختبرات البحث العلمي.

وليس هناك جهد أهلي يذكر لتشجيع البحوث، وإنشاء مراكز الدراسات، وتحفيز الباحثين.

في مثل هذه البيئة، وهذه الأجواء، التي تعيشها مجتمعاتنا، ليس متوقعاً لأبنائنا أن

يلتحقوا بركب المبدعين والمنتجين للعلم، إلا ضمن حالات فردية محدودة.

وخلال هذا الأسبوع، أعلن في الرياض بتاريخ الثلاثاء ٨ ربيع الآخر ١٤٣٧ هـ، عن أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية، حيث فازت شخصيات عربية بالجائزة في ثلاثة فروع منها، هي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، واللغة العربية، أما في المجال العلمي فقد فاز أستاذان هولنديان بجائزة الطب، وأمريكي وبريطاني بجائزة العلوم.

وفي جميع الأعوام السابقة، كان الفائزون بجائزة الملك فيصل في فروع الطب وعلوم الطبيعة هم من الأجانب، إلا ما ندر، بينما تبقى فروع الجائزة في المجال الديني والأدبي ضمن حصة المسلمين، حيث لا يتأهل أبناؤهم لمنافسة الآخرين في مجالات العلوم الطبيعية إلا نادراً.

من هنا فإن أيّ اختراق لهذا الركن العلمي السائد في مجتمعاتنا، ينبغي استقباله بحفاوة واهتمام، لتوجيه أنظار أبنائنا نحو الطموحات العالية، وتشجيع الاهتمام العائلي برعاية مواهب الأبناء، وصناعة الأجواء الاجتماعية الدافعة نحو الإبداع والتقدم.

كوكب الحمود

وقد حمل لنا الأسبوع الماضي خبراً سعيداً يثلج الصدر على هذا الصعيد، وهو ما أعلنته وكالة ناسا العالمية لعلوم الفضاء من إطلاق اسم أحد أبناء محافظة القطيف الطالب المبتعث عبد الجبار عبدالرزاق الحمود، على الكوكب الجديد الذي تم اكتشافه مؤخراً، حيث سُمّي الكوكب باسم (الحمود) تقديراً لما حققه من نجاح في أبحاثه العلمية، وذكرت وكالة ناسا أنّ تسمية الكوكب (alhamood 31926) يأتي تكريماً للطالب عبد الجبار عبدالرزاق الحمود (مواليد سنة ١٩٩٦ م)، بعد فوزه بأفضل بحث على المستوى العالمي، إضافة إلى تحقيق الطالب الحمود المركز الأول في بحوث علم النبات في برنامج انتل ايسف العالمي ٢٠١٥ في الولايات المتحدة الأمريكية. كما تم تكريمه

من قبل جائزة «نوبل» في حفلها الأخير المقام في السويد بتاريخ ١٠/١٢/٢٠١٥م الذي حضره العديد من العلماء والباحثين الفائزين بجوائز «نوبل العالمية» منهم الطبيب الإيرلندي وليام كامبل (مجال الطب الحيوي) والياباني تاكاهي كاجيتا (مجال الفيزياء) والبريطاني أنغس ديتون (مجال الاقتصاد) والطبيب الياباني ساتوشي أومورا (مجال الطب الحيوي) وكذلك الأمريكي بول مودريش (مجال الكيمياء).

وقد استمع كل هؤلاء العلماء إلى البحث الذي قدّمه عبدالجبار الحمود، والذي كان بعنوان «استخدام فيروس TRV عن طريق تحرير الجينوم باستخدام نظام RISPR / Cas9»، وقد عرض الحمود نتيجة بحثه، حيث تمكن من التخلص من الفيروس عن طريق حقن النبات بفيروس مضاد، لتصبح النبتة خالية من الفيروسات الضارة، وإمكانية زراعة نباتات مثمرة في بيئة غير بيئتها مثل صحراء السعودية، وقد ثبتت هذه التجربة في مختبرات كاوست.

وقد أثنى على بحثه هذا كبار العلماء من الحضور، حيث اعتبروه بحثًا مثاليًا، وثورة في عالم جينات النبات، وتم تكريمه ومنحه جائزة مقدارها ٨٠٠٠ دولار أمريكي من قبل المركز.

إنّ هذا الإبداع والتفوق كان نتيجة جهد دراسي مكثف بذله هذا الطالب في مرحلة دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية، حيث يواصل الآن مرحلة البكالوريوس بجامعة بوسطن الأمريكية، في تخصص هندسة طب وهندسة أحياء حيوية.

فقد صقل عبدالجبار شغفه العلمي من خلال الصحف الإلكترونية العلمية، والبحوث العالمية التي تنمي إدراكه، عندما كان في المرحلة الابتدائية، حتى إنّ كان يقوم بتبسيط المعلومات الدراسية لزملائه في الفصل، فقد كان مثالاً للطالب الملتزم الذي لم يتخلف عن حضوره للحصص اليومية، كما كان يتطوع في الجمعيات الخيرية ليقدم أبحاثه العلمية للطلبة الصغار.

شارك عبد الجبار الحمود في العديد من المسابقات العلمية أثناء دراسته في المرحلة المتوسطة والثانوية في السعودية، حيث حصل على ميدالية ودرع وجوائز رسمية أخرى في مجال الروبوت، كما وصل للمرحلة النهائية في المشاركة بمسابقة بحث نظام الحماية من الحرائق على مستوى المنطقة الشرقية، وحصل على المركز السادس على المستوى المحلي والثالث عربياً لمشاركته في برنامج ايسك الذي أقيم في قطر.

وكان لبيته العائلية دور أساس في تشجيع موهبته وطموحه العلمي، فوالده كان يعمل مهندساً استشارياً في شركة أرامكو السعودية، ووالدته معلّمة، ولاهتمامهما بتربية أبنائهما، فإنّ إخوة عبد الجبار وأخواته جميعاً من ذوي الشهادات العلمية المتقدمة.

بسمات المعلم وإنجازها العلمي

وتزامناً مع هذا الإنجاز الرائع للحمود، حققت إحدى بنات المحافظة إنجازاً علمياً مشابهاً، حيث حصلت الطيبية المبتعثة بسمات محمد المعلم على جائزة أفضل بحث على مستوى أوروبا في فئة أبحاث طبّ العيون، مقدمة من منظمة دعم أبحاث أمراض العيون الأوروبية «FRO» Funds for Ophthalmology Research.

يأتي ذلك نظير اكتشافها لطفرات وراثية جديدة تتسبب في إصابة العيون بمرض الرأرأة الخلقي «congenital nystagmus» وهو شكل من حركات العين اللاإرادية، التي تؤدي إلى خلل الرؤية وضعفها لدى الأطفال.

إضافة لتقديمها لبحث تفصيلي يسهم في تطوير هذا الاكتشاف والحدّ منه في محاضرة قدمتها بمؤتمر طبّ العيون المنعقد في شهر أكتوبر المنصرم بمدينة نيس الفرنسية «European Association for Vision and Eye Research» «EVER»..

وتمّ تكريم الطيبية المعلم بحفل الجوائز المنعقد ضمن برنامج مؤتمر طبّ العيون البلجيكي بمدينة بروكسل «Ophthalmologica Belgica» «OB» يوم الأربعاء الموافق ٢٠١٦/٠١/١٣م.

ونال هذا البحث على جائزة بقيمة ٨٥٠٠ يورو إضافة إلى حصولها على أفضل محاضرة قدمت في المؤتمر من حيث الأداء والمحتوى، ونيلها على جائزة بقيمة ١٠٠٠ يورو Travel Grant for the best presentation.

وأوضحت الطبيبة المعلم التي تدرس الدكتوراه في تخصص أمراض العيون الجينية بجامعة جنت البلجيكية، أنّ هذه الدراسة استغرقت مدة عامين، تخللها الفحص الإكلينيكي للحالات المرضية، واستخلاص الحمض النووي، ودراسة الطفرات المسببة للمرض، وتحديد مدى خطورتها، وكيفية الحد منها.

وتم نشر هذا البحث في مجلة طب العيون الأمريكية «IOVS Journal» وهي مجلة علمية محكمة، تحتل المرتبة الخامسة عالمياً على مستوى المجلات العلمية في تخصص طب العيون، حسب تصنيف ISI web of knowledge.

إنّ ما حققه الحمود وما حققته بسمات المعلم من إنجاز علمي نفخر به، يجب أن يكون دافعاً لأبنائنا وبناتنا نحو الجدّ والاجتهاد في دراستهم، وإقبالهم على العلم والمعرفة بالثقيف الذاتي، والمشاركة في النشاطات العلمية المحلية والدولية.

كما يجب أن يكون محفزاً للعوائل للاهتمام بتعليم أبنائها وبناتها وتنمية مواهبهم وقدراتهم، ليكونوا مشاريع إنجاز وإبداع.

وعلى المجتمع أن يحتفي بالطاقات المبدعة، والكفاءات المتميزة، تقديراً لها، ولتصبح نماذج اقتداء لأجيالنا الصاعدة.

كما لا يفوتنا الإشادة بالمؤسسات الوطنية المهمة برعاية الموهوبين والمبدعين، كمؤسسة موهبة، وجامعة كاوست.

نسأل الله تعالى أن يوفق أبنائنا المبدعين لمواصلة مسيرتهم العلمية وتحقيق المزيد من العطاء والإنجاز، لخدمة وطنهم ومجتمعهم، وخدمة البشرية جمعاء. كما نسأله تعالى لوطننا الرقي والازدهار والأمن والاستقرار.

تنمية الدخل وترشيد الإنفاق

﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٧].

يترك الوضع الاقتصادي الشخصي تأثيره الكبير على حياة الإنسان. ذلك أنه متى توفرت للمرء القدرة المالية، فإنَّ حياته ستكون أفضل، من حيث تلبية احتياجاته، والتمكّن من الترفيه عن نفسه وعن عائلته، إلى جانب تعزيز وضعه الاجتماعي. وعلى النقيض من ذلك، إذا انخفضت القدرة المالية عند الفرد، وأصبح يعيش ضغطاً اقتصادياً، فإنَّ ذلك ينعكس سلبياً على وضعه النفسي، وحياته العائلية، ومكانته الاجتماعية، وهذا من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى أمثلة وشواهد.

ويعتمد تحسّن الوضع الاقتصادي للفرد على أمرين؛ توفير الدخل الكافي، والتدبير المناسب في المعيشة، حيث يمثل توفير المال ركناً مهماً، فيما يمثل حسن الإدارة للمعيشة الركن الآخر. فلا ملازمة بين توفير الدخل المالي الجيد، وبين تحقيق الحياة الطيبة، بقدر ما أنّ ذلك مشروط بحسن الإدارة للدخل المالي.

زيادة الدخل

ينبغي التأكيد على أهمية أن يرفع الفرد من دخله المالي ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فلا ينبغي أن يكتفي بدخل محدود، بل عليه أن يجتهد ويسعى لتوفير القدر الأكبر من الدخل، فذلك ما يشجّع عليه الإسلام، فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال»^(١)، قد يكون مفهومًا أن يصطدم المرء بانعدام فرص العمل أو محدوديتها، لكن ما هو غير مفهوم، أن تأتي محدودية الدخل نتيجة الكسل والميل للدعة والراحة، في ظل وجود فرص قائمة، وهذا خطأ كبير، ذلك أن الراحة الحقيقية لا تتأتى إلا من خلال الكدح والحركة الدؤوبة، بينما السكون وقلة الحركة سبب رئيس للأمراض الجسمية، وعامل أساس للمشاكل النفسية.

من هنا ينبغي للإنسان أن يواصل الكدح والعمل دون أن يقيد نفسه بعمر معين، وبصرف النظر عن النظم المستحدثة من قبيل نظام التقاعد عن العمل، التي جاءت ضمن سياق العمل الوظيفي، والتطورات التي فرضتها النظم الاقتصادية، فلا ينبغي أن يبقى بلا عمل يشغل وقته، ويزيد من نشاطه وحركته.

مجالات العمل المختلفة

على الإنسان أن ينخرط ضمن مجالات العمل المختلفة، في سبيل تحسين وضعه الاقتصادي، ومضاعفة دخله المالي. وهذا ما يجعلنا نشيد ببعض الشباب، الذين لم تمنعهم الوظيفة ذات الدخل المحدود، من البحث عن فرص عمل إضافية، والانخراط في أعمال أخرى، على النقيض من البعض الآخر، الذين لا يبخلون في سرد الأعداء تبريراً لتقاعسهم، وكأنهم ينتظرون أن تدلّل جميع العقبات أمامهم، وأن يكون الطريق مفروشاً أمامهم بالورود.

لقد سطر أئمة أهل البيت ﷺ أمثلة حيّة للكّد والسعي في سبيل الرزق الحلال. فقد ورد عن محمد بن علي بن الحسين أنه قال: «كان أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) كنز العمال: ج ٤، ص ٤، حديث ٩٢٠٠.

طالب ﷺ يخرج في الهاجرة، في الحاجة قد كُفيها، يريد أن يراه الله يتعب نفسه في طلب الحلال»^(١)، أي إنّه كان ﷺ يخرج للعمل وقت الظهيرة والشمس الحارقة، ولم يكن مضطراً إلى ذلك.

وليس صحيحاً الاعتقاد الشائع عند بعض الميسورين من الناس، من أن توفرهم على المال الكافي يعفيهم عن المزيد من العمل، ويوفرّ عليهم عناء مضاعفة الدخل، بل ينبغي لهؤلاء ألاّ يستنكفوا عن زيادة الخير الذي بحوزتهم. وقد روي عن الإمام الصادق ﷺ أنه رأى أحد أصحابه جالساً عنده في المجلس، فسأله عن سبب عدم نزوله إلى السوق واشتغاله بالتجارة كما هو معروف عنه؟ فأجاب الرجل قائلاً: «... عندي مال كثير. وهو في يدي، وليس لأحدٍ عليّ شيء، ولا أراني أكله حتى أموت، فقال ﷺ: لا تتركها فإنّ تركها مذهبة للعقل»^(٢). وجاء في رواية أخرى أنّ الإمام قال له: «اغدُ إلى عرك»^(٣). حيث إنّ الخمول والإحجام عن العمل والحركة مدعاة لضیاع الخبرة، ولا يعوّض عنه مواظبة الرجل على حضور مجلس الإمام.

بل إنّ الإمام الصادق ﷺ يقدّم نفسه أنموذجاً على هذا الصّعيد، حيث ورد عنه ﷺ أنه قال: «إنّي لأعمل في بعض ضياعي حتى أعرق وإنّ لي من يكفيني، ليعلم الله عزّ وجلّ أنّي أطلب الرزق الحلال»^(٤)، وبذلك تكون الاستطاعة مدار الاستمرار في العمل وطلب الرزق، لا مجرد الاستجابة لعنصر الحاجة، فمتى ما توفّرت الاستطاعة فإنّ على المرء البحث عن العمل الذي يتناسب وقدراته، سيّما وقد ساهم التطور التكنولوجي في توفير أعمال يمكن تأديتها عن بعد ومن خلال الإنترنت، التي أثرى من خلالها كثيرون.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٦٣، حديث ٣٥٩٦.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ١٤، حديث ٢١٨٥٩.

(٣) وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ١٠، حديث ٢١٨٤٤.

(٤) الكافي، ج ٥، ص ٧٧، حديث ١٥.

حسن الإدارة والتدبير

إنّ هناك صنفاً من الناس بعيدون عن التفكير في الموازنة بين دخلهم المالي ومستوى الإنفاق، إنّ أكثر العائلات لا تضع ميزانية تراعي التوازن بين الدخل والصرّف، ويجري من خلالها تحديد مقدار الصرّف على كلّ بندٍ من بنود المعيشة، من المأكل والمشرب، والملابس والمواصلات والترفيه، حيث تجتاح مجتمعاتنا نزعة استهلاكية شرهة، هي المسؤولة عن سوء الأوضاع الاقتصادية لدى كثير من العائلات، فبعض الناس يذهب إلى السوق دونما هدف محدّد، على أمل أن يرى شيئاً يشتريه!، هكذا تحوّل التسوق إلى هواية ومنتعة!.

إنّنا مدعوون إلى إعادة النظر في كثير من عادات الاستهلاك في مجتمعاتنا. خاصة وأنّ بلادنا مقبلة على ظروف اقتصادية صعبة، دفعت حكومات المنطقة إلى إعادة النظر في ميزانياتها وترتيب أولوياتها، نتيجة انهيار أسعار النفط، المورد الاقتصادي الأساس، إلى جانب اشتعال المنطقة بالحروب المدمّرة، التي استنزفت ثروات الشعوب، لصالح صفقات السلاح، والإنفاق السّخي لاستقطاب الحلفاء، ناهيك عن التضخّم الاقتصادي القائم.

إنّ هذه العوامل بأجمعها تفرض على كلّ مواطن أن يعيد النظر في نفقاته المالية، فليس صحيحاً أن يبقى مستوى إنفاق الأسرة اليوم، على ذات القدر الذي كان عليه في الماضي، حين كان الوضع الاقتصادي مختلفاً، فقد تضاعفت الرسوم الحكومية، وزادت أسعار السلع والخدمات، من ماء وكهرباء ووقود، وهذا ما يستوجب ترشيد الإنفاق تبعاً للظروف القائمة، وليس من المعيب أن تجري العائلات إعادة النظر في مستوى الإنفاق، وإنّما الخطأ هو إغفال هذا الأمر. وينبغي أن يجتمع كلّ ربّ أسرة مع أفراد عائلته، ويطلعهم على المستجدات الاقتصادية، التي تستوجب الترشيح، والحدّ من الإنفاق.

وهناك منهج قرآني واضح لإدارة الإنفاق وتدبير المعيشة. حيث يقول تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، إن مدار الإنفاق يقوم على مدى توفر القدرة المالية، فمتى ما توفر المال فلينفق المرء بالحسنى، أمّا إذا ضعفت القدرة المالية، فينبغي أن يأخذ ذلك بعين الاعتبار، حتى إذا تحسّنت الظروف، وعبرت المنطقة الأزمة الاقتصادية، فلكلّ حادث حديث. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «صلاح العيش التدبير»^(١)، وجاء عنه عليه السلام أنّه قال: «القليل مع التدبير أبقى مع الكثير مع التبذير»^(٢).

عادات اجتماعية ضاغطة

وتشكل العادات الاجتماعية عاملاً ضاغطاً حيال مسائل الإنفاق، إلا أنّ ذلك لا يُشكّل مبرراً كافياً للانسياق أو التأثير بالعادات والأعراف السائدة، إذا كانت زائدة عن الحدّ المعقول.

في دراسة نشرتها صحيفة «الاقتصادية»^(٣)، ذكرت أنّ ٦٤ بالمئة من الشباب السعوديين يعزفون عن الزواج بسبب التكاليف الباهظة، بينما يشتكي المجتمع من تزايد حالات العنوسة، وتأخر سنّ الزواج، أولسنا نحن الذين زدنا مسألة الزواج تعقيداً، وجعلنا منه عملية مرهقة؟ وأضافت الدراسة أنّ ٣٧ بالمئة من تكاليف الزواج تذهب لتغطية استئجار القاعة التي يقام فيها العرس، ناهيك عن العادات والأعراف المستجدة التي تتزايد بين حين وآخر، فلم يعد يُكتفى باحتفال واحد يقام ليلة العرس، بل صار لعقد القرآن احتفاله الخاصّ أيضاً، ولم يبقَ إلا أن يقيم البعض احتفالاً خاصاً ساعة يفكّر بالزواج!، ليدعو الناس لحضور حفلة اتّخاذ قرار الزواج!

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٣٧، حكمة ١٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٥٤، حكمة ١٦٥٦.

(٣) صحيفة الاقتصادية، الثلاثاء ١٦ ربيع الآخر ١٤٣٧ هـ. الموافق ٢٦ يناير ٢٠١٦ م، العدد ٨١٤٢.

إن العادات المكلفة مالياً ربما لا تشكل عائقاً أمام المقتدرين، إلا أنها تمثل ورطة وعبئاً يرهق غير المقتدرين. فقد يقول المقتدرون إن عندهم خيراً ويرغبون في عقد أكثر من احتفال بمناسبة زواج ابنهم أو ابنتهم، ولهم أن يفعلوا ذلك إذا توقف الأمر عندهم، غير أن ما يجري هو انتشار هذه العادات في المجتمع، وشيئاً فشيئاً تصبح تقليداً وعرفاً اجتماعياً سائداً، فيتورط بها أغلب الناس، فإن جاروا الأغنياء في عاداتهم أرهقوا، وإن نأوا بأنفسهم عن ذلك وقعوا في حرج اجتماعي. وأتذكر في هذا الشأن أن أحد الأشخاص من ذوي الدخل المحدود كان يطلب قرضاً مالياً قدره ٦٠ ألف ريال، ولما استفسرت عن مبرر الاقتراض؟ أجاب: بأنه يريد تغطية تكاليف زواج ابنته، متعللاً بضرورة الاستجابة للأعراف السائدة في مسألة الزواج، واللافت أنه لم يكن يملك ما يسدّد به هذا القرض فيما بعد!

إن الميسورين مالياً يتحملون جانباً من المسؤولية في سنّ بعض العادات المرهقة. وهذا الأمر منبوذ شرعاً، متى كانت له انعكاسات سلبية على الآخرين، وقد ورد في هذا الشأن عن الحسين بن أبي العلاء قال: «خرجنا إلى مكة نيفاً وعشرين رجلاً، فكنت أذبح لهم في كل منزل شاة، فلما أردت أن أدخل على أبي عبد الله عليه السلام قال: يا حسين، وتذلّ المؤمنين؟ قلت: أعود بالله من ذلك، فقال: بلغني أنك كنت تذبح لهم في كل منزل شاة، فقلت: ما أردت إلا الله، قال: أما علمت أن منهم من يحب أن يفعل مثل فعالك فلا يبلغ مقدرته فتقاصر إليه نفسه، قلت: أستغفر الله، ولا أعود»^(١).

وفي ذلك رسالة بالغة، مفادها أن لو كان الإنسان مقتدرًا على الإنفاق الباذخ في المناسبات الاجتماعية الخاصة، فإن عليه أن يفكر أكثر من مرة في إمكانية أن يرسي بفعله ذاك عرفاً وتقليداً اجتماعياً يتسبب في إحراج الآخرين، الذين سرعان ما سيجدون أنفسهم معنيين بفعل الشيء نفسه، دون مقدرة منهم، إلا استجابة للضغط الاجتماعي.

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤١٥، حديث ١٥١٤٢.

نحن مطالبون بإعادة النظر في بعض عاداتنا المكلفة، والإحجام عن الانسياق خلف السائد منها، فليس صحيحاً أن يستدين المرء رغبة في إرضاء الناس، ودرء انتقادهم له، فليتكلم الناس ما شاؤوا، سيما وقد جرّت بعض العادات الاجتماعية مشاكل عائلية كبيرة، وكثيراً ما بلغتنا مشاكل عائلية نتيجة عجز الزوج عن تلبية رغبة زوجته في شراء هدية باهظة الثمن، لتقدّمها إلى قريبتها أو صديقتها في مناسبة أو أخرى، وبذلك تتسبب بعض هذه الأعراف بأضرار فادحة تصيب شبكة العلاقات والحياة العامة.

استلاب العقول بإسم الدين



﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا
الْحَيَاتِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٨].

تمتلك المجتمعات الدينية رصيذاً كبيراً من الوازع الديني، الذي يفترض أن يرفع مستوى الالتزام بالقيم والمبادئ فيها، ويجعلها أفضل مما سواها في انخفاض حالات المفساد والجرائم والانحرافات. غير أن المجتمعات الدينية باعتبارها مجتمعات بشرية، ليست محصنة عن المفساد والمساوي، ولعل أكبر خطر يمكن أن تتعرض له هو خطر التحريف الديني، وقيام مراكز قوى تستفيد من التزييف والفهم السيئ للدين.

لقد تناولت آيات الذكر الحكيم مسألة انحراف المؤسسات الدينية في المجتمعات السابقة، ليس من باب التنديد فقط، وإنما للتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه، من الغفلة عن انحراف مؤسساتهم الدينية، الأمر الذي قاد تلك المجتمعات للدمار، فالقرآن الكريم يريد أن يحذّر المسلمين ويحثهم على اليقظة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣٤]، وجاء في آية أخرى، قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٣]، ويشير المفسرون إلى أن مقصد الآية الكريمة هم العلماء الذين أوتوا الكتاب حصراً، وهم الذين أحدثوا الفرقة والخلاف في مجتمعاتهم.

لذلك، يمكن القول إن المجتمعات الدينية الواعية هي التي تتمسك بقيم الدين، أكثر من تمسكها بالرموز والأشخاص. فالتمسك بالدين لا يعني الخضوع للأشخاص والرموز وجعلها بمنزلة الدين؛ لأن الدين قيم ومبادئ، وليس للرموز والأشخاص قداسة إلا بمقدار التزامها بتلك القيم وتقيدها بتلك المبادئ، فمتى ما حدث تباين بين هذه الرموز وبين قيم الدين، فلا قداسة لها، وعلى المجتمع أن يرفضها، وإلا فيسكون بمنزلة من يتخذ إلهاً آخر، ويتعبد بدين مختلف، من هنا جاء في الآية قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣١].

إن التحريف الديني واتباع رموزه هو أكبر خطر يمكن أن يواجه أي مجتمع. وأمتنا الإسلامية كسائر الأمم ليست بمنأى عن هذا الخطر، فقد واجهت طوال تاريخها بروز من يتسبون للدين والمنخرطين في المؤسسة الدينية، لكنهم ضالعون في التحريف الديني، كما في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾، وإذا كان هناك من بلاء خطير يواجه الأمة اليوم، فهو ذلك المتمثل في وجود جهات منتسبة إلى الدين، تستقطب أبناء الأمة باسمه، وترزع فيهم كل ما يخالف قيمه، وتدفعهم إلى تدمير مبادئه.

هذا الدين الذي يدعو إلى العدل والإحسان، والتألف والمحبة، جعلت منه هذه الفئات ساحة للعنف والإرهاب والاحتراب، إنهم يتشبثون بمظاهر التدين، ويلتفون حول أسماء ورموز دينية، من قبيل «الدولة الإسلامية»، والخلافة الإسلامية، وشعارهم وعلمهم ترسم عليه الشهادتان، غير أنهم تحت هذه الراية لا يراعون عن انتهاك حرمة بيوت الله، وضرب شعائر الدين، من خلال ارتكاب التفجيرات الانتحارية، وقتل الأبرياء في المساجد، وآخرها ما جرى في الأسبوع الماضي من اعتداء على المصلين في مسجد الإمام الرضا في حيِّ محاسن بالأحساء^(١)، ولولا العناية الإلهية، ووجود

(١) حادث اعتداء عن طريق إطلاق النار والأحزمة الناسفة نفذه شخصان، وقع في يوم الجمعة ١٩ ربيع الآخر ١٤٣٧ الموافق ٢٩ يناير ٢٠١٦ ضدَّ مصلين في مسجد الإمام الرضا بحيِّ محاسن بمدينة المبرز في محافظة الأحساء ونتج عنه مقتل ٥ أشخاص وإصابة ٣٦ آخرين بينهم ٣ رجال أمن.

الحماية التي دفعت الأسوأ، لكانت الكارثة أعظم. فأَيُّ دينٍ هذا الذي يعتنقون؟ وكيف استلبت عقول هؤلاء ومسخت نفوسهم؟ وكيف لإنسان أن يرتكب هذه الفظائع باسم الدين؟

استلاب العقل

ومع التسليم بأن مواجهة الإرهاب والتطرف تحتاج إلى خطوات كثيرة، إلا أننا نشير هنا إلى مسألة مهمّة، هي استلاب العقل باسم الدين. وهذه معضلة قد يبتلى بها أيُّ متديّن، مع اختلاف درجة الابتلاء، إن ما نراه في هؤلاء الإرهابيين هو صورة مكبّرة لحالة استلاب العقول وتغييبها تماماً باسم الدين، غير أن هذه الصورة يمكن أن تتجلى بدرجة أو أخرى عند كثير من المتديّنين.

يفترض في الإنسان المتديّن أن يعرف أن الدين مبادئ وقيم، ولا يصحّ له أن يتنازل عن شيء من تلك القيم والمبادئ؛ لأنّ فلاناً أمره، أو أفتى له، فهذا عين العبادة لهذا الشخص أو ذاك، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، ذلك أنّ طاعة أيّ أحدٍ فيما هو خارج عن قيم الدين ومبادئه، هو عبادة له. ومما روي في هذا الشأن، بعد نزول الآية الكريمة، أنّ عديّ بن حاتم قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: يا عديّ، اطرح هذا الوثن من عنقك! قال: فطرحته، ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سورة البراءة هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ حتى فرغ منها، قلت له: إنّنا لسنا نعبدهم! فقال: أليس يُحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه، أجاب: بلى، فقال ﷺ: فتلك عبادتهم^(١).

إنّ على الإنسان المتديّن أن يكون يقظاً، وأن تكون القيم الأساسية واضحة في

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٧، ص ٨٦١، حديث ٣٢٩٣، وأيضاً تفسير مجمع البيان، الشيخ

الطبرسي، ج ٥، ص ٤٣-٤٤.

ذهنه، حتى لا يستلب عقله على نحو أو آخر. يقول فولتير في هذا الشأن: «لا يعلم قسيسونا شيئاً، سوى أننا سريعو التصديق لما يقولون»، وهذا أجلى معاني اتّخاذهم أرباباً من دون الله.

استحضار العقل

إنّ هناك نصوصاً دينية كثيرة تُشدد على ألا يغفل الإنسان المتديّن عن عقله وفطرته. وقد أوردت مصادر الحديث، عن وابصة بن معبد أنّ النبي ﷺ قال له: «جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَجَمَعَ أَنَا مِلَّهُ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِيَهْنٍ فِي صَدْرِي وَيَقُولُ: يَا وَابِصَةُ، اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»^(١).

نحن نؤمن بأنّ الحسن والقبح أمران عقليّان، وأنّ ما يحكم به العقل السّوي يحكم به الشرع، وينبغي أن نعرض ما يقوله لنا هذا أو ذاك على العقل السّوي والفطرة السليمة، لا على العواطف والأهواء. من هنا ورد التأكيد على مرجعية العقل، حتى لا يقع المسلم في فخ الاستلاب العقلي من قبل أيّ جهة من الجهات، جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «دين المرء عقله، ومن لا عقل له لا دين له»^(٢)، وفي حديث آخر عنه ﷺ أنه قال: «إنّما يدرك الخير كلّّه بالعقل ولا دين لمن لا عقل له»^(٣)، وجاء عن أنس بن مالك، قال أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ فقال: كيف عقله؟ قالوا: يا رسول الله، نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسلنا عن عقله؟ فقال ﷺ: إنّ الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنّما يرتفع العباد غداً بالدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم»^(٤)، وورد عنه ﷺ: «إذا بلغكم عن رجل

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث ١٧٥٤٥.

(٢) كنز العمال، ج ٣، ص ٣٧٩، حديث ٧٠٣٣.

(٣) تحف العقول، ص ٥٤.

(٤) تحف العقول، ص ٥٤.

حسن حال فانظروا في حسن عقله، فإنما يجازى بعقله»^(١)، ومضمون هذه النصوص ألا معول على العبادة والتسك في ظل حماقة وغياب العقل، وانعدام فهم القيم الدينية فهماً صحيحاً، وإدراك الواقع إدراكاً دقيقاً.

وفي قصة لافتة وردت في نهج البلاغة، أن الحارث بن حوط جاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: «يا أمير المؤمنين، أتراني أظن أن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال الإمام عليه السلام: «يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتِكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَجَرَّتْ، إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ»^(٢). لقد استعظم الرجل أن يكون أصحاب الجمل على ضلال وفيهم شخصيات كبيرة!!.

وورد عن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: «خذوا الحق من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق، كونوا نقاد الكلام، فكم من ضلالة زخرت بأية من كتاب الله»^(٣)، يجب أن يكون الإنسان واعياً لا يقبل كل ما يعرض عليه، وإلا وقع في فخ استلاب عقله، كما هو حال الفئات الإرهابية في صورة مكبرة، بحيث يندفع الواحد منهم لقتل الأبرياء باسم الدين، لكنّها الحالة ذاتها يمكن أن تصيب أيّ متدين بصيغ وأشكال مختلفة، على نحو تدفع البعض لانتهاك حرّيات الناس باسم الدين، باغتيال هذا، وتسقيط ذاك، والنيل من آخر، فإن كان قتل الأبرياء جريمة كبيرة، فإن غيبة الناس وانتهاك حرّياتهم وتسقيطهم هو الآخر جريمة أيضاً، ولا يفرق بينها سوى حجم الجريمة، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «كلّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»^(٤)، وبذلك ينبغي أن يجري رفض من يدعو باسم الدين للنيل من الآخرين، وانتهاك حرّياتهم وأعراضهم، والإساءة لمومّزهم، تماماً كما يجري رفض

(١) الكافي، ج ١، ص ١٢، حديث ٩.

(٢) نهج البلاغة، حكمة ٢٦٢.

(٣) أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٢٢٩، حديث ١٦٩.

(٤) صحيح مسلم، حديث ٢٥٦٤.

من يدعو للاعتداء على أرواح الناس، فكلاهما ظلم وحرام.

خطر الحماس والاندفاع دون تعقل

إنّ مما يؤسف عليه، غياب القيم الدينية، واحتجاب العقل، حينما تسود حالات الحماس والاندفاع، فيصبح الناس أتباعاً لهذا أو ذاك دون وعي منهم ولا إدراك. فقد نشأ هؤلاء الإرهابيون ضمن مجتمعاتنا المحافظة المتديّنة، كانوا يرتادون المساجد، وبعضهم يرتاد حلقات تحفيظ القرآن، فكيف يخرج من بينهم من يفجر بيوت الله، ويقتل المصلين الأبرياء في وسط المساجد ودور العبادة؟ ما الذي أصاب عقله؟ وما الذي مسخ نفسه؟ على نحو دفع أحد هؤلاء الإرهابيين في تنظيم «داعش» إلى قتل والدته أمام جمع من الناس في مدينة الرقة بشمال سوريا، لمجرد أنّها نصحته بترك التنظيم، وأوردت وسائل الإعلام، أنّ الابن وشى بوالدته عند قيادات التنظيم فاعتبروها مرتدّة وحكم عليها بالقتل، وقام ولدها نفسه بإطلاق النار عليها أمام الناس^(١)، فأبيّ دين هذا؟، وليس الدين يقول: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾، فالله سبحانه يدعو إلى مصاحبة الأبوين بالمعروف حتى لو دعياه إلى ترك الدين، والشرك بالله، وضغطوا عليه في هذا الاتجاه، فيما يستجيب هذا الأخرق إلى أمر التنظيم بأن يقتل أمّه بنفسه.

وعلى غرار ذلك، ما حصل في المملكة، من إقدام بعض أفراد هذه الفئة على قتل آبائهم وأرحامهم، وكلنا يتذكّر المقولة المؤلمة: «تكفى يا سعد» التي ناشد بها أحد الأبرياء ابن عمّه الداعشي ألا يطلق النار عليه، وقد كان رفيق طفولته وزوج أخته، لكنه لم يرعو بل قتله بدم بارد، في منطقة نائية، تحت مزاعم ارتداده عن الدين، لمجرد عمله ضمن القوات المسلّحة السعودية^(٢)، وهذا غاية الاستلاب للعقول ومسوخ النفوس.

(١) جريدة الشرق الأوسط، السبت ٢٩ شهر ربيع الأول ١٤٣٧هـ / ٠٩ يناير ٢٠١٦م، العدد ١٣٥٥٦.

(٢) جريدة الرياض، الأحد ١٣ ذي الحجة ١٤٣٦هـ / ٢٧ سبتمبر ٢٠١٥م، العدد ١٧٢٦١.

إن مجتمعاتنا أحوج ما تكون للثقافة الواعية، التي تثير لدى الناس دفائن العقول، وتؤكد محورية العقل والضمير في حياة الإنسان. أمّا إذا تركنا الجبل على الغارب لحالات الحماس والانفعال الديني، تحت شعارات الدين والتمسك بالشعائر الدينية، فحينئذ سنكون في وادٍ آخر غير الوادي الذي أراده الدين لنا، إننا ندعو إلى الاهتمام باستحضار العقل ضمن توجهاتنا الدينية وحديثنا عن الدين، وأن نعرض كلّ ما بين أيدينا من الدعوات والآراء على القيم والمبادئ الدينية، مما يستطيع الإنسان إدراكه بفطرته النقية وعقله السوي، من حسن العدل وقبح الظلم، وقيمة الإحسان وقبح العدوان، فجميع هذه القيم ينبغي أن يستحضرها الإنسان المؤمن في حياته وسلوكه.

وننتهز الفرصة في هذا المقام لإدانة الاعتداء الإجرامي الذي جرى مؤخرًا وراح ضحيته اثنان من أفراد الشرطة كانا يقومان بواجبهما في حماية ممتلكات الناس في مدينة سيهات^(١)، فهذا عدوان وإجرام لا يمكن أن يقبل به إنسان، داعين الجهات الأمنية إلى بذل المزيد من الجهود في حماية الوطن، وحفظ أرواح المواطنين وممتلكاتهم وأماكن عبادتهم، وهي مهمة صعبة في هذه الظروف الخطيرة التي يمرّ به الوطن، إلا أن مجتمعتنا ووطننا سيتغلب عليها إن شاء الله، بالتكاتف والتآزر والوعي، والنفوس الواثقة المطمئنة.

(١) جريدة الرياض، الاثنين ٢٢ ربيع الآخر ١٤٣٧ هـ الموافق ١ فبراير ٢٠١٦ م، العدد ١٧٣٨٨.

استقلال الشخصية وتأثير الروابط الاجتماعية

عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال:
«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله من أعان
ولده على برّه. قال: قلت: كيف يعينه
على برّه؟ قال: يقبل ميسوره، ويتجاوز عن
معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به»^(١).

مع تأكيد الإسلام على عمق الروابط الاجتماعية بين الناس، وتوجيهه لاهتمام
الإنسان بتوثيق العلاقة بمن حوله من أسرة وأقرباء وجيران ومحيط اجتماعي، إلا أنه
في ذات الوقت يحرص على حماية شخصية الإنسان كفرد له كيانه وقيمه واعتباره.
فليس المطلوب أن تلغى شخصيته الفردية، أو تذوب أو تسحق في غمرة استجابته
وتفاعله مع تأثيرات علاقاته العائلية والاجتماعية. فذلك يخالف رؤية الإسلام في
صناعة الشخصية الإنسانية المتقوّمة بحرية الإرادة والفكر، والمتصفّة بروح المسؤولية
ومشاعر الثقة والكرامة.

إنّ ذوبان وانسحاق شخصية الفرد في محيطه الاجتماعي يفقده الثقة بذاته،
ويضعف إرادته وقدرته على الإبداع والإنجاز، وتحمل المسؤوليات.

وإذا كان الإسلام يوصي بالتسامح والتنازل والإيثار على الذات في العلاقات

(١) الكافي. ج ٦، ص ٥٠، حديث ٦. وقريب منه أخرجه أبو عبد الله لرحمن السلمي في (آداب الصحبة)،

الاجتماعية، فإنه يريد ذلك للإنسان من موقع الإرادة والاختيار، بعد الاعتراف بشخصيته وقيمه، وإقرار حقوقه واحترام خصوصياته.

الوالدان الرابطة الأعمق

وهذا ما نلاحظه مثلاً في توجيهات الإسلام وتشريعاته للعلاقة بين الإنسان ووالديه، وهي الرابطة الأعمق والأوثق، والتي تحظى بأكبر اهتمام من قبل الدين، حيث لا حقّ أوجب على الإنسان بعد حقّ الله تعالى من حقّ الوالدين، فالإحسان إليهما هو الفرض الإلهي التالي لعبادته سبحانه كما يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٢٣] والأمر بشكرهما يأتي مقترناً بالأمر بشكر الخالق، يقول تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ دَلَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٤].

لكن ذلك لا يعني اندكك شخصية الولد في شخصيتي والديه، ولا إلغاء كيانه واستقلاليتيه أمامهما، حتى في مرحلة الصغر والطفولة، يوجه الإسلام إلى احترام شخصية الولد، وإشعاره بالقيمة والاعتبار، ليتربى على أساس الثقة بذاته، وتعزيز شخصيته وكيانه.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يسمى بأحسن الأسماء ويكنى بأحسن الكنى»^(١).

وعنه ﷺ: «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم»^(٢).

وحين يعد الأب طفله بشيء فعلياً فإنه يلتزم وعده، ولا يستهين بشخصية الولد، حيث ورد عنه ﷺ أنه قال: «أحبوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم فإنهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم»^(٣).

(١) بحار الأنوار. ج ١٠١، ص ١٢٦.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٢١، ص ٤٧٦، كنز العمال. ج ١٦، ص ٤٥٦.

(٣) الكافي. ج ٦، ص ٤٩، حديث ٣.

ويوصي الإسلام بالتعامل مع الطفل كشخصية مهمة كبيرة، كما ورد عن رسول الله ﷺ: «أولادنا أكبادنا، صغراؤهم أمراؤنا»^(١)، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «الولد سيد سبع سنين»^(٢).

فإذا ما بلغ الولد سنّ التكليف وامتلك رشده، انتهت ولاية الأب عليه، وأصبح شخصية اعتبارية مستقلة، فهو ملزم ببرّ والديه، وحرام عليه ممارسة أيّ عقوق تجاههما، ولو كان على مستوى ألفاظ التذمّر والتضجّر، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٢٣].

وواجب عليه الإنفاق عليهما إن كانا محتاجين وكان مقتدرًا، ومطلوب منه إبداء أعلى درجات الاحترام والتقدير والرعاية لهما، عرفانًا بحقّهما، ووفاءً لما بذلا من جهد وتحمّلًا من عناء في وجود الولد وتربيته ورعايته. يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٤].

إنّ النصوص الدينية التي تؤكّد البر بالوالدين والتحذير من عقوقهما لا تضاهيها أية نصوص تتناول أيّ علاقة أخرى، من حيث كمية النصوص وعددها، ومن حيث لغة التأكيد والتشديد فيها.

لكنّ هذا الاهتمام البالغ بتأكيد حقوق الوالدين يوازيه إقرار تشريعي باستقلالية شخصية الولد، وحقّه في إدارة حياته وشؤونه كما يقرّر لنفسه، فليس للوالدين وصاية على الولد البالغ الراشد في مختلف مجالات حياته الفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

الاستقلال الفكري

على الصعيد الفكري لا يحقّ للوالدين إكراه الولد على دين أو مذهب أو عقيدة،

(١) بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٩٧.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٢١، ص ٤٧٦، كنز العمال، ج ١٦، ص ٤٤٢.

فلو أسلم الوالدان، لكن الولد لم يقتنع بالإسلام، لا يصحّ لهما إجباره على الدين.
أخرج ابن اسحاق وابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾
قال: نزلت في رجلٍ من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: الحصين كان له
ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً فقال للنبي ﷺ: ألا استكرههما فإنّهما قد أبايا إلاّ
النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك^(١). أي ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

وفي مقابل ذلك لو اختار الولد الاسلام، فمانعه أبواه، وضغطا عليه بالانصراف
عن الدين الذي اقتنع به، فإنّ عليه التمسك بدينه، وعدم الاستجابة لرغبة والديه، مع
التزامه ببرهما والإحسان إليهما، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٥].

وفي إطار الإسلام يرغب الوالدان أن يكون الولد ضمن المذهب الذي يعتنقانه
حيث تعدّد المذاهب والمدارس، لكن الولد إذا اختار الانتماء لمذهب إسلامي آخر
فهو حرّ في اختياره، ولا يحقّ لهما إجباره على التمسك بمذهبهما، كما لا يجوز له
الانصراف عمّا اقتنع بأحقيقته وصوابيته استجابة لضغوط والديه.

نعم، يمكن للوالدين أن يبذلا الجهود لإقناعه بما يعتقدان، دون أن يحقّ لهما
الفرض عليه. كما أنّ على الولد أن يلتزم أعلى درجات الاحترام والبرّ بوالديه، وإن
خالفهما في قناعاته العقدية المذهبية.

وضمن المذهب لو تعدّدت المناهج والمرجعيات فإنّ الولد حرّ في اتباع المنهج
والمرجعية التي يطمئنّ إليها، وإن خالف توجه أبويه.

النبي نوح كيف تعامل مع ولده؟

وما نلاحظه من حدوث مشكلات وأزمات عائلية واجتماعية، إذا ما قرر شخص

(١) محمد بن جرير الطبري. تفسير الطبري، ج ٥، ص ٤٠٩، الطبعة الثانية، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية).

اختيار مذهب آخر غير مذهب أسرته، أو اتجاهاً ومرجعية ضمن المذهب تختلف عن اتجاه عائلته، هذه الحالات إنما تعكس انفعالاً عاطفياً يتجاوز الحدود والحقوق المشروعة، وقد تأخذ مظهر الحرص الديني، والاهتمام بصلاح الولد وتجنبيه الانحراف، لكن القهر والقسر وسيلة منحرفة غير مشروعة في مجال الهداية الدينية.

إنّ القرآن الكريم حيث يتحدّث عن قصة نبي الله نوح ﷺ مع ابنه في قضية الطوفان، إنّما يريد من خلالها أن يبعث رسائل توجيه للأباء المؤمنين في التعامل مع أبنائهم في الحالات المشابهة، فهو نبيّ عظيم يحمل رسالة الله تعالى، ويحرص على هداية الناس وخاصة ابنه، وهو يمتلك قدرات الاقناع والتأثير، لكنه اصطدم برفض ابنه لدعوته حتى وهو يرى زحف الطوفان، فلا مشكلة في أن يعجز الإنسان عن إقناع ابنه بعقيدته، ولا ينبغي أن يتأزّم نفسياً، ولا أن يتعامل مع ابنه بتشنج وتوتر، فهذا نبي الله نوح يخاطب ابنه بكل شفقة ولطف، يقول تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوبِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [سورة هود، الآيات: ٤٢-٤٣].

ومع هذا الرفض والإصرار من قبل الابن، إلّا أنّ الأب النبي لم يحقد عليه، ولم يدع عليه بالهلاك، بل رفع كفّ الضراعة إلى الله تعالى لإنقاذ ابنه ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾.

وأساساً فإنّ العلاقات الأسرية العائلية لا ينبغي أن تتأثر باختلاف الأفكار والمعتقدات، بما يتجاوز واجب الدعوة إلى الحقّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب مقدور الإنسان، وضمن الضوابط والأساليب الشرعية.

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن الرجل يصرم ذوي قرابته ممن لا

يعرف الحق، قال: «لا ينبغي له أن يصرمه»^(١).

وعن الجهم بن حميد قال قلت لأبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام: تَكُونُ لِي الْقَرَابَةُ عَلَيَّ غَيْرِ أَمْرِي أَلَهُمْ عَلَيَّ حَقٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، حَقُّ الرَّحِمِ لَا يَقْطَعُهُ شَيْءٌ، وَإِذَا كَانُوا عَلَيَّ أَمْرِكَ كَانَ لَهُمْ حَقَّانِ: حَقُّ الرَّحِمِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ»^(٢).

يتضح من كل ما سبق أنّ حرية الرأي والمعتقد حقّ إنساني لا يمكن تجاوزه ومصادرته من قبل أيّ جهة، وإن كانت أوثق الجهات بالإنسان وأعظمها حقاً عليه. فعلى الوالدين أن يعترفوا بهذا الحقّ لأولادهم.

وهناك مشكلة أخرى تتمثل في سعي الآباء لفرض نمط معيشتهم وحياتهم على أبنائهم، مع تطور الزمن وتوجه الجيل الصاعد إلى أساليب جديدة في إدارة شؤون حياته، ولعلّ ذلك ما يشير إليه الإمام علي عليه السلام في قوله: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»^(٣).

التدخل في شؤون حياة الولد

ويبدو أنّ بعض الآباء يستصحبون حقّ الولاية على أولادهم من مرحلة الصغر والطفولة، ويريدون فرض آرائهم على أبنائهم حتى بعد تخطيهم لتلك المرحلة، استناداً إلى أعراف وتقاليد سائدة، أو بمبرر تأكيد الدين على حقّ الوالدين والنصوص الواردة في طاعتها وبرّها. لذلك قد يتدخل الوالدان في الشأن الخاص بحياة الولد كاختيار شريك الحياة، أو التخصص الدراسي، أو العمل الوظيفي والتصرفات المالية. لقد حرّم الإسلام عقوق الوالدين، وأوجب برّها والإحسان إليهما ومعاشرتهما بالمعروف، لكن ذلك لا يعني سلطتهما المطلقة على الولد، حيث له شخصيته

(١) الكافي. ج ٢، ص ٣٤٤.

(٢) الكافي. ج ٢، ص ١٥٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٦٧، حكمة رقم ١٠٢.

المستقلة، ومن حقّه تنظيم أمور حياته، وترتيب متطلبات معيشته.

يقول السيد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧ - ١٤١٣هـ):

«لم ينهض دليل على وجوب إطاعة الوالدين على سبيل الإطلاق، على حدّ إطاعة العبد لسَيِّده. نعم، تجب المعاشرة الحسنة، والمصاحبة بالمعروف، على ما نظقت به الآية المباركة، فلا يجوز العداة والإيذاء، وأمّا الوجوب والتحريم بمجرد الأمر والنهي، فضلاً عن لزوم الاستئذان في كافة الأفعال، وإن لم يترتب على تركه الإيذاء، خصوصاً لو صدر من غير اطلاع منهما أصلاً، فهو عارٍ عن الدليل.

أجل قد ورد في بعض النصوص أنه إن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، ولكن أحداً لا يستريب في أن هذا حكم أخلاقي، وليس بتكليف شرعي كما هو واضح جداً»^(١).

ويقول السيد الشيرازي (١٣٤٧ - ١٤٢٢هـ):

«إنّ القدر المتيقن من الأدلة حرمة المخالفة التي تؤدي إلى أذيتهما فيما لا يتضرر به الولد، فالأذية مع تضرره أيضاً لا دليل على حرمتها»^(٢).

قرار الزواج

وما تزال مسألة زواج الشاب أو الفتاة تواجه تعقيدات كبيرة بسبب ممارسة الأهل لوصايتهم وسلطتهم على أبنائهم وبناتهم في كثير من الحالات.

إنّ بعض الشباب قد يرغب في الاقتران بفتاة يراها مناسبة له، لكنه يصطدم برفض أهله دون أن يستند الرفض لمبرر مقبول لديه، ويغلق أهله باب النقاش، ويخيرونه بين الخضوع لهم، أو تخليهم عنه!! مما يسبب له اضطراباً عاطفياً وإرباكاً نفسياً، قد يدخله

(١) السيد أبو القاسم الخوئي. مستند العروة الوثقى، كتاب الصلاة. ج ٨، ص ١٠٦.

(٢) السيد محمد الحسيني الشيرازي، الفقه ج ٢٨، كتاب الصلاة ص ١٠٣.

في دوامة مشكلة تؤثر على مستقبله وحياته.

وهذا يمثل ابتزازاً يرفضه الدين، حيث لا ولاية للأهل على الولد البالغ الراشد في قرار الزواج، نعم، لهم حقّ إبداء الرأي والنصيحة، وعليه أن يأخذ رأي أهله ونصيحتهم بعين الاعتبار، لكنه يبقى صاحب القرار وعليهم ألا يغضبوا حين يمارس حقّه المشروع.

عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: إني أريد أن أتزوج امرأة وأن أبوي أرادا أن يزوجاني غيرها؟ قال عليه السلام: «تزوج التي هويت ودع التي هوى أبواك»^(١).

وتأخذ هذه المشكلة منحىً أشدّ خطورة بالنسبة للفتيات؛ لوجود رأي فقهيّ يقرّر الولاية على البنت البكر في الزواج مهما تقدّم بها السنّ، أو امتلكت النضج والرشد، يقابله رأي آخر يرفع هذه الولاية مع بلوغ الفتاة ورشدها، ويعطيها حقّ القرار في اختيار شريك حياتها.

ومع استناد كلّ من الرأيين لنصوص دينية، إلا أنّ الرأي الثاني هو الأقرب لأصول التشريع، وأكثر انسجاماً مع كرامة الإنسان وتطور الوعي الحقوقي والاجتماعي. وحين تصل المسألة إلى مستوى عضل الفتاة وحرمانها من الزواج دون مبرر صحيح، تسقط تلك الولاية حتى عند الفقهاء القائلين بها.

إنّ كثيراً من الفتيات في مجتمعاتنا الإسلامية يواجهن مشكلات كبيرة في اتخاذ قرار الزواج وفق رغبتهنّ واختيارهنّ، فقد يفرض عليها القرار من أهلها بالزواج بمن لا ترغب، وقد تمنع من الزواج حين تتاح لها الفرصة التي تراها مناسبة؛ لاعتماد أهلها معايير طبقية وأعرافاً اجتماعية، مما يدفع بعض الفتيات للانتحار أو الهروب من بيت الأسرة، أو تعاني من العنوسة طوال حياتها، أو تخوض تجربة زواجية فاشلة، بسبب

(١) الكافي. ج ٥، ص ٤٠١، حديث ١.

عدم رغبتها فيمن زوّجت به، أو انشدادها عاطفياً لشخص آخر.

وقد تلجأ بعض الفتيات للمحاكم الشرعية في مقابل سوء ممارسة الولي لولايته عليها، وعزلها عن الزواج، لكنها في الغالب حالات محدودة، حيث تحجم أكثريتهن عن الإقدام على هذه الخطوة، خوفاً من نتائجها، وخضوعاً لسطوة التقاليد والأعراف.

ففي المملكة العربية السعودية شهدت المحاكم الشرعية خلال السنة الماضية ١٤٣٦هـ (٧٠١) قضية عضل في شكاوى من فتيات ضدّ أولياء أمورهن بعد أن رفضوا تزويجهنّ من أشخاص تقدّموا لهنّ دون وجود مانع شرعي في الرجل^(١).

وذكر تقرير صادر عن وزارة العدل السعودية: أنّ قضايا عضل الفتيات المنظورة في المحاكم السعودية سجّلت ارتفاعاً ملحوظاً في الربع الأول من العام الحالي ١٤٣٧هـ بواقع فتاتين لكلّ يوم، وأشار التقرير إلى أنّ هناك قضايا عديدة لا تصل إلى المحاكم؛ نظراً للأعراف الاجتماعية المحافظة في السعودية^(٢).

إنّ الفهم الخطأ لحقّ الوالدين، وانتشار ثقافة السلطة الأبوية المطلقة، ينتج مثل هذه الظواهر السيئة في المجتمع. وحيث تتبناها أوساط من المتديّنين في مجتمعاتنا، وتبررها بعناوين ومقولات دينية، فإنّ ذلك يدفع الأجيال الشابة للنفور من الدين، والنظر إليه كمشرّع لانتهاك حقوق الأفراد ومصادرة حرياتهم وتطلّعاتهم.

كما أنّ ممارسة الوالدين للضغط على الولد في شؤونه الخاصة، وعدم احترام خصوصيته ومصالحه، قد يدفع الولد لعقوق والديه، وهذا ما حدّر منه رسول الله ﷺ حين قال: «رحم الله من أعان ولده على برّه، قيل: كيف يعينه على بره؟ قال ﷺ: يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه ولا يخرق به».

إنّنا مطالبون على مستوى الخطاب الديني بالتأكيد على استقلالية شخصية الفرد،

(١) جريدة الوطن الصادرة بتاريخ ٢٨/٩/٢٠١٥م.

(٢) جريدة المدينة الصادرة بتاريخ ٢٥/١/٢٠١٦م.

وتعزيز ثقافة حقوق الإنسان، ليشعر كل فرد بحريته وكرامته في المحيط الاجتماعي، ولتكون العلاقات بين الناس سوية متوازنة، تقوم على أساس الاحترام المتبادل للحقوق والخصوصيات.

ويجب الانتباه إلى أن الفرد الذي ينشأ مكبوئاً مقموعاً من قبل أسرته وعائلته، يكون مشروغاً لشخصية ضعيفة تفتقد الثقة بالذات، والتطلع للإبداع والإنجاز، وتقبل الخضوع والخنوع لأي سلطة وقوة نافذة.

لقاء الكنيستين واحترابنا المذهبي.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: 176].

أنزل الله تعالى الكتب، وبعث الرسالات السماوية، لهداية البشر إلى الحق، وجمعهم على الخير والصلاح. غير أن هناك مشكلة نابعة من طبيعة البشر، وهي الاختلاف في فهم الرسالات والكتب السماوية، وقد رافقت هذه المشكلة كل الأديان والرسالات، بل وكل المبادئ الوضعية أيضاً. ذلك أن الرسالة السماوية حينما تُوحى إلى النبي، فإنه يكون المكلف بتفسير معاني رسالته، والتفاصيل المرتبطة بها، إلا أنه حين يغيب النبي سرعان ما يدب الاختلاف إلى أتباعه، بشأن تفسير وفهم بعض جوانب الرسالة، كما يساهم اتساع رقعة الرسالة بشرياً، والمغانم والإمكانات التي تتوفر عليها، نتيجة الانتصارات والإنجازات المتحققة، في تعقيد حالة الاختلاف بين أتباع النبي، الذين هم كسائر البشر عرضة للتنافس فيما بينهم، لذلك عرضت لكل الأديان ظاهرة الشعب إلى مذاهب ومدارس مختلفة داخل الدين الواحد.

ظاهرة تفرع الأديان

يؤكد القرآن الكريم على حقيقة الاختلاف الداخلي القائم بين أتباع الرسالات السماوية. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي

الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ»، مفردة الكتاب الواردة في الآية الكريمة، هل تشير إلى القرآن الكريم أم التوراة والإنجيل، سيّما وقد تناولت الآيات السابقة أهل الكتاب، أم أنّ المقصود بالكتاب هو جنس الكتاب السماوي، ولعلّه هو الأرجح. ووفقاً للآية الكريمة ﴿.. اللَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ فالله سبحانه ينزل كتبه بالحق، غير أنّ منشأ الاختلاف فيها غالباً ما يأتي من جانب أتباع الرسل، الذين تندلع بينهم الاختلافات في الفهم الديني، والأسوأ أنّ هذه الاختلافات غالباً ما تتسم بالعمق وطول الأمد، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿.. وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، في إشارة إلى الصعوبة في تسوية الاختلافات الدينية؛ لما لها من ارتباط عميق بفكر الإنسان وروحه، وتشابك ذلك مع مصالحه الذاتية، ما يؤدي إلى إطالة أمد الاختلاف بين أتباع الديانات.

إنّ حالة الانقسام داخل الديانات والعقائد المختلفة تكاد تكون حالة عامة. ولعلّ هذا ما يفسّر انقسام اليهودية إلى عدة فرق، وكذلك الحال مع المسيحية والإسلام، كما لا تستثنى من ذلك الديانة البوذية القديمة، ولا الأديان حديثة النشأة كالديانة السيخية، التي نشأت في الهند في القرن الخامس عشر، على يد «ناناك» الذي استهدف إنشاء ديانة تكون وسطاً بين الهندوسية والإسلام، وبات يربو أتباعها اليوم على ١٣ مليون، غير أنّ هذه الديانة مع حداثةها، وقلة أتباعها، لم تنج من الانقسام هي الأخرى، فقد تشعبت إلى خمس فرق. والحال نفسه ينطبق على المبادئ الوضعية من الماركسية والاشتراكية، التي أصبحت تنطوي على العديد من التوجّهات، فالشيوعية في الصين كانت تختلف عن نظيرتها في الاتحاد السوفيتي. وبذلك تُعدّ ظاهرة اختلاف الأفهام والتفسيرات بين أتباع الديانات والمبادئ الوضعية ظاهرة عامة، قادت إلى تعدد المذاهب، ونشوء الفرق، و بروز المدارس.

وقد تشعب الجماعة إلى اتجاهات مختلفة مع رحيل رمزها الأول، تماماً كما

يجري على أتباع المرجعيات الدينية مثلاً، التي يتوزع أتباعها إلى أكثر من اتجاه فور رحيل رمزها الأول.

ضمن هذا السياق يمكن فهم الحديث المروي عن النبي ﷺ أنه قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقةً، أو اثنتين وسبعين فرقةً والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً»^(١)، مع الالتفات إلى أن هناك نقاشاً مفصلاً حول هذا الحديث، الذي نقلته مصادر السنة والشيعية، لجهة المتن والسند، فضلاً عن صحة التطبيقات الخارجية له، كعدّ فرق اليهودية والمسيحية والإسلامية. إن من الوارد أن يكون رقم عدد الفرق إشارة إلى الكثرة، كما هو شائع عند العرب، وقصارى القول: إن حالة الانقسام داخل الديانات المختلفة هي أمر واقع لا مناص منه، ولا يمكن تجاوزه، شئنا أم أبينا.

التعددية وتنظيم العلاقات

هنا يأتي السؤال عن كيفية التعامل مع حالة الانقسام وتنوع المذاهب والاتجاهات داخل الدين الواحد. إن ما يجري أحياناً، هو بروز فئة متحجرة تصرّ على رفض الاعتراف بحالة التعدد والتنوع، وتُجهد نفسها في قسر الناس على مذهبها وطريقتها، وهذا سلوك أبعد ما يكون عن الواقعية والعقلانية. فإذا كان تعدد المذاهب والمدارس أمراً واقعاً في حياة البشر، فإن المسار العقلاني والمنطقي هو التعايش، وقبول التعددية كظاهرة قائمة، كما يجري التعايش مع مختلف الظواهر الأخرى. وذلك يعني أن تظهر الأطراف المختلفة الاحترام المتبادل لبعضها بعضاً، والالتفاف حول المصالح المشتركة، فهذا ما يقضي به العقل والمنطق. غير أن المؤسف أن هناك من لا يهتدي لهذا الطريق، أو لا يريد السير فيه.

(١) سنن الترمذي، ج ٣، ص ٤٥٥، حديث ٢٦٤٠.

بين الكاثوليك والأرثوذكس

وقد شهد العالم مؤخرًا حدثًا هامًا على صعيد العلاقات الدينية المذهبية، تجسّد في لقاء رأسي الكنيستين الكاثوليكية الرومانية الغربية، والأرثوذكسية الشرقية، بعد خلاف مرير دام أكثر من ألف سنة، فقد شكّل الانقسام بين الكنيستين أكبر انشقاق شهدته المسيحية عبر تاريخها، الذي حدث سنة ١٠٥٤ ميلادية، ومنذ ذلك الحين انقسمت المسيحية إلى الكنيسة الكاثوليكية الغربية التي يتبعها غالبية المسيحيين في العالم، بتعداد يفوق المليار ومائتي مليون من الأتباع، في مقابل الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية وتعداد أتباعها يربو على ٢٥٠ مليون، ولهذه الكنيسة بدورها عدة كنائس، أبرزها تلك الموجودة في العاصمة الروسية موسكو ويتبعها نحو ١٦٥ مليون شخص.

ويعود سبب الانقسام بين الكاثوليكية والأرثوذكسية إلى أسباب عقدية، إلى جانب التنافس على الزعامة بين الكنيستين، حيث ترفض الكنيسة الشرقية الخضوع للكنيسة الغربية، وتعتبر نفسها الممثل الحقيقي للكنيسة، بالنظر إلى انبثاق المسيحية في الشرق، أضف إلى ذلك من أسباب الخلاف، الاتهامات المتبادلة بالتبشير لمذهب كل كنيسة في وسط أتباع الكنيسة الأخرى، الذي تشتكي منه الكنيسة الشرقية بقوة، حيث اشتدت هذه الاتهامات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. واللافت في الأمر أنّ ذات الأسباب الباعثة على التوتر بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، تكاد تتطابق مع أسباب التوتر بين المسلمين الشيعة والسنة، من حيث الخلاف العقدي، والتنافس على النفوذ، إلى جانب الشكوى من التبشير المذهبي المتبادل.

ورغم الصراع الطويل بين أتباع الكنيستين، إلا أنّهم نأوا بأنفسهم عن حالة الاحتراب العنيف، وأقصى ما يمكن أن يقال على هذا الصعيد أنّ هناك «حربًا باردة» بين الطرفين. وقد كانت هناك مساعٍ جدية نحو ترتيب لقاء مباشر بين رأسي الكنيستين، باءت جميعها بالفشل، إلى أن نجحت الجهود مؤخرًا في ترتيب اللقاء الأول بينهما في العاصمة الكوبية هافانا، وذلك بعد نحو ألف سنة من الانفصال، وقد قضى زعيما

الكنيستين لقاءً دام نحو الساعتين، ثم خرجا ببيان مشترك، يبشّران فيه بعلاقة جديدة أقرب للتعاون بينهما، وقد علّق رأس الكنيسة الكاثوليكية البابا فرانسيس قائلاً: «لقد التقينا أخيراً، نحن إخوة، واضح أنّها إرادة الله»، فيما علّق رأس الكنيسة الشرقية البطريرك كيريل على اللقاء قائلاً: «الأمر أوضح الآن».

وما يلفت النظر أنّ أحد الطرفين يمثل الأكثرية المسيحية الغربية بتعداد يربو على المليار و ٢٠٠ مليون، فيما يمثل الآخر الأقلية بنحو ٢٥٠ مليون من المسيحيين الشرقيين، إلا أنّهما في نهاية المطاف التقيا واتفقا على عدد من الأمور، ومن أبرزها بحسب وكالة الأنباء الكاثوليكية، أمران:

الأول: الوقوف ضدّ الاضطهاد الذي يتعرّض له المسيحيون وخاصة في الشرق الأوسط، لجهة خطر الإبادة والتهجير، نتيجة الإرهاب والتطرف الذي أخذ عنوان الإسلام، ليطوي الطرفان صفحة الخلافات ويتفقا على توحيد الجهود في هذا الملف. الأمر الثاني، أن تتعاون الكنيستان المؤمنتان بالأخلاق التقليدية على ترسيخ هذه الأخلاق، في مقابل سيطرة الأخلاق الليبرالية التي تسود العالم.

درس بليغ

إنّ من الضروري أن يستلهم المسلمون الدروس من هذا التطور اللافت، في أعلى هرم المسيحية في العالم. ولعلّ أول هذه الدروس، أن نعلم أنّ هذا اللقاء الذي جمع رأسي الكنيستين، لم يكن ليأخذ مكانه لولا وجود عوامل خلقت حقائق جديدة على الأرض، فجاء اللقاء تتويجاً لهذا الواقع الجديد.

وكان من أبرز العوامل المساعدة تحييد السياسة عن الجانب المذهبي في تلك الدول، حيث أصبح التعامل بين الناس قائماً على أساس المواطنة بالدرجة الأساس، بصرف النظر عن مذاهبهم، وقد ساهم هذا التحييد بدور كبير في تهيئة النفوس والعقول لعقد هذا التلاقي. وعلى النقيض من ذلك، ستكون إمكانية اللقاء صعبة، فيما

لو كان الخلاف المذهبي مستحكما، يأخذ مفاعيله على الأرض من خلال التمييز بين أتباع المذاهب، مع انحياز هذه الدولة لأتباع هذا المذهب، وانحياز الأخرى لمذهب آخر، لتقوم كل دولة باستثمار المذهبية سياسياً في صراعها مع الأخرى. لقد تخلصت الشعوب الغربية من أعباء المذهبية، حين أصبح العامل السياسي محايداً إلى حد كبير. والعامل الثاني، هو اقتناع الشعوب الغربية بثقافة التعايش والتسامح وحقوق الإنسان، من خلال ترويح هذه الثقافة عبر التعليم، ووسائل الإعلام، والقوانين الناظمة، ما ساعد إلى حد كبير في تهيئة الأجواء لتجاوز الخلاف بين أتباع الكنائس المسيحية.

أما العامل الثالث فهو واقعية الاهتمام بالمصالح الحاضرة، فقد باتت تلك الشعوب تفكر في واقعها ومصالحها الراهنة بالدرجة الأولى، ولم تعد تقبل العيش في أجواء الاحترابات التاريخية، حيث بلغ الناس درجة من الوعي على نحو لم يعودوا يعبؤون بالخلافات المذهبية التاريخية، ويرفضون الانجرار لها، حتى لو جاء من يريد النبش فيها، وهذا تطور في غاية الأهمية.

إنّ مشكلتنا في الشرق، أنّ الناس لا يزالون يطربون للحالة المذهبية، ويتفاعلون معها. فمتى جاء أحد ونبش الخلافات التاريخية والعقدية بين أتباع هذا المذهب وذاك، فسيجد الأرضية جاهزة ومهيأة. وهذا أمر ملحوظ، فإذا كان هناك خطابان أحدهما يحدث الناس عن واقعهم ومصالحهم، ويحثهم على التنمية والتعاون والتعايش والتعليم والبناء، فيما يغرقهم الخطاب الآخر في التأجيج العقدي، المؤكد على الأحقية المذهبية، مقابل الآخر؛ المذهب الباطل، ناهيك عن كيل الاتهامات للطرف الآخر، وتحميله المسؤولية عن مصائب العالم، فإنّ معظم الناس في مجتمعاتنا ستساق خلف الخطاب الأخير، ومردّد ذلك إلى أنّ الأرضية جاهزة والنفوس مهيأة، على خلاف الجمهور في الدول الغربية الذي بات أبعد ما يكون عن هذه الحالة.

هل تلتقي مرجعيات المذاهب الإسلامية؟

انطلاقاً من هذا التطور الكبير في عالم المسيحية، هل لنا أن نطمح، أن تلتقي مرجعياتنا الإسلامية الكبرى من الشيعة والسنة؟، هل لنا أن نحلم بلقاء تاريخي يجمع الزعماء الدينيين لمذاهبنا الإسلامية؟.

لقد مرّت أكثر من ألف سنة من الخلاف المرير بين السنة والشيعة، وقال كلّ طرف كلمته، وأفرغ ما في جعبته، فلم يستطع السنة تغيير الشيعة، ولا استطاع الشيعة تغيير السنة، وليس بمقدور أيّ طرف إبادة الطرف الآخر، فإلى متى يستمر الصراع يا ترى؟.

لقد ضاعت مصالحنا، وحلّ الخراب بأوطاننا نتيجة هذا الخلاف المدمر، وصار الأعداء يشمتون بنا، فإلى متى نبقى غارقين في هذا الخلاف والاحتراب؟. إنّ مما لا شك فيه أنّ الأغلبية من المسلمين يتمنون في أنفسهم تجاوز حالة الاحتراب المذهبي، وبلوغ الوحدة الإسلامية، غير أنّ المشكلة أنهم يحصرون ذلك ضمن مربع التمنيات النفسية أو اللفظية في أحسن الأحوال، في حين لو فتش أيّ منهم في ممارساته وتصرفاته، لوجدها على النقيض تماماً من تلك الأمنيات، الأمر الذي يشير إلى أنّ مسألة الوحدة والتعايش لم ترقّ بعد إلى مستوى القناعة الداخلية في النفوس، وإلى أن يتحقق ذلك، ستبقى أوطاننا وأمتنا تنزف دمًا ومعاناة وألمًا.

إنّ المطلوب من الجميع أن يفتشوا في ذواتهم، ويفحصوا مشاعرهم وسلوكهم، للنظر فيما إذا كانوا يطمحون بالفعل لتجاوز الحالة المتردية في الأمة أم لا، فإن كانوا يريدون ذلك، فليبدأوا بذواتهم أولاً، وليهيئوا أنفسهم لتقبل حال جديد.

الأبوة لا تبرر التسلط



﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ
يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ
الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ
يَعْصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا
الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ﴾ [سورة نوح،

الآيات: ٤٢-٤٣]

يهتمّ الآباء بصلاح أبنائهم، وصناعة مستقبل صالح وسعيد لهم، انطلاقاً من دوافع فطرية. ذلك أنّ الآباء مفطورون غريزياً على حبّ الأبناء، فهم مهتمون غاية الاهتمام بتنشئتهم تنشأة صالحة، حتى قيل: إنّ الإنسان لا يحبّ أن يتفوق عليه أحد إطلاقاً سوى ابنه، فقد يضيق المرء ذرعاً نتيجة تفوق الآخرين عليه، بخلاف ما إذا كان المتفوق هو ابنه؛ لأنّ الآباء يحملون عاطفة وحبّاً وشفقة عظيمة على أبنائهم.

إنّ الدين يحتمل الآباء المسؤولية التامة عن حسن التربية للأولاد، فكلّ أب مسؤول أمام الله سبحانه عن حسن تربية ابنه والعمل على إصلاحه.

ويكشف الدين عن الآثار العظيمة التي يتركها صلاح الولد على الوالد، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة»^(١)، وورد عن

(١) الكافي، ج ٦، ص ٣، حديث ١٠.

الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من سعادة الرجل الولد الصالح»^(١)، وجاء في رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: «ميراثُ الله من عبده المؤمن وكُدُّ صالحٍ يَسْتَغْفِرُ لَهُ»^(٢). لكل ما سبق، يسعى الإنسان ويتطلع إلى صلاح أبنائه، ذكوراً وإناثاً، وذلك ما يتطلب أن ينتهج الأب منهجاً تربوياً صالحاً، ويبدل أقصى جهد ممكن، حتى يضمن إنتاج ولد صالح.

هل يفرض الصلاح على الأبناء؟

غير أن السؤال المطروح هنا، هو ما إذا كان يتوجب على الآباء أن يفرضوا الصلاح على أبنائهم فرضاً، وهل من حقهم فعل ذلك؟

إن من الملاحظ أن آباء يعمدون إلى محاولة فرض الصلاح على أولادهم. فلا يكتفون ببذل ما في وسعهم نحو تربية الأبناء، وإنما يلجأون إلى فرض الصلاح على الأبناء بالإكراه، انطلاقاً من الشعور بالحق في الهيمنة عليهم، استمراراً للوصاية الأبوية عليهم منذ الصغر، التي تفرض - بظنهم - حتمية رضوخ الأولاد لأوامرهم، وبذلك يريد هؤلاء الآباء استصحاب حالة الوصاية هذه على الأولاد حتى في كبرهم، متصورين بأن من حقهم فرض ما يشاؤون على أبنائهم، باعتبار ذلك طريقاً لصلاحهم، بل إن بعض الآباء يتوهمون أنهم عن طريق ذلك يقومون بتكليفهم الشرعي، ويستجيبون لأوامر الله تعالى في رعاية الأبناء.

ويأتي العرف الاجتماعي باعتباره دافعاً آخر وعاملاً ضاعطاً على الآباء، نحو ممارسة التأثير على الأبناء قسراً، وذلك تحاشياً لتلقي العتب الاجتماعي، والتوبيخ من الناس، فيما لو خرج الأبناء عن طوعهم، وبذلك يلجأون إلى درء العيب الاجتماعي عن أنفسهم، من خلال فرض رؤيتهم على الأبناء، بما يصل أحياناً إلى قسرهم على اتباع العادات والأعراف التي لا صلة لها بالدين، وبما يصل أحياناً إلى الاصطدام

(١) الكافي، ج ٦، ص ٣، حديث ٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٩٠، حديث ٢.

بالأبناء أو البنات، نتيجة خروجهم على عادة اجتماعية، أو تقليد مجتمعي، كل ذلك رغبة في درء العيب، وتفاديًا للحرَج الاجتماعي.

حدود التربية شرعًا

وبالعودة إلى النصوص الشرعية، والتعاليم الدينية، نجدها لا تكلف الأب المسؤولية عن الأبناء بعد بلوغهم سنّ التكليف والرشد. بل يكون دور الأب حيال الأبناء، كدوره حيال سائر أفراد المجتمع، لجهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمعزل عن أيّ خصوصية شرعية تلزمه كأب تجاه الأبناء، بأكثر مما تلزمه حيال سائر أفراد المجتمع، فإذا لم يقبل الأبناء الراشدون من أبيهم، ولم يستجيبوا لتوجيهاته، فلا مسؤولية شرعية تقع على عاتقه. ما دام قد قام بواجبه، وبذل ما بوسعه في تربية أبنائه، فلا ينبغي للمجتمع أن يحمله المسؤولية ويلقي باللائمة عليه نتيجة تصرفات أبنائه.

وأبعد من ذلك، هل هناك أصلًا إمكانية لدى الآباء لقسر أبنائهم الراشدين على فعل شيء لا يريدونه! كلاً. فالأبناء، إناثًا كانوا أم ذكورًا، يمثل كلُّ منهم كيانًا مستقلًا، أعطاه الله تعالى الإرادة وحرية الاختيار، قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ﴾، فلم يرد سبحانه وتعالى أن يكون إيمان الفرد ناتجًا عن الجبر والإكراه، سواءً من طرفه سبحانه، أو عن طريق أنبيائه، أو بواسطة الآباء.

النبي نوح والابن المتمرد

لقد استعرضت قصة نبي الله نوح عليه السلام مع ابنه أثناء الطوفان، الواردة في القرآن الكريم، جانبًا من حدود المسؤولية الملقاة على عاتق الأب حيال أبنائه. وهي رسالة واضحة ينبغي أن يلتفت لها الآباء، فهل كان النبي نوح مقصّرًا في هداية ابنه؟ أولم يسلك عليه السلام الطريق السليم في تربيته؟ بلى، لقد كان ذلك متوفرًا من جهة نوح حيال ابنه، غير أنه عليه السلام لم يكن يتسنى له فرض أمره على ابنه، ولا إكراهه على اتّخاذ موقف لا

يريده، وذلك لسبب بسيط، وهو أن ابنه الذي يقف قبالة بشر منحه الله الحرية والإرادة، فهو المخوّل في اتخاذ مواقفه، وتحديد توجهه.

وقد استعرض القرآن الكريم قصة نوح مع ابنه في قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [سورة نوح، الآيات: ٤٢-٤٣].

حيث جرت أحداث القصة يوم الطوفان، حين نادى نوح ابنه وكان في معزل، وللمفسرين قولان في تفسير مفردة ﴿مَعْزِلٍ﴾، فهناك من قال أن الابن كان في مكان مرتفع منعزل وبعيد عن الطوفان، فيما رأى فريق آخر من المفسرين أن عبارة ﴿فِي مَعْزِلٍ﴾ تشير إلى انعزال الابن عن الإيمان برسالة أبيه، ونأيه في الوقت ذاته عن الكافرين بالرسالة، وبمعنى أدق كان معتزلاً اجتماعياً، بعيداً عن الدخول في الصراع، فلم يكن مع هؤلاء ولا أولئك. إذًا نحن هنا بإزاء نبيٍّ عظيم، سعى بكل جهده لهداية قومه، ومن المؤكد أنه بذل ما بوسعه لهداية ابنه، بل إنه ظلّ يناديه وينصحه بالركوب معه في سفينة النجاة، حتى آخر لحظة ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾، لكن الابن لم يستجب لنداء أبيه، وآثر الهرب إلى قمة جبل، ظناً منه أن ذلك سبيل النجاة ﴿قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، وكأنه يقول لأبيه ضمناً، يا أبت، لا دخل لك فيما أختار، ومع ذلك ظلّ نوح ﷺ يتعامل مع ابنه العاق بالرأفة والشفقة، مخاطباً إياه ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾، وبالرغم من هذا الوضع المأساوي، ظلّت الرحمة والشفقة تجلّل نبي الله نوح تجاه ابنه المتمرد، الذي رفض الاستجابة لرسالة أبيه، حتى حين كان في أحلك الظروف، والخطر محقق به من كل جانب، قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، ومضمون قوله تعالى: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي

إنّ الابن لم يعد يستحقّ الرابطة النسبية بك، ما دام قد قطع الرباط الإيماني، الذي يُعدّ أوثق وأكثر عمقاً من الارتباط النسبي.

الرسالة في القصة

إنّ الرسالة الأبرز التي يريد أن يبعثها الخالق سبحانه من خلال قصة نوح مع ابنه، هي أنّ صلاحية الآباء تجاه الأبناء تقتصر على الإرشاد والتوجيه، وحسب. فإن لم يأخذ الإرشاد مفاعيله في حياة الأبناء، فليس ذلك موجباً للآباء أن يفرضوا على أبنائهم ما لا يرغبون، ولو كان الأمر كذلك لفعله نبي الله نوح مع ابنه، وفلذة كبده الموشك على الهلاك الحتمي، بأن يكبل يديه ورجليه مثلاً، ويأخذه إلى سفينة النجاة رغماً عنه!، لكنه لم يفعل. وذلك لعلمه ﷺ أنّ الأب ليس مكلفاً إكراه أبنائه وإجبارهم على النزول على ما يريد هو، وإن كان محقاً، فضلاً عن أنّ الطريق نحو الهداية والرشاد لا يتسنى بالقسر والإكراه، خاصة حين يتعدى الأبناء مرحلة الطفولة وبلغون سنّ الرشد.

إنّ على أفراد المجتمع أن يفهموا هذه الرسالة جيّداً، فلا يلجأون إلى تحميل الآباء المسؤولية عن انحراف أبنائهم، ذكوراً كانوا أم إناثاً، فلا مسؤولية تقع على عاتق الأبوين أو العائلة تجاه الانحرافات التي قد تصدر عن بعض الأبناء، ما دام الأبوان قد أدّيا واجبهما في تربية الأبناء. كما لا ينبغي إلقاء الاتهامات على عواهنها حيال تقصير الآباء في تربية أبنائهم الذين وقعوا في الانحراف، وإنّما يلزم البناء على الصحة في هذا المقام، من خلال حمل عمل المؤمن على الصحة، ما يعني الافتراض بأنّ الأب قد أدّى واجبه التربوي على أحسن ما يكون، اللهمّ إلا إذا تأكد خلاف ذلك، فهنا ربما صحّ توجيه الملامة.

وبالمقارنة مع المجتمعات الغربية، تبدو العلاقة بين الآباء والأبناء في مجتمعاتنا في غاية الإيجابية، إلا أنّها قد لا تخلو من المبالغة أحياناً. حيث تتسم العلاقة بين الآباء والأبناء في المجتمعات المتحررة بالمبالغة لجهة الانفصال النفسي والقانوني فور

بلوغ الأبناء سنّ الثامنة عشرة، بحيث لا تعود العائلة معنية بتصرفات الأبناء نهائياً، ولا المجتمع يتوقع منها ذلك أصلاً، في المقابل يمثل الارتباط الأبوي القائم بين العائلة والأبناء حالة إيجابية في مجتمعاتنا المحافظة، إلا أن ذلك قد يوقع كثيرين في المبالغة أحياناً، على نحو يحتمل الآباء أنفسهم أعباء ومسؤوليات لم يحتملهم الله تعالى إيّاها.

في بيوت الأئمة أبناء متمرّدون

لقد شهد تاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام عدداً من الحالات التي كان فيها أبنائهم مخالفين لعقيدتهم ونهجهم الديني. فهل كان ذلك ناتجاً عن تقصير من الأئمة حيال تربية أبنائهم، أم أنّهم عليهم السلام لم يكونوا يحسنون التوجيه والإرشاد، كلاً، لكن الإمام لا يمتلك الحقّ الشرعي في أن يفرض على ابنه ما لم يختره، وقد ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد ما نصّه: «كان لأبي عبدالله عليه السلام - الصادق - عشرة أولاد، وكان إسماعيل أكبر إخوته، مات في حياة أبيه...، وكان عبدالله أكبر إخوته بعد إسماعيل، ولم تكن منزلته عند أبيه منزلة غيره من ولده في الإكرام، وكان متّهماً بالخلاف على أبيه في الاعتقاد، ويقال إنه كان يخالط الحشوية، ويميل إلى مذاهب المرجئة، وادّعى بعد أبيه الإمامة، واحتج بأنه أكبر إخوته الباقيين، فاتّبعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام، ثم رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى عليه السلام، لما تبينوا ضعف دعواه، وقوة أمر أبي الحسن عليه السلام ودلالة حقّه، وبراهين إمامته، وأقام نفر يسير منهم على أمرهم، ودانوا بإمامة عبدالله، وهم الطائفة الملقبة بالفطحية، وإنّما لزمهم هذا اللقب؛ لقولهم بإمامة عبدالله، وكان أفطح الرجلين، ويقال: إنهم إنّما لقبوا بذلك؛ لأنّ داعيتهم إلى إمامة عبدالله كان يقال له: عبدالله بن أفطح»^(١)، وورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «يريد عبدالله أن لا يعبد الله»^(٢).

(١) الإرشاد، ج ٢، ص ٢١٠-٢١١.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٥٢.

إذا نحن هنا بإزاء ابن إمام، وأخ لإمام، كان يحمل عقيدة مخالفة، فقد كان يخالط الحشوية، وهي الفرقة التي كانت ترى خطأ قتال الإمام عليّ (عليه السلام) لأصحاب النهروان وصفين، وقد كان عبدالله هذا يميل إلى رأي هذه الفرقة في تخطئة جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكذلك ميله إلى مذاهب المرجئة، ما يدلّ على ارتباك شديد في تركيبته العقدية، ناهيك عن ادّعاءه الإمامة بعد وفاة أبيه الصادق (عليه السلام)، محتجاً بأنه أكبر إخوته الباقين. وهذا يكشف إلى حدّ بعيد أنّ نهج الأئمة (عليهم السلام) ليس قائماً على الفرض والإكراه حتى مع أقرب الناس إليهم وهم أبناءهم.

كما أنّ من الحالات التي شهدتها تاريخ أئمة أهل البيت، قصة جعفر بن الإمام الهادي. وقد اشتهر باسم جعفر الكذاب، مع أنّه كان ابن إمام وأخ لإمام وعم لإمام، ولم يعصمه ذلك من الوقوع في الانحراف، قال عنه الشيخ المفيد في الإرشاد: «وتولى جعفر بن عليّ أخو أبي محمد الحسن العسكري، أخذ تركته - العسكري -، وسعى في حبس جواري أبي محمد (عليه السلام)، واعتقال حلائله، وشنّع على أصحابه بانتظارهم ولده، وقطعهم بوجوده، والقول بإمامته، وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشرّدهم، وجرى على مخلّفي أبي محمد (عليه السلام) بسبب ذلك كلّ عزيمة، من اعتقال وحبس وتهديد وتصغير واستخفاف وذلّ»^(١)، وهناك روايات تشير إلى أنّ جعفر الكذاب سعى عند الخليفة حتى يفرضه إماماً على الشيعة، بدلاً عن أخيه الحسن العسكري (عليه السلام).

حدود سلطة الآباء

إنّ على الآباء أن يعرفوا حدود سلطتهم على أبنائهم. حتى على صعيد المسائل الأساسية الكبرى، في العقيدة والدين، فضلاً عن الإلزام بالأعراف والتقاليد، فهذه أولى بأن لا يجري فرضها على الأبناء بأيّ حال من الأحوال؛ لأنّ هناك صنفاً من الآباء يضغطون على أبنائهم للخضوع إلى أعراف اجتماعية وتقاليد اعتاد الناس

(١) الإرشاد، ج ٢، ص ٣٣٦.

عليها، أو ربما يسعون لإكراههم على الاستجابة لرغبات شخصية عند الآباء، من قبيل إجبارهم على الزواج من هذه العائلة المعينة، أو اختيار تلك المرأة المحددة، أو حتى إجبارهم على العيش وفق طريقة معينة تناسب الآباء أكثر مما تناسب الأولاد أنفسهم، وتلك بأجمعها ممارسات لا مشروعية لها، ولا يحق للأب فرضها على أيّ نحو من الأنحاء. وقد رد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»^(١). إنّ على الآباء بذل ما في وسعهم نحو تربية أبنائهم تربية صالحة، حتى إذا بلغوا سنّ الرشد فإنّ للآباء أن يقوموا حيالهم بدور النصح والإرشاد، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك تنتهي مسؤوليتهم. فالآباء غير مكلفين شرعاً بقسر أبنائهم على فعل ما يرونه مناسباً، ناهيك عن النتائج السلبية لممارسة الفرض والإكراه على الأبناء.

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٦٧.

قوامة الرجل والحربة الفكرية للمرأة

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ
اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ
أَمْوَالِهِمْ﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٤].

هناك قيم أساس أرادها الله سبحانه وتعالى أن تحكم مسار العلاقات بين أبناء
البشر، في مختلف الدوائر. ولعلّ من أبرز تلك القيم: قيمة العدل، فهي قيمة بالغة
الأهمية، وقيمة احترام انسانية الإنسان وحفظ كرامته.

إنّ هناك دوائر مختلفة للعلاقات الإنسانية، تبدأ بالعائلة ثم المجتمع، ثم الوطن،
ثم الأمة، وأخيراً الدائرة الإنسانية.

ومن غير الخافي أنّ الدائرة الأكثر التصاقاً بالإنسان هي دائرة العائلة. فهي الدائرة
الأولى التي يرى الفرد الضوء فيها، وينشأ في كنفها، ويتأثر بها، وضمن هذه الدائرة
يبدأ في تلمس القيم العامة، وتعلّم الالتزام بها، فمتى ما نشأ في عائلة تحترم قيم العدالة
والحرية والكرامة، وسائر حقوق الإنسان، فإنّه سيتربى على هذه القيم، وسيزعجه
مخالفتها ضمن أيّ دائرة أخرى، وسيكون له موقف حاسم في حال مواجهته لأيّ
اعتداء على هذه القيم ضمن محيطه الاجتماعي. وعلى النقيض من ذلك إذا ما عاش
الفرد أجواء القمع وانتهاك حقوقه الإنسانية ضمن محيطه العائلي، فإنّه سيتقبّل ذات
الانتهاكات إذا مورست بحقه ضمن محيطه الاجتماعي الأوسع، ولن يجد أدنى غرابة

في خضوعه للقمع في المدرسة أو الشارع أو مكان العمل.

فالعائلة هي الدائرة الأساس التي ينبغي أن تتكرس فيها القيم، وتتعرّز من خلالها سلوكيات الالتزام بها. ويمكن ملاحظة التزام المجتمعات المتحضرة بتعزيز هذه القيم، ضمن المحيط العائلي، في المقام الأول؛ لإدراكها التام بأن انتهاك هذه القيم ضمن دائرة العائلة، سيجعلها منتهكة ومهدورة في باقي الدوائر والساحات.

التزام القيم في المحيط العائلي

وهذا ما يمكن تلمّسه ضمن التعاليم الدينية، فالدين حينما يأمر بالعدل، فإنه لا يأمر بذلك على مستوى الحالة السياسية أو الاجتماعية وحسب، وإنما ضمن المحيط العائلي بالدرجة الأولى، وحينما يقرّر احترام كرامة الإنسان، فهو يقرّها بدءاً من العائلة، ونجد أبرز تجليات ذلك في تكرار التأكيد على رعاية حدود الله لست مرات في آيتين قرآنيتين من سورة البقرة، تتناولان الشأن العائلي، قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ *، وقد جاء التأكيد على ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ لست مرات، بغرض التدليل على ضرورة أن تكون العائلة منطلقاً لرعاية الحدود، واحترام القيم، سواء في دائرة المجتمع، أم الوطن، أم الأمة، وصولاً إلى دائرة الأسرة الإنسانية.

ولو أخذنا مسألة إلقاء التحية باعتبارها مثلاً لتوضيح هذه الفكرة، من حيث تشجيع الدين على إفشاء تحية السلام، التي تتضمن إعلان السلام والاطمئنان بين الناس، فسنجد أن هذه التحية التي يشجع الإسلام على إشاعتها كممارسة وخلق عام في

المجتمع، يضع نقطة البداية لها في المنزل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَاسْلُمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أحدكم بيته فليسلم، فإنه ينزله البركة وتؤنسه الملائكة»^(١)، أي أن يلتزم رب الأسرة وأفراد العائلة بإلقاء تحية الإسلام على بعضهم بعضاً عند دخول المنزل، حتى يتربى الجميع على هذا الخلق.

وورد عن الإمام الباقر ﷺ في تفسير الآية أنه قال: «هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل، ثم يردون عليه، فهو سلامكم على أنفسكم»^(٢).

العدل في العلاقات الأسرية

وكذلك الحال مع قيمة العدالة، فحين يشدد الدين على تحقيق العدالة على كل الصُّعد الاجتماعية والسياسية وفي العلاقات الدولية، فإن نقطة الانطلاق لتحقيقها يبدأ من العائلة أيضاً، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، فيما يرتبط بتعدد الزوجات. كما ينسحب ذلك على التزام العدالة بين الأولاد والمساواة بينهم في المعاملة، فقد ورد عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «أَبْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا لَهُ وَكَدَانٌ فَقَبَّلَ أَحَدَهُمَا وَتَرَكَ الْآخَرَ. فَقَالَ ﷺ: فَهَلَّا وَاسَيْتَ بَيْنَهُمَا»^(٣)، وجاء في حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»^(٤)، إن معاناة الأبناء من التمييز داخل الأسرة، سيجعلهم يتقبلون التمييز على الصعيد الاجتماعي والسياسي.

واستطراداً ينبغي الوقوف عند الفهم الملتبس لمسألة قوامة الرجل على الزوجة في المجتمعات المسلمة، انطلاقاً من الآية الكريمة ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾. فهل تعني القوامة الإلغاء التام لشخصية المرأة كما قد يفهم البعض؟ وهل معنى ذلك

(١) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ١٧٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٥، حديث ١٦.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٨٤.

(٤) كنز العمال، ج ١٦، ص ٤٤٥، حديث ٤٥٣٤٨.

أن تتنازل المرأة عن شخصيتها وكيانها لصالح الرجل، على نحو تكون فيه خاضعة للسلطة المطلقة للزوج في كل المجالات؟.

ينبغي أن نقول بوضوح، إن القوامة التي تفهم على هذا النحو لا يقرها الدين، ولا يقيم لها الفقه الإسلامي وزناً، لكن مجتمعاتنا كانت وما تزال تزرع تحت هيمنة الأعراف والتقاليد الذكورية التي لا يمتّ بعضها للدين بصلة، وما هو إلا التكلف في تطويع النصوص الدينية بغرض إسباغ الشرعية على تلك الأعراف والتقاليد.

هل للرجل سلطة على زوجته؟

فهل للرجل أدنى سيطرة على معتقدات وأفكار زوجته؟ كلا. حيث إن العلاقة بين الزوجين على الصعيد الفكري كالعلاقة بين أي اثنين من الناس، فقد تختلف الزوجة مع زوجها عقدياً أو فكرياً، ولا سبيل له عليها إلا محاولة اقناعها برأيه، أو الاقتناع برأيها، من خلال النقاش وتبادل الآراء، فإن لم تقتنع الزوجة بوجهة نظر زوجها، فلا يحقّ له إجبارها على النزول عند رأيه. وعلى غرار ذلك إذا كانت الزوجة كتابية مثلاً، بناءً على جواز زواج المسلم من الكتابية، لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، فلا يحقّ للزوج أن يجبر زوجته الكتابية على اعتناق الإسلام، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، إننا بإزاء تشريع صارم يحمي حرية الإنسان الدينية والعقدية، فكون الرجل زوجاً وقواماً عليها، لا يعني تعطيل تلك القيمة الأساس؛ قيمة الحرية الدينية والفكرية، وتبعاً لذلك لا يجوز للزوج إجبار زوجته على اعتناق الإسلام، تماماً كما لا يحقّ له إجبار أيّ أحدٍ آخر.

وينسحب ذلك أيضاً على الأزواج المختلفين مذهبياً، بناءً على جواز الزواج بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم. ولو كان أحد الزوجين من أتباع مذهب معين، والآخر من أتباع مذهبٍ آخر، فلا يجوز للزوج أن يجبر زوجته على ترك مذهبها

واعتناق مذهبه، إنَّ زواج الرجل من امرأة مختلفة عنه مذهبياً لا يعطيه الحق في تغيير مذهبها، أو فرض رأيه العقدي عليها، وكذلك الأمر حيال مختلف التوجّهات الفكرية والميول الدينية التي لا يجوز للزوج أن يفرضها على زوجته، أو يكرهها على اعتناقها بأيّ حالٍ من الأحوال، وقد شهدنا في وقتٍ من الأوقات محاولات إجبار بعض الأزواج زوجاتهم على تقليد مرجع ديني دون غيره، الأمر الذي قاد بعضهم إلى الانفصال، نتيجة هذا الجهل المركّب بالدين.

ومما يذكر في هذا الشأن أنّ الإمامين زين العابدين عليه السلام والباقر عليه السلام كانت لهما زوجتان خارجيتان، وما طلقاهما إلا لإظهارهما التنقّص من عليّ عليه السلام وسبّه، وجاء في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه كان له امرأة يقال لها: أمّ عليّ وكانت ترى رأي الخوارج، قال: فأدرتها ليلة إلى الصبح أن ترجع عن رأيها وتولّي أمير المؤمنين عليه السلام فامتنعت عليّ، فلما أصبحت طلقها^(١).

وروي عن مالك بن أعين أنه دخل على أبي جعفر عليه السلام وعليه ملحفة حمراء فقال: إن الثقية أكرهتني على لبسها وأنا أحبّها - إلى أن قال: - ثمّ دخلت عليه وقد طلقها، فقال: سمعتها تبرأ من عليّ فلم يسعني أن أمسكها وهي تبرأ منه^(٢)، وعدا عن ذلك لم يكن لياؤه الإمام بأن يكون لامرأته رأي مختلف، فقد كانت جعدة بنت الأشعث زوجة للإمام الحسن عليه السلام، وكان لها انتماء سياسي وعقدي مغاير للإمام عليه السلام، ولم يكن الإمام ليقسرها على النزول عند رأيه.

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٥٥٢، حديث ٢٦٣٢٥.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٥٥١-٥٥٢، حديث ٢٦٣٢٤.

تكافؤ الفرص بين المرأة والرجل

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩٥].

ظلت النظرة الدونية للمرأة سائدة على مدى عهود طويلة، إلى أن جاء الإسلام ليحارب هذا السلوك العنصري تجاهها. فقد ظهر الإسلام في ذروة التمييز وتفشي النظرة الدونية للمرأة، وهيمنة الثقافة القائمة على تفضيل الرجل عليها، واعتبارها في مرتبة أدنى من الرجل من حيث القيمة والاعتبار. وقد تکرست هذه النظرة انطلاقاً من هيمنة الرجل واستمرار خضوع المرأة له؛ نظراً لحاجتها لحمايته ورعايته. فجاء الإسلام لينسف هذه الثقافة البالية، ويزرع مكانها ثقافة المساواة والتكافؤ بين الجنسين لجهة القيمة والاعتبار.

إن تمايز دور المرأة عن دور الرجل في الحياة العائلية ينبغي ألا يترتب عليه تمايز في القيمة والاعتبار. إذ من الصحيح أن هناك اختلافاً تكوينياً وبيولوجياً بين جسم الذكر وجسم الأنثى، ما يعني وجود تمايز في الوظيفة والدور لكل منهما، حيث يُحدّد التكوين الجسدي للمرأة دورها الحيوي في التناسل البشري، من خلال الحمل والرضاعة، ورعاية الطفل، خاصة في المراحل الأولى من حياته، غير أن جميع ذلك ينبغي ألا يترتب عليه تمايز في القيمة والاعتبار، على نحو يجعل من قيمة الرجل، بما

هو رجل، أعلى مرتبة من قيمة المرأة، بما هي امرأة، ليكون حينئذٍ كل رجلٍ هو أفضل من كل امرأة.

جاء الإسلام ليقرّر على نحوٍ حاسم، بأن ليس هناك تفاضل بين الرجل والمرأة لجهة القيمة الإنسانية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وسعيًا نحو تركيز حقيقة المساواة والتكافؤ بين الجنسين أورد القرآن الكريم العديد من الآيات التي خاطبت الذكر والأنثى على قدم المساواة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وورد في آية ثالثة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وعلى هذا النحو تكرّرت مخاطبة الذكر والأنثى على السواء في العديد من الآيات القرآنية، كل ذلك في سبيل تعزيز المساواة بين الذكر والأنثى في مجتمع ظلّ طويلًا معتقدًا بتميز الرجل على المرأة، بل إن الواحد منهم كان يستأنف من أن يذكر إلى جانب المرأة. وقد استمرت هذه الحالة إلى أوقات قريبة حين كان البعض يُردّد عبارة: «أجلّكم الله أو أكرمكم الله» كلما جاء على ذكر المرأة في حديثه، الأمر الذي يشير إلى الشعور الداخلي والتصور المسبق على اعتبار الرجل أفضل من المرأة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

معايير التفاضل

إنّ القرآن يشير إلى أنّ الرجل والمرأة كفرسيّ رهان في السباق نحو مكارم الأخلاق. فالأنوثة لا تعني الدونية بأيّ حالٍ من الأحوال، كما لا تعني الرجولة التميز والتفوق، وإنّما تتحدّد معايير التميز والتفوق في أمور ثلاثة؛ يأتي في طليعتها التحلّي بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وبذلك لا يكون الرجل غير التقويّ أفضل من المرأة التقية، لمجرد كونه رجلاً، ويأتي العلم باعتباره المعيار الآخر للتمييز بين الناس رجالاً ونساءً، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقل الناس قيمة أقلهم علماً»^(١)، فإذا توفرت امرأة على العلم في أيّ مجالٍ من المجالات، وإلى جانبها رجل لا يمتلك علماً، فهل يستقيم القول بأنّ ذلك الرجل الجاهل، أفضل من تلك المرأة العالمة؟ كلا.

أما المعيار الثالث للتمييز فهو العمل الصالح، فمتى كان للمرأة رصيد وافر من العمل الصالح، قياساً على رجل لا يملك مثل ذلك الرصيد، فليس من المعقول أن يكون أفضل منها لمجرد كونه رجلاً، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. وبذلك يكون المعوّل في التفاضل بين الرجل والمرأة قائماً على هذه المعايير الثلاثة؛ التقوى، العلم، العمل الصالح، فمن كان أكثر التزاماً بها فهو الأفضل، سواء كان رجلاً أم امرأة.

أهلية المرأة للتفوق

لقد أثبت التطور البشري في هذه العصور أنّ حجر الزاوية في مسألة تفوق المرأة أو الرجل يعود إلى مدى الفرص المتاحة أمام كلّ منهما. وذلك بخلاف النظرة السائدة

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٩٥، حديث ٥٨٤٠.

على مدى حقبة طويلة، التي اعتمدت على القوة الجسدية باعتبارها المعيار الأساس للمفاضلة بين الرجل والمرأة. وبما أن كفة القوة الجسدية تميل لصالح الرجل، وهو المتصدّي للمشاركة في الحروب والمعارك، فقد اعتبر ذلك سبباً كافياً لبطء هيمنته على المرأة، وكانت له السيادة المطلقة عليها. ويعود السبب الأساس إلى فتح المجال واسعاً أمام الرجل حصراً على حساب المرأة، ونيله نصيب الأسد من الفرص المتاحة، في مقابل انعدام الفرص أمام المرأة، ما جعل الرجل يبدو في وضع أكثر كفاءةً وتفوقاً عبر التاريخ.

ولعلّ حالة المرأة تشبه إلى حدّ كبير حالة المجتمعات والشعوب التي لا يحظى أبناؤها بفرص متساوية. فالمجتمعات التي تحظى بفرص أكبر، تزداد في أوساطها الكفاءات في مختلف المجالات، فيما تتضاءل الكفاءات طردياً في المجتمعات المضطهدة، حيث لا يحظى أبناؤها بفرص متكافئة مع غيرهم. وبذلك لا يعود سبب تضاؤل الكفاءات في المجتمعات المضطهدة إلى ضعف القابلية عند أبنائها، بقدر ما يعود إلى انعدام مبدأ تكافؤ الفرص أمام الطرفين.

وكذلك الحال بين الرجل والمرأة، فقد سادت عبر التاريخ البشري المعادلة التي تتيح للرجل الهيمنة، وتفتح أمامه كلّ الفرص، في مقابل انسداد الأفق أمام المرأة، لذلك لم يتسنّ للمرأة إبراز قدراتها وكفاءاتها، فبدأ أنّ الرجل أكثر قدرة وأكثر تأهيلاً، حتى اعتقد البعض أنّ عقل الرجل أكبر من عقل المرأة تكويناً، وأنّ كفاءته الذهنية تفوق المرأة، وقدراته العامة في القيادة والإدارة تتجاوز قدرات المرأة.

غير أنّ جميع ذلك قد تغيّر مع التطورات البشرية والتقدم الهائل على كلّ الصُّعد، الذي أتاح للمرأة فرصاً متساوية مع الرجل، ليتبيّن أنّ كلّ تلك المقولات عن قصور المرأة العقلي والذهني والنفسي لا أساس لها، حيث باتت المرأة تنافس الرجل في المضمار العلمي على مستوى الأبحاث والاكتشافات وسائر المجالات، ما يعني أنّ المرأة لا ينقصها شيء لجهة النبوغ العلمي والقابلية المعرفية. وقد أثبتت الأبحاث



العلمية في قياس الذكاء البشري عدم وجود قابلية متميزة لدى الرجل تفوق ما عند المرأة في مجال العلم والمعرفة. وغاية ما توصلت إليه الأبحاث أنّ الرجل قد يتفوق على المرأة في بعض الجوانب، لكنها في الوقت عينه قد تتفوق عليه في جوانب أخرى. وإجمالاً، ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأنّ قابلية المرأة أدنى من قابلية الرجل في تلقي العلم والمعرفة، كما في سائر المجالات.

المرأة ومؤهلات القيادة

وعلى هذا النحو، كان مجال القيادة والإدارة حكراً على الرجل في أغلب فترات التاريخ، غير أنّ التطور البشري وتبلور الحسّ الإنساني في المجتمعات، دفع إلى فتح المجال أمام المرأة، ما جعلها تنافس الرجل في المواقع القيادية، فهناك اليوم تسع عشرة سيّدة يشغلن مناصب رئاسة الحكومة في العالم، ومن بينها دولة مهمّة، هي ألمانيا التي ترأس حكومتها المستشارة انغيلا ميركل، وكذلك الحال في الأرجنتين والبرازيل، وتقلّدت بعض النساء أعلى المناصب العسكرية في بلدانهنّ، سيّما وأنّ العمل في هذا المجال لم يعد مرتبطاً بالقوة العضلية، بقدر ما بات مرتبطاً بالقدرات العلمية والتكنولوجية، والكفاءة في التعامل مع الأجهزة والمعدات، ووسائل الاتصال والمعلومات، فبات هناك خمس نساء يتقلدن مناصب وزارة الدفاع في ألمانيا وإيطاليا والسويد والنرويج وهولندا.

علاوة على ذلك، هنالك اليوم امرأتان مرشّحتان لتولّي أعلى المناصب القيادية في العالم، فهناك هيلاري كلينتون المرشّحة لمنصب رئيس الدولة الأعظم في العالم؛ الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك امرأة أخرى بلغارية مرشّحة لتولي منصب الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة، بعد انتهاء فترة رئاسة الأمين العام الحالي بان كي مون. وبذلك أثبتت المرأة أنّ قدراتها لا تقلّ عن الرجل متى ما أتيحت لها الفرصة كاملة، على خلاف ما كان سائداً في الماضي.

وقد احتفل العالم قبل أيام باليوم العالمي للمرأة، المصادف ليوم الثامن من شهر مارس من كل عام. الذي أقرته الأمم المتحدة سنة ١٩٧٧، ودرجت العادة أن يجري خلال الاحتفالات بهذا اليوم، التأكيد على أفكار المساواة، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين الجنسين، وإعادة الاعتبار لدور المرأة في المجتمعات التي ما تزال تنتقص من ذلك الدور.

حرمان المرأة باسم الدين

إن من العناصر التي يفتخر بها المسلمون أنهم أتباع دين استطاع تغيير النظرة السلبية للمرأة، التي كانت سائدة على مدى حقب تاريخية طويلة. غير أن ما يدعو للأسف أن واقع المسلمين الراهن، حيال موضوع المرأة، لا يتناسب مع رؤية الإسلام في الكثير من البلدان والمجتمعات، إذ يقول الإسلام شيئاً، فيما الواقع على الأرض يحكي شيئاً آخر، حيث ما تزال تُنتقص حقوق المرأة في الكثير من البلدان الإسلامية، ويُنظر إليها نظرة دونية، ولا تتوفر لها الأجواء المناسبة، ولا الفرص المتكافئة، للمشاركة في تنمية المجتمع.

وتمثل المرأة نصف المجتمع، وحين يجري عليها الظلم يكون نصف المجتمع مظلوماً. وذلك ينعكس سلباً على تنمية المجتمع وتطوره، وهذا أحد جوانب التخلف في مجتمعاتنا. ولو تناولنا مسألة البطالة التي تؤرق بلادنا باعتبارها مؤشراً، فسنجد الارتفاع الهائل في نسبة البطالة في صفوف النساء، سيما في أوساط حاملات الشهادات الجامعية، فهناك عشرات الآلاف منهن يقبعن في البيوت؛ لعدم حصولهن على فرص العمل، بعد أن أفنن زهرة شبابهن في التحصيل الدراسي، والتغرب خارج البلاد لسنوات كما في حال بعضهن. ولنا أن نتصور حجم الخسارة التنموية عندما يكون هناك الآلاف من الكفاءات المعطلة المهملة. ما يقود إلى السؤال عن السبب في حرمان المرأة من المشاركة والعطاء في خدمة وطنها وتنمية مجتمعتها؟

والأسوأ في الأمر أن يجري التمييز والإساءة للمرأة تحت عنوان الدين، إذ كيف سينظر الناس إلى الإسلام إذا نسبت إليه شتى أنماط الإساءة الواقعة على المرأة، من الظلم والتمييز، والنظرة الدونية، وغياب تكافؤ الفرص أمامها؟ أو ليس في ذلك أعظم إساءة إلى الدين؟. وضمن هذا السياق أثار إعجابي كتاب وضعه أحد علماء الدين في المنطقة واختار له عنواناً جميلاً هو «دفاعاً عن الإسلام لا عن المرأة»^(١)، أي إننا عندما نثير مسألة حقوق المرأة، فإننا بذلك لا ندافع عن المرأة فقط، وإنما نقوم بتبرئة ساحة الإسلام من الممارسات التي تنسب إليه، وهي أبعد ما تكون عنه، وما هو إلا الفهم السيء، والتطبيق الخاطئ، ما ينتهي إلى تشريعات منحازة ضد المرأة.

تيار التشدد ضد المرأة

إن بلادنا تعاني من وجود تيار ديني متشدد، يمعن في ظلم المرأة ويرفض انصافها، ويمانع في إتاحة الفرص أمامها. وقد برزت مبكراً ممانعة هذا التيار المتشدد لحقوق المرأة، فحين أقرّ التعليم الرسمي في البلاد، اقتصر على الذكور، ولم يجر إقرار تعليم البنات إلا بعد سنوات طويلة؛ لأنّ هذا التيار المتشدد ظل يقف حجر عثرة أمام تعليم المرأة، استناداً إلى مرويات غير ثابتة، وفهم ديني خطأ يقول بمنع المرأة من تعلم القراءة والكتابة. وقد احتاجت البلاد إلى جهود كبيرة، حتى جرى إقرار قيام مؤسسة حكومية خاصة بتعليم البنات، على غرار تعليم الأولاد.

وقد برزت ذات الممانعة عند فتح باب العمل أمام المرأة، وكذلك الحال مع مشروعية مشاركة المرأة في إدارة الشؤون العامة، فقد تعنت المتشددون طويلاً، حيال السماح بدخول المرأة في شؤون الولاية العامة حسب مصطلحاتهم المتداولة، برفضهم لتبوء المرأة أي منصب وزاري أو نيابي، بل إن بعضهم بالغ في القول إن

(١) الشيخ محمد العليوات، دفاعاً عن الإسلام لا عن المرأة، (بيروت: دار الإيمان) الطبعة الأولى

الأفضل للمرأة ألا تخرج من بيتها. إن هذا الفهم المتشدد ساهم بقوة في تعطيل التنمية، وشوّه سمعة الإسلام، ليس أمام الآخرين وحسب، وإنما أمام الأجيال الصاعدة من أبناء الأمة أيضًا.

وبالرغم مما سبق، فقد تحقّق بعض التقدم على صعيد حقوق المرأة. حيث أُقرّ منذ زمن التعليم العام للجنسين، وأُتيحت بعض الفرص لعمل المرأة، ودخلت المرأة عضوًا في مجلس الشورى، وشاركت في الانتخابات البلدية مرشحة وناخبة، وعلى هذا النحو بدأت المرأة تنال بعضًا من حقوقها، وتشارك في تنمية مجتمعها، ونأمل استمرار هذه المسيرة، إلى أن تتبوأ المرأة مناصب وزارية ودبلوماسية، سيّما وأنا نرى على المستوى الإقليمي والإسلامي كثيرًا من النساء تبوأن مناصب عليا في بلادهنّ.

إنّ النمو الطبيعي لأيّ مجتمع ينبغي أن يصاحبه مشاركة أوسع للمرأة في تنمية مجتمعها ووطنها. إنّ من المؤسف أنّنا ما نزال نتحدّث عن حقّ المرأة في قيادة السيارة، في الوقت الذي باتت المرأة عبر العالم تقود الطائرات بل وتقود الأوطان.

والأنكى من ذلك ما يجري على المرأة من معاناة كبيرة جرّاء القوانين المعوقة لحركتها، والبعيدة عن إنصافها، على صعيد الزواج والطلاق، وحقّ حضانة الأولاد، وغير ذلك. ومع تفاوت الآراء الفقهية حيال قضايا الأسرة، بين آراء موعلة في التشدد، وآراء يطبعها التسامح ومواكبة العصر، لا نجد مبررًا لفرض الآراء المتشدّدة، إنّما ينبغي الاستفادة من تعدّد الآراء في الفقه الإسلامي، وترك الآراء المتشدّدة التي باتت تؤثر سلبيًا على أوضاع التنمية في مجتمعاتنا، ناهيك عن تشويهها لسمعة الإسلام أمام العالم، وأمام الجيل الصاعد من أبناء الأمة.

وبمناسبة اليوم العالمي للمرأة، ندعو للجرأة في إقرار المزيد من حقوق المرأة. ونؤكّد في هذا السياق، على الجميع أن يتأمّلوا في سلوكهم، ويفحصوا أفكارهم، لينظروا ما إذا كانوا يؤمنون بحقوق المرأة فعليًا، وأنّ لها حقوقًا مساوية للرجل، كما



جاء في الحديث عنه ﷺ: «إنَّ النساء شقائق الرجال»^(١)، أم أنَّهم ما يزالون يضمرون في نفوسهم بعضاً من الآثار الجاهلية التي تعتبر المرأة في مرتبة أدنى من الرجل؛ لأنَّ من السهل أن يترنم البعض - على المستوى النظري - بحقوق المرأة، ويتغنى بالدفاع عن حريتها، لكنه فور عودته للمنزل يتعامل مع زوجته وبناته وفق الرؤية والهيمنة الذكورية، وهذا عين الازدواجية والتناقض الفكري. وحرِّي بنا أن نتذكَّر على الدوام الحديث الوارد عن رسول ﷺ: «ما أكرم النساء إلاَّ كريم، وما أهانهنَّ إلاَّ لئيم»^(٢).

(١) كنز العمال، ج ١٦، ص ٤٠٧، حديث ٤٥١٣١.

(٢) كنز العمال، ج ١٦، ص ٣٧١، حديث ٤٤٩٤٣.

استضعاف المرأة وانتهاك سلطانها المالية

﴿وَأَثُوا التِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نَحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٤].

تمثل سلطة الإنسان على أمواله وممتلكاته، أحد أهم تجليات الشعور بالذات وممارسة القدرة. ذلك لأن حب التملك نزعة فطرية في نفس الإنسان، فإذا ما حاز على شيء فإنه يريد أن يشعر بالحرية التامة في التصرف فيه، ومن ثم يعتبر أي تعويق لهذه الحرية انتقاصاً لذاته، وانتهاكاً لحقه. وتقوم كل الشرائع والأديان والنظم الاجتماعية على احترام سلطة الإنسان على ماله، يتصرف فيه كيف يشاء، وتجرم التعدي على أموال الغير، أو تعويقهم من التصرف في أموالهم.

الناس مُسلطون على أموالهم

إن هناك كثيراً من النصوص الدينية التي تؤيد المفهوم القاضي بحق الفرد حصراً في التصرف بأمواله وممتلكاته. ومنها الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الناس مُسلطون على أموالهم»^(١)، ورغم أن هذا الحديث مرسل عند فقهاء الحديث من ناحية السند، إلا أنه لقي قبولاً عند العلماء والفقهاء الذين عملوا به واستندوا إليه

(١) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٧٢، حديث ٧.

في مختلف أبواب الفقه، بل ارتقى إلى أن يكون قاعدة من القواعد الفقهية التي تتفرع عنها المسائل والأحكام.

وورد عنه عليه السلام أنه قال: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه»^(١)، وفي ذلك إشارة عميقة إلى قدسية الحقوق المالية الفردية، على نحو يساويها بحرمة الدماء، فكما أنه لا يحق لأحد التصرف بدماء الناس بأي صورة من الصور، فكذلك الحال مع أموالهم وممتلكاتهم.

وعنه عليه السلام: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»^(٢).

وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إن لصاحب المال أن يعمل بماله ما شاء ما دام حيًّا، إن شاء وهبه، وإن شاء تصدَّق به، وإن شاء تركه إلى أن يأتيه الموت»^(٣)، ويؤكد هذا النص سلطة الفرد وحقه في التصرف بماله ما دام على قيد الحياة، حتى إذا ما توفي انتقل ذلك الحق إلى ورثته. وورد في رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: «صاحب المال أحق بماله ما دام فيه شيء من الروح يضعه حيث شاء»^(٤). وبذلك، تشكل سلطة الفرد على ماله وممتلكاته قاعدة عامة تجمع عليها الشرائع والأديان والقوانين.

وهناك استثناءات يفقد فيها الفرد حق التصرف فيما يملك، لتنتقل معها صلاحية التصرف إلى غيره. كما لو كان المالك صغيرًا في السن، أو مجنونًا، أو غير راشد، فإنه يفقد بذلك حق التصرف في ماله، بل إن من الظلم إعطاء حق التصرف لمن كان هذا حاله؛ لأنه سيبدد أمواله هدرًا.

ويعالج المشرِّعون هذه الحالات بتعيين الولاية على أمثال هؤلاء الأشخاص، ليكون للولي حق التصرف في المال، فيما يصب في مصلحة المولى عليه، فإذا كبر

(١) كنز العمال، ج ١، ص ٩٣، حديث ٤٠٤.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٩٠٣، حديث ٢٠٩٧١.

(٣) الكافي، ج ٧، ص ٨، حديث ١٠.

(٤) الكافي، ج ٧، ص ٧، حديث ١.

الصغير، أو شفي المجنون، أو صلح الفاقد للرشد، تنتقل له حينها صلاحية التصرف كاملة باعتباره صاحب المال الأصلي.

أهلية المرأة

وإذا كان هذا الأمر يبدو في غاية الوضوح حيال أمر الأولاد الذكور، فماذا عنه حيال الفتيات والنساء؟، فهل للبنات حق التصرف في مالها حينما تكبر وتصبح بالغة عاقلة راشدة؟ أم أن هناك ولاية مستمرة عليها؟ هناك مجتمعات لا ترى للمرأة صلاحية التصرف في أموالها، وإنما تكون محصورة في الرجل القائم على شؤونها، أباً أو زوجاً، ومرد ذلك إلى النظرة الدونية تجاه المرأة، غير أن الإسلام يرفض هذا التسلط جملة وتفصيلاً.

إن الشريعة الإسلامية تقرّر على نحو قاطع بأن للمرأة، كما للرجل تماماً، أهلية التملك وحق التصرف في أموالها وممتلكاتها. ذلك أن الحديث الشريف: «الناس مسلطون على أموالهم»، يصدق على المرأة تماماً، باعتبارها جزءاً من الناس، وكذلك الحال مع الحديث الآخر: «لا يحلّ مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه». وبذلك تكون المرأة كالرجل، لها استقلاليتها التامة في قرارها المالي، ووضعها الاقتصادي، كما لها حق التملك عبر مختلف الوسائل المتاحة، ومتى تملك أصبحت المتصرف الوحيد بمالها وأملاكها، ولا ولاية لأحدٍ عليها، فالأب ليس ولياً على ابنته في تصرفاتها المالية إذا كانت بالغة عاقلة راشدة، كما لا يحقّ له التصرف بشيء من مال ابنته إلا بإذنها وموافقتها، فإن أجازت لأبيها التصرف، وإلا فلا يجوز له ذلك، فهو في هذا الأمر كالأجنبي.

والحال نفسه ينطبق على الزوج، فلا قيمومة للرجل على زوجته في الشأن المالي. فهي صاحبة الملك أنى حازت عليه، سواء من خلال الإرث، أو المهر المعطى لها، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا

مَرِيئًا﴿، والصدّاق الوارد في الآية الكريمة جاء بمعنى المهر، فإن أعطي للمرأة ﴿نِحْلَةً﴾ بمعنى هبة وعطية، فقد أصبحت صاحبة الحقّ المطلق فيه، إذا أعطت هي حقّ التصرف بمهرها لأيّ أحدٍ فله ذلك، وإلا فلا. وهذا ما ينطبق على سائر الممتلكات الواقعة تحت يد المرأة، من إرث أو هدية، أو تجارة، فهو ملكها وتحت تصرفها وحدها، ولا يصحّ للزوج أن يتصرف في شيء من أموال زوجته إلا بإذنها ورضائها. هذا ما أجمع عليه الفقهاء في كلّ المذاهب الإسلامية.

حقّ العمل والكسب للمرأة

للمرأة حقّ العمل والكسب كما الرجل تمامًا. وإذا كان هناك من تفصيل في هذا الشأن فهو ذاك المتعلق بعمل المرأة المتزوجة، وما إذا كان ينبغي لها أخذ الإذن من زوجها؟ والجواب على ذلك، أنّها لا تحتاج إلى إذن زوجها للعمل والتكسب، متى كان عملها من داخل بيتها، كأن يكون عملها من بُعد باستخدام الحاسب الآلي، والاستفادة من شبكة الإنترنت، كما بات معروفًا في سوق العمل، أو من خلال الكتابة ومراسلة الصحف، أو خياطة الملابس، أو النسيج، أو أعمال التجميل والمكياج، فلا سبيل له عليها في جميع ذلك. ومردّد ذلك إلى أنّ للزوج على زوجته حقّين فقط، هما حقّ الاستمتاع وحقّ المساكنة، وما دام عملها لا يتعارض مع هذين الحقّين فلا حاجة لها لاستئذان زوجها في العمل.

أما إذا كان عمل الزوجة يستلزم خروجها من البيت، فعندها ينبغي ألا يتعارض مع حقّ المساكنة، وذلك بناءً على الرأي الفقهي القائل بعدم صحة خروج المرأة من بيت زوجها إلا بإذنه، على اختلاف تفصيلي بين الفقهاء، حول ما إذا كان وجوب الاستئذان بالخروج على نحو الإطلاق، أم أنّ الوجوب لا يقع إلا في حال زاحم خروجها حقّه في الاستمتاع، حيث يرى بعض الفقهاء بأنّ استئذان المرأة في الخروج من المنزل ليس واجبًا على نحو الإطلاق، ما دام لا يتعارض مع حقّ الاستمتاع، في حين يرى

فقهاء آخرون عدم جواز خروج المرأة من البيت مطلقاً إلا بإذن زوجها. وبناءً على الرأي الأخير، إذا أجاز لزوجته الخروج للعمل، أو كان ذلك مشروطاً في عقد الزواج، فإن الأجر الذي تحصل عليه لقاء عملها يكون حقها وملكاً لها وحدها، ولا يصح للزوج أن يتصرف في شيءٍ منه إلا بإذنها ورضاها.

النفقة حق ثابت للمرأة

إن حق النفقة ثابت للمرأة على الزوج في كل الأحوال، حتى لو كانت غنية غير محتاجة، وذلك بخلاف نفقة الرجل على والديه، التي لا تكون واجبة عليه إلا إذا كان الوالدان محتاجين، وليست واجبة في حال كان الوالدان مقتدرين مالياً، وكذلك الحال بالنسبة لنفقة الأب على الأولاد، فهي غير واجبة إذا ما كان الأولاد مقتدرين مالياً. لكنه لا يسقط حق المرأة في النفقة أبداً، فهو حق ثابت للمرأة في كل الأحوال، سواء كانت محتاجة لتلك النفقة، أم كانت ثرية غير محتاجة.

ابتزاز المرأة مالياً

المرأة هي صاحبة الحق والمتصرف الوحيد في أموالها وأملاكها. وليس من حق أحد، لا أباً ولا أخاً ولا زوجاً، التصرف في شيءٍ من أموال المرأة إلا بإذنها ورضاها، وقد استخدم القرآن الكريم تعبيراً دقيقاً في هذا الصدد، قال تعالى: ﴿فَإِنْ طِئِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾، ويعني ذلك، أن الاستثناء الوحيد لأخذ شيءٍ من أموال المرأة، إذا كان ذلك عن طيب نفس منها، لا أن يجري الاستحواذ على مالها بالابتزاز، وممارسة الضغوط عليها، كما بات يجري في كثير من القضايا والحالات.

والاستحواذ على هذا النحو على مال المرأة، زوجة أو بنتاً أو أختاً، أمر غير جائز شرعاً، ومن ذلك ما يفعله بعض الآباء الذين يحرمون بناتهم العاملات من الزواج طمعاً في دخلهن، وقد نشرت إحدى الصحف السعودية قبل فترة عن امرأة لم يتسنَّ

لها الزواج إلا بعد وفاة أبيها، وقد بلغت الأربعين من العمر، وذلك لأن أبها درج على الاستحواذ على أجرها الشهري ولا يريد أن يخسر ذلك. ولطالما تحجج بعض الآباء في رفضهم لطالبي الزواج من بناتهم، بأن الخاطب إنما يطلب يد ابنته طمعاً في مالها، والصحيح أن هذا الأب هو الطامع في أموال ابنته لا ذاك الخاطب، ويُعدّ تصرف الأب هذا شكلاً من أشكال الجور المحرم شرعاً.

وتعجّ الصحافة المحلية بالتقارير والتحقيقات التي تناول هذا النوع من القضايا، فما يزال هنالك أخوة يمنعون أخواتهم من استلام نصيبهنّ من إرث أبيهنّ استضعافاً لهنّ، ومما يفاقم ذلك انتشار ثقافة العيب حيال رفع القضايا أمام المحاكم، ومطالبة النساء بحقوقهنّ من إخوانهنّ، على اعتبار أن الدخول في مشاكل قضائية مع الأخوة لقاء حفنة من المال هو أمر معيب!، إضافة إلى الأعراف والتقاليد المحلية، حيث تبدو إجراءات التقاضي أمام المحاكم غير مشجّعة للمرأة في كثير من الأحيان، ما يؤدي إلى ضياع وخسارة الحقوق.

وفي هذا الصدد نشرت صحيفة المدينة في عددها ليوم ٦ فبراير ٢٠١٦ تحقيقاً لافتاً بعنوان: «جاهلية القرن الحادي والعشرين .. وأد ميراث النساء»، وتناولت الصحيفة عدداً من الدراسات الجامعية حول الموضوع، ومن ذلك ما أشارت له دراسة مصرية تقول إن ٩٥ بالمئة من نساء الصعيد محرومات من الميراث، ولنا أن نتخيّل هذه النسبة الهائلة في مجتمع مسلم يعيش في هذا القرن، كما أثبتت الدراسة أن ٣٨ بالمئة من النساء لا يطالبن بحقوقهنّ في الميراث، لمعرفةنّ باستحالة حصولهنّ على هذا الحق!، في حين اعتبر ٢٩ بالمئة من العينة الخاصة بالدراسة أن تقاليد وعادات العائلة تمنعهنّ من المطالبة بالميراث.

ويجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الأزواج يستندون إلى بعض المرويات في تخويل أنفسهم حقّ التصرف بأموال زوجاتهم. ومن ذلك ما ورد: «أن ليس للمرأة أن تتصرف في مالها حتى في أمور البر إلا بإذن زوجها»، إلا أن هذه الرواية وأمثالها

تتصادم وآيات قرآنية واضحة، كما تصادم نصوصاً قطعية من السنة النبوية، ناهيك عن مصادمتها لقواعد أساسية في الفقه، لذلك لا يمكن القبول بها. وقد حمل بعض الفقهاء الرواية على الاستحباب، بحيث يستحب للمرأة، وفق هذا الرأي، ألا تنفق من أموالها في مختلف أوجه البر إلا بإذن زوجها.

مساعدة الزوج

وحين ينصّ الحكم الشرعي على حقّ المرأة وحدها في التصرف بأموالها، فإنّ ذلك لا يعني نأيها عن دعم أسرتها. وخاصة إذا كان الزوج من محدودي الدخل، وذلك على قاعدة العشرة الحسنة والحياة المشتركة بينهما، وما عسى أن تفعل المرأة بالمال إذا لم تخدم به أسرتها، سيّما وأنّ بعض النساء يمارسن خطأً حقهنّ في التصرف بأموالهنّ، بتبديدها على التبضع وملاحقة صرعات الموضة واقتناء الكماليات، في الوقت الذي يعوز منزل أسرتها أشياء أساسية! وفي حين يمكن القول إنّه لا يجب على المرأة من الناحية الشرعية أن تنفق على أسرتها، ولكن ماذا عن الناحية الأخلاقية، وتأثير ذلك على حياة الأسرة؟ وفق هذه الاعتبارات ينبغي للمرأة صاحبة الدخل المالي أن تعين زوجها، وترفّه عن أسرتها؛ لأنّ قيمة المال تكمن في توفيره الراحة للإنسان وللمن حوله، وهذا الخطاب يعني المرأة المقتدرة كما يعني الرجل المقتدر، حيث ينبغي للمرأة أن تشارك مجتمعها وتساعد أسرتها، شريطة أن يكون جميع ذلك عن طيب نفس منها، وليس فرضاً عليها ولا ابتزازاً لها.

إنّ الوسط النسائي بحاجة إلى ثقافة واعية تدفع المرأة إلى وضع الأولويات حيال مسألة الإنفاق، على نحو تأخذ بعين الاعتبار الوضع العائلي وحاجة الأرحام ومساعدة المجتمع.

الإقبال على الدين وتسويق الخرافات

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢]

يفتح الإقبال على أيّ سلعة من السلع المجال أمام ظهور سلع مقلّدة ومغشوشة. ويمكن أن يقود ذلك إلى وجود سوق سوداء قائمة على الغش والتدليس. ونتيجة إلى الرغبة الشديدة في السلعة الأصلية، فإنّ الناس غالباً لا يتمكّنون من التفريق بين الأصلية وتلك المغشوشة، بل إنهم يجدون أحياناً في رخص ثمن السلع المغشوشة عامل جذب، فيقبلون عليها، إلى أن يلتفتوا فيما بعد أنّ بها عيوباً وأضراراً، وأنّها لا تحقق لهم ما كانوا يصبون إليه، وهذا أمر معروف وملموس.

وكما تجري ممارسة الغش والتزييف في الأشياء المادية، فإنّها يمكن أن تجري في الأمور المعنوية والروحية، ذلك أنّه وتحت إلحاح الحاجة للدين، والرغبة في الارتباط بالغيّب، والإقبال على ما يُعتقد أنّه يحقق رضا الله تعالى، يمكن أن يقود ذلك إلى ظهور سوق دينية سوداء، تعرض «منتجات» دينية غير أصلية، وإنّما مغشوشة ومدلّسة، وهذا ما وقع في مختلف العصور لجميع الديانات.

اليقظة ومرجعية العقل

لقد دأبت التعاليم الدينية على حثّ الناس على اليقظة، والتزام جانب الوعي،

حتى لا يُدلس عليهم، ولا تُستغل مشاعرهم الدينية. ومن أهم الوسائل التي اعتمدها القرآن الكريم في هذا السبيل، هو التأكيد على مكانة العقل، بأن يحتكم الإنسان إلى عقله باستمرار، حتى لا تنطلي عليه محاولات التدليس والغش في المجال الديني، أو يُستغفل ويقاد إلى الطريق الخطأ.

إن نزول الرسالات السماوية لا يعني الاستغناء عن العقل، فالدين ليس بديلاً عن العقل، ولم يكن غرض الرسالات السماوية ركن العقل جانباً، وإنما جاء الدين داعماً للعقل، ومؤكداً على مكانته؛ لكون الإنسان عرضة للغفلة، وبروز الحواجز التي تحجزه عن الاستفادة من عقله، من الأهواء والشهوات والظنون والأوهام والخرافات، واتباع الآخرين، كل هذه الحجب تمنع الإنسان من إعمال عقله على النحو السليم، ويأتي الدين منبهاً الإنسان إلى امتلاكه كنزاً ثميناً، وجوهرة عظيمة هي العقل، حاثاً إياه على إعماله والاستفادة من قدراته.

إن التزام الإنسان بدين معين، أو اختياره لمذهب محدد لا يكون بالاعتماد على الأهواء والأوهام وتقليد السابقين، وإنما من خلال إعمال العقل. جاء في الرواية أن ابن السكيت سأل الإمام الهادي عليه السلام عن الحجة على الخلق اليوم، فأجاب الإمام عليه السلام: «العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه»^(١)، من هنا نجد التأكيد المتكرر على إعمال العقل في عشرات من آيات القرآن الكريم. كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وهي تذكير للإنسان بالألا يغفل عن عقله في أي لحظة.

وقال تعالى في جملة من الآيات الكريمة: ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾، ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾.

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٥، حديث ٢٠.

تسلل الخرافات والأساطير

وبالرغم من التشديد القرآني على التزام جانب العقل، لم تسلم الثقافة الدينية السائدة في أوساط المسلمين من تسلل الخرافات والأساطير والمنتجات الدينية المغشوشة. وأصبح هناك سوق دينية سوداء، وساحة للغش والدجل والتضليل باسم الدين، وهذا عين ما حذّر منه رسول الله ﷺ، حيث قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكُذَابَةُ»^(١)، في إشارة منه ﷺ إلى سوق الكذب والاختلاق على لسانه.

إنّ مما ساعد أرباب الخرافة وصناع الأساطير، استغلالهم بعض الجوانب في الدين. ويأتي في الطليعة من ذلك استغلالهم الجانب الغيبي في الدين. حيث من الصحيح أنّ إيمان المؤمن لا يكتمل إلا بالإيمان بالغيب، قال تعالى في صفات المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، إنّ الخرافيين والاستغلاليين يحاولون دومًا الإيحاء للناس بأنّ قضايا الحياة والكون، يمكن أن تجري تبعًا لكتابة قصاصة هنا، أو إلقاء دعاء هناك، وعلى هذا النحو يجري تبسيط الأمور، كما لو لم تكن هناك قوانين وسنن تسيّر هذا الكون، وهذا عين الاستغلال الممقوت في الوسط الديني.

إنّه في الوقت الذي جرى التأكيد في القرآن الكريم على الإيمان بالله وبالغيب وقدرة الله تعالى، وغرس المفاهيم الدينية من التوكل والرجاء والدعاء، جرى التأكيد في مقابل ذلك أيضًا على أنّ للكون قوانين وأنظمةً وسننًا يجري عليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾، وجاء في آية ثالثة: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، وفي آية أخرى: ﴿.. وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾. ونجد آيات القرآن الكريم تشير بوضوح إلى أنّ الحياة لا يمكن أن تسيّر وفق التمنيات، قال تعالى: ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

(١) بحار الأنوار ج ٢، ص ٢٢٥، حديث ٢.

إنّ من غير الوارد أبداً أن تجري الحياة بخلاف السنن الإلهية، كما يروج الخرافيون. لذلك فالإنسان مدعوٌّ إلى أن يسلك طريق السنن، ويأخذ بالأسباب والنواميس الطبيعية، ثم يدعو الله تعالى؛ لأنّ من الخطأ الكبير أن يترك السنن الإلهية ويلجأ عوضاً عن ذلك إلى الدعاء وحده. وقد تناولت هذا الجانب نصوص دينية كثيرة، ومن ذلك ما ورد أن رجلاً من البادية جاء المدينة المنورة على دابة، ودخل على رسول الله ﷺ وكان في المسجد، وسأل رسول الله مشيراً إلى دابته: أأعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟، فقال النبي ﷺ: «اعقلها وتوكل»^(١).

وفي سياق مشابه ورد عن الإمام الصادق ﷺ: «أنّ نبياً من الأنبياء مرض، فقال: لا أتداوى حتى يكون الذي أمرضني هو الذي يشفيني، فأوحى الله إليه: لا أشفيك حتى تتداوى فإنّ الشفاء مني»^(٢). وجاء في رواية أنّ العلاء بن كامل أقبل فجلس قدام أبي عبدالله الصادق ﷺ فقال: يا بن رسول الله، ادعُ الله عزّ وجلّ أن يرزقني في دعة، فأجابه الإمام: «لا أدعو لك، اطلب كما أمرك الله عزّ وجلّ»^(٣). وورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «أربعة لا تستجاب لهم دعوة: رجل جالس في بيته يقول: اللهم ارزقني، فيقال له: ألم أمرك بالطلب؟ ورجل كانت له امرأة فدعا عليها فيقال له: ألم أجعل أمرها إليك، ورجل كان له مال فأفسده فيقول: اللهم ارزقني، فيقال له: ألم أمرك بالاقتصاد، ألم أمرك بالإصلاح»^(٤). وعلى هذا النحو يعلمنا الدين أنّ مسيرة الحياة مقيّدة بالسنن والقوانين.

استغلال الدين

إنّ الخرافيين يمعنون في استغلال حاجات الناس باسم الدين. فإذا كانت بعض

(١) سنن الترمذي، ج ٣، ص ٣٩٠، حديث ٢٥١٧.

(٢) وسائل الشريعة، ج ٢، ص ٤٠٩، حديث ٢٤٩٦.

(٣) الكافي، ج ٥، ص ٧٨، حديث ٣.

(٤) الكافي، ج ٢، ص ٥١١، حديث ٢.

الأوساط تعاني مشاكل معينة، فتحوا أذرعهم إليهم، وراحوا يسوقون عليهم خرافاتهم، مؤحين إليهم بأن خرافاتهم تلك هي المفتاح السحري لحل مشاكلهم، وهذا عين التدليس على الناس.

ولعلّ أحد أوجه هذه التخريفات ممارسة الرقية الشرعية الشائعة على نحو أكبر في المجتمع السني، فقد أصبحت الرقية بضاعة رائجة، يجري من خلالها خداع بسطاء الناس، حتى بلغ بأحدهم، وفقاً للصحف المحلية، أن يدعو إلى فتح عيادات خاصة بالرقية الشرعية داخل المستشفيات العامة.

هنا ينبغي القول أنه لا خلاف حول فضل تلاوة القرآن الكريم، وأنها من العوامل التي ترفع معنويات الإنسان، وتستثير الجانب الروحي عنده، غير أن مورد الخلاف هنا، يكمن في استغلال هذه الحالة في تكريس الشعوذة في أوساط الناس، من خلال ترويج المزاعم بأن هذا فيه مسٌّ، وذاك متلبس به الجنّ، وما إلى ذلك من مزاعم باتت منتشرة في مختلف الأوساط.

وقد نشرت الصحف المحلية قبل أيام، عن شخص يدعى الشيخ علي العمري وكان يمارس الرقية الشرعية مدة عشرين سنة، وقد قال هذا الرجل بعد أن اعتزل ممارسة الرقية، إن الحديث عن تلبس الجنّ بالإنسان أمر غير صحيح، وأنّ تكلم الجنّ بلسان الإنسان أمر منافي للواقع، مبيّناً أنّ مثل هذا الحديث لا ينطلي إلا على طبقة السذج والمغفلين، ونقلت الصحف عنه القول إنّه لم يثبت في الكتاب ولا السنة أنّ الجنّ يمكن أن يتكلم على السنة الناس، وقال إنّه طيلة عمله لم يحضر إليه طلباً للشفاء إلا طبقة السذج والمغفلين فقط، ثم يتساءل العمري؛ هل الجنّ سذج فلا يبحثون عن التلبس إلا بالفقراء، ولماذا لا يتلبسون بالأثرياء^(١)!

لقد بات للخرافيين والمشعوذين سوق رابحة في عصرنا الراهن، بلغت حدّ امتلاك

(١) جريدة عكاظ الصادرة بتاريخ الأربعاء ٩ ربيع الثاني ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٠ يناير ٢٠١٦ م.

وسائل الإعلام والقنوات الفضائية الخاصة. حيث تقوم تجارتهم على استغلال مقيت لجانب الغيب في العقيدة الدينية، فيقومون بتضخيمه في حياة الناس، على حساب المفاهيم الدينية التي تؤكد خضوع الكون والحياة إلى السنن والقوانين الإلهية. وقد بلغ الأمر بأحدهم حدّ ادّعاء النبوة وحظي باتباع!، حيث ادّعى النبوة شخص عراقي يعيش في دولة الكويت اسمه حسين مويس، وقد قبل كلامه جماعة من الناس في الكويت والسعودية، وقد استجاب لدعوته أطباء وأكاديميون ومعلمون ومعلمات، وهو الآن موقوف في الكويت، فيما قضت المحكمة الجزائية المتخصصة في المملكة بسجن خمسة سعوديين ممن آمنوا بدعوة هذا الشخص^(١). ويستغرب الإنسان من قبول هؤلاء دعوة هذا اللاجئ العراقي في الكويت، وكيف تخلّوا عن عقولهم؟. غير أنّ من المهم أن يتنبّه أولئك المتعجبون من انخداع البعض بالشعوذة والخرافة في شكلها الأكبر والأوضح، أن يتنبّهوا إلى أنّهم هم أنفسهم ربما يصبحون ضحايا لتمرير بعض الشعوذات في صورتها المصغّرة، لذلك يجب أن يُبقي المرء عقله يقظاً باستمرار، حتى لا تمرّر عليه مثل هذه الشعوذات والخرافات.

ترهيب الناس

ويعتمد الخرافيون والمشعوذون على إثارة الترهيب من عواقب عدم التصديق بممارساتهم، والامتنال لها. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، ما يُتداول بين الناس مناولة أو عبر وسائل الاتصال الحديثة، من رؤى وأطياف مجهولة المصدر، ويطلب من مستلميها كتابتها وتكثيرها فيما لا يقلّ عن ١٣ مرة ومن ثم نشرها، وذلك تحت طائلة الوقوع في المصائب والمحن في حال التلكؤ عن فعل ما يأمر به، ليستجيب لذلك بعض الناس تحت تأثير الرهبة والخوف من العواقب، وتجد بعض الناس يستسلمون لهذه الممارسة حتى لو قيل لهم بأن لا أصل دينياً لها، وذلك

(١) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ ٢٨/٢/٢٠١٦م.

تحت مبرر أنّ القيام بها لا يضرّ. وليت أمثال هؤلاء يعلمون أنّهم باستجابتهم تلك، ومجاراتهم لأولئك، إنّما يتنازلون عن عقولهم، ويبيعونها لهؤلاء المشعوذين.

وقد وردت نصوص دينية كثيرة في الحثّ على إعمال المؤمن عقله، حتى لا تنطلي عليه الخرافات. جاء في الرواية عن سليمان الديلمي أنه قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فلان من عبادته ودينه وفضله، فقال: كيف عقله، قلت: لا أدري، فقال عليه السلام: «إنّ الثواب على قدر العقل»^(١)، وورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله، فإنّما يجازى بعقله»^(٢)، وجاء في رواية، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: «ذكر عنده أصحابنا وذكر العقل، فقال عليه السلام: لا يعبأ بأهل الدين ممن لا عقل له، قلت جعلت فداك، إنّ ممن يصف هذا الأمر قوم لا بأس بهم عندنا، وليست لهم تلك العقول، فقال الإمام عليه السلام: «ليس هؤلاء ممن خاطب الله، إنّ الله خلق العقل فقال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزّي وجلالي، ما خلقت شيئاً أحسن منك، أو أحبّ إليّ منك»^(٣)، ومضمون ذلك أنّ لا أهمية لإيمان المتدين إذا كان لم يكن عنده عقل، وليس المعنيّ بغياب العقل، أي الجنون، فالمجنون غير مكلف من حيث الأصل، وإنّما المقصود به ذلك الشخص الذي لا يعمل عقله في مختلف الأمور، وقد يسترسل في اتّباع ما يلتقى في أذنه. وورد في رواية أخرى: «كونوا نُقَادَ الكَلَامِ»^(٤)، أي أنّ يكون الإنسان في موقع الناقد، فلا يقبل التسليم بأيّ كلام ولا يأخذه على عواهنه أنّي جاءه.

إنّ مشكلة المشاكل تتجلّى في صناعة أهل الخرافة جوّاً إرهابياً، يكمّمون بموجبه الأفواه. فهؤلاء يتدعون سوقاً دينية زائفة، لترويج الخرافات والأوهام، والمنتجات

(١) الكافي، ج ١، ص ١٢، حديث ٨.

(٢) الكافي، ج ١، ص ١٢، حديث ٩.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٢٧، حديث ٣٢.

(٤) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٩٦، حديث ٣٩.

الدينية المغشوشة والمدلّسة، ثم لا يجرؤ أحد على نقدهم والتصدي لشعوذاتهم، خشية أن تنهال عليه التهم، من كلّ حدبٍ وصوبٍ، باعتباره غير معتقد بأهل البيت عليهم السلام، وأنه موالٍ لغيرهم، وأن عقيدته غير صحيحة، وبذلك يُؤثر المنتقدون السلامة لأنفسهم ويصمتون، لتكون النتيجة شيوع الخرافة بين الناس، والاعتقاد بالأوهام والأساطير، ولتشوّه سمعة الدين، وتلطّخ صورة المذهب. والأنكى، ما يجري من توريط الناس في انشغالات زائفة، على حساب الأولويات والأعمال الجادّة الصحيحة، التي تقود إلى إعمار الحياة، وتنمية المجتمع. وهذه مشكلة كبرى تعيشها الأوساط المتديّنة، ولعلّ ما يزيدّها أوارًا واستعارًا أجواء الحماس الديني، وتحول الدين والمذهب إلى هوية مغلقة، وسط انفجار لصراع الهويات، ليكون ذلك عاملاً مساعدًا لدعاة الخرافة، وقيام السوق السوداء للدين، والتدلّيس على الناس باسم العقيدة.

مرض التوحد وإنسانية المجتمع

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ
فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ
رَبِّكَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الانفطار، الآيات: ٦-٨].

خلق الله تعالى الإنسان على هيئة هي الأكثر روعة وجمالاً من بين سائر المخلوقات. فقد جعله الله في أبهى صورة، كما عبّرت عن ذلك الآية الكريمة ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾.

كما حبى الخالق سبحانه وتعالى الإنسان بأفضل نظام متقن في خلقته وإدارة مملكة جسمه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

وقد دعا القرآن الكريم الإنسان في جملة من الآيات إلى التأمل في نفسه ووجوده، بغرض معرفة قيمته ولیدرك فضل الله تعالى عليه، ومن أجل أن يحسن ادارة ذاته، قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، كما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «من عرف نفسه عرف ربه»^(١)، فالتأمل في النفس هو سبيل إلى معرفة الخالق عز وجل.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٥٢، حكمة ١٠١١.

وظيفة الدماغ والإتقان الإلهي

ولو شئنا الحديث عن أهمّ جهاز عند الإنسان، الذي من خلاله يدير ويتحكم في كيانه وحياته، فسيتمثل ذلك في الدماغ. الذي هو مركز التحكم الرئيس في الجسم، حيث يستقبل عن طريق الأعصاب جميع المعطيات الحسية والمعلومات الواردة من داخل وخارج الجسم، ليقوم بتحليلها بسرعة فائقة، وليصدر على أثرها ردود الأفعال الملائمة، فبمجرد أن تقع يد الإنسان - مثلاً - على جسم حارّ أو بارد، فإنّ الجهاز العصبي يرسل معلومة فورية للدماغ، ليصدر عنه بلمح البصر ردّ الفعل المناسب، سواء بإبعاد اليد عن ذلك الجسم أم غير ذلك من تصرف يقتضيه المقام، وهكذا الحال بالنسبة للنظر أو السمع وسائر الحواس.

إنّ هذه الرسائل التي يرسلها الدماغ هي التي تنظم حركة ووظائف الجسم. كما يقوم الدماغ أيضًا بتخزين المعلومات الخاصة بالخبرات السابقة، الأمر الذي يساعد الفرد على التعلم والتذكر والتصرف بناءً على تلك الخبرات. وغنيٌّ عن القول إنّ الدماغ هو المصدر الأساس للأفكار والانفعالات عند الإنسان.

وكما هو معروف علمياً يبلغ وزن الدماغ عند حديثي الولادة نحو نصف كيلو غرام، ويرتفع الوزن إلى كيلو وأربعة من عشرة عند الأطفال في سنّ السادسة من العمر، والحدّ الأقصى لوزن الدماغ عند الإنسان لا يتعدّى اثنين بالمئة من وزن جسمه. ومع ذلك يستهلك الدماغ بمفرده نحو ٢٠ بالمئة من الأوكسجين الذي يستهلكه الجسم، وتقوم بإمداده به شبكة من الأوعية الدموية إلى جانب الغذاء الضروري. وأقصى مدة يستطيع فيها الدماغ الاستغناء عن الأوكسجين لا تتعدّى مدة الثلاث إلى خمس دقائق فقط، عدا عن ذلك قد يكون الدماغ عرضة للتلف.

ويحتوي الدماغ البشري على ما يتراوح بين عشرة ومئة بليون عصبون، تتشكل خلال الأشهر القليلة التي تعقب الولادة. وحينما يكون وضع الدماغ سليماً، فإنّ ذلك

ينعكس على سلامة الإنسان واتساق حياته، وعلى النقيض من ذلك، إذا طرأ أي خلل وظيفي أو اضطراب في عمل الدماغ، فلربما انعكس ذلك على هيئة إعاقة دائمة تلم بالإنسان.

التوحد خلل في وظائف الدماغ

وتتعدد الإعاقات الناتجة عن الخلل في وظائف الدماغ أو النظام العصبي المرتبط به. إحدى هذه الإعاقات هي ما يعرف بمرض التوحد، وهو موضوع حديثنا بمناسبة اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحد، المصادف للثاني من شهر إبريل من كل عام، الذي أعلنته الأمم المتحدة اعتباراً من عام ٢٠٠٨، لبدأ العالم بعدها الاحتفاء بهذا اليوم، بغرض تسليط الأضواء على المرض.

ووفقاً للتقارير الطبية يأتي مرض التوحد نتيجة عروض خلل وظيفي في الدماغ، لكن لم يقف العلم حتى اليوم على إجابة شافية حول أسباب نشأة هذا المرض، فمن غير المعروف حتى الآن ما إذا كان منشأ المرض أسباب وراثية، أم هو مرتبط بعوارض متعلقة بفترة الحمل، أم لخلل طارئ يصاحب الولادة، أو المرحلة الأولى لطفولة الإنسان، كل هذه الاحتمالات ما تزال مطروحة من قبل العلماء المختصين، لكنهم وبالرغم من الأبحاث الطويلة لم يخلصوا حتى الآن إلى إجابة حاسمة في هذا الشأن.

وتفيد التقارير أن هناك ما يناهز ٦٧ مليون مصاب بمرض التوحد عبر العالم. ويوجد في المملكة وحدها ما يتراوح بين ٣٢٠ و ٣٥٠ ألف حالة من مرضى التوحد. واللافت أن هناك اتساعاً في رقعة انتشار المرض، ووسط تزايد أكبر في نسبة انتشاره بين الأطفال الذكور، بما يصل إلى نسبة أربعة أضعاف العدد قياساً على الإناث، فهناك ثلاثة إلى أربعة أطفال ذكور مصابين بالتوحد مقابل كل طفلة مصابة.

وبحسب المختصين يساهم الكشف المبكر عن المرض في التخفيف من تداعياته على الطفل. وللإشارة إلى بعض أعراض المرض، هناك منها ما ينعكس على القدرات

اللغوية للطفل، فقد يشعر بثقل في اللسان ولا يكون قادرًا على التلفظ بالكلمات على نحو واضح، كما يتجلى ذلك أيضًا في سلوك الطفل المصاب ومدى تفاعله مع الوسط المحيط به، بحيث لا يبدي سلوكًا متوازنًا على غرار الأطفال الأصحاء، علاوة على ردّات الفعل غير الإيجابية التي قد تصدر منه، فقد لا يستجيب إلى النداء بسرعة، ولا يدرك جيدًا معنى قرع جرس الباب، أو رنين الهاتف. ويشير المختصون إلى أعراض متفاوتة على مرضى التوحد، سيما بالنظر إلى حداثة اكتشاف وتشخيص المرض التي لم يمض عليها سوى ٧٥ سنة تقريبًا، على يد الطبيب الأمريكي ليو كانر، لذلك ما يزال مرض التوحد هو الأكثر غموضًا من بين مختلف الاضطرابات العصبية والذهنية لدى الأطفال.

وقد أثارت أحدث التقارير الطبية حول مرض التوحد صدمة لدى الأوساط المعنية. فقد أورد أحد التقارير التي أشهرها مركز السيطرة والتحكم بالأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة سنة ٢٠١٢ بشأن انتشار مرض التوحد، بأن هناك طفلًا واحدًا مصابًا بالتوحد من بين كل ٨٨ طفل دون سن الثامنة، وسط تصاعد في الأرقام بين سنة وأخرى، فقد كان معدل الإصابة بالمرض في عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٢ يبلغ إصابة واحدة من بين كل ١٥٠ طفلًا، لتزيد النسبة في عام ٢٠٠٤ بمعدل إصابة واحدة من بين كل ١٢٥ طفلًا، ولتتصاعد الرقم في عام ٢٠٠٦ بمعدل إصابة من بين كل ١١٠ أطفال، ليبلغ المعدل في عام ٢٠٠٨ سقف الإصابة الواحدة من بين كل ٨٨ طفلًا، وعلى هذا النحو بلغ المعدل في عام ٢٠١٠ إصابة واحدة من بين كل ٦٨ طفلًا.

إنّ المعدل المتسارع لانتشار مرض التوحد عبر العالم يفرض على البشرية أن تولي هذا المرض اهتمامًا أكبر على صعيد الأبحاث والدراسات. وليت البشرية توفر قسطًا من إنفاقها في مجال الصناعات العسكرية وإنتاج الأسلحة الفتاكة والمتاجرة بها، لتصب جانبًا من تلك الجهود في مجالات البحث العلمي التي تفيد الإنسان وتحفظ مستقبل البشرية.

رسالة إلى عوائل التوحّدين

وبمناسبة اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحد، ينبغي في هذا المقام أن نوجّه ثلاث رسائل: الأولى موجهة إلى العائلة المبتلاة بوجود مصاب بمرض التوحد من بين أفرادها، فقد كانت العائلات في الماضي تعيش شكلاً من أشكال الشعور بالإثم والتذمر الداخلي، إلى جانب الخجل الاجتماعي جرّاء معرفة الناس أن لدى العائلة طفلاً مصاباً بالإعاقة، غير أنّ المجتمعات البشرية باتت اليوم أكثر وعياً، وصارت تعترف بحقيقة المرض باعتبارها أمراً واقعاً، الأمر الذي انعكس على نمط التعاطي مع المرض على نحو بات أكثر وعياً ونضجاً.

من هنا ينبغي للعائلة التي تكتشف المرض عند أحد أفرادها، أن تستشعر الرضا بقضاء الله وقدره، فلا خيار ولا يد لها في الأمر، ولا بُدّ أن تكون نفوس أفراد العائلة مفعمة بالثقة والاطمئنان بقضاء الله وقدره، وأن يعتبروا الأمر نوعاً من الامتحان الإلهي، وهذا ما يفرض التعامل مع الطفل المريض تعاملًا سليماً. سيما وأن بإمكان العائلة أن تساهم في تحسّن حالة الطفل المصاب، متى ما أولت ذلك اهتماماً خاصاً، وتحلت بالوعي الكافي بالمرض، فالطفل التوحّدي بإمكانه اكتساب بعض المهارات والخبرات، ومن ذلك ما يتعلق بتناول الطعام والنظافة الشخصية وارتداء الملابس، وإن كان ذلك على نحو أكثر بطئاً من الطفل غير المصاب. وقد لفت نظري في هذا الصدد عدد من الإصدارات عن الجمعية السعودية للتوحد تناولت سبل التعامل مع الأطفال المصابين بالتوحد. وهي كتب علمية ميسرة نافعة وبإمكان أيّ عائلة الحصول عليها.

استثارة الحسّ الإنساني

أمّا الرسالة الثانية التي ينبغي أن نتناولها بمناسبة اليوم العالمي للتوحد فهي موجهة للمجتمع. إذ ينبغي استثارة الحسّ الإنساني تجاه هذه الشريحة، فهؤلاء المصابون هم

بشر، على الجميع أن يتعامل معهم بعناية واهتمام خاص.

إنّ مما يؤسف عليه أنّ هناك فئة من الناس لا تجيد طريقة التعامل مع المصابين ببعض الإعاقات الذهنية، لذلك تجد بعضهم يتعامل مع هؤلاء إمّا بالسخرية أو الابتعاد عنهم، كما لو كانوا مصابين بأمراض معدية، وليتهم علموا أنّ وجود هؤلاء هو امتحان إلهي للمجتمع. وليس من قبيل المبالغة القول إنّ حقيقة إنسانية الإنسان إنّما تتمظهر في نمط تعامله مع أفراد هذه الفئة الضعيفة. وقد راق لي رؤية أحد المؤمنين ممن يحضر للصلاة معنا في المسجد برفقة ابنه المصاب بالتوحد، حيث لا ينبغي بأيّ حالٍ عزل هؤلاء عن محيطهم الاجتماعي، وإنّما ينبغي إدماجهم اجتماعياً، من خلال الحضور في المساجد والحسينيات والأندية الرياضية والمجالس العائلية، فذلك ما يساعدهم على الصعيد النفسي، علاوة على إكسابهم المزيد من المهارات والخبرات، وكلّ ذلك بخلاف ما تقوم به بعض العوائل التي تحجب طفلها عن أنظار الناس خشية الإحراج، وهذا خطأ فادح يرتكب بحقّ الطفل المصاب. ينبغي القول إنّ مرافقة الوالدين للطفل التوحد ضمن الأماكن العامة، يتضمن إشارة قوية إلى حجم الدور الذي يقومون به تجاه ابنهما المصاب، وبذلك يستحقان الإعجاب والتقدير، علاوة على استحقاقهما الثواب العظيم من الله تعالى.

الحاجة إلى المراكز المتخصصة

واستطراداً، ينبغي أن يكون هناك المزيد من المؤسسات المتخصصة في التعامل مع فئة المصابين بالتوحد. ومن أسف نقول، إنّنا لا نكاد نجد في محافظة كبيرة ذات كثافة سكانية عالية، كمحافظة القطيف أكثر من بضعة مراكز معنية بهذه الفئة، ومنها مركز تواصل التابع لجمعية القطيف الخيرية، ومركز زهور المستقبل التابع لجمعية تاروت الخيرية، ومركز إيلاف في مدينة صفوى، ومركز الرعاية النهارية في مدينة القطيف.

وفي إشارة إلى مدى شحّ المراكز المتخصصة في هذا المجال، أتضح لي من خلال الحديث مع مركز تواصل بالقطيف أنّ لديهم ٤٧ طفلاً توحدياً، في حين لا يزال أكثر من خمسين طفلاً مسجلاً عندهم على قائمة الانتظار، نتيجة عدم القدرة على استيعابهم؛ نظراً لمحدودية الإمكانيات. إنّ المطلوب هو أضعاف المراكز الموجودة.

وقد حملني بعض المسؤولين عن مراكز ذوي الاحتياجات الخاصة رسالة للمجتمع. وخصّوا بها المتصدّين لتشديد المساجد والحسينيات، والقائمين على الأنشطة الدينية، وفحواها أن يولوا هذه الشريحة، بعضاً من اهتمامهم، ليس تقليلاً من قيمة أماكن العبادة، وإنّما لغرض لفت نظر المجتمع إلى الحاجة الماسة لوجود المراكز الخدمية لذوي الاحتياجات الخاصة، وأهميتها القصوى. وليس لديّ أدنى شك أنّ الأجر والثواب المرجو من تشييد هذه المراكز الخدمية سيكون أعظم وأكبر بمقدار الحاجة الملحة لوجودها، إذ إنّ تعاضم الأجر والثواب بمقدار تعاضم الحاجة لعمل الخير. حيث ولله الحمد هناك وفرة في المساجد والحسينيات، وخير ما يحضرني في هذا المقام ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «إذا رأيت الناس قد أقبلوا على كثرة العمل، فأقبل على صفو العمل»^(١)، وذلك في إشارة منه عليه السلام إلى ضرورة الالتفات إلى سدّ مناطق الفراغ عوضاً عن تكرار ما يقوم به الآخرون، والمراكز الخدمية لذوي الاحتياجات الخاصة تمثل منطقة فراغ كبيرة في وقتنا الراهن، وتستحقّ من الجميع الالتفات لها، وليثق المتبرع في هذا السبيل أن ثوابه وأجره على هذا العمل لا يقلّ بأيّ حالٍ عن أجره مقابل التبرع إلى الأنشطة الدينية إن لم يفقها أجرًا وثوابًا.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الجهات الرسمية تتحمل دفع الرسوم المترتبة عن كلّ طفل توحدٍ للمراكز التي تستضيفهم، والبالغة نحو ثلاثين ألف ريال عن كلّ طفل، كما تدفع الوزارة إعانة مالية لكلّ عائلة لديها طفل توحدٍ، وينبغي الإشارة هنا إلى أنّ هذه الإعانة تعدّ من الناحية الشرعية حقّاً للولد المعاق، ولا يجوز للعائلة أن تتصرف

(١) محمد بن الحسن الحسيني العاملي، المواعظ العددية، الطبعة السادسة ١٤١٩ هـ، قم، ص ١٧٨.

فيه، وقد لفت نظري في هذا الصدد قول أحدهم بأن طفله المعاق «قد تبارك عليه»، فهو وعائلته يستفيدون من الإعانة الرسمية المخصصة لابنهم في الصرف على العمرة والزيارة، ولا أدري بأيّ وجه شرعي يستحلّون هذا الحقّ المخصّص للطفل المعاق، حيث لا يجوز لهم شرعاً التصرف بأيّ شيء من هذا المال إلا ضمن أوجه الإنفاق عليه.

وقد أكبرت كثيراً ما شاهدت ضمن مهرجان مدرسي نظّمته مدرسة النجاح الثانوية بالقطيف بتاريخ ٢٠/٦/١٤٣٧هـ، حيث احتوى على أركان مخصّصة لذوي الاحتياجات الخاصة، والرسالة الضمنية هي أنّ وجود الإعاقة لا يعني نهاية دور المعاق في المجتمع، سيما لجهة الإمكانية المتوفرة لاكتساب هذه الفئة القدرات والمهارات، وقد عرضت تلك الأركان المدرسية جانباً من أعمال المعاقين ومعروضاتهم، مما يشير إلى إمكانية تطوّرهم على صعيد مختلف المهارات، والأهم هو شعور أفراد هذه الفئة بأنّ لهم قيمة في الحياة، وأنّهم أرقام معترف بها في المجتمع الذي يعيشون فيه.

للعاملين في مراكز ذوي الاحتياجات

والرسالة الأخيرة موجّهة للعاملين في المراكز الخاصة بذوي الاحتياجات. إنّ المعروف عالمياً، أنّ العمل في هذا النوع من المراكز منوط بمن يحملون مؤهلات متقدمة، فلا يدخل ضمن هذه المراكز إلا من كان يحمل شهادات عليا، إلى جانب امتلاكه الخبرات الكافية، والتدريب اللازم للتعامل مع هذه الفئة.

ولكن بالنظر إلى حداثة هذه المؤسسات في مجتمعنا، فإننا مدعوون لتوفير المزيد من الخبرات وتأهيل المتخصصين. وبالرغم من إدراكنا لمدى التعب والعناء الذي يتطلّبه العمل مع هذه الشريحة، إلا أنه يبقى عملاً يكتنفه الكثير من الإنسانية. وقد تحدّثت إلى بعض الأخوات العاملات في هذه المراكز، وأسعدني كثيراً ما لمستة عندهنّ من شعور بالسعادة، كونهنّ يقمن بعمل إنساني كبير، وهو كذلك بالفعل.

من هنا، لا بُدَّ من تشجيع العاملين في هذه المراكز، من حيث المكافآت المالية والتقدير والاحترام.

إنَّ علينا أن ندرك ونحن نستقبل اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحد، بأنَّ العمل في هذا المجال، تتجلى فيها إنسانية المجتمع، تمامًا كما يتجلى الاهتمام الديني في وجود الأماكن العبادية. إنَّ الحالة الدينية في أيِّ مجتمع ستكون فارغة من أيِّ مضمون وستبقى مجرد طقوس ظاهرية، إن لم تفرز الوجه الإنساني، وتكرس الحالة الإنسانية في المجتمع، هذا ليس مجرد كلام انطباعي، إنَّما هو تعبير عن جوهر الدين، حيث ورد في الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلق عيال الله فأحبَّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله»^(١)، فالدين يعتبر مقياس التدين الصادق يتمثل في الاهتمام بمناطق الضعف في المجتمع، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، فالآية تشير بوضوح إلى أنَّ المكذب بالدين ليس هو المتكاسل في صلاته وصيامه، وإنَّما هو ذاك الذي يضطهد اليتيم ولا يطعم المسكين، وليس في ذلك تقليل لأهمية الصلاة، بقدر ما فيه من تركيز على المظهر الأهم للتدين الصادق المتمثل في رعاية الأيتام وإطعام المساكين.

كلُّ ذلك يدعونا إلى تركيز الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة، والوقوف بجانبهم، سائلين الله لهم الصحة والعافية، ولعائلاتهم الثبات والصبر وحسن التعامل ومزيد الأجر والثواب.

(١) الكافي، ج ٢ ص ١٦٤، حديث ٦.



الوضع الصحي ومواجهة أمراض العصر

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام
أنه قال: «الصحة أفضل النعم»^(١).

يُعدّ التوفّر على الصحة والعافية، العامل الأساس لتمتع الإنسان بحياته. بخلاف ما إذا ابتلي المرء بالأمراض، حيث تنغص آلام المرض حينئذٍ عليه متعة الحياة، وتمنعه من ممارسة الحركة والنشاط الطبيعي، وقد أوجز الإمام عليّ عليه السلام مكانة الصحة في حياة الإنسان بالقول «الصحة أفضل النعم»، ذلك أنّ الاستمتاع بمختلف النعم مشروط بالتمتع بالوضع الصحي السليم، فإذا فقدت الصحة فما عسى يفيد المال؟ وما نفع الألقاب والمناصب؟ وكذلك الحال مع سائر المكاسب الأخرى.

وفي كلمة أخرى وردت عنه عليه السلام أنه قال: «بالعافية توجد لذة الحياة»^(٢)، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «العافية نعمة يعجز الشكر عنها»^(٣)، إنّ هذه الحقائق الجلية تستلزم الاهتمام بالرعاية الصحية، وألا يعبت الإنسان بصحته بأيّ نحوٍ من الأنحاء. غير أنّ أغلب الناس ما داموا ينعمون بالعافية، فإنّهم يغفلون عن رعاية أنفسهم بالشكل المناسب صحياً، لأنّهم ببساطة لا يدركون فداحة افتقاد الصحة على حياتهم، وقد قيل في ذلك: «نعمتان مجهولتان: الصّحة والأمان»، وقيل أيضاً: «الصّحة تاج على رؤوس

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٤٠، حكمة ١٠٩٤.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٦٥، حكمة ٨٦.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق، ص ٣٠٠، حديث ٣٤٠.

الأصحاء، لا يراه إلا المرضى». وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «العافية نعمة خفية، إذا وجدت نسيت، وإذا فقدت ذكرت»^(١).

التوعية بداء السكري

وتقديرًا لأهمية العناية بالصحة قرّرت منظمة الصحة العالمية، الإعلان عن يوم الصّحة العالمي. وجعلت من ذلك اليوم المصادف ليوم السابع من نيسان أبريل من كلّ عام، مناسبة للتذكير بأهمية التمتع بالصحة والعافية، وهو مناسبة لتوجّه الأصحاء لله تعالى بالشكر على نعمة الصّحة، وللمرضى بطلب السلامة والعافية منه تعالى، راجين أن يمنّ تعالى على جميع المرضى بالصّحة والعافية.

وقد دأبت المنظمة في كلّ عام على التركيز على مرض معيّن، تبعًا لخطورة ذلك المرض وسعة انتشاره في المجتمع البشري، وقد خصّصت المناسبة لعام ٢٠١٦ للتوعية بداء السكري، هذا الداء الوبيل الفتاك الآخذ في الانتشار عبر العالم، حيث تشير الإحصاءات إلى أنّ عدد المصابين بالسكري عبر العالم بات يزيد على ٤٢٢ مليون شخص، وهو ما يعادل أربعة أضعاف العدد لعام ١٩٨٠، حين كان يلامس المئة مليون مصاب.

وعلى المستوى المحلي، تشير التقارير إلى أنّ السعودية احتلت المرتبة الأولى عالميًا، في عدد المصابين بالمرض. وأنّ ربع السعوديين مصابون بهذا الداء الخطير، أي إنّ واحدًا من كلّ أربعة سعوديين مصاب بالسكري، وبلغت الأرقام هناك ما يزيد على ثلاثة ملايين وستمئة ألف مصاب بالسكري في المملكة، وهو ما يعادل نسبة ٩, ٢٣ بالمئة، ما يجعلها النسبة الأعلى في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهناك نحو ١٣ بالمئة من السكان معرّضون للإصابة بالمرض خلال السنوات الثلاث المقبلة. وهذه نسبة عالية خطيرة، لجهة ما يترتب عليها من مشاكل كثيرة، من الإصابة

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٦، حديث ٥٨٧٨.

في شبكية العين المفضية للعمى، والتأثيرات السلبية على القلب والكلية والأطراف، فهناك إحصاءات سنوية مذهلة حول عمليات بتر الأطراف، نتيجة الإصابة بالسكري في المملكة، ناهيك عن الخسائر الاقتصادية المترتبة على انتشار الإصابة بالمرض، التي قدرت بنحو ٨٠ مليار ريال في العام الواحد.

الوقاية من السكري

وقد ركزت منظمة الصحة العالمية في سبيل الوقاية من داء السكري على أمرين اثنين؛ أولهما الاهتمام بسلامة النظام الغذائي، والثاني ممارسة الرياضة. فهناك على مستوى النظام الغذائي إفراط في التهام الطعام، على نحو تشير التقارير إلى ارتفاع لافت في معدّل السعرات الحرارية المستهلكة يوميًا عند الأفراد. فقد كان معدّل السعرات الحرارية التي يحصل عليها الفرد يوميًا من الغذاء، خلال فترة الستينيات، نحو ٢,٠٠٠ سعرة حرارية، ليرتفع في الوقت الراهن إلى ٣,٥٠٠ سعرة حرارية. والأنكى، أنّ تلك السعرات الحرارية في الأزمنة السابقة تجد طريقها للتصريف نتيجة الحركة والنشاط، تبعًا لطبيعة الحياة وظروف العمل، على النقيض مما يجري اليوم، حيث ازداد معدّل استهلاك الطعام، وتضاءلت كثيرًا نسبة الحركة والنشاط، فإذا اجتمع انعدام سلامة النظام الغذائي مع قلة الحركة، تسنّى لنا معرفة سبب تزايد المصابين بداء السكري في المملكة، ليصل إلى شخص واحد من بين كلّ أربعة سعوديين.

وقد بلغ من استهانة بعض الناس بخطورة الإفراط في الطعام، أنّ يشجّع أحدهم الآخر على المبالغة في التهام الطعام، خلال الدعوات الاجتماعية، أو الرحلات مدفوعة الثمن، متناسين قول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾، ومما يفاقم المشكلة ارتباط مختلف مناسباتنا الدينية والاجتماعية بتقديم الولائم، إنّ تدهور الصحة هو الثمن الباهظ الذي يتعيّن دفعه نتيجة الإفراط في الطعام. والحال أنّ معدّل استهلاك الطعام ينبغي أن يرتبط بمعدّلات الحركة والنشاط. ذلك أنّ ارتفاع معدّل

استهلاك السعرات الحرارية يستلزم وجود حالة تصريف متناسبة، وإلا انعكس ذلك على معدلات الوزن، وزيادة السمنة، وأمراض السكر والقلب، وارتفاع الضغط.

ترشيد العادات الغذائية

إن مجتمعاتنا بحاجة إلى حملات توعوية مكثفة، على صعيد تحسين العادات الغذائية. وأول خطوات التوعية تبدأ من المنزل، حيث ينبغي لرب الأسرة، باعتباره مسؤولاً عن صحة عائلته، أن يتحلّى بالوعي الغذائي في المقام الأول، على نحو يجعله يعرف جيّداً طبيعة الأغذية التي يجلبها لعائلته، وضمنان توفير الغذاء الصحي لها، فكما أنّ ربّ الأسرة لا يستسيغ أن يأتي لعائلته بطعام ملوث أو فاسد أو منتهي الصلاحية، ينبغي له أيضاً التدقيق في نوعية الطعام، وإيلاء هذا الأمر أهمية قصوى، أخذاً في الاعتبار تسبّب بعض الأطعمة في تفاقم أمراض العصر.

وكذلك بالنسبة لربة المنزل أيضاً، ينبغي أن تراعي الإرشادات الصحية، عوضاً عن الإفراط في إعداد الأطعمة المشبعة بالدهون والسكريات، أو استرضاء الأطفال بإعطائهم النقود، والسّماح لهم بالذهاب للبقالات لشراء السكريات والمعلبات، أو ارتياد مطاعم الوجبات السريعة، بكلّ ما تحمل هذه النوعية من الأطعمة من أضرار على صحتهم.

وهذا ما يتطلّب أيضاً توعية الأطفال أنفسهم التوعية الصحية المناسبة، حتى يتجنّبوا الإقبال على استهلاك كلّ ما يجدونه أمامهم، ومن ذلك على سبيل المثال الأطعمة والمثلجات التي تروّجها السيارات المتنقلة بين الأحياء السكنية، والأماكن الترفيهية، والتي لا أحد يعلم عن ظروف إعدادها وتحضيرها. وينبغي أن ينسحب ذلك على المقاصف المدرسية، التي لا يُراعى فيها توفير الأطعمة الصحية للطلاب. وهذا ما يلقي بالمسؤولية على إدارات المدارس نفسها.

كما تتحمّل المنابر الدينية أيضاً جانباً مهمّاً من توعية الجمهور على هذا الصعيد،

بالنظر لاهتمام الدين بالجانب الصحي في حياة الإنسان، حيث ورد عن النبي محمد ﷺ ضمن سياق حديثه عن الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، أنه قال: «الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا الصِّحَّةُ وَالْعَافِيَةُ، وَفِي الْآخِرَةِ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ»^(١).

الإرشادات الدينية الصحية

وقد وردت نصوص دينية عديدة في ضرورة الحفاظ على الصحة في حياة المسلم. فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «المعدة بيت الأدوية، والحمية رأس الدواء»^(٢)، ذلك أن الكثير من المشاكل الصحية منشؤها من الأطعمة وأنواع الشراب. وهنا لا بُدَّ من الإشارة إلى أنه في الوقت الذي ينبغي أخذ التعاليم الدينية حول الصحة العامة بعين الاعتبار، ينبغي التزام الحذر حيال الروايات الصحية التفصيلية الواردة في عدد من الكتب المتداولة، من قبيل كتاب «طب النبي» المنسوب لأبي عباس المستغفري أو كتاب «طب الأئمة» لابني بسطام الحسين وعبدالله، فلا يصحَّ أبداً الاعتماد على تلك الروايات في القضايا الطبية التفصيلية، فهناك في عصرنا الراهن تقدّم علمي كبير، وطب حديث، يمكن الاعتماد عليه، خاصة وأنّ الكتابين الأنفين غير معتبرين لجهالة مؤلفيهما بحسب المتخصصين في علم الرجال، فلا أحد يعلم بجامع هذين الكتابين على وجه التحديد، وقد ذهب العلماء إلى القول بعدم اعتبار أغلب ما فيهما من الروايات، وأمّا ما ورد في غيرهما من الكتب فأكثره ضعيف سنداً، والمعتبر منه قليل.

وقد أورد الشيخ الصدوق في كتابه «الاعتقادات» كلام لطيف حول الروايات الطبية الواردة، حيث قال: «اعتقادنا في الأخبار الواردة في الطب أنها على وجوه، منها ما قيل على هواء مكة والمدينة، فلا يجوز استعماله في سائر الأهوية، ومنها ما أخبر به العالم (الإمام) على ما عرف من طبع السائل، ولم يتعدّ موضعه، إذا كان أعرف بطبعه

(١) بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ١٧٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٧٥.

منه، ومنها ما دلّسه المخالفون في الكتب لتقبيح صورة المذهب عند الناس، ومنها ما وقع فيه سهو من ناقله، ومنها ما حفظ بعضه ونسي بعضه»^(١).

ومضمون قول الصدوق أنّ الوصايا الطبية الواردة عن النبي والأئمة، قد تكون جاءت على وجوه مختلفة. فلربما أتى الإمام مريض في المدينة المنورة يشتكي من علة، فيوصيه الإمام بوصايا طبية تتناسب وأجواء المدينة، وليست تتناسب بالضرورة مع من يعيش في أجواء أخرى، وقد تأتي وصية الإمام بناءً على وضع السائل أمامه دون غيره من الناس، تمامًا كما هو جارٍ في عصرنا الراهن حيث يعطي الطبيب الوصفة بناءً على تشخيص كلّ مريض على حدة، وفي الوجه الثالث يشير الصدوق إلى أنّ بعض الروايات الطبية ليست إلا روايات مدسوسة من أعداء أهل البيت، بغرض الإساءة لمذهبهم، إضافة إلى إمكانية وقوع الرواية عن الأئمة في السهو، فقد ينقلون عنهم خلاف ما سمعوا منهم، تمامًا كما لو سئل القادم من المستشفى عن كلام الطبيب، فقد يسهو عن كثير مما قاله له، وكذلك الحال مع المستمع لخطيب على المنبر، فقد لا ينقل جميع ما سمعه على نحو دقيق، ربما لعدم استيعابه بعض ما قيل، لذلك لا يمكن الأخذ بكلام الرواة عن الأئمة على عواهنه، وهنا بالتحديد يكمن دور العلماء المحققين في تمحيص الروايات والوقوف على مدى صحتها. لكنّه يمكن الأخذ بالوصايا الطبية العامة الواردة في التراث الروائي، ومنها تلك المتعلقة بالحمية، أو الاقتصار على تناول الطعام وقت الجوع والقيام عنه «وأنت تشتهي»^(٢)، وتجنّب النوم بمعدة متخمة بالطعام، هذه الوصايا تنسجم مع ما توصل له العلم والطب الحديث.

النظام الغذائي والحركة والنشاط

من هنا، وبمناسبة يوم الصحة العالمي نوّد التأكيد على أمرين؛ أولهما التقيد بسلامة النظام الغذائي، فلا يفرط المرء في تناول الطعام والشراب، وأن يلتزم الغذاء

(١) الشيخ الصدوق. الاعتقادات في دين الإمامية، ص ١١٥.



الصحي، بعيداً عن الإكثار من السكريات والمعلّبات، والأطعمة المشبعة بالدهون، والمشروبات الغازية المضرة.

والأمر الثاني ضرورة التزام الحركة والنشاط، والنأي عن حالة الركود والخمول، لما في الحركة من فوائد صحية كبيرة. وقد لفتني إقدام البعض على بذل الجهد بأنفسهم في غسيل السيارة مثلاً، وعندما يقال لهم أن يكلفوا عاملاً بالمهمة مقابل مبلغ زهيد، ويوفروا على أنفسهم العناء، فإنهم يقولون إنّ الفائدة الصحية العائدة عليهم من بذل الجهد والحركة، هي أضعاف مضاعفة من ذلك المبلغ الزهيد الذي يُعطي للعامل، وينسحب ذلك على سائر أشكال الحركة في المنزل، من تنظيف أرجاء المنزل وخارجه، والعناية بتنظيف وتنسيق الحديقة، وهذا ما نراه شائعاً عند الناس في البلاد الأخرى.

ولعلّ جانباً من أسرار وغايات بعض الممارسات العبادية، يكمن في ممارسة الحركة، من صلاة النوافل والسير إلى المساجد لحضور صلاة الجماعة، وتشجيع الجنائز. وتزايد ممارسة الحركة والنشاط البدني أهمية في عصرنا الراهن، ففيه تكمن الراحة الحقيقية للبدن، بالنظر لتفاقم الأمراض المرتبطة بالكسل والخمول.

هل تمتلك المرأة قرار زواجها؟

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٨٧].

تُعَدُّ العلاقة الزوجية إحدى أخصّ وأوثق العلاقات بين بني البشر. فالعلاقة بين الزوجين مفتوحة على جانبي الروح والجسد، علاوة على التداخل والاندماج النفسي بينهما، حتى وصف القرآن الكريم هذه العلاقة باعتبارها نوعاً من السكن لنفس الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، فالزوج وفق التعبير القرآني سكن لزوجته، والزوجة سكن لزوجها.

وذهبت آية قرآنية أخرى إلى وصف العلاقة الزوجية باللباس، فالزوج بمنزلة اللباس للزوجة والعكس صحيح، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، ومن المعلوم أنّ علاقة الإنسان بلباسه تمتاز بالالتصاق في المقام الأول، حيث يلتصق اللباس بالجسم تماماً، وحينما يصف القرآن الكريم العلاقة الزوجية باللباس، فإنّ ذلك من باب التمثيل لحالة القرب الشديد إلى حدّ الالتصاق بين الزوجين. كما يأتي وصف العلاقة الزوجية باللباس، لما في اللباس من حماية للجسم، من البرد والحرّ والغبار، وسائر العوامل الخارجية التي يمكن أن تؤثر على الإنسان، ومضمون ذلك أنّ العلاقة الزوجية يفترض بها أن توفر الحماية المتبادلة بين الزوجين. وإضافة إلى ذلك، يأتي وصف العلاقة الزوجية باللباس لما في اللباس من ستر لعورة الإنسان، حيث تمثل العلاقة الزوجية سترًا أخلاقياً للإنسان. وأخيراً، جاء وصف الزواج باللباس لما

في اللباس من زينة، فبالقدر الذي يتجمل الإنسان بلباسه، فهو يتجمل كذلك بالعلاقة الزوجية في حياته الاجتماعية، فالزوج بمنزلة الزينة للزوجة، والعكس بالعكس.

الدراسة المتأنية لقرار الزواج

وعليه، ينبغي ألا يدخل الإنسان في العلاقة الزوجية إلا بعد دراسة وتأن؛ لأنها ليست كأبي علاقة أخرى. فالعلاقة الزوجية ليست محلاً مستأجراً يختار الإنسان أخلاءه متى شاء، وإنما هو شراكة مصيرية في الحياة، حيث يتحول الزوج إلى جزء أساس من حياة زوجته والزوجة كذلك، نتيجة الشراكة العميقة والتداخل القائم بين الطرفين.

لذلك ينبغي أن تؤسس هذه العلاقة على أساس صحيح سليم، وإلا فإن التأثيرات السلبية ستكون كبيرة على شخصية الإنسان وحياته. ومن أهم الأسس في إنشاء العلاقة الزوجية حسن الاختيار، بحيث يحسن كل من الطرفين اختيار شريكه، فلا يكون الاختيار منبعثاً من حالة عاطفية، أو على نحو ارتجالي، وألا يأتي نتيجة فرض أو إكراه، فلا يصح أن يفرض على رجل قرار زواجه من امرأة، ولا أن يفرض على امرأة زوج بغير رضاها.

المرأة وقرار الزواج

يأتي السؤال هنا حول ما إذا كان للمرأة حق اتخاذ القرار في أمر زواجها وحدها، أم يلزم اتخاذ أحد آخر قرار زواجها نيابة عنها؟. وتنبع أهمية السؤال انطلاقاً من خطورة هذا القرار على مستقبلها، فهي التي ستكون تحت قوامة الزوج، على النقيض من الرجل الذي سيكون صاحب السلطة وبيده قرار الطلاق، كما أن المرأة هي الطرف الأكثر انفعالاً وتأثراً في الحياة الزوجية، وعليه، فهي معنية مباشرة باتخاذ قرار الزواج، فهل لها حق اتخاذ القرار بالزواج أم لا؟ ينبغي القول، إن هذا الموضوع لم يكن محل

بحث في العصور الماضية، حين كانت المرأة تعاني التهميش الشديد، والنظرة الدونية، نتيجة الهيمنة الذكورية المتفشية، لذلك لم يكن للمرأة رأي يذكر في تحديد مصيرها، بل لم يكن ينظر للمرأة باعتبارها في مرتبة موازية للرجل، وإنما هي في مرتبة دون الرجل، كما في بعض الحضارات والتنظيمات الاجتماعية القديمة.

لقد ساهم ظهور الإسلام في بروز تغيير جذري في نمط التعامل مع المرأة الجارية في الأقسام السابقة. ولكن ما الذي أضافه الإسلام حيال امتلاك المرأة قرارها في الزواج؟. حقيقة الأمر، هناك نقاش محتدم بين فقهاء الإسلام حيال موضوع حق المرأة في اتخاذ قرار الزواج. ولقد بلغ من اختلاف الفقهاء في مسألة تزويج المرأة نفسها حدًا جعل أحد العلماء الكبار؛ الشيخ يوسف البحراني، يقول في كتابه الحدائق «وقد عدّها الأصحاب من أمّهات المسائل، ومعضلات المشاكل، وقد صنفت فيها الرسائل، وكثر السؤال عنها والمسائل، وأطبب جملة من الأصحاب فيها الاستدلال لهذه الأقوال وأكثروا فيها القيل والقال»^(١)، وهذا ما يشير إلى مدى التعقيد المحيط بهذه المسألة.

أمّا عن أهمّ الأقوال في مسألة حقّ المرأة في تزويج نفسها، فهناك ثلاثة أقوال، حيث يحصر القول الأول قرار التزويج بيد الولي فقط، إذ يرى جملة من الفقهاء من مختلف المذاهب أنّ قرار الزواج بالنسبة للبنات البكر محصور بيد وليها، الذي قد يكون الأب أو الجدّ للأب، وعلى رأي المذاهب السنية ينتقل القرار للعصبة من أعمام وأخوال في حال وفاة الأب والجدّ، وبذلك لا قرار للبنات في أمر زواجهنّ وفقًا لهذا الرأي، واستدلّ هذا الفريق من الفقهاء بجملة من الروايات، ومن ذلك صحيحة فضل بن عبد الملك عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تُستأمر الجارية التي بين أبويها، إذا أراد أبوها أن يزوّجها هو أنظر لها»^(٢)، أي إنّ البنات لا رأي لها إذا ما قرّر والدها تزويجها، واستدلّوا كذلك برواية أخرى عن الإمام الصادق، كما في صحيحة

(١) المحقق الشيخ يوسف البحراني، الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، ج ٢٣، ص ٢١٢.

(٢) الكافي، ج ٥، ص ٣٩٤، حديث ٥.

الحلبي في الجارية يزوّجها أبوها بغير رضا منها، أنه قال عليه السلام: «ليس لها مع أبيها أمر، إذا أنكحها جاز نكاحها وإن كانت كارهة»^(١)، وقد استند هذا الفريق من الفقهاء الشيعة على هذه الروايات، وقالوا بأنّ القرار بيد الولي، ويوافقهم في ذلك الشافعية والمالكية حيث قالوا؛ تثبت الولاية إجبارياً للأب، وللجدّ عند عدمه، فللأب تزويج البكر صغيرة أو كبيرة بغير إذنهما، ويستحب استئذنها. وجماع القول عند هذا الفريق أنّ البنت لا قرار لها في أمر زواجها، وإنما يتخذ بالنيابة عنها، أخطر قرار يتحدّد بموجبه مصيرها ومستقبلها.

القرار بيد الفتاة

أمّا في القول الثاني، فقد ذهب فريق آخر من الفقهاء إلى القول بأنّ قرار الزواج هو بيد البنت، وليس بيد الولي، ما دامت بالغة عاقلة رشيدة. وعلّلوا ذلك بأنّ الأصل في الشريعة، هو سلطة الإنسان على نفسه، وكون المرأة إنساناً فهي كذلك مسلّطة على نفسها، وإلاّ فما الذي يجعل الرجل يمتلك قراره بيده، فيما ينتزع ذلك الحقّ من المرأة؟ هنا يمكن القول بوجود استثناء في عدم منح المرأة حقّ تزويج نفسها، لكن ذلك يستلزم دليلاً واضحاً وهو غير موجود، وفقاً لهذا الفريق من الفقهاء.

ويستند هؤلاء الفقهاء أيضاً إلى جملة من الأدلة والنصوص الدينية الدالة على أنّ الفتاة البكر تستقلّ بقرار تزويج نفسها، ومن ذلك ما روي عن زيارة عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا كانت امرأة مالكة أمرها تبيع وتشتري وتعتق وتشهد وتعطي من مالها ما شاءت فإنّ أمرها جائز تزوج إن شاءت بغير إذن وليّها، وإن لم تكن كذلك فلا يجوز تزويجها إلاّ بإذن وليّها»^(٢)، ومضمون ذلك وفقاً للرواية، يتقيد حقّ المرأة في تزويج نفسها باستقلاليتها المالية، ورشدها العقلي، وإن كان بغير إذن من وليّها.

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ٢٨٥-٢٨٦، حديث ٢٥٦٤٣.

(٢) الاستبصار، ج ٣، ص ٢٣٤، حديث ٨٤٢.

وضمن هذا السياق نقل السيّد محسن الحكيم في المستمسك خبر ابن عباس، أنّ جاريةً بكرًا جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إنّ أبي زوجني من ابن أخ له ليرفع خسيسته وأنا له كارهة، فقال ﷺ: «أجيزي ما صنع أبوك»، فقالت: لا رغبة لي فيما صنع أبي، قال ﷺ: «فاذهبي فانكحي من شئت»^(١)، وقد ورد هذا الحديث عن ابن ماجة^(٢). وبناءً على هذه الأدلة وأمثالها ذهب إلى هذا الرأي كثير من العلماء المتقدّمين والمتأخّرين، وأصبح هو الرأي المشهور. حتى إنّ بعض الفقهاء ادّعى الإجماع على هذا الرأي كما عند السيّد المرتضى، وصاحب الجواهر، والشهيد في اللّمة، ومال إلى هذا الرأي السيّد الشيرازي في بحثه الاستدلالي، حيث قال: «والأقرب في النظر أنّ الولاية بيدها وحدها للأدلة التي تقدّمت، ولا تقاومها سائر الأدلة، إذ إنّ أدلة سائر الأقوال، بالإضافة إلى منافاتها للأدلة العامة، مثل «الناس مسلّطون» ونحوه، لا بدّ أن تحمل على نوع من الأدب»^(٣)، فهو يرى في بحثه الاستدلالي أنّ أخذ المرأة الإذن من وليها في الزواج يأتي من باب التادّب وحسب، وإنّ قال في فتاواه العملية بالاحتياط.

وذهب فريق ثالث من الفقهاء إلى الجمع بين الأمرين، على نحو يفضي إلى الاشتراك في اتخاذ قرار التزويج، بين موافقة الولي ورضا البنت على حدّ سواء. وبهذا يشترط في صحة التزويج إحراز موافقة المرأة ووليها، فإنّ تمّ إحراز موافقة أحدهما دون الآخر فلا يصحّ الزواج.

تطور العصر وظروف الحياة

لقد كان هذا الجدل الفقهي سيّد الموقف في أوقات سالفه، في حين بات الناس يعيشون اليوم في عصر مختلف تمامًا. فقد انتزع البشر في العصر الراهن حرياتهم، وبات الإنسان، رجلًا أو امرأة، أحرص ما يكون على انتزاع حقّه في اتخاذ القرارات

(١) السيد محسن الطباطبائي الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ج ١٤، ص ٤٤٢.

(٢) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، ج ١، ص ٦٠٢، حديث ١٨٧٤ بتفاوت يسير.

(٣) السيد محمد الشيرازي، الفقه كتاب النكاح، ج ٦٤، ص ٢٧.

التي تحدّد مصيره، وساهمت في ذلك المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، التي جاءت مؤكّدة على الحقوق الفردية. فإذا كانت هذه سمات العصر الراهن الذي يعيشه الناس، فمن الصعوبة بمكان أن نطبق رأياً فقهياً ينتزع حقّ الفتاة في إبداء رأيها في أهمّ شأن من شؤونها وهو الزواج، وترك ذلك الحقّ لوالدها أو وليّها، أو أن تواجه الفتاة بـ «فيتو» من وليّها يمنعها من الزواج بمن تختاره، مع ما يترتب على ذلك من عواقب وتداعيات.

وإضافة إلى اختلاف ظروف العصر، يأتي تغيير الظروف الاجتماعية عاملاً ثانياً، يصبّ في ترجيح كفة الفتاة في حقّ اختيار وتحديد مصير حياتها الزوجية، فقد يصدق القول إنّ أباهـا «هو أنظر لها» ضمن الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة قديماً، حيث كانت المرأة تعاني التهميش والأمية وعدم الإلمام بما يجري في مجتمعها، وبذلك قد تكون فاقدة للقدرة على التشخيص، ومعرفة الناس، ومن ثمّ اتّخاذ القرار المناسب.

غير أنّ جميع ذلك قد تغيّر تماماً، فالمرأة اليوم ليست كما كانت نظيرتها بالأمس. فقد باتت المرأة أكثر تعليماً وأكثر اطلاعاً ومعرفة بمجتمعها، ولم يعدّ مستساعاً ولا مقبولاً النظر إليها اليوم على نحو الاستصغار والدونية، وكأنّها غائبة عن محيطها، وجاهلة بمجتمعها، وبعض بنات اليوم أعلم من آبائهنّ بأحوال المجتمع، وظروف العصر، سيّما مع توفر الدراسات والبحوث، ووسائل التواصل الاجتماعي، وشبكة العلاقات الواسعة الانتشار. وقد أثبتت الأحداث هذه الحقيقة، فلطالما روى آباء عن خاطبين تقدّموا لبناتهم، فلما كلموهنّ في ذلك، ذهبت البنات للتتقيب بأنفسهنّ عن أولئك الخاطبين، وتوفرن على كمّ كبير من المعلومات والتفاصيل عنهم، على نحو لم يكن يخطر على بال الآباء، وهذا ما يشير إلى أنّ بنات اليوم لسنا كبنات الأمس.

الأمّة والتحدّي الحضاري

وقد باتت الأمّة اليوم تعيش تحدّيًا حضاريًا جدّيًا، بلغ حدّ اتهام الإسلام بأنّه لا يقرّ الحريات، ولا يعترف بحقوق الإنسان، ويضطهد المرأة. وما من شك أنّ بعض

الآراء الفقهية تساهم في تعزيز تلك الاتهامات، وتفسح المجال واسعاً لتشويه سمعة الإسلام.

من هنا يغدو من اللازم أخذ ظروف العصر الراهن بعين الاعتبار، حين النظر في تلك الآراء الفقهية المتعلقة بالمرأة. إذ ينبغي ألا نغفل واقع العصر الراهن، عند بحث الشأن الخاص بالمرأة فقهياً، بغرض ترجيح أحد الآراء، مع أهمية النظر في تأثيرات اختيار أو ترجيح أي حكم شرعي على سمعة الإسلام، وواقع المسلمين.

سيّما وأنا ما نزال نواجه استغلالاً لبعض الآراء الفقهية المتقدمة، في تعزيز بعض العادات والأعراف، وإمضائها في المجتمع، ومنها تلك المتعلقة بمسألة تكافؤ النسب بين الزوجين، الذي يعني أنّ أي شخص تزوّجت إحدى أقاربه من شخص يعتبره هو من قبيلة أو عائلة أقلّ شأنًا وأدنى مكانة من قبيلته، فله أن يرفع قضية في المحكمة للتفريق بينهما. وهذا ما حصل بالفعل في حالات متكررة في المملكة، حيث انشغلت الصحافة المحليّة والرأي العام في الآونة الأخيرة ١٤٣٧ بعنوان: «حكم قضائي بفسخ فتاة سعودية من زوجها»، علماً بأن زوجها يعمل جندياً في القوات المسلحة، وهو من المقاتلين على الحد الجنوبي، وذلك تحت مبرر عدم تكافؤ النسب، ومرد ذلك إلى أنّ أعمام الزوجة رفعوا دعوى لإحدى محاكم الرياض، وقد نظرت المحكمة في الدعوى، فيما لجأت الزوجة إلى بثّ معاناتها من خلال مقطع مصوّر انتشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وقد كانت تستغيث وتأمل من الملك، وولي العهد، ووزارة العدل، معالجة أمرها، وإعادة النظر في قرار المحكمة؛ لكونها حاملاً، ويشغل بالها كثيراً التفكير في مستقبلها ومصير وليدها المرتقب، سيّما وأنها تتشبث بزوجها، وهو كذلك لا يريد التخلّي عنها. وهذه ليست القضية الأولى ولا الوحيدة التي تنظرها المحاكم في قضايا تكافؤ النسب، فقد نظرت المحاكم السعودية أكثر من ٦٣ دعوى لفسخ عقد نكاح بمبرر عدم تكافؤ النسب.

مشكلة تكافؤ النسب

ينبغي الإشارة إلى أنّ هناك نقاشاً فقهياً يحيط بمسألة تكافؤ النسب. إذ بخلاف مسألة التكافؤ في الدين المتفق عليها بين المسلمين استناداً إلى الحديث: «المسلم كفو للمسلمة»^(١)، ظلّت مسألة التكافؤ في النسب محلّ خلاف بين فقهاء المسلمين، وفي حين لا اعتبار لمسألة تكافؤ النسب عند فقهاء الإمامية، فلا يشترط عندهم أن يكون الزوج متكافئ النسب مع الزوجة، خالفهم في ذلك الحنفية والشافعية والحنابلة، الذين استدلّوا على رأيهم بقول الخليفة عمر بن الخطاب: «لأمنع فروج ذوات الأحساب إلّا من الأكفاء، قال: قلت: وما الأكفاء، قال: في الحسب»^(٢)، والاعتبار عندهم في النسب للآباء، حيث قالوا إنّ الأعجميّ أباً وإن كانت أمّه عربية، فليس كفواً للعربية، وإن كانت أمّها أعجمية.

وذهب المذهب المالكي إلى عدم اعتبار النسب، كما المذهب الإمامي، حيث قال مالك: «أهل الإسلام كلهم بعضهم أكفاء بعض؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾»^(٣).

وقال الحنفية: «العرب بعضهم أكفاء لبعض بالنص، ولا تكون العرب كفناً لقريش، لفضيلة قريش على سائر العرب... والموالي بعضهم أكفاء لبعض بالنص، ولا تكون الموالي أكفاء للعرب، لفضل العرب على العجم»^(٤)، وكذلك قال الشافعية. والأصحّ عند الحنفية أنّ العجمي لا يكون كفواً للعربي ولو كان عالماً أو سلطاناً، فهو ليس كفواً للزواج من عربية. وذهب بعض الفقهاء إلى القول بالتكافؤ استناداً إلى الحرقة والمهنة، فقد ذهب جمهور فقهاء أهل السنّة إلى القول إنّ الرجل صاحب الصناعة أو الحرقة

(١) الكافي، ج ٥، ص ٣٤١.

(٢) ابن قدامة. المغني، ج ٩، ص ٣٩٢.

(٣) الموسوعة الفقهية، ج ٣٤، ص ٢٧٣.

(٤) الموسوعة الفقهية، ج ٣٤، ص ٢٧٤.

الدينية أو الخسيسة ليس كفوًّا لبنت صاحب الصناعة أو الحرفة الرفيعة أو الشريفة؛ لأنَّ الناس يتفاخرون بشرف حرفهم. وقال الحنفية: «ثبتت الكفاءة بين الحرفتين في جنس واحد، كالبزاز مع البزاز، والحائك مع الحائك، وثبتت عند اختلاف جنس الحرفة إذا كان يقارب بعضها بعضًا، كالبزاز مع الصائغ، والصائغ مع العطار، ولا تثبت فيما لا مقارنة بينهما، كالعطار مع البيطار، والبزاز مع الخراز»^(١).

ولنا أن تصوّر مدى التعقيد الذي لا مبرر له في جميع هذه الأقوال، والأغرب أن جميع ما سبق هو من كلام الفقهاء الذين يقرأون قول رسول الله ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أحمر»، لكنهم يجعلون ذلك في باب الاستثناء.

اختيار الآراء الفقهية المناسبة

إنَّ من الواضح أن الآراء الفقهية التي ذهبت إلى القول بتكافؤ النسب كانت متأثرة بظروف البيئة الاجتماعية والثقافية السائدة في زمانهم. ولكن ماذا عن العصر الراهن بكلِّ تحدياته، المختلفة كليًّا عن ظروف العصور القديمة؟ وهل يصحُّ أن يبقى المسلمون في العصر الحديث محكومين بهذه الآراء المتقدمة؟ نحن وإن كنا نحترم تلك الاجتهادات ضمن سياقاتها المغايرة، إلا أننا إذا انفتحنا على النصوص والمبادئ الدينية، وأخذنا بعين الاعتبار التحديات والظروف المعاصرة، فإن ذلك يتطلّب منا ترجيح الآراء الأكثر تسامحًا وانسجامًا مع مبادئ الدين وروح العصر. سيّما وأن تطبيق مسألة تكافؤ النسب غير داخلية في باب الإلزام والوجوب، وإنما غاية ما يقال إنه حقٌّ من الحقوق، التي يمكن التنازل عنها، إذا ما تعارضت مع ما هو أهمُّ وأولى.

من هنا، وتبعًا لظروف العصر الراهن، ينبغي الأخذ بعين الاعتبار رأي الفتاة في مسألة الزواج. وإذا كانت تصرّ على الزواج من شاب معيّن، فإن رأيها ينبغي أن يكون

(١) الموسوعة الفقهية، ج ٣٤، ص ٢٧٧.

محلّ احترام، وذلك بالنظر إلى التداعيات الخطيرة المتوقعة، في حال تم صرفها عن الزواج ممن تريد تحت ضغط العائلة، وغاية ما هناك أنّ يجري الحديث معها، ومحاولة إقناعها بصرف النظر عن ذلك الزواج، إذا كانت هناك مبررات صحيحة، وإلاّ فلا جدوى من الضغط عليها إذا تشبّثت برأيها، لما في ذلك من عواقب غير محمودة إذا تزوجت لاحقاً بمن لا ترغب فيه، حيث ستفقد الاستقرار في علاقتها الزوجية الجديدة، بالنظر لانشدادهما وعواطفها المنشغلة بأحدٍ آخر.

والحال نفسه مع الشاب الذي جرى رفض ارتباطه بالفتاة التي يحب، إذ ستكون علاقته الزوجية المستقبلية غير مستقرة، لانشداده إلى فتاة أخرى، ما يقود جميع ذلك إلى بروز مشاكل جدّية، ربما قادت إلى انحرافات أخلاقية، وتفكّك أسري. لذلك ينبغي إعادة النظر في هذا الأمر، على نحو يكون هنالك إقرار بحق الفتاة، في قرار الزواج بمن تشاء، وعلى الأسرة أن تمحضها الرأي، وتساعدتها في ترشيد قرارها، مع حفظ حقّها في اتّخاذ القرار النهائي.

أحكام شرعية يغيرها الزمان

سئل ﷺ - علي بن أبي طالب - عن قول الرسول ﷺ: «غَيَّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّمَا قَالَ ﷺ ذَلِكَ وَالَّذِينَ قُلْ فَأَمَّا الآنَ وَقَدْ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ وَضَرَبَ بَجْرَانِهِ فَأَمْرٌ وَمَا اخْتَارَ»^(١).

حين يصدر أمرٌ أو نهْيٌ عن رسول الله ﷺ، عبر قول أو ممارسة، فإنه يعتبر تشريعاً دينياً، لوجوب إطاعته ﷺ على الأمة فيما يأمر وينهي، وكذلك الحال بالنسبة لأئمة أهل البيت ﷺ ضمن المعتقد الشيعي، الذي يراهم امتداداً لدور النبي ﷺ في تبين الأحكام الشرعية.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه أمام تلك النصوص الدينية التي تحمل التشريعات، بعد الفراغ من مناقشة سندها: هل أن مفادها التشريعي يحمل صفة الثبات والدوام بما يتجاوز الزمان والمكان، في كل تلك النصوص الواردة؟

أم أن لتغيير الأزمنة والظروف الاجتماعية تأثيراً على سريان مفعول تلك الأحكام الشرعية؟

لا شك أن الأصل في كل حكم شرعي هو الثبات والاستمرار، فقد ورد في الكافي بسند صحيح عن الإمام جعفر الصادق ﷺ أنه قال: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم

(١) نهج البلاغة، حكمة ١٧.

القيامة، وحرّاه حرام أبداً إلى يوم القيامة»^(١).

لكن الوجدان والواقع يحكم بأنّ الشرع قد يضع أحكاماً لغايات ومقاصد محدّدة بزمن وظرف معيّن، وحين تنتفي تلك المقاصد والغايات، بتغيّر الظرف والزمان، فإنّه ينتهي ويتوقف مفعول تلك الأحكام.

وقد تحدّث القرآن الكريم، عن التغيّر والتطوير في الشرائع الإلهية التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه، حيث تنسخ الشريعة الجديدة أحكام الشرائع السابقة، مواكبة لتطور حياة البشر، حتى جاءت الشريعة الإلهية الخاتمة على يد النبي محمد خاتم النبيين ﷺ.

لكنّ ختم الشرائع بشريعة الإسلام لا يعني توقف التطور والتغيّر في حياة البشر، بل يعني قابلية شريعة الإسلام لاستيعاب المتغيرات، وملاحقة التطور، وهذا هو التحديّ الكبير الذي يواجهه المسلمون في فهمهم لدينهم، واكتشافهم لمنهجية معرفة أحكامه التي توأكب مستجدّات الزمن، وتطور الحياة.

إنّ تأثير خصوصيات الزمان في مناطات الأحكام الشرعية، حقيقة يجب استحضارها عند ممارسة الاجتهاد، واستنباط الأحكام في كلّ عصرٍ ومجتمع، فهي مبرّر أساس لضرورة وجود الفقهاء والمجتهدين في كلّ زمن وجيل.

وهي الحقيقة التي استدعت التغيّر في شرائع الأنبياء، واستدعت وجود النسخ في القرآن الكريم، الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿مَا نُنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٦]. على اختلاف بين العلماء في نوعية النسخ المقصود، وفي مساحته وقوعه.

وفي بحثه حول النسخ في القرآن، أشار السيّد الخوئي إلى هذه الحقيقة بقوله: «والنسخ بهذا المعنى - أي نسخ الحكم - ممكن قطعاً، بدهاءة: إنّ دخل خصوصيات الزمان في مناطات الأحكام مما لا يشكّ فيه عاقل، وإذا تصوّرنا وقوع مثل هذا

(١) الكافي، ج ١، ص ٥٨، حديث ١٩.

في الشرائع، فلنتصور أن تكون للزمان خصوصية من جهة استمرار الحكم وعدم استمراره، فيكون الفعل ذا مصلحة في مدة معينة، ثم لا تترتب عليه تلك المصلحة بعد انتهاء تلك المدة، وقد يكون الأمر بالعكس»^(١).

النبي يرفع بعض أحكامه

يتضح من السيرة النبوية الشريفة، ومن عدد من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ، أن هناك تشريعات أصدرها النبي ﷺ وعمل بها المسلمون، لكنه بعد مدة من الزمن أعلن رفع تلك التشريعات، منبهاً أنه أمر بها لمصلحة، وحين انتفائها فإنه ﷺ يلغي ذلك التشريع.

ومن تلك الأحاديث ما ورد في صحيح البخاري عن سلمة بن الأكوع قال: «قال النبي ﷺ: من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وبقي في بيته منه شيء. فلما كان العام المقبل، قالوا: يا رسول الله، نفعل كما فعلنا العام الماضي؟ قال: كلوا، أطعموا، وادّخروا، فإن ذلك العام كان بالناس جهداً. فأردت أن تعينوا فيها»^(٢).

وفي رواية أخرى عنه ﷺ أنه قال: «إني كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، كيما تسعكم، لقد جاء الله بالخير فكلوا، وتصدقوا، وادّخروا»^(٣).

وأورد ابن حجر في فتح الباري عن أبي سعيد «كان رسول الله ﷺ قد نهانا أن نأكل لحوم نسكنا فوق ثلاث، قال فخرجت في سفر ثم قدمت على أهلي - وذلك بعد الأضحى بأيام - فأتتني صاحبتني بسلق قد جعلت فيه قديداً، فقالت: هذا من ضحايانا، فقلت لها: أو لم ينهنا؟ فقالت: إنه رخص للناس بعد ذلك، فلم أصدقها حتى بعثت إلى أخي قتادة بن النعمان - فذكره وفيه - قد أرخص رسول الله للمسلمين في ذلك»^(٤). كما

(١) البيان في تفسير القرآن، ص ٢٧٨.

(٢) البخاري، باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي، حديث رقم ٥٥٦٩.

(٣) كنز العمال، ج ٥، ص ٩٢، حديث ١٢٢٠١.

(٤) فتح الباري، ج ١٠، ص ٣٢.

أورد أن النبي ﷺ قام في حجة الوداع فقال: «إني كنت أمرتكم أن لا تأكلوا الأضاحي فوق ثلاثة أيام لتسعكم، وإني أحله لكم، فكلوا منه ما شئتم»^(١).

فهناك أمر صادر من رسول الله ﷺ بعدم ادّخار شيء من الأضاحي لما بعد ثلاثة أيام، ثم تبعه في السنة الأخرى إلغاء لهذا الأمر؛ لأنّ مبرّره وهو وجود الحاجة لها، والضائقة عند الناس لقلّة اللحوم قد زالت.

ومثله ما ورد عنه ﷺ، كما في فتح الباري، أنه قال: «كنت نهيتكم عن القران في التمر، وإنّ الله وسّع عليكم فاقنوا»^(٢) حيث عنون البخاري في صحيحه باباً بعنوان القران في التمر، وهو ضمّ تمرّة إلى تمرّة لمن أكل مع جماعة، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك وقت الضيق الاقتصادي عند المسلمين، فلما وسّع الله عليهم رفع النبي ﷺ عنهم ذلك النهي.

وبوسع الباحث أن يجد شواهد أخرى على هذا الصّعيد، حيث يحمل عدد من الأحاديث النبوية عبارة «كنت نهيتكم» أو «كنت أمرتكم»، وما يشبهها من الألفاظ الدالة على رفع نهى أو أمر.

أحكام الهيئة وأحكام تدبيرية

وقد ميّز الشهيد السيد محمد باقر الصدر بين نوعين من الأحكام الصادرة عن رسول الله ﷺ، النوع الأول هو الأحكام الإلهية التي بيّنها للأمة كمبلغ عن الله تعالى، وهذه أحكام ثابتة. أمّا النوع الثاني فهي الأحكام الإدارية التدبيرية التي تصدر عنه ﷺ كقائد وحاكم للمجتمع، وهذه بطبيعتها قد تستدعي التغيير والتبديل تبعاً للمصالح والأوضاع الاجتماعية.

قال في كتابه «اقتصادنا»: «جاء في الرواية: إنّ النبي قضى بين أهل المدينة في

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٥٦٠، حديث ١٦٣١١.

(٢) فتح الباري، ج ٩، ص ٧٠٨.

النخل: لا يمنع نفع بئر. وقضى بين أهل البادية: إنه لا يمنع فضل ماء ولا يباع فضل كلاً. وهذا النهي من النبي عن منع فضل الماء والكلأ، يمكن أن يكون تعبيراً عن حكم شرعي عام، ثابت في كل زمان ومكان، كالنهي عن الميسر والخمر، كما يمكن أيضاً أن يعبر عن إجراء معيّن، اتّخذه النبي بوصفه ولي الأمر المسؤول عن رعاية مصالح المسلمين، في حدود ولايته وصلحياته، فلا يكون حكماً شرعياً عاماً، بل يرتبط بظروفه ومصالحه التي يقدرها ولي الأمر.

وموضوعية البحث في هذا النص النبوي تفرض على الباحث استيعاب كلا هذين التقديرين، وتعيين أحدهما على ضوء صيغة النص وما يناظره من نصوص.

وأما أولئك الذين يتخذون موقفاً نفسياً تجاه النص بصورة مسبقة، فهم يفترضون منذ البدء أن يجدوا في كل نص حكماً شرعياً عاماً، وينظرون دائماً إلى النبي من خلال النصوص بوصفه أداة لتبليغ الأحكام العامة، ويهملون دوره الإيجابي بوصفه ولي الأمر. فيفسّرون النص الآنف الذكر على أساس أنه حكم شرعيّ عام.

وهذا الموقف الخاص في تفسير النص لم ينبع من النص نفسه، وإنما نتج من اعتياد ذهني على صورة خاصة عن النبي، وطريقة تفكير معيّنة فيه، درج عليها الممارس، واعتاد خلالها أن ينظر إليه دائماً، باعتباره مبلغاً، وانطلمت أمام عينيه شخصيته الأخرى بوصفه حاكماً، وانطلمت بالتالي ما تعبر به هذا الشخصية عن نفسها في النصوص المختلفة^(١).

شواهد ونماذج

وذكر في أواخر مباحث «اقتصادنا» شواهد ونماذج لتأكيد هذه الفكرة، وهي كما يلي:

(١) اقتصادنا، ص ٣٩١.

أ. جاء في النصوص: أنّ النبي نهى عن منع فضل الماء والكلاء. فعن الإمام الصادق أنّه قال: «قضى رسول الله بين أهل المدينة في مشارب النخل أنّه لا يمنع فضل ماء وكلاء».

وهذا النهي نهى تحريم كما يقتضيه لفظ النهي عرفاً. وإذا جمعنا إلى ذلك رأي جمهور الفقهاء القائل: بأنّ منع الإنسان غيره من فضل ما يملكه من ماء وكلاء، ليس من المحرّمات الأصيلة في الشريعة، كمنع الزوجة نفقتها وشرب الخمر.. أمكننا أن نستنتج: أنّ النهي من النبي صدر عنه، بوصفه وليّ الأمر.

فهو ممارسة لصلاحياته في ملء منطقة الفراغ، حسب مقتضيات الظروف؛ لأنّ مجتمع المدينة كان بحاجة شديدة إلى إنماء الثروة الزراعية والحيوانية، فألزمت الدولة الأفراد ببذل ما يفضل من مائهم وكلاءهم للآخرين، تشجيعاً للثروات الزراعية والحيوانية. وهكذا نرى أنّ بذل فضل الماء والكلاء فعل مباح بطبيعته، وقد ألزمت به الدولة إلزاماً تكليفيّاً، تحقيقاً لمصلحة واجبة.

ب. ورد عن النبي ﷺ النهي عن بيع الثمرة قبل نضجها. ففي الحديث عن الصادق ﷺ: «أنّه سئل عن الرجل يشتري الثمرة المسماة من أرض، فتهلك ثمرة تلك الأرض كلّها؟ فقال: «قد اختصموا في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فكانوا يذكرون ذلك، فلما رأهم لا يدعون الخصومة، نهاهم عن ذلك البيع حتى تبلغ الثمرة، ولم يحرمه، ولكنه فعل ذلك من أجل خصومتهم». وفي حديث آخر: أنّ رسول الله أحلّ ذلك فاختلفوا. فقال: لا تباع الثمرة حتى يبدو صلاحها.

فبيع الثمرة قبل بدو صلاحها عملية مباحة بطبيعتها وقد أباحتها الشريعة الإسلامية بصورة عامة. ولكن النبي نهى عن هذا البيع بوصفه وليّ الأمر، دفعاً لما يُسفر عنه من مفاسد وتناقضات.

ج. ونقل الترمذي عن رافع بن خديج أنّه قال: نهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا

نافعاً، إذا كانت لأحدنا أرض أن يعطيها ببعض خراجها أو بدراهم، وقال: إذا كانت لأحدكم أرض فليمنحها أخاه أو ليزرعها.

ونحن حين نجمع بين قصة هذا النهي، واتفاق الفقهاء على عدم حرمة كراء الأرض في الشريعة بصورة عامة، ونضيف إلى ذلك نصوصاً كثيرة واردة عن الصحابة، تدل على جواز إجارة الأرض.. نخرج بتفسير معيّن للنص الوارد في خبر رافع بن خديج، وهو أنّ النهي كان صادراً من النبي بوصفه وليّ الأمر وليس حكماً شرعياً عاماً.

فإجارة الأرض بوصفها عملاً من الأعمال المباحة بطبيعتها، يمكن للنبي المنع عنها باعتباره وليّ الأمر منعاً تكليفاً، وفقاً لمقتضيات الموقف.

د. جاءت في عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر أوامر مؤكدة بتحديد الأسعار، وفقاً لمقتضيات العدالة. فقد تحدث الإمام إلى واليه عن التجار، وأوصاه بهم، ثم عقب ذلك قائلاً: «وَأَعْلَمُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحْشَا وَشُحًا قَبِيحًا وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ وَتَحَكُّمًا فِي الْبَيْعَاتِ وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوَلَاةِ فَاْمَنْعَ مِنَ الْإِحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَنَعَ مِنْهُ وَلَيْكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا بِمَوَازِينٍ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحَفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ».

ومن الواضح فقهياً: أنّ البائع يباح له البيع بأيّ سعرٍ أحبّ، ولا تمنع الشريعة منعاً عاماً عن بيع المالك للسلعة بسعر مجحف. فأمر الإمام بتحديد السعر، ومنع التجار عن البيع بثمن أكبر.. صادر منه بوصفه وليّ الأمر. فهو استعمال لصلاحياته في ملء منطقة الفراغ، وفقاً لمقتضيات العدالة الاجتماعية التي يتبنّاها الإسلام^(١).

وبهذا يفتح الشهيد الصدر أفقاً واسعاً في مجال التعامل مع كثير من النصوص التشريعية، ودراسة إمكانية التغيير فيها مع تطورات الحياة والزمن.

(١) اقتصادنا، ص ٦٨٥ - ٦٨٦.

الاجتهاد والتجديد ضرورة في كل عصر

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ
مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة الآية: ١٠٦]

جاء الإسلام كرسالة جديدة لإنقاذ البشرية من التخلف والجهل الذي كانت تروح تحته. وكان من الطبيعي أن تجابه هذه الرسالة الجديدة قوى مناوئة مختلفة. غير أن أكثر القوى التي ناصبت الرسالة الجديدة العداء، هي القوى المنتسبة للدين، من أتباع الرسالات السماوية السابقة، وخاصة اليهود، الذين كانت مواجعتهم للرسالة الجديدة أكثر حدة من غيرهم، معتمدين في ذلك على إثارة الشكوك وطرح الإشكالات المربكة للأذهان، التي انبرى القرآن الكريم إلى الرد عليها وتفنيدها.

وكانت من جملة الإشكالات التي أثارها اليهود مسألة التغيير الذي جاء به الإسلام، فكانوا يستشكلون على النبي ﷺ تبديله تعاليم التوراة، في الوقت الذي كان يعترف بأن موسى ﷺ نبي مرسل من عند الله، فكيف يغيّر الله شريعة أنزلها للناس، ويبدّل أحكاماً قرّرها على عباده فيما سبق؟ وكيف تقولون إن نبيّ الله موسى ﷺ نبيّ صادق، والتوراة منزل من عند الله، ثم يأتي القرآن ويبدّل ما جاء في تلك الشريعة؟ فإذا كانت تلك صحيحة فلم يجري تبديلها؟ وإذا اعتبرتم ما جاءت به خطأ فأنتم بذلك تتهمون الله تعالى بارتكاب الخطأ في إقرار تلك الشريعة؟

تلك كانت جملة من إشكالاتهم. وازدادت تلك الإشكالات حدة مع تشريع الإسلام تغيير القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام، بعد أن استمرّ المسلمون في التوجّه للصلاة ناحية بيت المقدس نحوًا من ١٦ شهرًا بعد الهجرة، فاستشكل اليهود حول ما إذا كانت صلاة المسلمين ناحية بيت المقدس صحيحة، أم كانت خاطئة مع توجههم نحو القبلة الجديدة؟

اليهود يستشكلون على تغيير التشريعات

وقد انبرى القرآن الكريم للردّ على إشكالات أهل الكتاب وإثاراتهم، التي كانت تستهدف إثارة البلبلة بين المسلمين. ومن ذلك ما جاء لتفنيد الإشكال حول التغيير في تعاليم الشرائع، قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وبذلك أرست الآية الكريمة قاعدة عامة، مفادها أنّ التشريعات الإلهية يمكن أن تتغيّر وتبدّل، انطلاقًا من أنّ تلك التشريعات إنّما وضعت لحفظ مصالح الناس، فإذا تغيّرت الظروف، واستلزم الأمر وجود تشريع آخر، فليكن ذلك. وهذا لا يعني بأيّ حال بطلان التشريع السابق في وقته، وإنّما لكونه كان متلائمًا مع ظروف العصر الذي نزل فيه. فاليهودية كانت تمثل الشريعة المناسبة للبشرية حين نزولها، وكذلك الحال مع المسيحية أيضًا، غير أنّ تقادم الزمن، وتغيّر الظروف، جاء بالشرعية الإسلامية مختلفة عن سابقتها من الشرائع. فالآية الكريمة جاءت في سياق التقرير بأنّ التبديل في الشرائع أمر لا ضير فيه، فالشرائع متغيّرة بينما العقائد ليست كذلك؛ لأنّ عقائد الأنبياء واحدة لا تقبل التغيير.

ولقد عارض اليهود بشدّة مسألة التغيير الذي جاء به الإسلام. زاعمين تمسّكهم بالشرعية التي نزلت عليهم وتجاهلهم أيّ شريعة لاحقة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾، وهنا محور الإشكال عليهم، فإن كان تمسّكهم بالشرعية اليهودية استجابة لأمر الله، فإنّه تعالى



نفسه يأمرهم بالتمسك بشريعة الإسلام، فلماذا يقبلون الأولى ويرفضون الثانية؟

رفض التغيير من الداخل

وكما حصل الاستشكال على التغيير بين شريعة وأخرى عند الأمم السالفة، امتدّت حالة الاستشكال ذاتها إلى داخل الأمة الإسلامية. ذلك أنّ تغيّر الزمان والمكان أمر حاكم على الشريعة، ما يعني انعكاس ذلك على الأحكام الشرعية، حتى يستوعب الإسلام تطورات العصر الذي يعيش فيه، وهذا تحديداً ما جعل الدين يُقرّ مبدأ الاجتهاد، الأمر الذي يعني أن يكون هناك في كلّ عصر، من يبذل جهده، ويعمل فكره، في سبيل استنباط الحكم الشرعي المناسب لزمانه، وقد سار على ذلك المجتهدون على مرّ العصور، حيث تتفق جميع مذاهب الأمة على أنّ الاجتهاد واجب كفاي على الأمة في كلّ عصر، لماذا يا ترى؟ أو ليس في اجتهادات الماضين الذين تركوا خلفهم تراثاً فقهياً كبيراً ما يكفينا عناء الاجتهاد؟

حقيقة الأمر، إنّ مردّ فتح باب الاجتهاد في الأمة يعود إلى بروز المتغيّرات والظروف المستجدة من جهة، ومن جهة أخرى لكون اجتهادات الماضين نابعة من فهمهم وظروف عصرهم. وهذا ما يستلزم من المجتهدين في هذا العصر أن يجتهدوا ويُعملوا فكرهم في استنباط الأحكام الملائمة للظروف الراهنة، فلربما استنبطوا أحكاماً أكثر ملاءمة لظروف عصرهم.

وعلى الرغم من فتح باب الاجتهاد في الأمة، إلا أنّ الملاحظ بروز الاعتراضات عند ظهور أيّ اجتهاد جديد خلاف ما ألفه الناس من أحكام وتشريعات.

هنا ينبغي القول، إنّ الأمة كانت وما تزال متمسكة بهويتها وقيمها الدينية، ولا يسبب لها انتمائها العقدي أيّ مشكلة لانسجام المعتقدات الإسلامية الأساسية مع الفطرة والعقل، كما أنّ القيم الإسلامية أصبحت قيماً عالمية، أقرتها موثيق حقوق الإنسان والمعاهدات الدولية. غير أنّ مكن مشكلة المسلمين في هذا العصر هو في بعض

جوانب التشريعات المنظمة لحركة المجتمع، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث غدا بعضها سبباً لإثارة المشكلات في هذا العصر. وبات من الواضح أنّ الأمة تواجه تحديات جديدة، تتطلب منها المواءمة والتكيف بين الالتزام بالتشريعات ومواكبة تطورات الحياة.

خيارات لمواجهة التحدي

هذا التحدي يجعل المسلمين أمام عدة خيارات؛ فإمّا التخلي عن تلك التشريعات والتماشي مع ظروف العصر، والتكيف مع التغيرات الهائلة التي فرضت نفسها على البشرية، أو التثبت بالتشريعات الدينية كما كانت عليه، بمعزل عن تطورات العصر، سواء توافقت معها أو خالفتها، وسيان رضي العالم أم أبي، تماماً كما فعلت بعض الجهات الإسلامية المتشددة، كحركة طالبان إبان سيطرتها على أفغانستان، حيث أرادوا أن ينشئوا إمارتهم الخاصة تبعاً لأفكارهم المنغلقة، فلا مدارس ولا مصارف، ولا تطعيم للأطفال، ولا فرصة لعمل المرأة، وإنما العزلة التامة عن العالم.

حقيقية الأمر، لا خيار التخلي التام عن التشريعات الإسلامية صحيح، ولا اللجوء للعزلة نتيجة التثبت بالموثقات على علاقتها صحيح هو الآخر. فليست الأمة بوارد التخلي عن دينها بغرض التماشي مع الحضارة الغربية، ولا هي بوارد العزلة عن العالم، لصالح نمطٍ حياتيٍّ خاصٍ يحاكي ظروف الحياة قبل قرون طويلة خلت، وإنما المطلوب أن يجري التكيف مع ظروف العصر، دون التخلي عن الضوابط والقواعد والنصوص الدينية المعتمدة.

ويكمن الخيار الأمثل أمام الأمة الإسلامية، في البحث جدياً في إمكانية إعادة النظر في بعض التشريعات، وما دام باب الاجتهاد مفتوحاً، ألا يستحق الأمر المحاولة والسعي في سبيل التوصل إلى نتائج تساعد على التكيف مع التطورات البشرية؟ فكثيراً ما وقف رجال الدين موقف الضدّ والتحریم حيال بعض القضايا والتحذير منها،

لكنهم شيئاً فشيئاً أعادوا النظر وقبلوا ذلك فصارت من الأمور الطبيعية، وهناك أمثلة ونماذج كثيرة في كل بلد إسلامي، ومن ذلك مواقفهم الراضية ابتداءً لما أطلقوا عليه تصوير ذوات الأرواح، وتعليم البنات، وأجهزة الهاتف والتلفزيون.

من هنا يأتي السؤال؛ عن سبب انتزاع التغيير انتزاعاً من الجهات الدينية في العالم الإسلامي؟، ولماذا ينبغي أن تمر استجابتهم لظروف العصر بعد مخاض مؤلم، ثم عملية قيصرية، إلى أن يفرض الواقع نفسه على الجميع؟، ولماذا لا يجري التغيير انطلاقاً من مبادرة ذاتية؟ وما سبب غياب أيّ تفعيل نشط لمبدأ الاجتهاد، في ظلّ الالتزام بالضوابط والأصول والقيم الإسلامية؟ حيث لا يدعو أحدٌ للانفلات والتمرد على الأسس الشرعية وضوابطها.

عوائق التجديد

إنّ هناك عوائق كثيرة تقف أمام تفعيل مبدأ الاجتهاد والتجديد في العالم الإسلامي. ولعلّ أبرز تلك العوائق اثنان؛ يتمثل الأول في غياب مؤسسات البحث العلمي الداعمة للعمل الفقهي، حيث ما يزال الفقيه المسلم يجتهد في استنباط الأحكام الشرعية اعتماداً على جهده الفردي في الغالب، فهو يراجع الكتب بنفسه، ويبحث عن آراء الفقهاء الآخرين، ليعطي بعدها رأيه في المسألة محلّ البحث. في حين بات البحث العلمي اليوم مجالاً واسعاً تنبني له مؤسسات، ويتعاون على إنجازها باحثون كثر، وهذا ما تحتاجه الحوزات والمعاهد الدينية في عصرنا الراهن، لتقديم يد المساعدة للفقهاء، حيث يحتاج الفقيه إلى أن يكون تحت تصرّفه مؤسسات للبحث العلمي، لديها القدرة على دراسة الظروف الموضوعية، السياسية والاقتصادية، والبيئة الاجتماعية التي صاحبت صدور الحكم الشرعي في زمن النبي ﷺ والأئمة من بعده ﷺ، ومقارنة ذلك بظروف العصر الراهن.

إنّ هذا الجانب يتطلّب بحثاً تاريخياً وميدانياً، هو غير داخل في أدوات البحث

الفقهي والأصولي اليوم، ناهيك عن غياب القدرة أو الوقت الكافي، لدراسة الفقيه جميع الفترات التاريخية، والظروف الاجتماعية، التي واكبت صدور كل حكم شرعي، لذلك يتطلب الأمر فريقاً بحثياً يقوم بهذه المهمة، ويضع النتائج التي يتوصل إليها بين يدي الفقيه.

وينسحب عمل مراكز البحث العلمي المساندة لعمل الفقهاء، على دراسة ظروف الواقع المعاصر. فحين يتعلّق الأمر بإصدار حكم شرعي متعلّق بتشريح جسد الإنسان، أو طبيعة الموت السريري، أو عمل المصارف، فهو بحاجة إلى مؤسّسات بحثية مساعدة تُسدي إليه المشورة، وتضع بين يديه دراسات مدعّمة بالمعلومات التقنية الدقيقة، بشأن تلك المسائل وغيرها. وأخذاً في الاعتبار ملابسات صدور النص الديني، والإحاطة بظروف الواقع المعيش، سيكون الفقيه آنئذٍ أقدر على تنزيل الحكم الشرعي على الواقعة المعاصرة، غير أنّ هذا المستوى من المقاربة الفقهية والبحثية لم يأخذ بعدُ طريقه على أرض الواقع.

قمع المجتهدين

أما العائق الثاني الذي يقف أمام تفعيل مبدأ الاجتهاد والتجديد في العالم الإسلامي، فهو غياب حرية التعبير عن الرأي، وانعدام المجال أمام الإفصاح عن الاجتهادات الجديدة. حيث يواجه المجتهدون صعوبة بالغة، تمنعهم من التعبير عن آرائهم الفقهية الجديدة المخالفة للسائد، ومردّد ذلك إلى جملة أسباب:

منها: الألفة المجتمعية للآراء السائدة، حتى عدّها الناس مسلّمات دينية، وثوابت لا تقبل التغيير، ولا ينبغي تجاوزها، فإذا جاء من يطرح رأياً مغايراً، يصادم ما ألفوه وتعوّدوا عليه، فإنّهم غالباً ما يرفضون ذلك.

وأما السبب الثاني، فهو التحذير الدارج في المنظومة الدينية من مسألة البدعة والابتداع، ومعناها إدخال ما ليس من الدين في الدين، ونسبة شيء للدين وهو ليس



منه، والغرض من ذلك في الأصل صيانة الدين من التحريف والتزوير، غير أن التحذير من البدعة أخذ في التضخم في الأذهان، حتى بلغ درجة الخلط بين مفهوم البدعة والإبداع.

من هنا ينبغي التوضيح، بأن الاجتهاد وإعادة النظر في مسألة من المسائل، لا يمتّ للبدعة بصلة، ما دام الأمر متعلّقاً بإبداء رأي في فهم النص، ضمن الضوابط الفقهية، وإن كان مخالفاً لما ذهب إليه الفقهاء السابقون. لكن هذا الخلط والتشويش، صنع أرضية المناوئة لكلّ رأي جديد، وهذا ما دفع أصحاب الآراء والاجتهادات الجديدة، إلى التحفظ عن إبداء اجتهاداتهم، تحاشياً لو صمهم بتهمة الابتداع.

ويأتي التحسّس تجاه الحضارة الغربية، باعتباره سبباً ثالثاً. ومردّد ذلك إلى معاناة الأمة طويلاً، من مرحلة الحروب الصليبية ثم الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية، مروراً بالحملات التبشيرية المسيحية، وانتهاء بدعم الاحتلال الإسرائيلي، ومساندة حكومات الاستبداد، وهذا بأجمعه خلق تحسّساً عند المسلمين تجاه مجمل الحضارة الغربية، وقاد إلى اتّهام أيّ اجتهاد فقهي جديد، فيه مماشاة ومسايرة لظروف العصر، باعتباره ممارسة للتغريب، أو تمييعاً للدين، أو علمنة الإسلام وما إلى ذلك من تهم مشابهة.

وأما السبب الأهمّ من أسباب رفض التجديد فهو الصراعات التي يعجّ بها الوسط الديني نفسه، أن الوسط الديني عرضة لبروز الاختلافات وتضارب المصالح، شأنه شأن أيّ وسط اجتماعي آخر، ونتيجة لهذه الصراعات أخذ بعض أفراد هذا الوسط، في استغلال طرح أيّ اجتهاد جديد، واعتباره سلاحاً لتصفية الحسابات، ومادة للتشهير بصاحب ذلك الرأي، والنيل من شخصيته وتسقيطه. ونتيجة لهذه العوائق بأجمعها صارت حركة التجديد والاجتهاد بطيئة، وباتت إعادة النظر في بعض التشريعات أمراً موازياً للابتداع في الدين، إلى درجة جعلت بعض الفقهاء يتحفّظون على طرح اجتهاداتهم، رغم اقتناعهم التام بها، إلا أنّهم لا يرون مصلحة في طرح آرائهم المغايرة،

تحت شعار: «ليس كل ما يعلم يقال».

إن جمهور الأمة أحوج ما يكون إلى التحلي بسعة الأفق، حتى يتقبل مختلف الآراء والاجتهادات. فليس هناك أحد مجبراً على التخلي عن آرائه، والأخذ بالاجتهادات المستجدة، لكنه مطالب بالنأي عن التجريح في أصحاب الآراء الأخرى، وترك الطعن في نزاهتهم، والتشكيك في دينهم، وإخراجهم من الملة، لمجرد طرحهم رأياً مخالفاً في مسألة من المسائل الدينية، عقدية أو فقهية.

إن الآية الكريمة: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ أرادت أن توصل لحالة الحركة في التشريعات الإلهية، في مقابل الجمود والركود، وكأنه تعالى يريد أن يقول للبشر: إن التشريع الإلهي خاضع للتطور مع تطور الزمن، ضمن قواعد وضوابط، إما من خلال مجيء نبي جديد قبل ختم النبوة، أو بسلوك طريق الاجتهاد: استناداً إلى الكليات والقواعد التي من خلالها يمكن النظر في الكثير من المسائل والنوازل.

الإسلام والحضارات الأخرى قطيعة أم تفاعل

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٨].

كان الناس يعيشون خلال فترات ما قبل التاريخ ضمن جماعات صغيرة. دأبهم التّنقل من مكان إلى آخر بحثًا عن الطعام، فكانوا يصطادون الحيوانات والأسماك، ويجمعون النباتات البرية. ولم تكن هذه الحياة البسيطة القائمة على الروابط العائلية المحدودة، تحتاج إلى وجود تنظيم اجتماعي معقد.

ومع اكتشاف الإنسان طرق الزراعة، اتّجهت هذه الجماعات إلى الاستقرار، ونشأت تجمّعات إنسانية مستقرّة في أماكن محدّدة، الأمر الذي أبرز حاجة هذه المجتمعات إلى التنظيم، لتنشأ عند هذه النقطة بداية النظم الاجتماعية. وقد ارتبط تقدم هذه النظم وتكاملها على مختلف الصّعد، بتقدّم المجتمع اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا، وصولًا إلى بلوغ مرحلة الحضارة، وانتقال المجتمعات البشرية إلى حقبة قيام الحضارات.

توارث الحضارات

ويقدّر المؤرخون نشأة أقدم الحضارات البشرية بثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد. حين بدأت المجتمعات تدير شؤون حياتها، ضمن تنظيمات معقدة، اقتصادية

واجتماعية وسياسية وثقافية، وقد انبثقت أولى الحضارات في الشرق، فكانت حضارة وادي الفرات في العراق، وحضارة وادي النيل الممتدة في المنطقة التي تشمل مصر والسودان، وثالثة في وادي السند فيما يعرف اليوم بباكستان، ورابعة في منطقة هيان تشي في الصين، وشكّلت بمجموعها الحضارات القديمة، التي استمرّت كلّ منها حقبة زمنية معينة إلى أن شاخت، وتوقّفت عن العطاء.

ويُشبه علماء التاريخ سيرورة الحضارات بالكائن الحيّ، حيث تمرّ أيّ حضارة بمرحلة الطفولة والشباب ثم الشيخوخة، وصولاً إلى مرحلة الانهيار. وكما يقول مؤرّخ الحضارات آر نولد توينبي، إنّ الحضارات تنهار حينما يفقد الناس قدرتهم على الابتكار. وما يجري في واقع الحال أنّ أفول أيّ حضارة غالباً ما يعقبه قيام حضارة أخرى، مستلهمة من تجربتها، وبانية على ميراثها، فالعلاقة بين الحضارات البشرية هي علاقة توارث وتدوير للتجارب، وتبادل لها، على طريقة تناقل الشعلة الأولمبية بين الأفراد وفقاً لتشبيه أحد العلماء، فالحضارات الإنسانية في الغالب لم تكن تبدأ من الصفر؛ لأنّ أيّ تقدّم يحصل في أيّ مجتمع إنساني، فإنّه ينتقل بصورة أو أخرى لسائر المجتمعات الأخرى، سوى أنّ الفارق هو بطء عملية الانتقال في الماضي التي كانت تستغرق وقتاً أطول، نتيجة بطء عملية التواصل، قياساً بتقدمها في الحاضر، مما زاد سرعة التفاعل بين الحضارات والأمم.

وقد تزامنت بعثة النبي محمّد ﷺ في القرن السادس الميلادي، مع بلوغ حضارتين عريقتين مراحلهما الأخيرة. حيث كانت الحضارة الفارسية والرومانية قد اعترتهما حالة الشيخوخة والتآكل الداخلي، بعد سنوات طويلة على تسيّدتهما الساحة العالمية، حيث فقدت مجتمعاتهما حيويتها، وكانتا في طريقهما نحو التفكك والانهيار.

وكان العرب في الجزيرة العربية آنئذ يعيشون على هامش الحضارة، وكانت النظم والعادات والأعراف الاجتماعية المهيمنة على حياتهم في منتهى البساطة والتخلّف. ووسط هذه الأجواء المحلية والعالمية بعث الله نبينا محمّداً ﷺ، فجاء لإنقاذ مجتمعه

المحلي أولاً، والتوجه من خلاله لإنقاذ المجتمعات الأخرى على مستوى العالم، وبذلك جاء الإسلام كمشروع حضاري لإنقاذ البشرية.

من هنا يأتي السؤال، بشأن ما إذا كانت بداية الإسلام كمشروع حضاري انطلقت من نقطة الصفر، بمعزل عن الحضارات السابقة عليه، أم أن الإسلام شأنه شأن الحضارات الأخرى، خاضع لسنة توارث الحضارات كما مرّ آنفاً؟ وتنطلق أهمية السؤال لما فيه من تأسيس لفكرة مهمّة، بشأن نمط العلاقة المفترضة بين المسلمين في العصر الراهن والحضارات الأخرى، وما إذا كان ينبغي أن تتسم هذه العلاقة بالقطيعة، أم يمكن لها أن تكون علاقة قائمة على التواصل والحوار والاستفادة من التجارب؟

ولا يخفى أن هناك فريقاً من المسلمين لا يرون ضرورة لوجود علاقة بين الإسلام كدين وحضارة، وبين الحضارات الأخرى القائمة، ويميل هؤلاء إلى انغلاق المسلمين على أنفسهم، واكتفائهم بالحفر في تراثهم، على نحو ينحتون به حضارة منطلقة من عمق تراثهم الديني وحده، بمعزل تامّ عن الحضارات الأخرى.

الإسلام وتجارب الحضارات

حقيقة الأمر، إن بزوغ الإسلام كدين وحضارة لم يبدأ من الصفر، ولم يأت بمعزل عن منجزات الحضارات الأخرى، وإنما استفاد منها، وبنى عليها، وأخذ من تجاربها. وهذا ما يؤكده القرآن الكريم، الذي قدّم الإسلام باعتباره امتداداً للرسالات السماوية السابقة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، ومن الواضح أن الآية الكريمة تشير بجلاء إلى أن الإسلام هو امتداد لما سبقه من الرسالات والأديان السماوية، وعلى غرار ذلك هناك ثماني عشرة آية في القرآن الكريم تشير إلى ذات المضمون، وتصرّح بأن القرآن الكريم جاء ﴿مُصَدِّقًا﴾ للرسالات والكتب السماوية التي سبقته، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ

وَمُهَيِّمْنَا عَلَيْهِ ﷺ، فالقرآن الكريم جاء مصدقاً لما سبقه من الكتب، ومهيماً عليها، أي مستوعباً لها، ومكملاً لأهدافها وأغراضها.

ربما يقول البعض إن الإسلام نسخ ما تقدم من رسالات سماوية. إن الإسلام لم ينسخ تلك الرسالات نسخاً تاماً، على نحو يلغي جميع ما جاءت به الشرائع السابقة، وإنما نسخ بعضها منها، وطور البعض الآخر. وصحيح أن القرآن الكريم تحدث عن التحريف الذي طرأ على التوراة والإنجيل، لكنه لم يقل أبداً بأن جميع ما في الكتابين باطل محض، وهذا ما تشير إليه آيات كثيرة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﷻ﴾، فالقرآن الكريم يدعو اليهود والنصارى لاتباع الإسلام، موعزاً إليهم بأن الدين الجديد ليس نقيضاً تاماً لما بين أيديهم من الكتب المقدسة ولا لاغياً لها، وإنما مصدق لما فيها، مع تطوير لتعاليمها بما يتناسب وتطور الحياة.

إقرار العادات العربية الطيبة

وانسحب ذلك أيضاً على مستوى مجتمع الجزيرة العربية، حيث لم يُلغ الإسلام كل الأعراف والتقاليد التي كانت سائدة قبل بزوغ الرسالة. فبالرغم من سوء الحالة العامة في المجتمع، حيث الجهل والتخلف والفساد والانحراف، لكن المجتمع العربي مع ذلك لم يكن يخلو من الصفات الطيبة، والعادات الحسنة. لذلك لم يأت الإسلام لاستئصال كل ما كان في ذلك المجتمع من عادات وتقاليد عن بكرة أبيها، وإنما عمد إلى الإبقاء على الجوانب الإيجابية، من العادات والأعراف التي كانت سائدة في المجتمع.

إن من المعلوم أن المجتمعات البشرية على وجه العموم تتوارث الحالات الإيجابية فيما بينها، ولربما كانت منابعها الأولى تعود إلى الأنبياء، إلى جانب الفطرة الإنسانية السليمة. وفيما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم

الأخلاق»^(١)، وجليُّ أن النبي ﷺ استخدم مفرد «أتمم» في إشارة إلى أنه ﷺ لم يدع أنه جاء لتأسيس مسار الأخلاق من نقطة الصفر، وإنما جاء ﷺ لإتمام ما كان موجوداً من مكارم الأخلاق.

وهناك العديد من النصوص الدينية التي تشير إلى أن الإسلام قد أقرّ بعض السنن والعادات الموجودة في المجتمع العربي السابقة على ظهوره. فقد ورد عن الإمام عليّ ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال له: «يا عليّ، إنّ عبد المطلب سنّ في الجاهلية خمس سنن أجازها الله له في الإسلام؛ حرّم نساء الآباء على الأبناء، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدّق به، ولما حفر زمزم سمّاها سقاية الحاج، وسنّ في القتل مئة من الإبل، ولم يكن للطواف عدد عند قريش، فسنّ فيهم الطواف لسبعة أشواط»^(٢).

وثمة أعراف أخرى أجازها الإسلام كذلك، ومنها حدود منطقة الحرم في مكة، التي يفترض عدم التعرّض ضمن نطاقها لأيّ كان حتى لو كان مطلوباً بدم. والحال نفسه مع إقرار عدة الأشهر الحرم التي كانت سائدة في مجتمع الجاهلية. وامتدّ ذلك أيضاً إلى الكثير من العادات الحسنة، ومن ذلك إقرار الإسلام عادة إكرام الضيف التي كان يتفاخر بها العرب، حيث ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»^(٣). وكذلك الحال مع إقرار حالة الجوار وحفظ حقّ المستجير، فإنّ أجار أحد مستجيراً، فلا يحقّ لأحدٍ أن يخفر ذمّته وينتهك جواره، حتى لو كان المستجير من جهة معادية، وكان النبي ﷺ نفسه قد استفاد من هذا العرف الجاهليّ عند ذهابه إلى الطائف، واستجارته بالمطعم بن عدي.

وقد كانت سدانة البيت الحرام، وسقاية الحاج، بيد قريش، فأقرّها الإسلام بعد فتح مكة، وأبقى عليها كما كانت، بل وأبقى السدانة في بني شيبية أنفسهم. وعلى هذا

(١) مجمع الزوائد. الهيثمي، ج ٩، ص ١٥، وبحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٨٢.

(٢) الخصال. الشيخ الصدوق، ص ٣١٢.

(٣) الكافي، ج ٦، ص ٢٨٥، حديث ١.

النحو يمكن الوقوف على العديد من الأعراف والتقاليد التي كانت سائدة قبل الإسلام، وأقرها النبي ﷺ فيما بعد.

منهجية تفاعلية

لقد وضع الإسلام منهجية تفاعلية مع كل ما هو إيجابي عند الآخرين. فلم يُرَبِّ أتباعه على القطيعة والإعراض التامَّ عمَّا عند الآخرين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. وورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن»^(١)، وجاءت الحكمة لغويًّا من الإحكام والإتقان، ولا شك بأن ذلك يشمل الاستفادة من الآخرين في مجال نظم إدارة الحياة وشؤون المجتمع.

وجاء عن الإمام علي ﷺ أنه قال: «الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحقَّ بها وأهلها»^(٢)، وورد عنه في كلمة أخرى: «الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق»^(٣). وتبعًا لهذه المنهجية، انفتح المسلمون على الحضارات الأخرى إبان مرحلة الفتوحات الإسلامية، واحتكاكهم بتلك المجتمعات، واجتهدوا في الاستفادة مما عندهم من إيجابيات كبيرة.

وقد أنشأ المسلمون في زمن المأمون العباسي ما عرف ببيت الحكمة، فاجتمع فيه كبار العلماء والمفكرين، وكانت مهمتهم ترجمة الكتب العلمية من الحضارات الأخرى، اليونانية والفارسية والهندية، وضمن مجالات عدة، من الفلسفة والسياسة والرياضيات والطب وغيرها، وكان ذلك عملاً مهمًّا عظيمًا، حيث لم يكتف المسلمون بترجمة تلك العلوم، وإنما أضافوا عليها وطوروها، فقد ترجم الكندي فلسفة أفلاطون وأرسطو وطورها، لتأتي بعد ذلك الحضارة الغربية، ولتستفيد من أعمال الكندي في

(١) الترمذي: محمد بن عيسى، سنن الترمذي، حديث رقم ٢٦٨٧، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٤، حديث ١١٥.

(٣) نهج البلاغة: قصار الكلمات، رقم ٨٠.

فهم فلسفة أفلاطون، والحال نفسه مع إبداعات ابن سينا في مجال الفلسفة العقلية، وابن خلدون وإضافاته على علم الاجتماع، وابن رشد ودوره في إنتاج فلسفة عقلانية استفاد منها الغرب في بناء حضارته الحديثة، وهكذا الحال مع سائر العلوم التي أنجزها المسلمون.

وهناك في المكتبات الغربية عشرات الآلاف من الوثائق التي تشهد بفضل الحضارة الإسلامية على الغرب، والتي لا ينكرها الغربيون أنفسهم، بل كتبوا في ذلك بحوثاً ودراساتٍ كثيرة، حول استفادة الحضارة الغربية الحديثة من العلوم التي طوّرها المسلمون العرب.

لقد أخذ المسلمون العلم من الغرب، واستوعبوه جيّداً، وطوّروا منه، وأضافوا عليه، ثم عاد الغربيون ليستفيدوا من هذا التراث العلمي، والجميع يعلم جيّداً مدى تأثير الحضارة الإسلامية في الأندلس التي استمرت ثمانية قرون، حتى القرن الخامس عشر الميلادي، والتي ورث الغربيون كثيراً من إنجازاتها العلمية.

الثقة بالنفس دافع الانفتاح

لا يجد الوثائقون من أنفسهم، شعوباً أو حضارات، أدنى مشكلة في الانفتاح على الحضارات الأخرى. وذلك على النقيض من الذين يعيشون الهزيمة النفسية والانكسار، ولا يملكون الثقة بأنفسهم، ويرتابون مما عند الآخرين، وهذا تحديداً ما تعيشه أمتنا في العصر الراهن. حيث لم تكن عند الأمة إبان مرحلة رقيها الحضاري أي مشكلة في الانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى، بل هي التي سعت إلى ذلك، وترجمت أمّهات الكتب العلمية لتلك الحضارات، واستفادت من تجارب الآخرين، وأضافت عليها، أمّا في وقتنا الراهن فقد باتت تسيطر الروح الانهزامية على معظم المسلمين، لذلك تجدهم ينظرون إلى الآخرين ومنجزاتهم بكثير من الرّيب والشك، فهم يحرمون الانفتاح على ما عند الآخرين والاستفادة منه، فلا ديمقراطية

ولا انتخابات ولا حقوق للمرأة، كل ذلك بدعوى أنه من التغريب.

إن هذه المنهجية المرتابة، تأتي بخلاف سنن الحياة على صعيد نمو الأمم والحضارات، حيث لا يمكن لنا أن ننطلق ونبني حضارتنا ونحن في حالة انغلاق تام، ولا يسعنا تأسيس انطلاقة حضارية جديدة، إلا بالإقدام على ما فعله أسلافنا المسلمون فيما سبق، من الانفتاح على الحضارات الأخرى، واستيعاب ما لديها من إيجابيات، وتلافي السلبيات، ومن ثم نستطيع أن نطور ونقدم للبشرية شيئاً جديداً.

ونحن نحتفي بالمبعث النبوي الشريف، ينبغي أن ننأى بأنفسنا عن التهيب من الانفتاح على الحضارات الأخرى. نحن مدعوون للتسلح بقيمنا ومبادئنا، تلك القيم التي بدأت المجتمعات الأخرى الاستجابة لها على نحو أكبر؛ لما في القيم الإنسانية الحاكمة في تلك المجتمعات من جذور وأصول في ديننا، إلا أننا مع الأسف أضعنا الكثير منها.

عمدة لندن مسلم باكستاني

وقد تابع العالم في الأيام القليلة الماضية الانتخابات الجارية لاختيار عمدة لندن؛ لما لهذه المدينة من وزن سياسي واقتصادي ورمزية كبيرة، حيث خاض تلك الانتخابات عن حزب العمال، مسلم بريطاني، من أصل باكستاني، يدعى صادق خان، وفاز فيها بمنصب عمدة المدينة البريطانية الأعرق، متفوقاً على مواطنه المسيحي مرشح حزب المحافظين.

إن هذه الحالة التي شهدتها المجتمع البريطاني تُعدّ حالة بالغة التقدم، فقد استقبل هذا المجتمع أسرة مهاجرة قادمة من باكستان، لتصبح جزءاً من المجتمع، ثم يرشح أحد أبناء تلك الأسرة نفسه لتقلد منصب مهم في تلك البلاد، فيتقبل المجتمع ذلك ويتفاعل معه، ويرشحه، هذه في حقيقة الأمر قيمة إنسانية عظيمة، نجد جذورها في مبادئنا الإسلامية، لولا أننا أضعنا هذه القيم، خاصة حيال مسألة التعامل مع الوافدين



والمهاجرين إلى ديارنا، بل الأنكى أننا أضعنا تلك القيمة حتى على مستوى تعاملنا مع بعضنا بعضاً، عندما أوصدنا الأبواب في وجه الكثيرين، وحرمانهم من تبوؤ المواقع والمناصب المهمة، حتى لم يعودوا يجرؤون على التفكير أو حتى الحلم بالوصول إليها، لا شيء سوى انتمائهم إلى أقلية قومية أو دينية أو مذهبية. من هنا ينبغي التأكيد مجدداً، أن عند المجتمعات الأخرى كثيراً مما ينبغي أن نستقيه منهم، سيما وأن ذلك ليس من عنديّات تلك المجتمعات على نحو مطلق، وإنما هو عصارة التجارب البشرية والفكر الإنساني.

تراثنا الأخلاقي وواقع التخلف والفساد

ورد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أنه قال في دعاء مكارم الأخلاق: «اللهم صلّ على محمد وآله، وسدّدني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزني من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافي من قطعني بالصلة وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة»^(١).

يحتلّ التراث الفكري والمعنوي جانباً مهماً في حياة كلّ أمة، ومدعاة لفخرها أمام سائر الأمم. وحقّ لكلّ أمة أن تفخر بذلك، وأن تستلهم منه الثقة بذاتها، وتعزيز مكانتها، وأن يكون ذلك التراث نبراساً لأجيالها الصاعدة.

بل إنّ التراث الذي يحمل القيم النبيلة، والمضامين الإنسانية، يصبح مورداً للإنسانية جمعاء، لا حكرًا على الأمة التي أنتجته. ونحن نحتفي هذه الأيام بذكرى ولادة عدد من الكواكب المضيئة في تاريخ أمتنا الحضاري، حيث يصادف اليوم ذكرى ميلاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، لذلك من المناسب أن نلقي نظرة على كيفية احتفاء الأمم الأخرى بتراثها وشخصياتها.

(١) الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص ١٠٣.

الاحتفاء بشكسبير

فقد احتفل البريطانيون والعالم يوم الثالث والعشرين من أبريل ٢٠١٦ بذكرى مرور ٤٠٠ سنة على وفاة ويليام شكسبير (١٥٦٤ - ١٦١٦)، الشاعر المسرحي الإنجليزي المعروف، الذي أطبقت شهرته الآفاق، والذي تمثل تراثه الفكري في ٣٨ مسرحية و ١٥٤ قصيدة.

لقد أولى البريطانيون شكسبير اهتمامًا بالغًا، وكتبوا حوله كثيرًا، ونشروا تراثه عبر العالم، بما في ذلك صور المدرسة التي تلقى فيها تعليمه، والتي ما تزال قائمة حتى الآن، منذ إنشائها سنة ١٤١٧ ميلادي، وقد ترجمت قصائده ومسرحياته إلى أكثر من ١٠٠ لغة عالمية، وعرضت مسرحياته في أكثر من ١٧٠ بلدًا عبر العالم، وبلغ من الشعبية العالمية حدًا جعل الاقتصاد البريطاني يجني الفوائد من مكانته وشهرته المتصاعدة، لجهة جلب السياح، وتعزيز مكانة بريطانيا، والثقافة الإنجليزية في العالم. وقد نقل عن رئيس الوزراء البريطاني الأشهر وينستون تشرشل أنه قال: «لو خيرونا بين التخلي عن كل مستعمراتنا وقصائد شكسبير لاخترنا الاحتفاظ بقصائد شكسبير». واحتوت مكتبة فولغر الأمريكية وحدها على أكثر من ٢٥٠ ألف كتاب ووثيقة تناولت حياة شكسبير ونتاجه الفكري. على هذا النحو تحتفي الأمم بعظمتها وقاماتها الفكرية.

في مقابل ذلك، هناك أمم لديها عظماء، لكنها لا تحسن الاحتفاء بهم، ولا تخليدهم بالشكل المناسب. فبالرغم من توفر الأمة الإسلامية على تراث قيمى كبير، وافتخار أتباع مدرسة أهل البيت بانتمائهم إلى أئمة هداة مصلحين، لكنهم بعد لم يحسنوا الاحتفاء بهذه الثروات المعنوية والفكرية العظيمة التي يمتلكونها. فهل يا ترى توجد لدينا ٢٥٠ ألف وثيقة عن أيّ إمام من أئمة أهل البيت، على غرار ما عند الإنجليز من وثائق متعلقة بشكسبير؟ وهل نشرنا كتبًا مترجمة إلى مئة لغة عن حياة الأئمة، أو كتاب نهج البلاغة، أو رسالة الحقوق، أو الصحيفة السجادية؟ هنا يتبين كم أننا مقصرون تجاه تراث أئمة أهل البيت، حيث عجزنا عن إبراز المضمون الإنساني في تراثهم

وسيرتهم، وما زلنا مصرّين على إبقائهم حبيسي طوائفنا ومجتمعاتنا المحلية، كما لو أنّهم أئمة لهذه القبائل والمجتمعات فقط، غافلين عن أنّهم ثروة أرادها الله للبشرية جمعاء.

زين العابدين وتراثه العظيم

لقد ترك الإمام زين العابدين عليه السلام سيرة مشرقة، وتراثاً عظيماً، ونبعاً روحياً دافقاً، متمثلاً في الصحيفة السجادية. وترك برنامجاً حقيقياً وأخلاقياً ثرياً متمثلاً في رسالة الحقوق، وسائر توجيهاته وتعاليمه الأخرى، غير أننا عجزنا عن إبراز هذا المضمون للعالم، والأهم من ذلك، أننا لم نتمثل بعد هذا التراث الأخلاقي العظيم في حياتنا وسلوكنا وتعاملنا.

ومما ورد في سيرته عليه السلام ما جاء عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: «ما رأي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين»^(١)، وقال الصحابي الجليل سعيد بن المسيب: «ما رأيت قطّ أفضل من علي بن الحسين»^(٢). ولعل من أهم ما جاء في سيرته عليه السلام، الملكة الأخلاقية العظيمة التي تحلّى بها، فلم يكن قطّ يستجيب للاستفزازات والضغط، وإنّما كانت القيم الأخلاقية تملأ نفسه، وتحكم سلوكه، وتغمره من رأسه إلى أخمص قدميه.

ومما روي عنه في هذا الصدد، أنّ لئيمًا سبّه ذات يوم، فأشاح عليه السلام بوجهه عنه، فقال له اللئيم؛ إياك أعني، فأجابه الإمام؛ وعنك أغضي^(٣). وهذا ما ينم عن قدرة كبيرة في ضبط النفس والتحكّم بالأعصاب، والسيطرة على فورة الغضب. ومما روي أيضًا أنّ رجلاً افتري عليه وبالغ في سبّه، فقال عليه السلام: «يا أخي إنك كنت قد وقفت عليّ أنفًا فقلت

(١) باقر شريف القرشي. حياة الإمام الباقر، ص ٣٤.

(٢) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٩٦.

وقلت، فإن كنت قلت ما فيّ فاستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك»^(١).

وقد أولى الإمام السّجاد جانب المساعدات الاجتماعية اهتماماً كبيراً. حيث اهتم كثيراً بالفقراء والمحتاجين والضعفاء في مجتمعه، فقد تحدّث التاريخ عن سيرته المشرقة على هذا الصّعيد، حيث كان يطعم الناس في داره كلّ يوم ظهراً، وكان يعول مئة بيت في السّر، حاملاً الطعام والحطب على ظهره إلى بيوت الفقراء والمحتاجين كلّ مساء، وكانوا ينتظرونه وهم لا يعرفونه، فإذا ما جاء قالوا جاء صاحب الجراب. وقد قيل إنّه ما فقد أهل المدينة صدقة السّر حتى مات عليّ بن الحسين. وحينما ثار أهل المدينة على الأمويين، وهم الذين فعلوا في أهل البيت ما فعلوا، والذين عاش الإمام وأهل بيته بسببهم أقسى وأشد المعاناة في كربلاء والكوفة والشام، ومع ذلك لما ثار أهل المدينة عليهم لم يجد مروان بن الحكم، الأموي البارز والمشهور بعدائه لأهل البيت، لم يجد أحداً يلجأ إليه إلاّ عليّ بن الحسين عليه السلام، فلجأت عائلته إلى بيت الإمام.

الأزمة الأخلاقية في الأمة

إنّ من غير الكافي إبداء الإعجاب إزاء السيرة الأخلاقية للإمام زين العابدين. وإنّما المطلوب تمثّل سجايه وعظيم أخلاقياته عليه السلام، وأنّ نحوّلها إلى سلوك في حياتنا وعلاقتنا الاجتماعية، وإلاّ فما فائدة أن نفخر بأنّ لنا أئمة كهؤلاء دونما اتباع لهم. إنّ امتلاكنا هذه الثروة الأخلاقية الكبيرة المتمثلة في سيرة أئمتنا، ينبغي أن يضاعف المسؤولية علينا حيال التمثّل بسيرتهم وهداهم.

وتحتلّ الصحيفة السجادية جانباً مهماً من الثروة الأخلاقية والروحية التي تركها الإمام زين العابدين عليه السلام. فلم تكن الأدعية التي احتوتها مجرد مناجاة وتضرّع، وإنّما

(١) الإرشاد. الشيخ المفيد، ج ٢، ص ١٤٦.

تشكل منهجاً لمعرفة الله سبحانه وتعالى، وتذكيراً بنعمه وآلائه، والانفتاح على القدرة الإلهية، واستلهام القوة والعزيمة منها، في مواجهة المحن والشدائد. ولو لم يكن منها إلا دعاء مكارم الأخلاق لكفى، هذا الدعاء العظيم الذي يحمل القيم الأخلاقية العظيمة، والذي ينبغي أن يحفظه كل إنسان، وأن يتمثله في حياته وسلوكه، كما ترك ﷺ لنا ثروة أخرى متمثلة في رسالة الحقوق.

إن مجتمعاتنا أحوج ما تكون للالتزام بالقيم الأخلاقية. ذلك أن الأزمة الحقيقية التي تعيشها مجتمعاتنا، هي في واقعها أزمة أخلاقية، فهذه الأمة التي تمتلك أهم ثروة أخلاقية، وأروع تراث قيمي، باتت تعيش فقراً مدقعاً في واقعها الأخلاقي، حيث ينتشر فيها الظلم والفساد، وانتهاك حقوق الإنسان. ولو أجرينا مقارنة بين مجتمعاتنا الإسلامية والمجتمعات الأخرى، لرأينا الهوة كبيرة، والمسافة شاسعة بين الطرفين، لجهة مراعاة حقوق الإنسان، والعدالة الاجتماعية، والشفافية، والتوزيع العادل للثروة عند الأمم الأخرى، في مقابل واقع التخلف والظلم والفساد الذي تعيشه المجتمعات التي تنتمي للإسلام، وتفخر بتراثها الأخلاقي.

إن الوجه المشرق للأمم المتحضرة يتمثل في الأخلاق، ولا نعني بذلك السلوك الشخصي للأفراد، بقدر ما نعني بذلك التشريعات والنظم المعتمدة، والسياسات المنفذة في تلك البلدان، التي تنعكس إيجاباً على الأجواء الاجتماعية العامة.

ضرورة المراجعة الأخلاقية

إننا وبمناسبة ذكرى ميلاد الإمام زين العابدين ﷺ مدعوون على الصّعيد الشخصي، إلى إجراء مراجعات أخلاقية. على نحوٍ ينبغي معه أن يفحص كل فرد مدى التزامه بالقيم الأخلاقية في سلوكه وتعامله مع الآخرين، وما حظّ كل منّا من القيم التي تضمّنها دعاء مكارم الأخلاق الذي تركه لنا هذا الإمام ﷺ؟

قد يراهن البعض أحياناً على نقاط القوة الأخرى عنده، من قبيل امتلاك المال،

أو التحصيل العلمي، أو المنصب الوظيفي، لكن ما قيمة كل ذلك إذا فقد الإنسان أخلاقه. إن نبينا الأكرم محمداً ﷺ، ومع كونه خاتم الأنبياء وأعظمهم، إلا أن الله تعالى يخاطبه بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، ذلك أن النبوة والرسالة والقرآن وكل ما جاء به ﷺ، لن يجدي ولن يكون له تأثير في اجتذاب الناس، لولا القيم الأخلاقية العظيمة، والسجايا الفاضلة التي تحلى بها ﷺ. وهذا ما ينسحب على كل أحد، فأیما عالم، بالغاً ما بلغ علمه، لن يكون لعلمه قيمة ما لم يمتلك الأخلاق الفاضلة، ويتعامل مع الناس وفق السلوك القويم. والحال نفسه مع من يلعبون أدواراً عامة، اجتماعية أو سياسية، فقد يذهب بعضهم بعيداً في المراهنة على دوره ذاك، فيجتري على الناس، ويسيء لهم، ويتهكك حقوقهم، ويخوض في أعراضهم. فما قيمة تلك الأدوار والمناصب إذا لم يصحبها التزام بالقيم الأخلاقية؟ سيّما وأن بعضهم لم ينفكوا يطالبون الآخرين أفراداً وحكومات بأن يكونوا قيمين، وأن يلتزموا القوانين والأنظمة السليمة، فماذا عنك أنت في تعاملك مع عائلتك ومع أبناء مجتمعك؟

نحن أحوج ما نكون للالتزام بالثقافة الأخلاقية، على الصّعيدين الفردي والمجتمعي. تلك الثقافة التي تعطي للقيم مكانتها الواقعية، إن العلم والعبادة لا قيمة لهما عند الله سبحانه وتعالى ما لم يصحبهما الخلق القويم. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ، صَائِمِ النَّهَارِ»^(١)، وعنه ﷺ: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة»^(٢). لذا ينبغي أن نولي الجانب السلوكي اهتماماً أكبر، وأن نؤكد على هذا المنحى في سلوكنا الشخصي، وننشر هذه الثقافة الأخلاقية على الصّعيد المجتمعي العام.

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢، ص ٤٣٧، حديث ٧٩٥.

(٢) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ج ٥، ص ٩٣.

تجدد الأمل في مسيرة الوحدة والتقارب^(١)

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا
رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٩٢].

تمثل ذكرى ميلاد الرسول الأكرم محمد ﷺ مناسبة للتذكير بالوحدة الإسلامية. حيث صارت تحتفل مجاميع من الأمة بما بات يعرف بأسبوع الوحدة الإسلامية، من خلال إقامة البرامج في بلدان مختلفة إحياء لهذه المناسبة العظيمة. وقد اكتسبت هذه البرامج أهمية خاصة في هذا العام، وذلك لما مرّ بالأمة خلال الشهور الماضية، من عاصفة طائفية هوجاء، جرّاء عوامل وظروف سياسية، ونتيجة لدخول الجهلاء والعملاء والمغرضين والحمقى على خط الأزمة، حتى امتلأت أجواء الأمة الإسلامية في بقاع عديدة بالصخب الطائفي، والتهريج، وإثارة الفتن الطائفية، وقد سقط في هذا المستنقع بعض ممن كانت تعقد الأمة عليهم الآمال، وترى فيهم روادًا ودعاة للوحدة. حيث وقع بعض هؤلاء في الفخ، وراحوا، تحت تأثير الأجواء السياسية والحملات الإعلامية، يثرون الأضغان ويثون الأحقاد بين أتباع المذاهب الإسلامية، حتى أصبحت سماء المنطقة العربية بشكل خاص، ملبّدة بغيوم الطائفية والفتن المذهبية. وهذا ما بعث القلق في نفوس المخلصين الواعين، وأثار جملة من الأسئلة، حول

(١) هذه الخطبة والخطب التي تليها من خطب عام ١٤٢٨هـ لم تنشر سابقًا.

ما إذا كانت الأمة بعد لم تنضج تجاه مسألة الوحدة، وحول جدوائية المضي في مسيرة العمل على صعيد التقريب والتقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية، حيث بدأ الشك يساور بعض النفوس حيال هذا الأمر. سيما وقد ساهمت حالة التوتر في انتعاش التيارات المتطرفة على الجبهتين السنية والشيعية، حتى بدأ المتطرف السني يعير دعاة الوحدة في أوساطه، ويذكرهم بتحذيراته لهم من التقارب مع الشيعة، وكذلك الحال مع التيار الشيعي المتشدد، الذي بدأ يوجه اللوم والتوبيخ لدعاة الوحدة في مجتمعه، ساخراً من رهانهم على التقارب مع السنة، وعلى هذا النحو انتعش المتشددون على الجانبين، وهذا ما بعث التوجس والقلق في نفوس المخلصين، ليس على ذواتهم، وإنما على مشروع التقارب والوحدة بين المسلمين، الذي نذروا أنفسهم لتحقيقه في سبيل تجنب الأمة الفتن والانقسامات.

مؤتمر الوحدة الإسلامية

وقد جاء انعقاد مؤتمر الوحدة الإسلامية العشرين في العاصمة الإيرانية طهران، بمشاركة علماء ومفكرين من السنة والشيعة مؤخراً بتاريخ ١٧-١٩ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ، ليعتد الأمل من جديد في استمرار مشروع التقارب والوحدة. وقد مثلت هذه الاجتماعات شكلاً من أشكال جس النبض، وتلمساً لحالة الساحة، في أعقاب الموجة الطائفية الأخيرة. ولي أن أبشركم من خلال ما رأيت ومن التقيت في تلك الاجتماعات، بأن هناك إصراراً على المضي في مسيرة الوحدة والتقارب بين أبناء الأمة، وأن هناك عزماً أكيداً عند الواعين المخلصين من الطرفين، ألا يتراجعوا عن هذا المشروع؛ لأنّ البديل عن ذلك لن يكون سوى الكارثة، ودمار الأمة.

لقد مثل المؤتمر محطة ليطمئن من خلالها الجميع على العلاقة بين مختلف فئات الأمة بعد الموجة الطائفية الأخيرة. سيما مع توافد ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ شخصية من العلماء والمفكرين على المؤتمر قادمين من أكثر من ستة وأربعين بلداً إسلامياً، من



مختلف التوجهات من السنة والشيعة والزيدية والإباضية والصوفية. وبحمد الله فقد تبين أن أكثرية الحضور لم يقفوا في فخ الشقاق الطائفي، بل وأظهروا التصميم على مواصلة السير على طريق الوحدة والتقارب والتقريب، وذلك من خلال الخطابات والأبحاث التي أقيمت في المؤتمر من قبل العلماء والباحثين، والتي كانت تؤكد بأجمعها على ضرورة تحقيق الوحدة الإسلامية. وعلاوة على الاجتماعات الموسّعة شهدت أروقة المؤتمر الكثير من اللقاءات الثنائية التي كانت خلالها جميع الأطراف متشوقة للالتقاء ببعضها، وقد تبين كذلك من خلال هذه اللقاءات بأن الأمة قد تجاوزت - إن شاء الله - المحنة التي عصفت بالأمة مؤخرًا.

وقفات للمراجعة

وشهدت جلسات المؤتمر ووقفات للمراجعة تناولها الحضور من جوانب مختلفة. ولعلّ أبرز ما صبغ تلك الوقفات، هو انتقاد كل طرف للمواقف الذاتية وجوانب القصور عند فريقه، فقد أبدى علماء ومفكرون من أهل السنة سخطهم وانزعاجهم من بعض المواقف المتشنجة التي خرجت عن بعض المحسوسين عليهم، كما وجدنا في مقابل ذلك مواقف ساخطة وناقدة من قبل علماء الشيعة على بعض التوجهات المتشددة والمتشنجة عند المحسوسين عليهم. وهذا أمر لافت ومهم عند علماء ومفكري الطرفين، إذ ليس من الشجاعة ولا البطولة أن ينتقد طرف مواقف الفريق الآخر، حتى وإن وجد البعض في هذه الممارسة وسيلة للبروز في صفوف أبناء جماعته. وهذا تحديداً هو المحور الذي تناولته شخصياً ضمن المساحة المتاحة لي للحديث أمام المؤتمر، وقد شددت في الكلمة على حاجة كل فريق إلى أن يقف وقفة مراجعة ونقد ذاتي لتراثه وممارسات فاعلياته فيما يرتبط بموضوع الوحدة والتقريب.

ذلك أن العالم السني إذا انتقد الشيعة، كما لو وضع مصنفًا ينتقد فيه كتاب الكافي أو بحار الأنوار وغير ذلك، فإنه سيجد في أوساط جماعته من يمجده ويثني عليه ويضعه

في عداد الأبطال، على اعتبار دفاعه عن مذهبهم من جهة ونقده للمذهب الآخر من جهة أخرى. وكذلك الحال مع العالم الشيعي فيما لو وضع كتاباً ينتقد فيه روايات البخاري أو صحيح مسلم أو غير ذلك، فإنّ جماعته سيمجدونه ويشنون عليه ويعدون عمله بطولياً. غير أنّ الشجاعة الحقيقية ليست في انتقاد الآخرين، وإنّما في انتقاد العلماء والمفكرين لتراثهم الخاص، وغربلته من كلّ ما يثير التفرقة بين المسلمين، فهذه هي البطولة الحقيقية وهذا ما ينفع الأمة ويعزز الوحدة الإسلامية. وقد كنا فيما سبق نجد الاستعداد ضعيفاً للتصدّي لهذا الأمر.

أنموذجان لشجاعة النقد الذاتي

وقد سردت في الكلمة أمام المؤتمر مثالين لعالمين شجاعين، أحدهما من السنة والآخر من الشيعة، ممن انبروا إلى نقد تراثهم الخاص عوضاً عن التفرغ لمهاجمة المذهب الآخر. فقد انبرى العلامة الكبير الشيخ أبو الأعلى المودودي، من كبار علماء أهل السنة ومؤسس ورئيس الجماعة الإسلامية في باكستان، إلى نقد جوانب من التراث السني حين وضع مصنف «الخلافة والملك»، وقد فرّق في كتابه بين مرحلة الخلافة الراشدة وبين فترة الحكم الأموي والعباسي، ورأى أنّ الحكم الأموي جرى التمهيدي له في عهد الخليفة عثمان بن عفان، على يد الحاشية المحيطة بالخليفة، الذين هيّؤوا لظهور القوة الأموية لاحقاً. ومع كلّ ما اتّسم به كتاب المودودي من العمق العلمي، وهو الحاصل على جائزة الملك فيصل في العام ١٩٧٩، ومع كون كتبه تمثل مرجعية فكرية لحركة الإخوان المسلمين وأوساط إسلامية واسعة لكنه حين قدم مقارنته النقدية للتراث ثارت حوله ضجة كبيرة، وتضرّرت شخصيته، تحت مزاعم قيامه بالتجريح في الصحابة، والنيل من السلف الصالح، ونقده خير القرون... ورغم مقامه الديني والعلمي الرفيع فقد غيّر كثيرون رأيهم فيه، وصاروا يشككون في صدق توجّهاته، حتى اضطره الأمر لأن يكتب مقالاً يوضح فيه موقفه ويبين فيه أدلته، نشره

في الطبقات التالية لكتابه.

وعلى المقلب الآخر، واجه الإمام السيد محسن الأمين العاملي عنتاً كثيراً حين انبرى إلى نقد جوانب من الممارسات الشعائرية الشيعية. هذا العالم الجليل لم يشك أحد يوماً في اجتهاده وفاقهته ودفاعه عن الدين والذب عن مذهب أهل البيت، فهو صاحب أكبر موسوعة في تراجم رجال الشيعة «أعيان الشيعة» وغيرها من المصنفات الكثيرة، كما كان زعيم الطائفة في جبل عامل وبلاد الشام، لكنه حين أصدر بحثه الناقد لبعض الممارسات الشعائرية بعنوان «التنزيه في أعمال الشبيه»، اعتبره البعض من داخل الساحة الشيعية متجاوزاً للخط الأحمر، لذلك اتهموه وشتموه وأنشدوا القصائد الهجائية فيه، حتى إنه حين أراد زيارة النجف الأشرف نصحه كثير من العلماء بالألا يذهب إلى هناك؛ لأن حياته ستكون في خطر. أصبحت حياة هذا المرجع الديني الكبير في خطر في مهد الحوزة العلمية في النجف الأشرف، لا لشيء سوى أنه اتخذ الموقف المناسب بممارسته النقد الذاتي تجاه بعض الممارسات الدينية.

انهيار حاجز الرهبة

إن مما يثير الغبطة اليوم هو انهيار حاجز الرهبة حيال ممارسة النقد الذاتي عند الفريقين السنة والشيعة. هناك علماء ومفكرون على الجانبين يمارس كلٌّ منهم النقد الذاتي داخل مجتمعه، وهذا ما يمهد لتصفية الأجواء، وتجنب الأحكام التعميمية الجائرة، فإذا ما أساء أحد من أهل السنة للشيعة فلا ينبغي أن يحمل تصرفه على جميع أهل السنة، والحال نفسه إذا ما أساء أحد الشيعة إلى أهل السنة فلا يعمم سوء تصرفه على جميع الشيعة، فهذا التصرف لا يمثل جميع الشيعة بأي حال، وذلك ما لن يتحقق سوى بالاطلاع بموضوعية على التعددية القائمة لدى كل فريق.

وحقيقة الأمر، جاء مؤتمر الوحدة الإسلامية بمنزلة الرافعة لمعنويات الواعين المصلحين وجدد الأمل في الوحدة الإسلامية. سيما مع قيام سلسلة من نشاطات

إقليمية مشابهة على الصعيد ذاته، فقد انعقدت في العاصمة الأردنية مؤتمر لجمع من العلماء السنة من أهل العراق الذين أصدروا بياناً أكدوا فيه على حرمة الدم المسلم، سنياً كان أم شيعياً، وعلى رفض توجهات الإرهاب والعنف، والسعي إلى التوحد والتقارب بين أبناء الشعب العراقي، وهذا تطور بالغ الأهمية، وأحوج ما تكون إليه الساحة، يضاف إلى ذلك ما رشح بحسب وسائل الإعلام من توافق بين فصائل المقاومة في العراق على التصدي للتوجهات العنيفة الطائفية، وهذا مما يبشر بالخير، فقد أدرك الجميع أن الإرهاب لا دين ولا مذهب له، مهما توهم البعض في هذا الفريق أو ذاك أنه هو الوحيد المستهدف بالقتل والإبادة، على نحو دفع بعضهم إلى عقد مؤتمر لنصرة أهل السنة في العراق!.

غير أن ما بدا واضحاً للجميع اليوم هو أن تيارات الإرهاب يستهدفون في حقيقة الأمر السنة والشيعية على حد سواء، ولا أدل على ذلك من تلك التفجيرات التي تستهدف المدنيين هنا وهناك، وأحدثها سقوط عشرات القتلى والجرحى في تفجيرات إرهابية في الجزائر، وجميعهم من أهل السنة، وكذلك الحال مع الأعمال الإرهابية في المغرب، وعلى غرار ذلك ما يجري من قتل وتنكيل في أفغانستان والصومال، ما يؤكد على أن وجود هذه التيارات العنيفة هو بحد ذاته خطر على الجميع لزعتها الأمن والاستقرار في البلاد الإسلامية، وإعطائها الفرصة بذلك لأعداء الأمة.

غاية ما هناك أن هؤلاء الإرهابيين يبدلون جلودهم من بلد لآخر، ويستخدمون عناوين مختلفة لتبرير إرهابهم، فهم يمارسون القتل تحت العنوان المذهبي في العراق نتيجة التنوع المذهبي هناك، بينما يقتربون ذات الجرائم تحت عناوين مختلفة في بلاد أخرى.

وبذلك نخلص إلى أن المسألة ليست حرباً طائفية بين السنة والشيعية. وإنما هي توجهات عنيفة إرهابية متطرفة تحترف القتال وتسلب الأمن من حياة الناس، وبذلك ينبغي للجميع أن يقفوا بمواجهتها، والأهم من ذلك مجابهة أفكارها العنيفة.



إننا نرجو أن تمضي مسيرة التقريب والوحدة في طريقها وتحقق النجاحات. وعلى المستوى الوطني وضمن ذات السياق يمكن النظر إلى استضافة أخينا الشيخ محمد الصفار في مهرجان الثقافة والفنون في مدينة عينزة بمنطقة القصيم بتاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٨ هـ، واستقباله بقدر كبير من الاحترام والترحيب هناك، من قبل المسؤولين وسائر الكتاب والمثقفين المشاركين، الذين أكدوا جميعاً أنّهم مع الوحدة الوطنية والإسلامية، لا يقبلون التفرقة ولا إثارة الفتنة، نقول إنه يمكن النظر إلى هذا أيضاً من زاوية اعتبار التوجه الرئيس في شعبنا وأمتنا هو توجه داعم للوحدة ومستجيب لنداءات الإسلام والقرآن الكريم في هذا المجال، مهما علت بعض الأصوات النشاز التي يخيل للكثيرين بسبب علو صوتها أنّها تسود الساحة وأنّها تمثل الصوت العام، وهذا غير صحيح.

التاريخ للعبرة أو للفتنة



﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي
الْأَلْبَابِ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١١١]

تعتر كل أمة من الأمم بتاريخها، وتوليه اهتماماً كبيراً، باعتباره المكون الأبرز لهوية الأمة، الذي يمنحها طابعها المميز والخاص بها. غير أن هناك تفاوتاً بين اهتمام أيّ أمة وأخرى بتاريخها، لجهة طريقة تعاملها مع أحداثه ورجالاته.

التغني بالمجاد

فهناك أمم تتسلى بالتاريخ وتتغنى بأمجاده الماضية، فهم ينامون ويصحون على المنجزات التي حققها أسلافهم من الحكام والقادة في الماضي السحيق، لعلهم يجدون في ذلك السلوى عن واقعهم وتخلفهم الراهن، ولعلّ أصدق ما قيل في هؤلاء قول الشاعر ابن الرومي:

لئن فخرت بأبائٍ ذوي حسب لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

وأقصى ما يقال لهؤلاء إنّ آباءكم كانوا عظماء وماضيكم مجيداً، ولكن ماذا عن واقعكم الآن!. إنّ من الخطأ الفادح والخداع للذات الركون إلى التسلي بالتاريخ والتغني بأمجاد الماضي.

التقديس والتنزيه

هناك منهجية تقديسية خاطئة في النظر للتاريخ يقع فيها كثيرون. وهي تلك القائمة على التقديس المطلق للتاريخ بأحداثه وشخصياته، حيث يرى هؤلاء أنّ كل ما جرى في ذلك التاريخ هو خير، ويأنفون عن النقد، ولا يقبلون بوضع رجالات التاريخ موضع الجرح والتعديل، لا من الحكام الأمويين ولا العباسيين، ولا من سبقهم من الأصحاب والتابعين، فلا يصح - عند هؤلاء - المساس بالسلف الماضي.

وهذا التقديس الشامل للتاريخ يعدّ خطأ فادحاً، لما فيه من خلط للأوراق وحرمان للأمة من الاستفادة من تجاربها، تلك الاستفادة التي لن تتحقق إلا من خلال الاطلاع الدقيق على مجريات التاريخ والوقوف على الصالح والظالم فيه، وهذا ما لن يتحقق في ظلّ حالة التقديس المطلق للماضي، حيث لا تبيان للخطأ والصواب، ولا فرز للسلبات والإيجابيات. ومردّ هذا الإحجام عن مراجعة التاريخ هي حالة الاصطفاف المذهبي من جانب، والرغبة في انتزاع الشرعية من ذلك التاريخ من جانب آخر، وهذا ما جعل الاستبداد في كثير من مجتمعات الأمة متوارثاً، والظلم مألوفاً، والإقصاء والتهميش عادة سائدة، استناداً إلى سيرة حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء.

الانشغال بالتاريخ

وفي مقابل الفئة التي تقدّس التاريخ وترفض المساس به ومراجعة أحداثه، هناك فئة أخرى من الناس غارقون إلى آذانهم في تفاصيل التاريخ بأحداثه وشخصياته. منشغلون إلى أقصى الحدود بالصراعات التاريخية بشخوصها وأدق وقائعها، وهذا منهج خطأ هو الآخر. لأنّ ذلك يجعل من التاريخ مصدرًا للفتن عوضاً عن أخذ العبر، فكلّ فئة من الفئات ستنتزع حينها للانتصار للطرف التاريخي الأقرب إليها من ناحية الانتماء والاعتقاد، وبذلك يبقى الناس في أجواء صراعات تصرمت ومضت عليها القرون المتطاولة.

الدراسة والاعتبار

إنّ القرآن الكريم يشير بوضوح إلى الغاية من دراسة التاريخ وهي أخذ العبرة من أحداثه. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ومقتضى أخذ العبر من التاريخ أن يجري النظر في الوقائع بتجرد والتمحيص فيها بروح الباحث. وجاءت مفردة العبرة في الآية الكريمة من العبور، مع الإشارة إلى أنّ الأقدار على أخذ العبر من التاريخ هم ذوو الألباب وأصحاب العقول النيرة. على النقيض من أولئك الذين تستولي عليهم الغرائز وتغلب عليهم لغة العواطف، حتى لا يعودون يتحركون إلا من وحي أهوائهم وعواطفهم، حينها تنقلب الآية، فعوضاً عن أن يكون في قصصهم عبرة، يصبح في قصصهم فتنة! فأحداث التاريخ مليئة بالعبر لأولي الألباب، لكنها ستكون مليئة بالفتن لأهل الأهواء. والله سبحانه يريد لنا أن نقرأ التاريخ بغرض أخذ العبر، لا التغني بأمجاد الماضي أو استجلاب الفتن. ومردّد ذلك إلى طريقة النظر في التاريخ بأحداثه وشخصه.

إنّ الاحتفاء بالمناسبات التاريخية أمر محمود، شريطة أن يكون محطة للاستفادة المناسبة وأخذ العبر والدروس. وبحمد الله يحتفل مجتمعنا بالعديد من الأحداث التاريخية المتعلقة بذكرات القادة الدينيين وخاصة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ولكن يبقى السؤال قائماً عن الكيفية التي ينبغي أن يظهر عليها الاحتفاء والفائدة المرجوة من ذلك.

زينب والدور الاجتماعي للمرأة

وقد مرت علينا في هذه الأيام ذكرى ميلاد السيدة زينب بنت أمير المؤمنين، وهي مناسبة نحتاج إلى الاحتفاء بها وإيلائها الاهتمام المناسب، خاصة في ظروف مجتمعاتنا المعاصرة.

ونحن حينما نحتمي بالسيدة زينب، تلك المرأة العظيمة الرائدة، فنحن أحوج ما نكون للتركيز على نقطتين هما من موارد الاعتبار الكبيرة في سيرتها (عليها السلام). الأمر الأول

هو التركيز على دور المرأة الاجتماعي، لما في أغلب مجتمعاتنا الإسلامية من تهميش لدور المرأة، كما لو لم يكن للمرأة شأن بالأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، في وقت باتت المرأة عبر العالم تعيش مرحلة تاريخية انتزعت خلالها دورها المحوري على كافة الصعد، وهذا تطور تاريخي رائع. فحين نقرأ على سبيل المثال ان الحكومة الفرنسية المتشكلة حديثاً، يشكل النساء نصف مقاعدها، فهذا مكسب إنساني لا يمكن القفز عليه. نقول ذلك مع نقدنا للنزعة الغرائزية التي تخرج المرأة من إنسانيتها وتركز على أنوثتها، وتنظر لها من زاوية الإثارة الجنسية، على نحو يغيب فيها العفاف والطهارة الأخلاقية.

ينبغي أن نشيد بالتطور الإيجابي الذي جعل المرأة صنو الرجل في بناء الحياة وصناعة التنمية وقيادة الأوطان، فهذا ما ينبغي أن يكون عليه الوضع في هذا العالم، الذي باتت تفاخر فيه الدول بأدوار المرأة في المشاركة في قيادتها وصنع سياساتها، وهو الأمر الغائب عن مجتمعاتنا، وما يتطلب منا تجاوزه.

إن الاحتفاء بالسيدة زينب عليها السلام ينبغي أن يكون مناسبة لاستعادة الدور الحقيقي للمرأة المسلمة. ذلك أن الاحتفاء بها عليها السلام لم يأت انطلاقة من دورها العائلي المحض، ولكونها سيدة بيت جيدة، أو مربية أطفال كفوءة، أو لأنها كانت حسنة التبعّل لزوجها، فمع كل ما يستحق ذلك من الإشادة، إلا أنّ الجميع يعلم أنّ التمجيد الذي نالته السيدة زينب لم يأت نتيجة لهذه الأسباب، وإنما جاء انطلاقة من مشاركتها في النهضة التي قام بها أخوها الإمام الحسين عليه السلام.

إن ذكر السيدة زينب والحديث عنها وتمجيدها إنّما هو في جوهره حديث عن مواقفها في تلك النهضة العظيمة. فقد كان لثورة الحسين وجهان وصانعان، هما الحسين وزينب، فلا يكاد يذكر الحسين إلا ويستحضر الذهن زينب، ولا تكاد تذكر كربلاء إلا وتحضر زينب في قلب الصورة، فلا يمكن تجريد واقعة كربلاء من دور زينب، فقد كان وجودها وجوداً أساسياً. وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن دور

الإمام الحسين انتهى باستشهاده ظهر اليوم العاشر من محرم، بخلاف دور السيدة زينب الذي استمر بعد ذلك. وكان دورها في تلك الثورة أطول زمنياً من دور الإمام الحسين، ولا نتحدث عن الفضل والعظمة التي هي راجحة لجهة الإمام عليه السلام، وإنما عن المساحة الزمنية التي احتلتها السيدة زينب في مجريات الثورة إلى ما بعد استشهاد الإمام، وقد يكون من غير المبالغ فيه القول إن الآلام التي تكبّدتها السيدة زينب فيما بعد تضاهي الآلام التي تكبّدها الإمام عليه السلام، ويكفيها عليه السلام أنها عاينت مصرع أخيها الإمام، فذلك بمفرده يمثل مصيبة عظيمة، ناهيك عن باقي فصول المأساة.

من هنا يأتي السؤال المهم حول دور المرأة المسلمة في العصر الراهن. وأين بات موقعها اليوم من الأدوار التي لعبتها النساء العظيمات في صدر الإسلام، من خديجة وفاطمة وزينب وسائر النساء العظيمات اللاتي شاركن في صناعة التاريخ، ولماذا تقلص دور المرأة المسلمة إلى أدنى الحدود؟

التكوين التربوي

وبمناسبة الحديث عن السيدة زينب ينبغي أن نتناول التكوين التربوي لشخصيتها، فذلك أمر بالغ الأهمية، فهناك إهمال تربوي لأبناء الجيل الجديد من الأولاد بشكل عام، والبنات على نحو خاص. فلم يعد الأبناء يحضون بالرعاية المناسبة، ولا يجدون الأحضان الدافئة، ولا يتشبعون بالعاطفة والمحبة من عوائلهم، ولذلك ينشأ الأبناء، أولاداً وفتيات، وهم يعانون من جوع عاطفي، ومن جفاء ونقص في الحبّ والمودة داخل العائلة، وسرعان ما تجد الفتاة تبحث عما ينقصها من العاطفة والحبّ خارج العائلة.

وفي هذا السياق نشرت جريدة الاقتصادية بتاريخ دراسة جامعية عن دار الرعاية للفتيات، وهي الدار التي تودع فيها الفتيات اللاتي يقعن في جرائم وانحرافات سلوكية، وكان محور تساؤل الدراسة هو عن الأسباب التي دفعت الفتيات نحو

الجريمة والانحراف، وقد خلصت إلى أن ٨٦ بالمئة من الفتيات وقعن في الجريمة بسبب الحرمان العاطفي!. وبنظرة خاطفة على ما يجري من حوارات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، تجدها تكشف بوضوح عن مدى القسوة والجفاف العاطفي الذي تعانيه الفتيات في المنزل. وطالما تلقينا في مكتبنا اتصالات ومراسلات من فتيات ونساء يرفعن شكواهن وبيثن همومهن نتيجة ما يلاقين من قسوة بين جدران المنزل. وهذا ما يدفعنا لسؤال الرجال عن الدوافع التي تجعلهم يلجئن أزواجهم لبث شكواهن خارج المنزل!، ولماذا لا تجد الفتاة المساحة التي تصارح فيها أهلها بمشاكلها وقضاياها، بدافع الحياء والخجل، أو لإعراض الوالدين اللذين لا يجدان الوقت للاستماع لبناتهم، وذلك ما يجعل الفتيات يعانين النقص الحاد في الجانب العاطفي.

إن إطلالة على الجوِّ الأسري الذي عاشت فيه السيدة زينب، يكشف إلى أي مدى صنع منها هذا الطود النضالي الشامخ. فقد كانت تحت كنف والديها، تتقلب في أجواء الحبِّ والعطف والحنان والاحترام، وهذا عين ما أشار إليه أهل البيت، فقد ورد عن الإمام الحسين عليه السلام القول: «يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت»، وذلك ما يكشف عن التأثير البالغ للحجر الطيب، والأجواء العائلية الدافئة، في تكوين شخصية الأبناء. سيما إذا أخذنا في الاعتبار أن السيدة زينب قد تربت في عائلة عظيمة، فجدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي لا يكاد يمرّ يوم إلا ويدخل فيه على بيت فاطمة، وقد كان يقف على باب فاطمة عند كلّ صلاة منادياً الصلاة الصلاة أهل البيت، إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، وكان إذا أراد السفر جعل بيت فاطمة آخر بيت يودّعه، وإذا عاد من سفره جعل بيت فاطمة أول بيت يدخله بعد المسجد، وقد استفاضت كتب السيرة والتاريخ بأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا دخل بيت فاطمة قضى وقتاً في ملاعبة الحسنين وحملهما، والإغداق عليهما من فائض حنانه.

وقد صوّر الشيخ محمد جواد مغنية جانباً من الدفء العائلي والمحبة والحنان في

بيت فاطمة، حيث قال: «كان النبي ﷺ لا يصبر عن بيته هذا ولا يشغله عنه شاغل خاصة بعد أن نبتت فيه رياحينه (مع ولادة الحسنين وزينب وأم كلثوم)، فإذا دخله قبل هذا وشم ذلك وابتسم لتلك، ودخله ذات يوم وأخذ الحسن وحمله، فأخذ علي الحسين وحمله، فأخذت فاطمة زينب وحملتها، فاهتزت أركان البيت طرباً لجو الصفاة المختارة، وابتهاج الرسول ﷺ بآله، وابتهاجهم به، وتدلنا هذه الظاهرة وكثير غيرها، أن محمداً ﷺ كان أكثر الأنبياء غبطة وسعادة بأهل بيته»^(١). وقد كان ﷺ إذا دخل بيت فاطمة أخذ زينب ﷺ وقبلها ثم يقول: «أوصيكم بها فإنها شبيهة جدتها خديجة»^(٢)، ولطالما تداول الخطباء خبر خروج زينب لزيارة قبر جدها رسول الله ﷺ ليلاً، وكيف كانت تخرج وسط موكب يتقدمه أبوها علي، وأخوها الحسن عن يمينها، والحسين عن شمالها وسائر إخوتها خلفها، وقد يتبادر لأذهان البعض أن هذا الموكب المهيب إنما يأتي للحفاظ على خدر السيدة زينب، في حين يأتي في حقيقة الأمر لإظهار مكانتها وهيبتها، وهي تتوسط هؤلاء العظماء الذين يخرجون لمرافقتها، كما يتضمن ذلك إظهاراً لأقصى درجات الاحترام والتقدير لمكانتها ورمزيتها وهي بعد لا تزال فتاة صغيرة.

أين هذا مما بتنا نراه هذه الأيام من إرسال البعض أهاليهم من زوجة أو بنات مع السائقين الأجانب لقضاء حوائجهم من تسوق وزيارات وغير ذلك، في حين يستلقي هو على أريكته في المنزل، لا لشيء إلا لكسل يتنابه أو ملل يستولي عليه. ونحن هنا لا نتناول هذا الأمر من زاوية الحلال والحرام، بقدر ما نتلمس مقدار العطف والحنان والاحترام الذي يوليه أهل البيت لأهليهم في مقابل ما بات الناس عليه اليوم، ومن ثم معرفة النتائج التربوي المرتقب عن النمط التربوي الأول، قياساً على الثاني.

(١) محمد جواد مغنية. مع بطة كربلاء، الطبعة الرابعة ١٩٨٩م، ص ٢٢.

(٢) السيد نور الدين الجزائري، الخصائص الزينية، انتشارات الشريف الرضي، قم - إيران ١٤١٨هـ،

صور من عظمة زينب

إنّ نمط التربية الذي اعتمده أهل البيت عليهم السلام هو الذي جعل من السيدة زينب تلك الشخصية العظيمة. إذ بالإضافة إلى المعارف التي اكتسبتها ومكانتها عند الله، يكفي أن يقول الإمام زين العابدين في حقّها «وأنت بحمد الله يا عمّة عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهومة». ويكفي من مواقف زينب عليها السلام أنها حين رأت المصراع الأليم لأخيها الحسين عليه السلام الذي تكاد السماوات تتفطرن منه وتخرّ الجبال هدّاً، حيث رآته ملقاً على البوغاء بتلك الحالة الأليمة موزع الأعضاء والدماء تشخب من وريديه، وقد كانت بين صفيين من العسكر وهم يسلطون الأنظار عليها يراقبون ما تفعل أو تقول، ولعلمهم كانوا ينتظرون منها أن ترفع تحت هول المشهد راية الاستسلام وتعلن الهزيمة، وما إذا كانت ستندب حظّها وتلطم وجهها كمدّاً على أخيها، ولكن خاب ظنهم، فما إن وقفت على مصراع أخيها وخمد صخب الجيش، رفعت يديها إلى السماء وقالت «اللهم تقبل منا هذا القربان، اللهم إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى»، هذه هي زينب ابنة علي.

ولطالما رأينا آثار هذه المدرسة الزينية العظيمة في المجتمعات المؤمنة من أتباع أهل البيت، التي ابتليت باعتداءات الجيوش الغازية، كما في جنوب لبنان، فهم ومهما طالهم الدمار وسقط منهم الشهداء فهم لا يقبلون الانكسار ولا يعلنون الهزيمة قط، وإثما شعارهم قول زينب عليها السلام لابن زياد حينما سألها: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ فردت عليه بقولها: والله ما رأيت إلا جميلاً. فشعار أتباع المدرسة الزينية هو أنّهم لا يرون في التضحيات وسقوط الشهداء إلا جميلاً، سواء كان في الضاحية الجنوبية أم الجنوب اللبناني، فذلك بأجمعه في سبيل الله وحفظاً لكرامتهم واستقلالهم، وتلك هي مدرسة النبي وعلي والحسين وزينب وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام.



أفضلية الزهراء وحياتها العائلية

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فاطمة
بِضْعَةٍ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»^(١).

حظيت السيدة فاطمة الزهراء ﷺ بمكانة عظيمة ومقام متميز ضمن حياتها العامة والخاصة. ولقد كان النبي ﷺ أول من شدّد على هذه المكانة بقوله ﷺ كما أورد البخاري: «فاطمة بِضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»، وهو حديث متواتر عند الفريقين، ولا يختلف في صحته وثبوته اثنان من علماء الحديث. وقد تضمّن الحديث معاني عظيمة وهامة، ومن ذلك تسليطه الضوء على مكانة السيدة الزهراء ﷺ، إذ حينما يقول رسول الله ﷺ إنّ الزهراء بضعة مني، فإنّ معنى ذلك أنّها جزء من كيانه المادي والمعنوي، وبذلك يغدو كلّ فضل وقيمة وموقعية ﷺ سارية في كيانه، فهي تسري كذلك على الزهراء ﷺ لأنّها جزء منه، وهذا دليل واضح على المكانة المتميزة للسيدة فاطمة ﷺ.

كما أنّ من المعاني التي تضمّنها الحديث، هي العصمة والنزاهة التي تتحلّى بها السيدة الزهراء ﷺ، ما يعني أنّ مشاعرها محكومة وعواطفها مقيدة بأوامر الله. ذلك أنّ العاطفة هي مكمن الابتلاء عند الخلق، فهي التي ربما قادت الشخص إلى الخروج

(١) صحيح البخاري، ج ٢، ص ٤٦٩ - ٤٧٠، حديث ٣٧١٤.

عن جادة الصواب، وأوقعته في شرك ارتكاب الأخطاء واقتراف الآثام، فإذا ما كانت العواطف تحت السيطرة فسيكون الإنسان قد بلغ درجة العصمة. من هنا حين يشير الرسول ﷺ إلى عاطفة الزهراء ومشاعرها، غضبها ورضاهها، وأن ذلك وثيق الصلة بغضبه ورضاه، فإن ذلك يفضي إلى القول بعصمة الزهراء ﷺ تلقائياً.

الإصطفاء الإلهي

إن من المسلم به في العقيدة الإسلامية أن الله تعالى قد فضل بعض عباده على البعض الآخر. وقد ورد هذا المعنى في العديد من الآيات القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وورد في آية أخرى اصطفاء الله سبحانه لمريم ﷺ في قوله تعالى: ﴿... يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾. ويعود اصطفاء الله لبعض عباده وتفضيله بعض خلقه إما على نحو مباشر من الله تعالى من خلال كتابه الكريم، أو من خلال رسوله ﷺ وهو المبلغ عنه سبحانه، الذي وصفه بأنه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، ومعنى ذلك؛ أنه ﷺ حين يقول عن ابنته أنها بضعة منه، فهذا يكشف عن تفضيل الله تعالى لفاطمة ﷺ، وقد ذهب بعض العلماء انطلاقاً من هذا الحديث إلى القول بأفضلية السيدة الزهراء على كلِّ أحدٍ بعد رسول الله ﷺ، وذهب الشيعة إلى أفضليتها على جميع الخلق بعد أبيها النبي ﷺ وبعلمها عليّ ﷺ، وقد أشارت بعض النصوص الدينية إلى أفضليتها على ولديها الحسن والحسين وباقي الأئمة، ومن ذلك ما روي عن الإمام الحسين ﷺ «أمي خير مني». وبذلك يكون الرسول ﷺ في المقام الأول من الفضل، ويأتي بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، ثم تأتي الأفضلية بعدهما للسيدة الزهراء ﷺ.

وذهب بعض علماء أهل السنة إلى القول بأن السيدة الزهراء هي أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ. وقد أورد أحد علماء الحديث في المدرسة السلفية، وهو الشيخ محمد

سعيد بن محمد ممدوح، في كتاب له مطبوع في الإمارات العربية المتحدة بعنوان «غاية التبجيل وترك القطع بالفضل»، وقدّم له مستشار رئيس دولة الإمارات، السيد علي الهاشم، أورد المؤلف جملة من الآراء في تفضيل السيدة الزهراء على كل الناس بعد رسول الله. تحت عنوان تنوير الأفتدة الزكية بتفضيل البضعة النبوية قائلاً: ومنهم - أي الصحابة وعلماء المسلمين - من يفضل السيدة فاطمة ابنة النبي ﷺ على الجميع، باعتبارها بضعته الشريفة المنيفة، وقال: كان مذهب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تفضيل فاطمة صلوات الله وسلامه على والدها وعلى آله وعلى سائر الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا ثابت في الصحيح، فقد أخرج الطبراني في الأوسط حديث رقم (٢٧٢١)... عن عمر بن دينار قال: قالت عائشة: «ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها»، عزاه الهيثمي في المجمع لأبي يعلى بلفظ: «ما رأيت أحداً أصدق من فاطمة»، ... وقال الهيثمي: رجالهما رجال صحيح، وقال الطبراني سنده صحيح على شرط الشيخين^(١).

وينقل ممدوح في مؤلفه كلاماً للخليفة الثاني عمر بن الخطاب، قائلاً: وللخليفة عمر بن الخطاب كلام جليل هنا، فقد أخرج الحاكم في المستدرک بإسناد ثابت أنّ عمر قال لفاطمة ﷺ: يا فاطمة، والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله ﷺ منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك ﷺ أحبّ إليّ منك. وهو منقول - أي الرأي بتفضيل فاطمة على الجميع - عن الإمام مالك، ففي الحاوي للحافظ السيوطي قال مالك: «لا أفضل على بضعة رسول الله ﷺ أحداً»، وجاء في كتاب الإجابة في ما استدرکته عائشة على الصحابة، ذكر الأستاذ أبو سهل الصعلوكي، أحد أئمة أصحابنا في كتاب الأصول الخمسة عشر، كلاماً في فضل عائشة وفاطمة، قال، فكان شيخنا أبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكي وابنه سهل يفضلان فاطمة على عائشة، وبه قال الشافعي، وللحسين بن الفضل رسالة في ذلك، قال الزركشي وهذا مما لا شك فيه،

(١) غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ص ٩٥-٩٦.

وقد قال رسول الله ﷺ فاطمة بضعة مني ولا نعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحدًا.

«ولما ذكر المناوي في فيض القدير حديث فاطمة بضعة مني قال: استدل بها السهيلي على أن من سبها كفر؛ لأنه يغضبه، ولأنها أفضل من الشيخين»، أي أفضل من أبي بكر وعمر، وفي فيض القدير ذكر العلم العراقي أن فاطمة وأخاها إبراهيم أفضل من الخلفاء الأربعة بالاتفاق، وقال الآلوسي، في تفسيره «روح المعاني»: إن فاطمة من حيث البضعية لا يعدلها أحد، وقال الإمام السبكي وغيره في حق السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها: لا نفضل على بضعة رسول الله ﷺ أحدًا، فأنت تراهم وصفوها بالبضعية التي هي داعية إلى التفضيل على أمها خديجة ومريم وعائشة ولم يقولوا لا نفضل على زوجة علي أو أم الحسنين أو غير ذلك من أوصافها الشريفة» - وإنما على البضعة - «... وصرح بأفضلية السيدة فاطمة على جميع الصحابة، الشيخين فمن عدهما، الشمس العلقمي، وقيده المناوي بحيثية البضعية»^(١).

أخطار التفكك الأسري

ولا بُدّ لنا بعد هذا السرد عن مقام السيدة الزهراء من أن نتناول طرفاً من سيرتها الشريفة. وسنكتفي هنا بالتطرق إلى زاوية واحدة من حياتها، وهي تلك المرتبطة بعلاقتها مع بعلمها أمير المؤمنين ﷺ، فنحن في حاجة ماسة للحديث في هذا الأمر، بالنظر إلى بروز ظاهرة خطيرة تهدد وضعنا الاجتماعي والتربوي والأخلاقي، ألا وهي ظاهرة التفكك الأسري، وتفاقم المشاكل العائلية بين الأزواج، فالمحاكم باتت تضجّ بالدعاوى المتعلقة بالخلافات الزوجية والمشاكل الأسرية، ولكثرتها بات المصلحون الاجتماعيون المتصدّون لمعالجة هذه المشاكل يبذلون جهوداً مضنية ويصرفون أوقافاً طويلة في معالجتها، ناهيك عن تقارير الدوائر الأمنية الجنائية ودور الإيواء وملاحظة الأحداث، التي ترجع الكثير من الانحرافات والجرائم إلى التفكك الأسري.

(١) غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل، ص ٩٦-٩٨.

وتحظى العلاقة الخاصة بين الزوجين بموقعية في منتهى الأهمية عند الشارع المقدس. جاء ذلك في جملة من الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، وجاء في آية أخرى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، وقال تعالى: ﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، وقال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٍ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لَّهُنَّ﴾. وهذا ما يشير إلى الأهمية البالغة للعلاقة الزوجية الإنسانية الوثيقة والحميمة، التي لا ينبغي أن تكون عرضة للاضطراب.

غير أن هناك أسباباً عديدة ربما جعلت العلاقة الزوجية عرضة لشتى المشاكل. ومن ذلك ما يمكن اعتباره سبباً عاماً تشترك فيه قطاعات كبيرة من البشر، وهو بروز الحالة الأنانية والشهوانية في النفوس، بأن تكون اهتمامات الأشخاص متمحورة حول ذواتهم ومصالحهم وشهواتهم، وهذا ما يقود حتماً لوقوع التضارب والتنازع وانحسار حالة الوئام والانسجام بين الزوجين. وعلى النقيض من ذلك ستكون العلاقة بينهما، أقلّ تعقيداً وأكثر ميلاً للحل وبكلفة أقلّ، إذا سادت روح الإيثار والتنازل والتفكير في مصلحة الآخر. ولنا أن تخيل وضع الأسرة حين يطلق الأب العنان لشهواته ورغباته، ويلهث خلفها أين ومتى شاء، حتى لو كان على حساب عواطف زوجته ومشاعرها، واستقرار وتربية الأبناء، فإنّ من المتوقع من هذا الزوج الأناني الإقدام على أيّ قرار، غير عابئ بنتائجه. في مقابل ذلك، يأتي الزوج غير الأناني الذي وإن تآقت نفسه لبعض الرغبات الشهوانية خارج العائلة، فإنه سيعطل رغبته، ويكبح شهوته واندفاعته، حفاظاً على استقرار بيته ووضع عائلته.

وكذلك الحال مع الزوجة التي تريد الاسترسال مع رغباتها وطلباتها وشهواتها، دون أدنى اعتبار لرضا زوجها أو غضبه، وما إذا ساد التعثر حياتها الأسرية أم الانسجام، ومدى انعكاس ذلك على حياة الأولاد، هذه الحالة الأنانية عند المرأة هي الأخرى ستقود حتماً إلى تفكك الأسرة.

إنّ مشكلة الأنانية عند الزوجين أو أحدهما تكاد تكون ظاهرة عامة تعاني منها

جميع المجتمعات، وقد أشار القرآن الكريم إلى علاج هذه الحالة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، ومضمون ذلك، أن مجرد إقدام الزوجة على اقتراف ما يكره زوجها ويتضارب مع مصالحه، لا ينبغي أن يكون مبرراً لاندفاعه عكسية من طرفه، وإنما ينبغي التفكير في مختلف الجوانب والمصالح الأخرى، من انعكاس ذلك على الأبناء والوضع الاجتماعي العام، ناهيك عن الوضع الأخروي والوقوف بين يدي الله.

مع الزهراء في علاقتها الزوجية

إن من الواجب في هذا المقام التأسّي بالسيرة العائلية العطرة بين السيدة الزهراء والإمام علي (عليه السلام) وأخذ الدروس منها. وإنه لمن الغريب أن يحتفي الناس بذكرى رحيل السيدة الزهراء ويستمعون من خلال المنابر الدينية لجوانب كثيرة من سيرتها وسيرة سائر أئمتهم (عليهم السلام)، لكنهم قلما يلتزمون بالتأسّي والاقتداء بهم والاستفادة من كل ذلك في حياتهم العملية. سيّما وأن من المعروف من سيرة السيدة الزهراء والإمام علي أن حالة الانسجام والوئام والإيثار المتبادل بينهما كانت في أعلى درجاتها، ولا غرو، فهما خير رمزين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد وردت نصوص في وصف تلك العلاقة المميزة بين السيدة الزهراء والإمام علي (عليه السلام). حيث ورد عن علي (عليه السلام) أنه قال لأحد أصحابه: ألا أحدثك عني وعن فاطمة؛ إنّها كانت عندي وكانت من أحبّ أهله - النبي (صلى الله عليه وآله) - إليه، وإنّها استقتت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فطلبت منها أن تذهب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأن تشكو له حالها وأن تطلب منه جارية خادمة، فذهبت وسألته ذلك فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقال: يا فاطمة والذي بعثني بالحقّ إنّ في المسجد أربعمئة رجل ما لهم طعام ولا ثياب، ثم علّمها التسبيح - تسبيح فاطمة

الزهراء (ع)، وبعد مدة حينما أفاء الله عليه أعطاها جارية، هي فضة التي بقيت تخدمها حتى وفاتها.

ولنا أن نشير إلى فائدة في هذا المقام، وهي أنه حتى مع عدم الوجوب الشرعي لقيام المرأة بالخدمة المنزلية، إلا أن الوازع الإنساني والاجتماعي والشعور بالشراكة مع الزوج في إدارة أمور البيت وتسيير شؤون الأسرة وتربية الأبناء، يحتم عليها اعتبار الخدمة المنزلية بمنزلة العبادة والشرف التي تتشرف به. غير أن الحال بات على خلاف ذلك في بعض المجتمعات، نتيجة ردّ فعل على الاتجاه المحافظ الذي يريد تحجيم المرأة في حدود المنزل، وعزلها عن القيام بأيّ دور اجتماعي أو ثقافي خارجه. وبذلك ظهر اتجاه يحمل نظرة متطرفة يسخر من الخدمة المنزلية عند المرأة، ويزدري اقتصار دور المرأة على دور ربة المنزل. وهذه نظرة خاطئة، حيث تمثل الخدمة المنزلية فضلاً لها، وتجلياً لإنسانيتها، وليست عيباً ولا عاراً ولا هي وظيفة متدنية، وإنما هي من أشرف وأعظم الوظائف التي تقوم بها المرأة، شريطة ألا يكون ذلك تحجيماً لها ولا منعاً لها من ممارسة الأدوار الاجتماعية الأخرى، فالمسألة لا تتعلق بإحلال وظيفة محلّ أخرى، وإنما تتعلق بالتوفيق بالمقدار الممكن، وبمقدار ما تقتضي الأولويات بين حياتها وظروف عائلتها ومجتمعها.

وهناك نصوص أخرى وردت كذلك في وصف العلاقة العائلية بين السيدة الزهراء والإمام علي وتشاركهما الخدمة في المنزل. فقد ورد في السيرة أن النبي (ص) دخل ذات يوم بيت علي وفاطمة فوجدهما يشتركان في الطحن بالجاروش، فقال (ص): أيكما أعيأ؟ فقال علي: فاطمة، يا رسول الله، فقال لها: قومي يا بنية، فقامت وجلس النبي (ص) موضعها مع علي فواساه في طحن الحب. ومضمون ذلك أن علياً (ع) كان يتشارك مع السيدة الزهراء في الخدمة المنزلية، وفي ذلك لفته مهمة إلى الأزواج الذين يترفعون عن المشاركة في الخدمة المنزلية، بل ويعتبرون المشاركة في غسل الصحون أو تنظيف البيت عيباً يناون بأنفسهم عنه، وليتهم علموا أن في ذلك ثواباً عظيماً وتربية

للنفس وتقديم القدوة للأبناء، حين يروا والديهما يتعاونان في إدارة شؤون المنزل، وهل ثمة تربية أعظم من هذه! كما أنّ في مشاركة النبي ﷺ علياً في طحن الحب، دليل على تلك الروحية التي يتمتع بها ﷺ مع عظم مقامه ورفعة منزلته. وهذا خلاف ما لدى البعض من الذين حباهم الله وظيفة مرموقة أو منزلة اجتماعية رفيعة، والذين سرعان ما يجدون أنفسهم فوق أن يمارسوا هذه الأدوار.

وورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه رأى النبي ﷺ فاطمة وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال: «يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر له على آلائه»^(١).

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز»^(٢).

هذه العلاقة بين علي وفاطمة وهذا الانسجام بينهما هو الذي جعل كلاً منهما يشيد بالآخر، ويدوب في حبه واحترامه حتى الرmq الأخير. وقد كانت وصية السيدة فاطمة الزهراء لأmir المؤمنين في آخر لحظات حياتها وصية وجدانية مؤثرة، ينبغي أن نطالعها بعين الاستفادة والاقتداء، وجاء فيها أنها قالت ﷺ: «يا ابن عم، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني، فقال ﷺ: معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبّخك بمخالفتي»^(٣)، قال علي عليه السلام: «فوالله ما أغضبته، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزّ وجلّ، ولا أغضبته، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان»^(٤). وهذه من أجلى مظاهر العلاقة الزوجية الحميمة، حيث يعود الرجل إلى منزله مثقلاً بأعباء الحياة وأتعبها، فينظر إلى

(١) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٨٦.

(٢) الكافي، ج ٥، ص ٨٦، حديث ١.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٩١، حديث ٢٠.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٣٤.

امراته فتنكشف عنه الهموم والأحزان.

وكذلك الحال مع المرأة التي تكون متعبة بهموم الحياة ومشاكل البيت، فإذا ما رأت وجه زوجها ابتسمت أمامها الدنيا وامتلاً قلبها من الفرح والسرور. وهذا ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الزوجين. من هنا ندرك مدى حزن أمير المؤمنين عليه السلام بافتقاده السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، خاصة في أواخر أيامها ومع المعاناة التي مرت بها بعيداً وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويكفي من ذلك ما ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام حينما وارى السيدة الزهراء وعزّ عليه ذلك، فاتجه صوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال كلماته المؤثرة: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جَوَارِكَ وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ، قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَن صَفِيَّتِكَ صَبْرِي وَرَقَّ عَنَّا تَجَلُّدِي إِلَّا أَنَّ فِي النَّاسِي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزُّ فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدْ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةَ وَأُخِذَتْ الرَّهْيَنَةَ أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتَكَ بِتَصَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا فَأَحْفَهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبَرَهَا الْحَالَ هَذَا وَلَمْ يَطَّلِ الْعَهْدُ وَلَمْ يَخُلْ مِنْكَ الذِّكْرُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامٌ مُودَعٌ لَا قَالٍ وَلَا سَائِمٍ فَإِنْ أَنْصَرِفَ فَلَا عَن مَالَةٍ وَإِنْ أَقِمَ فَلَا عَن سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ»^(١).

صلى الله على فاطمة الزهراء وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.

(١) مِنْ كَلَامٍ لَهُ عليه السلام رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَهُ عِنْدَ دَفْنِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ فَاطِمَةَ عليها السلام كَالْمُنَاجِي بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عِنْدَ قَبْرِهِ، خُطْبَةٌ ٢٠٢.

الحالة الدينية والنقد البناء

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ
اسْتَقْبَلَ وَجْهَ الْأَرْءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَا»^(١).

منح الله الإنسان العقل وزوّده بقدرات هائلة على التفكير للوصول إلى الموقف السليم والرأي الصائب والحكم على الأمور. ولكن نظراً لما يحيط بالإنسان من ملابسات وظروف مختلفة، فإن ذلك ربما حجب عنه إمكانية الوصول إلى الرأي الصائب، أو الأكثر صوابية، ذلك أنه ربما جاء الرأي الصائب في مقابل الرأي الخاطئ تارة، وتارة يأتي في مقابل رأي أكثر صوابية. ومرد ذلك إلى الظروف والملابسات المتعلقة بصاحب الرأي حيال الموضوع محلّ التفكير، التي ربما جعلت منه غير محيط بمختلف ملابسات المسألة. وغني عن القول إنه إذا ما غابت بعض الملابسات عن الإنسان، فإن ذلك سيفضي به إلى التشخيص الخطأ، الأمر الذي سيقود في نهاية المطاف إلى تبني آراء وأحكاماً خاطئة حيال المشكلة محلّ النظر.

وإضافة إلى ما سبق، قد يفتقر الإنسان إلى التوازن في النظر إلى جوانب الموضوع، والحكم على الأشياء، بالنظر إلى التداخل بين عناصر عديدة ضمن مشكلة واحدة، الذي ربما قاد إلى الانجذاب إلى جانب على حساب الجوانب الأخرى، ما يفضي إلى تبني رأي غير متوازن.

(١) نهج البلاغة، حكمة ١٧٣.

هذا بخلاف ما يمكن أن يستولي على الإنسان من أهواء ورغبات وضغوط وغير ذلك، ما يجعل منه غير قادر على التوصل بمفرده إلى الرأي الصائب، أو الأكثر صوابية. وبالنظر إلى جميع ذلك، جاءت التوجيهات الدينية مشددة على أهمية النظر في الآراء الأخرى، وضرورة تمحيصها، وإن لم يرد الشخص الإذعان لها بداية. ذلك أن الآخرين ربما كانوا متجاوزين للأهواء والضغوط والانشدادات التي يقع فيها الفرد نفسه، وعندها سيكون اتخاذ القرار الشخصي بعد الاستماع لآراء الآخرين، غيره قبل الاستماع لتلك الآراء. أمّا إذا أعرض الإنسان عن آراء الآخرين، فإنه سيكون عرضة للوقوع في الخطأ على نحو أكبر، وقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «قَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ»^(١).

التعامل الإيجابي مع المعارضة والنقد

وإذا كان الأفراد على المستوى الشخصي محتاجين للاطلاع على آراء الآخرين، فإنهم أكثر حاجة إلى ذلك إذا كانوا في موقع المسؤولية والإدارة في الشأن العام. سواء كان على مستوى إدارة الأسرة، أم إدارة الشركة، أو رئاسة الجمعية أم غير ذلك. ومن المعلوم أنّ الإنسان أكثر حُبًّا للاستماع للمديح وأكثر ميلًا إلى الآراء الموافقة لرأيه، فهو غالبًا ما ينتشي عند الإشادة برأيه من طرف الآخرين، وعلى النقيض من ذلك قد يضيق ذرعًا بالاعتراض والانتقادات الموجهة إليه، فهو لا يريد أن يكون عرضة للتخطئة والانتقاد.

والناس متفاوتون في ردّات فعلهم على حالة الانتقاد، فمنهم من يتأثر قليلاً ومنهم من يستولي عليه الغضب والانزعاج الكبيران، ومنهم من يهاجم المنتقدين لرأيه يقلل من شأنهم، عاديًا نفسه - ضمناً - أبعد ما يكون عن الوقوع في الخطأ. وهذا بحدّ ذاته خطأ فادح يقع فيه الأفراد عموماً، أما إذا صدر عمّن هو متصدّد للشأن العام فذلك أدهى

(١) نهج البلاغة، حكمة ٢١١.

وأمر، حيث ستقود مواقفه تلك إلى الخسارة على نطاق مجتمعي أوسع، ربما طال الأمة والدين، لا لشيءٍ إلا لأنفته عن الاستماع للانتقادات والآراء المغايرة. إن هناك دورًا إيجابيًا تلعبه عملية النقد والمعارضة في الرأي. وحقيقة الأمر أن الرأي الناقد ربما عدّ أكثر فائدة من الرأي المؤيد، ذلك أن الرأي المؤيد ربما بثّ شيئاً من التشجيع المؤقت في النفس، بخلاف الرأي الناقد الذي يقرع جرس الإنذار، ويلفت النظر إلى نقاط الضعف، وبذلك يصقل الرأي ويجعله أكثر رصانة. وهنا يمكن تشبيه الآراء الناقدة بالمرآة التي تمكن الإنسان، حين النظر لها، من الكشف عن أيّ شائبة في الوجه، والتي بدونها قد لا يتسنّى له ذلك. من هنا أن لا ينزعج الإنسان من النقد ولا يرفض المعارضة، سيما إذا كان في موقع التصدي للشأن العام، على المستوى الديني أو الاجتماعي أو السياسي.

مع التجربة النبوية

وعلى المتصدّين للشأن العام أن يستثيروا عقول الناس، تمامًا كما كان يفعل رسول الله ﷺ حين يخاطب المسلمين بقوله: «أشيروا عليّ»، مع ما لديه ﷺ من مقام رفيع وعقل كامل واتصال مباشر بالسما من خلال الوحي، ولم يكن ذلك إلا لتشجيعهم على الكلام وإبداء ما عندهم من ملاحظات في هذا الشأن أو ذاك، وقد سبق ذلك الأمر الإلهي للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، بالرغم من عدم حاجته ﷺ لذلك، لولا أنها المنهجية التي يريد الله ورسوله سنّها في الأمة إلى يوم الدين.

وقد حصل أن اعترض على النبي ﷺ بعض المعترضين من الأعراب بأسلوب فظّ خشن، وبالرغم من عدم صحة اعتراض هؤلاء فضلًا عن سوء أدبهم معه، لكنه ﷺ بعظيم خلقه وسعة صدره لم يكن يقابلهم بخشونة، ولعلّ مغزى التصرف النبوي الحكيم هو أنّ المواجهة الخشنة مع صاحب الاعتراض الخاطيء ربما جعلت صاحب النقد الصحيح يحجم عن طرح رأيه. ومما ورد في السيرة النبوية على هذا الصّعيد

أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ يتقاضاه فأغلظ له، فهم به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً»^(١)، ومضمون قوله ﷺ أن الأعرابي كان رجلاً محتاجاً وقد دفعه ذلك لفعل ما فعل، وهذا من عظيم خلقه ﷺ وحسن منهجيته في تقبل الاعتراض والنقد ولو شاب ذلك النقد الخشونة والانفعال. كما ورد في السيرة أنه ﷺ كان بخلاف القادة الذين ينتشون حين يرون الآخرين يخشون جبروتهم ويهابونهم ويرتعدون عند الوقوف بين يديهم، فإنه ﷺ حين لاحظ تلك الحالة على بعض من ورد عليه خاطبه بالقول: «هون عليك، فإنما أنا بن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»^(٢)، وفي ذلك تواضع منه ﷺ حتى يزيل الرهبة من قلوب الآخرين في تعاملهم معه.

علي وترحيبه بالنقد والاعتراض

وقد ضرب الإمام علي ﷺ بعد النبي أروع الأمثلة في هذا الشأن، حتى وصفه ضرار بالقول: «كان فينا كأحدنا»، هذا مع كونه ﷺ حينها إماماً وخليفة وقائداً للأمة، إلا أنه كان ﷺ يستشير عقول أتباعه ويتيح لهم فرص المساءلة والنقد وإبداء الاعتراض عليه، وقد ورد في إحدى خطبه ﷺ أنه قال: «لَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ وَلَا تَحْفَظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَلَا تَنْظُنُوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلٍ لِي وَلَا التَّمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكْفُوا عَن مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَنِي اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي»^(٣).

إنه ﷺ يرفض رفضاً قاطعاً مخاطبته بلغة التعظيم والتملق على غرار ما تكلم به الحكام الجبابرة، كما يرفض ﷺ تحفظ أصحابه من إبداء اعتراضاتهم عليه خشية من

(١) سبل الهدى والرشاد، ج ٧، ص ٢٠.

(٢) المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ٥٠، حديث ٤٣٦٦.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ٢١٦.

إغضابه، أو ظناً منهم بأنه يستثقل نطقهم بالحق في حضرته، ناهيك عن نأيه التام عن استدرار إعظام الآخرين له، وهذه الأخيرة خصوصاً لا تصدر إلا عن حقراء النفوس الذين تنعدم فيهم الثقة بأنفسهم، ويرجع ﷺ ضرورة الاستماع إلى قول الحق وعرض العدل عليه، إلى أن ذلك سيكون توطئة للعمل بهما، على التقيض ممن يضيق ذرعاً بذلك فهو أكثر بعداً من العمل بهما.

ويمضي ﷺ في تحريض أصحابه على محضه النصيحة ومصارحته بالحقيقة بقوله: «فَلَا تَكْفُرُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ»، ويذهب ﷺ بعيداً في مصارحة القوم بقوله: «أَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ»، وهذا ما يظهر عظيم تواضعه أمام قومه، ويمضي في قوله إن جميع ما عنده من ملكات وعصمة نفسية هي من عند الله تعالى بقوله: «إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهَ»، وإلا فإن صدور الخطأ في القول والفعل أمر وارد تبعاً للطبيعة البشرية.

الشان العام يههم الجميع

وعلى هذا النحو ينبغي أن يكون القادة الحقيقيون في استماعهم للنقد وتقبلهم للاعتراض. حيث يعتبرون إبداء النقد والاعتراض حقاً أصيلاً من حقوق الناس عليهم، وهذا ما ينبغي أن يشمل الحالة الدينية، هذه الحالة المتمثلة في ثلاثة عناصر؛ وهي الأفكار والآراء، والنظم والمؤسسات، والرموز والأشخاص. إن الحالة الدينية في أبعادها الثلاثة ينبغي أن يكون المجال عندها مفتوحاً على مصراعيه للاستماع للنقد وتلقي الاعتراضات وتقبل النصح، تأسياً بالسيرة النبوية والعلوية وسير أئمة أهل البيت التي درجت على تقبل الرأي الآخر دون أدنى غضاظة، سيما وأن أحداً أو مؤسسة دينية لم تدعي العصمة لنفسها من الخطأ، ولم يزعم فقيه أو مرجع ديني ذلك قط، ومعنى ذلك أن الخطأ وارد عليهم، لذلك ينبغي أن يكون صدرهم رحباً حيال الاستماع إلى النقد الموضوعي والاعتراضات البناءة.

إنّ من الخطأ الفادح التعامل مع جميع الانتقادات الموجهة للحالة الدينية بوصفها استهدافاً لرجال الدين وإضعافاً للمؤسسات الدينية، بل على النقيض من ذلك، يساهم النقد البناء في تقوية الحالة الدينية وشدّ عودها، متى ما تعاملت معه على نحو واقعي عقلاني، فالدين عميق قوي ولا خوف عليه.

بين النقد والتجريح

هنا ينبغي الإشارة إلى ضرورة التفريق بين النقد البناء وممارسة التجريح التي لا تمتّ للنقد بصلة. فالتجريح حالة مرفوضة جملة وتفصيلاً، سواء جاءت ضدّ الأفراد العاديين أم غيرهم من أصحاب القامات والمتصدّين للشأن العام. وبخلاف ذلك ينبغي أن تكون الصدور رحبة لتلقي الاعتراضات وتقبّل المشاريع والاقتراحات والتفاعل مع وجهات النظر المختلفة. وللإشارة إلى المدى الواسع المتاح لطرح الاجتهادات والآراء والأفكار المختلفة، يقول الفقهاء إنّ هناك ما لا يزيد عن خمسة بالمئة فقط من الأحكام الفقهية التي تعدّ أحكاماً قطعية وتعتبر من الضروريات المجمع عليها من الفقهاء، وما عدا ذلك يعتبر الفقهاء أنّ ٩٥ بالمئة من الأحكام الفقهية خاضعة للاجتهد وهي قابلة للأخذ والردّ.

وجدير بالذكر هنا أنّ نقاش أيّ مسألة ضمن الحالة الدينية ربما جاء على مستويين، أحدهما أن يبدي أحدهم وجهة نظر عابرة في الموضوع، أو يلفت النظر إلى ثغرة معينة ينبغي أن تسدّ أو نقطة ضعف يلزم أن تعالج، وهذا لا تثريب عليه من حيث الأصل، سواء كان على مستوى الأفكار الدينية أم الأعراف والنظم المؤسسية، سيّما وأنّ كثيراً من هذه النظم هي مستحدثة ولم يكن لها وجود في السابق، والحال نفسه تجاه النقد الموجه للأشخاص في الحالة الدينية، والذي ينبغي ألاّ يحجر عليه، فرجال الدين ليسوا معصومين. أما المستوى الثاني فهو ما يأتي ضمن تقرير الرأي العلمي للمسائل الدينية الذي يتحتم معه السير وفقاً للضوابط العلمية المتعارف عليها ضمن أهل الاختصاص.

وهنا يمكن تشبيه هذين المستويين بالشخص العادي الذي له أن ينتقد مستوى العناية في المستشفى أو يرفض إهمال الطاقم الطبي أو ينتقد سوء الخدمات، فهذا أمر متاح للجميع، بخلاف ما إذا وصل الأمر إلى الشأن الطبي التخصصي الذي لا يتسنى لكل أحد بطبيعة الحال الإدلاء بدلوه فيه، وإنما هو مقتصر على أهل الاختصاص.

وصفوة القول، يشجع الدين الإسلامي أتباعه على استشارة عقولهم وطرح آرائهم انخراطاً منهم في الشأن العام. الديني والاجتماعي والسياسي، فهذه المجالات ليست حكراً على فئة دون أخرى، ومن واجب الجميع أن يفكروا ويناقدوا ويعتصروا أذهانهم من أجل الوصول إلى الأفضل. ولذلك ينبغي أن ترحب الحالة الدينية بالنقد وتتقبل الملاحظات وتتفاعل مع الاعتراضات الموجهة لها، سواء جاءت على هيئة مقترحات أم مشاريع أم تبيان ثغرات، أو الكشف عن نقاط ضعف، والمطلوب أن تستجيب للملاحظات الجوهرية وأن تأخذها بعين الاعتبار وتستفيد منها على كل المستويات؛ لأن ذلك هو ما يوصل إلى الصواب، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ».

تصاعد وتيرة الانحراف السلوكي والأخلاقي في المجتمع

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا
الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ
عَذَابًا﴾ [سورة مريم، الآية: ٥٩]

تتناقل الأجيال البشرية المعارف والعلوم والعادات والسلوكيات على نحو متتابع جيلاً بعد جيل. حيث ينشأ كل جيل في أحضان الجيل السابق عليه، وعبر هذه التنشئة تنتقل اللغة والسّمات والسلوكيات من جيل إلى جيل، فالأبناء الذين يتربون في كنف عوائلهم، ويبتتهم التي تحمل سماتها الخاصة، تنتقل إليهم بطبيعة الحال كل تلك السّمات الأسرية والمجتمعية، لذلك نجد أنّ لكلّ مجتمع سماته وطبائعه الخاصة، من ألوان الملابس والمأكّل إلى سائر أمور الحياة. هنا يأتي السؤال حول ما إذا كانت القيم والأفكار - كما سائر الطبائع - تنتقل على ذات المنوال من جيل إلى جيل.

صعوبات توارث القيم الأخلاقية

لا شك أنّ التنشئة تساهم على نحو أساس في نقل القيم والأفكار والسلوكيات من الجيل السابق إلى اللاحق. لكن انتقال القيم والأفكار بين الأجيال لا يتسم بالسهولة على غرار انتقال اللغة وأساليب الحياة وعادات المعيشة، حيث يتسم انتقال القيم بصعوبة أكبر. ويتطلب إيلاء الأمر اهتماماً بالغاً وعناية أكبر، ذلك أنّ الطبيعة البشرية

ميّالة نحو الشهوات والأهواء، والاندفاع خلف المصالح، وهذا بدوره يُعدّ معوقاً من معوقات الالتزام بالقيم والأخلاقيات السّوية.

من هنا تبدو الحاجة ماسّة لأن يبذل كلّ جيل الاهتمام الكبير لتحقيق انتقال سلس للقيم للجيل الذي يليه. أما إذا غاب الاهتمام والعناية والتركيز فإنّ نتيجة ذلك قد تكون بروز جيل متمرد على قيم آبائه ومخالفاً لها. ضمن هذا السّياق يمكن النظر إلى الآية الكريمة في سورة مريم التي تناولت سيرة الأنبياء الهداة والصالحين من أتباعهم ثم أعقبت ذلك بسيرة الجيل الذي لحقهم، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، تشير الآية الكريمة إلى السّمة الإيمانية التي كانت تجلّل جيل الأنبياء والقيمة التي كانوا يتصفون بها وأتباعهم، بخلاف الجيل التالي الذين وصفتهم الآية في قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾، ويتضمن الشطر الأخير من الآية الكريمة إشارة لطيفة بقوله تعالى: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ ولم يقل إنهم تركوا الصلاة، أي إنّ أبناء هذا الجيل ربما لم يكونوا يتركون الصلاة بقدر ما كانوا يستخفون بها، كما يقول المفسّرون، على نحو قاد استخفافهم بالصلاة إلى تفرّيغها من محتواها حتى باتت ممارسة شكلية خالية من أيّ مضمون، والنتيجة الطبيعية لتلك الاستهانة والاستخفاف، الوقوع في الغيّ مقابل الرشد، أي إنّهم انزلقوا نحو شهواتهم، وافتقدوا قيمهم ومبادئهم، وصار مستقبلهم عرضة للشقاء والضلال والفساد.

الانتقال السلس للقيم والأخلاق

من هنا يأتي السؤال عن كيفية تمكن الجيل الملتزم بالقيم أن ينقل هذا الالتزام إلى الجيل الذي يليه. إنّ تحقيق انتقال سلس للقيم والأفكار يحتاج إلى توفر عدة أمور، وأبرزها ثلاثة:

الأمر الأول: أن تتحقق البيئة الصالحة التي ينشأ ضمنها أبناء الجيل الجديد، على نحو تساهم هذه البيئة في زراعة الأخلاق والمبادئ والقيم الصالحة في نفوسهم، وتخلق عندهم الاستعداد والتهيئة للصلاح، وعلى النقيض من ذلك إذا نشأ أبناء الجيل الجديد في بيئة فاسدة، عندها لا ينفع التمني وحده ولا الرغبة في صلاح الأبناء في نشأتهم أسوياء صالحين.

لذلك ينبغي للمهتمين بانتقال القيم الصالحة للأجيال الصاعدة أن يسهموا أولاً في إيجاد البيئة الصالحة التي يعيش ضمنها الأبناء، ليكونوا بذلك أكثر استعداداً للصلاح.

الأمر الثاني: أن يجري توفير التربية والتعليم المناسبان، ذلك أن التربية والتعليم قد تكون قشرية أو تتهيج أساليب عفا عليها الزمن، كانت صالحة لأجيال عاشت في قرون خلت، وهذه مشكلة الكثير من المناهج الدينية القائمة في بلادنا الإسلامية، حيث لم تنجح بلادنا حتى اليوم في وضع مناهج تربوية تعليمية تستقطب الأجيال الجديدة نحو الأخلاق والقيم الدينية. ولعلّ أحد أبرز المظاهر في هذا الصدد، هو التثبث في مجال التعليم بمفاهيم قديمة في الفقه والتفسير والعقيدة التي وضعها أناس في عصور ماضية، ربما كانت تناسب تلك العصور، غير أننا نأتي لتعليم أجيال اليوم تلك المفاهيم البعيدة عن واقعهم الراهن. ومن ذلك مثلاً تدريس مفاهيم حول الشرك والبدعة وغيرها، مستوحاة من ممارسات لأناس في عصور أخرى ربما أوهمت بوقوعهم في الشرك، فما الداعي للتركيز على هذا الأمر في عصرنا الراهن وجعلها أصلاً من الأصول، وجزءاً من مناهج التعليم كما لو كانت تلك الممارسات أموراً معيشة الآن.

لقد أثبتت مناهج التعليم الديني المعتمدة منذ عقود عجزها التام عن استقطاب الأجيال الجديدة، وغرسها القيم والمبادئ في نفوسهم. لم يعد الناس جهلاء سذجاً، لذلك لم يعد مستساغاً اتّهام المسلمين بالشرك والكفر وعبادة القبور. لا لشيء إلا لأنهم قاموا بممارسات أرادوا بها إظهار حبّهم لرسول الله ﷺ ولأهل بيته الكرام ﷺ وصحابته الأخيار. وكيف يُستساغ الاتّهام بالشرك لحجاج أتوا إلى بيت الله الحرام من

كلّ فج عميق يتغنون رضى الله وغفرانه، وهم يلهجون بالشهادتين ليل نهار ويطوفون بالبيت ويصلون إلى الكعبة.

التعارض بين القيم والمصالح

أما الأمر الثالث: فهو علاج التعارض بين القيم والمصالح. فالأجيال الجديدة لها أهدافها وتطلعاتها الكبيرة على الصعيد الشخصي والعام، وتبعاً لذلك لا بُدّ وأن يكون هناك ملاءمة بين رعاية المصالح والالتزام بالقيم في هذا العصر المتسارع الذي نعيش. وحقبة الأمر، ينبغي أن نعترف بأن مجتمعاتنا لم تنجح في الامتحان، بل سجّلت فشلاً ذريعاً في نقل الأخلاق والقيم والمبادئ إلى أجيالنا الجديدة. ولا أدلّ على ذلك من ملاحظة الأجواء العامة التي تكشف بجلاء أنّ الجيل الجديد، ما عاد يحمل قيم آبائه ولا يلتزم بمبادئهم وأخلاقياتهم، ولا أدلّ على هشاشة الحالة القيمية من تفشي الجريمة والفساد والانحرافات الأخلاقية.

حيث تشير الإحصاءات الرسمية في هذا الصدد إلى نتائج مؤلمة، مع أنّها لا تشمل كل ما يجري وإنّما ما يصل منها للأجهزة الرسمية، فقد أشارت إحصاءات الأمن العام السعودي لعام ٢٠٠٦ بشأن الجرائم في المملكة، إلى أنّ عدد جرائم القتل لهذا العام بلغت ١٥٤٩٢ جريمة قتل^(١)، أي بمعدل ٤٣ جريمة قتل في كلّ يوم، فهل من المعقول أن يجري هذا في بلد تحتلّ فيه الدروس الدينية نصف مناهجه التعليمية، بخلاف آلاف المحاضرات وخطب الجمعة وبرامج التلفزيون وجهاز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ناهيك عن انتشار حالات العنف والسّرقات التي تنضح بها الصحف اليومية على مدار العام، فقد أشارت إحصائية الأمن العام إلى أنّ جرائم السّرقه بلغت في العام (٢٠٠٦) ٣٩٦٠٨ جرائم، أي بمعدل يومي مقداره ١١٠ جرائم سرقة. وعلى صعيد الجرائم الأخلاقية تشير الإحصائية إلى ١١٦٨٠ جريمة^(٢).

(١) جريدة الشرق الأوسط الصادرة يوم السبت ١٤ شوال ١٤٢٨ هـ ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٧ العدد ١٠٥٦٠.

(٢) المصدر نفسه.



والسؤال المطروح هنا، هو عن السبب الرئيس خلف هذا المقدار المتنامي من الجريمة والفساد التي تضرب الجيل الجديد. أليست في ذلك مفارقة عظيمة، ينبغي أن تلفت أنظار الجميع، إلى الفشل الذريع في نقل القيم والمبادئ من الجيل السابق إلى الجيل الحالي. ولعلّ إحدى المعضلات في هذا السبيل، هي مدى التزام الجيل المرابي نفسه بهذه القيم نفسها! فهناك آباء هم أنفسهم غير ملتزمين بالحد الأدنى من القيم، لكنهم يتمنون في الوقت ذاته أن يجدوا أبناءهم ملتزمين بها!، وترى الواحد من هؤلاء الآباء مع عدم التزامه بالمبادئ الأخلاقية، يصدّم حينما يرى ابنه متورطاً في مشكلة أخلاقية أو جرائم سرقة أو قتل!، وحرّيّ بأمثال هؤلاء، آباء وعائلات، أن يُسألوا أنفسهم عن مدى المسؤولية التي يتحملونها في انحدار أبنائهم إلى درك الجريمة، من هنا ينبغي لكلّ من يتمنّى أن لا يقع أبناؤه وأقرباؤه وأعزّاءه في فخّ الإجرام والانحراف والفساد، أن يُجسّد هذا التمنيّ من خلال الالتزام الشخصي والاهتمام الذاتي بالتوجيه والتربية وتوفير الأجواء الصالحة للناشئة.

التوافق الصعب في المجتمعات العربية

قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ
الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: 1٢٨]

إن بروز الخلافات والصراعات في المجتمعات البشرية هو أمر طبيعي ومتوقع. ومرد ذلك إما لاختلاف الآراء والأفكار بين الناس أفرادًا وفئات، أو لتضارب المصالح فيما بينهم، وكلا الأمرين مشروعان، فمن حق كل إنسان أو فئة أن يكون لها رأيها الخاص، كما أن من الطبيعي أن يدافع كل طرف عن مصالحه، وما يعتبره حقًا من حقوقه. وقد يجري هذا الاختلاف والتضارب في المصالح ضمن حدوده المعقولة، وربما زاد عن حده ليتحول بذلك إلى اختلاف مدمر ونزاع محتدم، تهرق بسببه الدماء وتنتهك الحرمات ويفتقد جِراءه الأمن والاستقرار. لهذا كله تدعو الفطرة والعقل والشرع إلى الجلوس على طاولة الحوار عند اندلاع الخلافات، وأن يتحلَّى الجميع بروحية واستعداد للوصول إلى الوفاق ووضع حدٍّ للصراع.

النضج الاجتماعي يدفع للوفاق

لقد ساهم نضج المجتمعات البشرية، في السير بهذا الاتجاه كما في المجتمعات

المتقدمة، على نحوٍ صارت فيه النزاعات تعالج ضمن آليات واضحة تدار وفقها جميع الخلافات. استناداً على وجود مرجعيات يحتكم لها في نهاية المطاف. هذه الآليات التنظيمية والقانونية باتت تشكل الحكم الفصل بين الدول والأحزاب السياسية والشركات التجارية وسائر الأفراد، على نحوٍ يمنع من بلوغ الخلافات فيما بينها إلى حالة الاحتراب، الأمر الذي انعكس إيجاباً على استقرار الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تلك البلاد.

وبخلاف ذلك نجد المجتمعات التي لم تبلغ مستوى من النضج، ولا تمتلك آليات تدبير النزاعات من خلالها، ومنها أغلب مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فلا سبيل أمامها عند اندلاع أيّ خلافٍ، سوى التّصعيد وصولاً إلى الاحتراب المباشر، وقلّما تجد في هذه المنطقة خلافاً انتهى بالصلح عن طريق التفاهم والتقارب، الأمر الذي جعل مجتمعاتنا العربية والإسلامية ساحات مفتوحة للصراع المزمن وافتقاد الأمن المستمر.

من هنا يأتي السؤال؛ عن السبب في كون مجتمعاتنا أقرب ما تكون من النزاع منها إلى الوفاق، ولماذا يغدو الصلح والتفاهم والحوار أموراً بعيدة المنال ولا تحظى بأولوية تذكر؟. هذا والجميع ينتمي إلى دين سماوي يضع قاعدة كبيرة للتصالح وحلّ والنزاعات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، وقد أورد المفسرون في معنى مفردة ﴿خَيْرٌ﴾ الواردة في الآية الكريمة، أنّها جاءت في مقام الصفة المشبهة، فكما يقال هذا رجل سمح، جاءت الآية لتصف الصلح بأنه خير، وليس كما يمكن أن يُظنّ بأن مفردة الخير جاءت في مقام تفضيل الصلح على النزاع، فذلك أمر بديهي ولا شك فيه.

التنازلات المتبادلة

غير أنّ السّير على طريق الصلح بين المتنازعين يتطلب سيطرة كبيرة على الانفعالات الذاتية. وقد وصف الله تعالى الحالة النفسية عند المتنازعين بالشح، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾. فمن المعلوم وقت

النزاعات أن النفوس عادة ما تكون معبأة ضد بعضها بعضاً، حتى تغلب عليها صفة الشح، أي البخل الشديد، فلا يريد أي من المتنازعين التنازل لخصمه عن شيءٍ يعتبره حقاً من حقوقه، أو مكسباً يريد الحصول عليه، مما يجعل قيام الصلح أمراً بعيد المنال. سيّما وإن إبرام الاتفاقات وعقد المصالحات يتطلب قدرًا من التنازلات المتبادلة من جميع الأطراف.

إنّ حالة الشحّ هذه، تستولي على نفوس الكثيرين في مختلف السّاحات، ولعلنا نجد بين حين وآخر، كيف ينتقد البعض الأفرقاء المتنازعين في المجتمعات والدول المجاورة، مع أنّ نزاعاتهم تلك غالباً ما تدور حول قضايا كبيرة، من مناصب الرئاسة ومواقع الحكم ووسائل السيطرة ومصادر الثروة، في حين يحجّم هؤلاء المنتقدون أنفسهم عن التنازل عن مواقفهم في قضايا أقلّ بكثير ولا تكاد تذكر بالقياس على قضايا الآخرين، من هنا يمكن القول إنّ المشكلة هي مشكلة أخلاقية ونفسية تعتمل في قلوب الكثيرين فتمنعهم من السير في طريق الصلح والتوافق!

افتعال المشاكل والأزمات

هناك مجتمعات بلغت درجة متقدمة من النضج الفكري والسياسي، ما جعلها أكثر ميلاً للحوار والتفاهم والوفاق. في حين بقيت مجتمعات أخرى مفتقدة لهذا النضج، فهي أكثر ميلاً للنزاع والشقاق، وربما لا تكتفي هذه المجتمعات بما عندها من مشاكل، حتى تجدها تفتش عن مزيدٍ من الأسباب التي تضاعف من أوار نزاعها الداخلي، عوضاً عن البحث عن قواسم مشتركة توصلهم للوفاق. بل إنّ حال البعض في مجتمعاتنا كحال الأعرابي الذي مدّ رجله في الطريق يوماً متحدّياً أيّ معترض على تصرفه من القبائل الأخرى!، وما هي إلاّ الرغبة في التنازع مع الآخرين دونما سبب! حتى اعترضه أحدهم وضربه بالسيف، ليثور بعد ذلك النزاع ويسقط القتلى بين أفراد القبيلتين!.

إن منشأ النزاعات العائلية والاجتماعية كثيراً ما يكون نتيجة لأسباب مشابهة لتصرف هذا الأعرابي، حيث يفتش بعضنا عن مشاكل ينشغل بها، ومواضيع يتنازع عليها، وإن لم تكن تمت لواقعنا بصلة ولا يعود النقاش بشأنها علينا بأي فائدة، وإلا فما الداعي لأن يثار النقاش حول فضلات المعصومين وما إذا كانت طاهرة أم نجسة! أوليس من المعيب بحق المعصومين إثارة هذا النوع من المواضيع التي لا تقدم ولا تؤخر، وهل يمثل هذا الموضوع محل ابتلاء حتى يجري الخوض فيه! ولكن مع ذلك فقد انشغل به جمع من العلماء، وكتبت فيه الرسائل، ونشب بسببه النزاع والافتراق بين أتباع أهل البيت، كل ذلك نتيجة نقاش في موضوع لا محل له من الإعراب في وقتنا الراهن.

وعلى غرار ذلك، يأتي النقاش في مسألة إمكانية رؤية الله تعالى يوم القيامة، فريق يؤمن بإمكانية الرؤية ويستدل على ذلك من القرآن، وفريق آخر ينزه الله عن الرؤية ويستدل على ذلك بالقرآن أيضاً، فإذا كانت هذه حدود المسألة فما الداعي لأن يتنازع القوم بشأنها فيتأسبون ويتشاتمون، كما لو كانت مسألة يتوقف عليها مصيرنا الراهن!. وعلاوة على ما سبق، تروي كتب السير أنه جرى في وقت متقدم من تاريخ المسلمين إثارة مسألة قدم القرآن أو خلق القرآن، هل أن القرآن مخلوق أم قديم، وكم من العلماء سجن وقتل على إثر هذا الخلاف غير المبرر. وإذا كانت الخلافات آنفة الذكر مرتبطة بخلافات فكرية، فإن هناك نوعاً آخر من النزاعات بشأن مواقف من موضوعات خارجية، فتنشأ النزاعات على مسائل مفتعلة، على نحو يظن معه المرء أن لدى بعض المجتمعات شهية مفرطة للمنازعات، مما يجعل من العسير التفاهم والحوار وعقد المصالحات فيما بينهم.

دوافع التعنت

ويمكن القول إن هناك ثلاثة أسباب تقف خلف حالة التعنت عند نشوب الخلافات. وأول هذه الأسباب هو سيطرة العواطف والانفعالات على حساب حالة العقل،

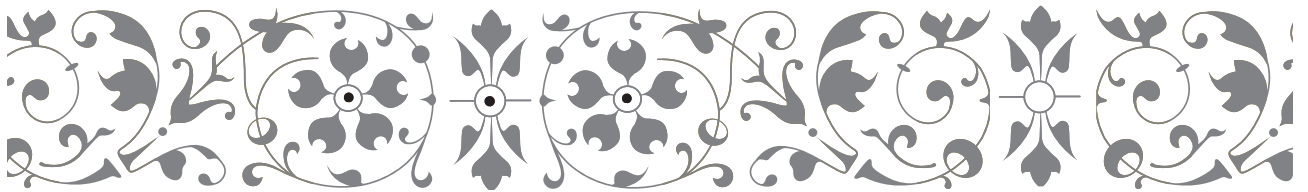
إذ إنه تارة يركن المرء إلى التفكير في حالة النزاع المندلع بينه وبين الطرف الآخر، فيضع بذلك ميزاناً عقلياً يقيس بموجبه الأرباح والخسائر المتأتية جراء هذا النزاع، وتارة أخرى يخضع الواحد إلى الانفعالات، ويغدو تحت سيطرة حب الانتقام من خصمه. ولتأجيج هذا الشعور في نفسه يقوم باستحضار الماضي، محملاً الطرف الآخر المسؤولية المطلقة عن أفعال سابقة لا يريد نسيانها ولا تجاوزها، حتى لو كان من مصلحته تجاوز الماضي سعياً نحو إطفاء نائرة النزاع، لكنه يتجاهل ذلك نتيجة ما يعتمل في نفسه من الحنق وحب الانتقام، واستيلاء الحالة الانفعالية على تصرفاته ومواقفه.

أما السبب الثاني لحالة التعنت فهي الرغبة في الغلبة وفرض الهيمنة على الآخرين، التي يقابلها الاعتراف بالآخرين وإبداء روح المشاركة معهم. والحاصل مع نزعة الغلبة هذه أن المتورط في النزاع لا يريد أن يخرج منه إلا بإثبات غلبته وفرض هيمنته، وهذا منافٍ تماماً للرغبة في الصلح والوصول للتوافق، الذي يتطلب الاعتراف بوجود الآخر في المقام الأول، والإقرار بأن لهذا الآخر حقوقاً ينبغي أن ينالها وأولها حقّه في الشراكة والاعتراف بالوجود.

أما السبب الثالث فهو فقدان المرجعية الدستورية التي يحتكم لها الجميع للفصل بين المتنازعين. فقد ساهم تقدم البشرية في اتخاذ المجتمعات المتحضرة مرجعيات دستورية عليا تحتكم لها عند نشوب الخلافات، وقانوناً يخضع له الجميع سواء بسواء، إضافة لوجود خبراء يقدمون رأيهم في تفسير المواد الدستورية، في مقابل ذلك تغيب في مجتمعاتنا القوانين الناظمة والمرجعيات الدستورية التي تفصل بين المتنازعين، وإن وجدت فإنها هي الأخرى تمثل مادة للنزاع والاختلاف في التطبيق والتضارب في تفسيرها.



کتابات





بيان لعلماء الشيعة في المنطقة حول العراق*

أصدر جمع من علماء الشيعة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، بياناً حول الأحداث الأخيرة في العراق هذا نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ المستضعفين مبير الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء محمد وآله الطاهرين.

بعد أكثر من ثلاثة عقود عاشها أبناء العراق في ظلّ حكم دموي ديكتاتوري، امتزج فيها الألم والصبر والجهد، شاءت القدرة الإلهية أن يزول هذا الكابوس الثقيل، وأن ينهار واحد من أعتى النظم الديكتاتورية التي عرفها التاريخ.

وقد عبّرت الجماهير العراقية عن فرحتها في كلّ مكان، واحتفلت بهذا الحدث الذي انتظرته منذ وقت طويل. وإذ نشارك الشعب العراقي أفراحه لسقوط ذلك النظام البغيض، لنرجو أن تكتمل الفرحة بالخلاص من هيمنة الاحتلال الأجنبي، ليعود العراق حرّاً كريماً بإدارة أبنائه وإرادتهم المستقلة.

وهذا التطلع الكبير إنّما يتحقق بتكاتف قوى الشعب العراقي بمختلف انتماءاتها القومية والفكرية والسياسية، واعتماد منهجية الحوار والتسامح وتغليب المصلحة

العامّة على المصالح الفئويّة والشخصية.

وإذ نعرب عن قلقنا البالغ لما حصل في النجف الأشرف من اغتيال سماحة السيد عبد المجيد الخوئي رحمه الله وانتهاك حرمة مشهد أمير المؤمنين عليه السلام وما تناقلته الأنباء من التعرض لمقام المرجعية الدينية، لنأمل أن يتدارك الواعون المخلصون مثل هذه الحوادث، وأن يضعوا حدًّا لهذه الممارسات الغريبة عن قيمنا الإسلامية التي لا يستفيد منها إلا الأعداء في ظرف تحتاج فيه الساحة العراقية لتكثيف الجهود وتعبئة الإمكانيات من أجل المساهمة الجادة في تحرير العراق واستقلاله وإعمارها.

إنّ المتوقع والمأمول من الشعب العراقي الغيور الالتفاف حول القيادات الدينية والوطنية الواعية المخلصة وأن يستهدي بتوجيهات مراجع الدين الكرام التي هي ضمانة الاستقامة والاتحاد.

أخذ الله بيد الشعب العراقي إلى ما فيه عزّته وكرامته.

وحماه من كيد الأعداء والطامعين. والحمد لله ربّ العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٢ صفر ١٤٢٤ هـ

السيد علي السيد ناصر السلّمان	الشيخ عبد الله الخنيزي
الشيخ حسن الصفار	الشيخ يوسف المهدي
السيد محمد العوامي	الشيخ فوزي السيف
الشيخ حسين المصطفى	السيد حيدر العوامي
الشيخ جعفر الربيع	الشيخ عبد الكريم الحبيّل
الشيخ محمد الصفار	الشيخ محمود السيف
الشيخ حسن النمر	



الشيخ الصفار: ليس هناك إساءة للإسلام أكبر من أن يصبح عنواناً للإرهاب*

نشرت مجلة الإمامة، في عددها الصادر ١٨٣٨ السبت ٢٠ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ تصريحاً لسماحة الشيخ حسن الصفار، ضمن تحقيق صحفي عن الهجوم الإرهابي الأخير على وزارة الداخلية في الرياض قال فيه:

إنه ليس هناك إساءة للإسلام أكبر من أن يصبح عنواناً للإرهاب وقتل الأبرياء. وتخريب المنشآت.

إن هذه الفتاوى والبيانات والخطابات التي تدعو إلى الإرهاب باسم الجهاد، وتستشهد بنصوص من القرآن والسنة، وفق تفسيرات خاطئة، إنما تقدم أفضل وثيقة لإدانة الإسلام والمسلمين من قبل الجهات المعادية. وارتكاب جرائم الخطف والقتل والتفجيرات تحت شعارات إسلامية كما حصل في الرياض مساء يوم الأربعاء ١٧/١١/١٤٢٥ هـ وكما يحدث كل يوم في العراق، إنما هو أكبر مصداق للصد عن سبيل الله، وتغيير العالم من الإسلام، بل وحتى في وسط المسلمين نشأت ردة فعل قوية تجاه التيارات الإسلامية بسبب انتساب هذه الجرائم إلى جهات محسوبة على الإسلام. ولا خدمة للإسلام في الوقت الحاضر أهم من تطهير ساحة الأمة من هذه التوجهات الإسلامية.



إلى أصحاب مواقع الإنترنت: اتقوا الله في مجتمعكم*

على ضوء التعليقات والتعليقات التي نشرتها بعض مواقع الإنترنت حول زيارة الوفد لمقابلة خادم الحرمين الشريفين صرح سماحة الشيخ حسن الصفار بما يلي:

مع التقدير للدور الكبير الذي تقوم به مواقع الإنترنت على المستوى المعرفي وتكثيف التواصل بين تيارات المجتمع وشرائحه، ومع الاحترام لحرية التعبير عن الرأي، لكنني منزعج جداً للدور السلبي الذي يقوم به بعض الكتاب والمعلقين في بعض هذه المواقع.

فقد نشرت مقالات قبيل الانتخابات البلدية في المنطقة تثير الحزازات والحساسيات بين شرائح المجتمع، وتعيد إلى مجتمعنا صراعات قديمة قد تجاوزها، كما رافقت الانتخابات وتناجها الكثير من الكتابات السلبية التي تضرّ بوحدة المجتمع وتماسكه.

والآن وعلى ضوء سفر هذا الوفد الذي نأمل أن يكون فيه خير وفائدة للمجتمع واستعادة لتلاحمه، فاجأتني بعض التعليقات والتعليقات السيئة، وإنني أرفض هذا المنحى وأرفض المتاجرة باسمي في هذه التهريجات فلست بحاجة لمن يدافع عني

أو يشيد بي بهذه الطريقة، ولا أرضى بتجريح أحد من أبناء المجتمع العاملين، الذين أفدّر نشاطهم وتحركهم لخدمة قضايا المجتمع.

إنّ المعلومات التي نشرت أكثرها خاطئة والتفسيرات والتحليلات تستهدف إثارة فتنة. وإنني أبرأ إلى الله تعالى من هذه الأساليب القذرة وأرفضها من أيّ جهة صدرت وعلى أيّ موقع كانت ولا أتحمّل مسؤولية ما ينشر على هذه المواقع من هذه الكتابات الفجّة.

وأطالب أصحاب المواقع والكتّاب فيها أن يتّقوا الله في وحدة مجتمعهم، وأخاطب من يظهرون محبتي والدفاع عني لأقول لهم إنهم يسيئون لي بهذا الأسلوب المثير للفتن والحساسيات، كفانا الله شرّ الجاهلين والمغرضين، والحمد لله ربّ العالمين.



الشيخ الصفار ينعي آية الله السيد محمد رضا الشيرازي*

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

بقلوب مؤمنة مطمئنة بقضاء الله تعالى وقدره ننعى إلى الحوزة العلمية، ومجتمع المؤمنين في كل مكان، وكافة الأوساط الإسلامية، فقد رجل العلم والتقوى، سليل الأسرة العريقة في العلم والجهاد الأستاذ آية الله السيد محمد رضا، نجل المرجع الراحل السيد محمد الشيرازي، قدس سرهما الشريف، الذي اختطفته يد المنون فجأة صباح هذا اليوم.

لقد كان الفقيد الراحل شعلة أمل في الوسط العلمي والديني، تربى في أحضان العلم والفضيلة، ونهل من معين الفقهة والاجتهاد في سن مبكرة، فأصبح فقيهاً تعقد عليه الآمال، وكان قمة في الأخلاق والأدب، والتزام الورع والتقوى، كما تدل محاضراته وخطاباته على سعة أفقه المعرفي، وإدراكه العميق لمشاكل الأمة، وحمله لهم الرسالة.

إن فقدته مصاب أليم، وخسارة عظيمة للحوزة العلمية ولأسرته الكريمة، ولأمثالي

ممن انتهل من ندير علمه واستفاد من مجلس بحثه ودرسه، لكن الأمر لله، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

إنني أتقدم بأحرّ التعازي لسماحة آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي دام ظله ولوالدة الفقيد الفاضلة حفظها الله، ولإخوانه الأجلاء، وفي طليعتهم آية الله السيد مرتضى الشيرازي دام تأييده، ولجميع أفراد الأسرة الكريمة، تغمده الله تعالى بوسع رحمته، وأعلى مقامه، وحشره مع أجداده الطاهرين، وخلف على الأمة أحسن الخلف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

حسن الصفار

٢٧ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ

١ يونيو ٢٠٠٨ م



الشيخ الصفار: غياب المشروع العربي الوجودي يُذكي الخلاف الطائفي*

أجاب سماحة الشيخ حسن الصفار عن أسئلة من أحد محرري موقع (إسلام أون لاين نت) عبر الهاتف حول ردة الفعل الغاضبة التي واكبت تصريحات الدكتور القرضاوي عن الشيعة بقوله:

(ردود الفعل على أيّ تصريح لعالم تأتي على قدر وزن هذا العالم، وقياس تأثيره في الرأي العام، ولما كان الدكتور القرضاوي شخصية مهمة لها وزنها ومكانتها، كانت ردود الفعل من الأوساط الشيعية على آرائه الخاصة بالشيعة بهذا الحجم على قدر مكانته وتأثيره).

وأشاد الشيخ الصفار بتوضيح الشيخ القرضاوي الذي نفى فيه القول بأنّ أكثرية الشيعة تقول بتحريف القرآن، وألقى اللائمة على جريدة (المصري اليوم) بأنها لم تنقل عنه بدقة.

وأكد الشيخ الصفار (أنّه يتعيّن علينا أن نعترف بوجود اختلافات سنّية شيعية تاريخية عمرها ١٤ قرناً لا يمكن حلّها في يوم وليلة، ولكن على العلماء والدعاة الواعين والشيخ القرضاوي في طليعتهم، ألا يجعلوها مادة للإثارة والتداول في

الشارع الإسلامي، بما يشغل الجمهور عن قضاياهم المصيرية.
وردًا على سؤال المحرر حول الموقف من المشروعين الأمريكي للهيمنة على
المنطقة والإيراني للنفوذ في المنطقة العربية.

أجاب الشيخ الصفار (بأنّ المشروع الإيراني عنوانه مواجهة المشروع الأمريكي،
والمشكلة هي غياب المشروع السياسي العربي الوحدوي الذي يستوعب مكونات
العالم العربي بمختلف تنوعاتها، ويواجه التحديات الأساسية كالاحتلال الإسرائيلي
وتخلف التنمية).

وقال: (إنّ تهميش المواطنين الشيعة في المنطقة العربية، ثمّ الإساءة إليهم
بالتشكيك في ولائهم، هو من مظاهر الخلل الفادحة في النظام السياسي العربي).
وقد نقل موقع (إسلام اون لاين) فقرات من الإجابة مع بعض التصرف من المحرر
بحذف عبارات وإضافة أخرى.



طالب القيادات الدينية بعدم الانشغال بالتبشير الطائفي

الصفاريذالف القرضاوي. ويرفض التنكر لدوره*

نصّ تصريح سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار لمراسل صحيفة الوطن السعودية الأستاذ عضوان الأحمري:

بسم الله الرحمن الرحيم

يبدو أنّ الأجواء في ساحة الأمة تتلبّد فيها غيوم طائفية وفيها شيء من الاحتقان المذهبي، على خلفية أحداث الصراعات السياسية في العراق ولبنان، التي أخذت صبغة مذهبية.

لذا نجد أنّ أيّ تصريح يصدر من جهة مرموقة يلامس الجانب المذهبي يحدث تفاعلاً وتكون له تداعيات يستغلّها هذا الطرف أو ذاك.

من هنا كنا نأمل أن تراعي القيادات الدينية الواعية والشيخ القرضاوي في طليعتها، طبيعة الظروف التي تعيشها الأمة وتواجهها المنطقة.

خاصة وأنّ بعض وسائل الإعلام قد لا تنقل الكلام بأمانة ودقة كما أشار الشيخ القرضاوي إلى أن جريدة المصري اليوم غيرت بعض أقواله.

إنّني أخالف الشيخ القرضاوي في بعض ما جاء في تصريحه، وكنت أتوقّع منه كلاماً يساعد على تخفيف الاحتقان المذهبي. لكنني أرفض الإساءة إلى مقامه أو

* جريدة الوطن الصادرة يوم الثلاثاء ٢٣ رمضان ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٨ م العدد (٢٩١٦).

التنكر إلى جهوده في خدمة الإسلام والأمة.

وأدعو نفسي وجميع الدعاة والقيادات الدينية من السنة والشيعة إلى الاستجابة للتحديات الكبرى التي تواجهها الأمة، وعدم الانشغال بالإثارات المذهبية والتعبئة الطائفية، أو التبشير المذهبي للسنة في وسط الشيعة أو للشيعة في وسط السنة.

جدير بالذكر أن الجريدة نشرت يوم الثلاثاء ٢٣ رمضان ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٨م العدد (٢٩١٦) النص التالي:

طالب المرجع الشيعي الشيخ حسن الصفار القيادات السنية والشيعة بعدم الانشغال بقضية التبشير الطائفي وترك الأحداث المهمة التي تحيط بالأمة. وقال الشيخ الصفار لـ «الوطن» في معرض تعليقه على تصريح الداعية الدكتور يوسف القرضاوي بشأن محاولات الاختراق الشيعي للمجتمعات السنية إنه يخالفه في بعض ما ورد في تصريحه، لكنه يرفض الإساءة لمقامه والتنكر لجهوده في خدمة الإسلام والأمة.

وأضاف الشيخ الصفار قائلاً: إنَّ الأجواء في ساحة الأمة تتلبّد فيها غيوم طائفية وشيء من الاحتقان المذهبي على خلفية الصراعات السياسية في العراق ولبنان، ومن ثم أدعو نفسي وجميع القيادات الدينية من السنة والشيعة إلى الانتباه للتحديات التي تواجه الأمة.



الشيخ الصفار ينعي آية الله العظمى الشيخ بهجت *

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

بقلوب مطمئنة بقضاء الله وقدره ننعى للمؤمنين أحد أبرز مراجع الدين الربانيين في حوزة قم العلمية آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت رضوان الله عليه الذي التحق بالرفيق الأعلى صباح هذا اليوم الأحد ٢١ / ٥ / ١٤٣٠ هـ الموافق ١٧ / ٥ / ٢٠٠٩ م عن عمر يناهز ٩٣ عامًا قضاها في خدمة العلم والدين، وكان شخصية روحانية عرفانية، يشع من محيائه نور العبادة والتقوى، وتحكي سيرته حياة الورع والزهد، ويفيض على الناس منه عطر الأخلاق الرفيعة.

إنّ فقده يمثل خسارة كبيرة لأهل العلم والدين، لذا أتقدّم بأحرّ التعازي للمراجع الكرام والعلماء الأعلام ولأبنائه الأفاضل والحوزة العلمية في قم المقدسة والنجف الأشرف وإلى جميع المؤمنين.

سائلًا الله تعالى للفقيد الراحل رفيع الدرجات، وأن يخلف على الأمة الإسلامية بالخلف الصالح ويلهم ذويه الصبر والسّلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حسن الصفار

٢١ / ٥ / ١٤٣٠ هـ



الشيخ الصفار يعزّي بوفاة السيد الحكيم*

بمناسبة ارتحال حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد العزيز الحكيم رحمه الله
بعث سماحة الشيخ حسن الصفار برسالة تعزية لنجل الفقيد الراحل، هذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد عمار الحكيم

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

أتقدّم إليكم ولأسرتكم الكريمة وأبناء الشعب العراقي الأبّي وجميع الأوساط
العلمية والدينية بأحرّ التعازي لوفاة والدكم المجاهد الكبير حجة الإسلام والمسلمين
السيد عبد العزيز الحكيم رحمه الله. الذي كانت حياته سجلاً مشرقاً بالجهاد
والتضحية والعمل الدؤوب في سبيل الله ومن أجل عزّة الشعب العراقي وإنقاذه من
برائث الديكتاتورية والفساد.

لقد قضى عمره الشريف في ساحة العلم والعمل وخدمة الإسلام والأمة، حتى أقرّ
الله عينيه بزوال نظام الاستبداد والطغيان من أرض العراق.

وإن فقدته الآن خسارة كبرى لحاجة الساحة العراقية والإسلامية إلى خبرته وحكمته
في هذه الظروف الحساسة الخطيرة. لكن الأمر لله وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وعزاًؤنا بوجود شخصيتكم الكريمة وإخوتكم الكرام لتكونوا خير خلف لخير
سلف وأفضل امتداد لمسيرة الفقيه الراحل وجهاد أسرة آل الحكيم الشريفة.
تعمد الله الفقيه الغالي بواسع رحمته وحشره مع أجداده الطاهرين وحفظكم الله
ورعاكم وحقّق للشعب العراقي ما يصبوا إليه من آمال وتطلعات.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حسن الصفار

٥ رمضان ١٤٣٠ هـ



لماذا الشحن والتدريخ على الكراهية*

قال الشيخ حسن الصفار في تصريح له: إنه ينبغي النظر بإيجابية وتقدير لمواقف الإدانة والشجب والاستنكار التي صدرت من كثير من علماء ومثقفي الشيعة وخاصة في وطننا الحبيب تجاه الإساءة لأُمّ المؤمنين عائشة، حيث توالى بيانات وتصريحات العشرات من علماء الشيعة في القطيف والأحساء والدمام والخبر والمدينة المنورة، وكلها تبرأ من ذلك الفعل المشين وممن قام به.

مما يؤكّد أنّ الاتجاه العام في المجتمع الشيعي يتبنّى الاعتدال ويرفض إثارات الخلاف، وتوجهات التشدد، والإساءة إلى الرموز الدينية والشخصيات الإسلامية المحترمة كصحابة الرسول ﷺ وزوجاته الطاهرات.

ويجب البناء على ذلك في تعزيز الوحدة الإسلامية وتصليب الوحدة الوطنية، وتفويت الفرصة على الأعداء والحاquدين الذين أرادوا إشعال الفتنة وبثّ الضغائن والأحقاد.

لكنّ بعض الجهات بدل أن تأخذ هذا المنحى الإيجابي، وتسعى لتطوير هذا التوجه إلى صنع أجواء جديدة تكرّس الاحترام المتبادل، وتقوّي المناعة في السّاحة الوطنية والإسلامية ضدّ محاولات الفتنة والاختراق.

بدل ذلك اتّجهت هذه الجهات مع الأسف الشديد لاستغلال ما حدث في

التحريض على الكراهية، ومواصلة الشحن الطائفي، وفرض مطالب على الشيعة بأن يقولوا كذا ويفعلوا كذا، وهو أسلوب استعلائي اتهمي، وكأن كل الشيعة وخاصة الشيعة السعوديون مسؤولون عن أي كلمة أو ممارسة يقوم بها متطرف شيعي في أي مكان من العالم؟

فهل يتحمل المسلمون مسؤولية أي عمل إرهابي ينسب لمسلم في العالم؟
أو هل يتحمل أهل السنة كلهم مسؤولية أي فتوى تكفيرية للشيعة أو أي عمل إرهابي يستهدفهم في كل مكان؟

وطالما صدرت إساءات للشيعة من دعاة داخل المملكة فلم يكلف أحد نفسه من هؤلاء الذين يطلبون من الشيعة ويطلبون، عناء الرد على تلك الإساءات.

وإذا كان بعض الدعاة يرى التقريب بين المذاهب خرافة ووهماً، ويدعو إلى التعايش فقط، فإن التحريض على الكراهية، وتأييد الشحن الطائفي الذي تقوم به بعض الفضائيات، قد يحوّل التعايش أيضاً إلى وهم وخرافة، كما حصل في بلدان أخرى؛ لأن الشحن الطائفي يدفع نحو ما لا تحمد عقباه.

إن التقريب إذا كان يعني التنازل عن القناعات المذهبية فهو بالفعل وهم وخرافة؛ لأنه ليس ممكناً أن تفرض على أحد أو تطلب من أحد التنازل عن شيء من قناعاته التي يؤمن ويعتقد بها.

وهذا ما لا نقصده من التقريب، وإنما المقصود هو التعارف والتواصل والاحترام المتبادل بين أتباع المذاهب، وذلك هو ما يحقق التعايش.

أجدد دعوتي وندائي إلى إختي العلماء والدعاة بأن ننتقل مما أعلنته بيانات علماء الشيعة من رفض الإساءة لصحابة الرسول وزوجاته الطاهرات، لتأكيد رفض دعوات التكفير والتحريض الطائفي؛ تحقيقاً للأخوة الإسلامية، وحماية لوحدتنا الوطنية، وتعزيزاً للتعايش الإنساني.



حادثة سيهات لن تزيدنا إلا صمودًا وولاءً*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

مرة أخرى تمتد يد الإجرام والإرهاب إلى ربوع وطننا الغالي ليلة الثالث من المحرم في محيط الحسينية الحيدرية بسيهات، لتسفك دماء مواطنين أبرياء مسالمين لا ذنب لهم إلا التمسك بدينهم، والولاء للنبي محمد وآله الكرام صلوات الله عليهم أجمعين وإحيائهم ذكرى استشهاد سبط رسول الله الحسين بن علي.

إننا إذ نستنكر هذا العمل الإجرامي الفظيع نتقدم بأحرّ التعازي بالشهداء الأبرار لعوائلهم الكريمة، ونضرع إلى الله سبحانه أن يمنّ على المصابين والجرحى بالشفاء العاجل.

وبهذه المناسبة الأليمة نوّكد على ما يلي:

أولاً: إنّ هذا الحادث الإرهابي الأليم لن يزيد المؤمنين إلا ثباتًا وصمودًا وولاءً لدينهم ووطنهم، وسيكون جوابهم العملي هو تكثيف الحضور والمشاركة في إحياء هذه الشعائر الدينية المباركة.

ثانيًا: على المؤمنين أن يرفعوا من مستوى حسّهم الأمني وأن يشاركوا في واجب الحفاظ على الأمن وحماية المجتمع بالتنسيق والتعاون مع الجهات الرسمية والأمنية.

ثالثًا: مع وافر شكرنا للقوى الأمنية على ما تبذل من جهد مقدر فإننا نطالبهم ببذل المزيد من الجهد وتواجد الدوريات بكثافة أكبر لحماية المواطنين في تجمعاتهم الدينية.

حفظ الله بلادنا وأهلها والمقيمين فيها من كلّ مكروه وجميع بلاد المسلمين. والسلام على الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين ورحمة الله وبركاته.

٣ محرم ١٤٣٧ هـ

الشيخ حسن الصفار	السيد علي السيد ناصر السلطان
السيد حسن النمر	الشيخ عبدالكريم الحبيب
الشيخ فوزي آل سيف	الشيخ محمد عبيدان
الشيخ يوسف المهدي	الشيخ جعفر الريح
السيد كامل الحسن	الشيخ غازي الشيب
الشيخ محمد حسن الحبيب	الشيخ عبدالله النمر
الشيخ محمد عمير	الشيخ حسن الخويلدي
الشيخ عباس المازني	السيد حسن العبد الله النمر
	الشيخ عبدالمحسن النمر



مناشدة لخدام الحرمين الشريفين

خدام الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله وأيده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعيش في مجتمعنا قلقاً بالغاً إزاء أنباء تنفيذ حكم القتل تعزيراً الصادر بحق الشيخ نمر النمر ومجموعة من الشباب من أبناء المنطقة؛ ولأن الحكم تعزيري فإن من صلاحيتكم كولي للأمر التدخل لإيقافه بعدم توقيعكم عليه.

لذلك نناشد قلبكم الرحيم وصدركم الرحيب العفو وعدم تنفيذ حكم القتل، وفي ذلك تهدئة للخواطر والمشاعر وسدٌ للثغرات على من يريد الاضطهاد في الماء العكر، وإثارة القلاقل وتشويه سمعة البلاد والنظام، وقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

وأملنا في الله تعالى وطيد ثم في حكمتكم، وسعة صدركم، وليس ذلك بغريب على حكام هذه البلاد من ملوك الأسرة الحاكمة، فنهج والدكم المؤسس طيب الله ثراه مدرسة في العفو والتسامح. حفظكم الله ورعاكم وحمى بكم البلاد والعباد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٩ صفر ١٤٣٧ هـ

١ ديسمبر ٢٠١٥ م

أسماء الموقعين:

١. السيد علي ناصر السلطان.
٢. الشيخ حسن الصفار.
٣. الشيخ عبدالكريم كاظم الحجيل.
٤. الشيخ محمد أحمد العبيدان.
٥. الشيخ غازي شبيب الشيب.
٦. الشيخ فوزي محمد تقي آل سيف.
٧. الشيخ عادل عبدالله بوخمسين.
٨. السيد هاشم محمد الشخص.
٩. الشيخ جعفر محمد حسن الربيع.
١٠. الشيخ محمد حسن الحبيب.





من تكريم التفوق إلى صناعة التفوق

إشادة وتقدير لدور اللجنة الأهلية لتكريم المتفوقين

بصفوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

إنّ الدلالة الأهمّ للتفوق والتميّز تكمن في قدرة الطالب على تفعيل طاقاته، واكتشاف مواهبه، وممارسة الجّد والاجتهاد، وحين يتحقق ذلك تنفتح أمام الطالب آفاق المستقبل الزاهر، ويصبح أكثر ثقة بنفسه في مختلف الميادين.

إنّ التفوق يهيئ صاحبه ليكون شخصية مؤثرة في محيطه الاجتماعي، وعلى المستوى الوطني والعالمي، حيث نشهد الاحتراف بالمتفوقين والتميزين، وتكريمهم بالأوسمة والجوائز، على الصّعيد المحلي والدولي.

كما يصنع المتفوق فخراً لأسرته ومجتمعه ووطنه، إنّ ما يدخله الطالب المتفوق على قلب والديه من سرور وابتهاج، وشعور بالسعادة والرضا، تعجز أبلغ الكلمات عن التعبير عنه. وهو من أهمّ عطاءات التفوق ومكاسبه بمعيار الإنسانية والوجدان.

إنّ المتفوقين هم رصيد القوة لمجتمعهم، ومعقد الآمال لإنجاز التنمية والتقدم لأوطانهم، فالعلم هو مفتاح التنمية والبناء، وهو لغة الحضارة والتقدم، وميدان

التنافس بين الأمم والأوطان.

ويجب أن يعرف كل طالب أنه مؤهل للتفوق والتميز، ومدعو للالتحاق بهذا الركب دعوة مفتوحة، إن لم تساعده الظروف على تليتها في عام أو مرحلة، فلن تفوته فيما بعد، إن قرّر الاستجابة للتحدي، وشمر عن ساعد الجد والاجتهاد.

وعلى كل أسرة أن تدرك أن كل واحد من أبنائها وبناتها مشروع تفوق وتميز، فتمنحهم جميعاً ما يحتاجون إليه من الرعاية والاهتمام، وتبذل أقصى الجهود لخلق الظروف والأجواء الدافعة للنجاح والتفوق الدراسي، فذلك هو الاستثمار الأفضل في الحياة.

إن من بشائر الخير في مجتمعنا، انبثاق هذه المبادرات الرائعة، لتكريم المتفوقين والتميزين في مجالات العلم والمعرفة، وكم هو رائع وجميل الشعار الذي ترفعه اللجنة الأهلية لتكريم المتفوقين في صفوى، وهو الانتقال من تكريم التفوق إلى صناعة التفوق.

لقد أسعدني حقاً ما اطلعت عليه من برامج اللجنة، وما لاحظته من تأثير نشاطها في أوساط أبناء المجتمع، فجزى الله العاملين في هذه اللجنة خير الجزاء، ووفق الله المجتمع لبذل المزيد من الدعم والتفاعل، مع هذا المشروع الوطني العظيم، وبارك الله للمتفوقين والتميزين من أبنائنا وبناتنا في كل عام، وشكر جهود أسرهم ومعلميهم وإدارات التعليم في مدارسهم.

وإلى الأمام أيها المواطنون الأعزاء في صناعة التفوق والتقدم وخدمة المجتمع والوطن.

والحمد لله رب العالمين.

حسن موسى الصفار

١٤٣٧/٦/٢٥ هـ

٢٠١٦/٤/٣ م



تقديم لكتاب:

أعداد مجلة الوعي التاريخية*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآل الطاهرين.

أتاحت لي إقامتي في مسقط بسلطنة عمان أول فرصة مفتوحة لممارسة النشاط الاجتماعي الديني، فقد كنت في سنّ السابعة عشرة من العمر، وفي عزّ الحيوية والحماس، وبعد أن انخرطت كطالب علم في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف، وقم المقدسة، والكويت، ومارست الخطابة لعدة سنوات في وقت مبكر من حياتي، لكنني لم أكن قد تصدّيت بعد لأيّ دور اجتماعي، فالأوضاع في بلدي القطيف لم تكن مهياًة آنذاك، بسبب طبيعة الظرف السياسي والاجتماعي.

في مسقط كانت الظروف مشجّعة على خوض مثل هذه التجربة، حيث دعيت للخطابة من قبل أحد وجهاء الجماعة اللواتية في مطرح وهو الحاج محمد موسى عبد اللطيف رحمه الله، بمناسبة أيام شهر صفر سنة ١٣٩٤ هـ، وكان مثيراً للجمهور تمكّني من الخطابة مع صغر سنّي، مما جذب حشوداً ضخمة من المستمعين، وخاصة من أوساط الناشئة والشباب.

وكان قد سبقني للمجيء إلى مطرح الشيخ قاسم الأسدي حيث استقرّ فيها بضعة

* إعداد وتقديم عبد الحسين محمد حسن اللواتي، الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ، (بيروت: دار المحجة البيضاء).

أشهر، لكنه لم يكن خطيباً حسيّناً، فلم تتح له فرصة العمل الاجتماعي بالشكل المطلوب، وهو من قيادات الحركة الرسالية في العراق، من مدينة كربلاء المقدسة، عرف فيما بعد باسم (الشيخ محسن الحسيني) وتوفي رحمه الله بنوبة قلبية في الأول من شهر رجب ١٤٢٤ هـ بعد شهور من عودته لكربلاء في أعقاب سقوط نظام صدام.

وهو من أصرّ عليّ بتمديد مدة بقائي في سلطنة عمان، حيث رأى الإقبال الكبير من الشباب على حضور مجالسي، والالتفاف حولي، وتعرّفت من خلاله إلى الحاج علي يوسف الفاضل (أبو لؤي) وجماعته في مدينة مسقط، الذين لم يكن في أوساطهم عالم دين يقيم لهم صلاة الجماعة، ويجيب عن الأسئلة الدينية، بينما كان في مدينة مطرح العالم الجليل السيد حسين أسد الله الموسوي، المعروف بـ (السيد حسين العالم) وهو من أهالي المنطقة، ووكيل المرجعية الدينية هناك منذ عقود من الزمن، حتى توفي رحمه الله بتاريخ ٢٧ شعبان ١٤٠٣ هـ.

فصرت أتردّد على زيارة سلطنة عمان، وخاصة في المواسم الدينية، وأمكث فيها ما يزيد على أربعة أشهر في كلّ عام، لمدة ثلاث سنوات (١٣٩٤ هـ - ١٣٩٧ هـ).

وقد هياً لي الحاج (أبو لؤي) حفظه الله سكناً في مسقط، كان عبارة عن غرفة في حسينية البحارنة قرب مقر مكتب العاصمة في مسقط، قبل زواجي، ثم نقلني إلى شقة سكنية بعد زواجي، ووفّر لي كلّ ما أحتاج من نفقات جزاه الله خير الجزاء، لأقيم صلاة الجماعة في مسجد البحارنة ظهراً، وفي مسجد الحاج جعفر عبد الرحيم مساءً، إضافة إلى القراءة في المناسبات الدينية.

كانت إقامتي في مسقط، لكن نشاطي وعملي الاجتماعي والثقافي كان في مطرح؛ لأنني تعرفت فيها إلى جيل من الشباب المتلهّف للمعرفة والنشاط، وهم أبناء الجماعة التي يطلق عليها «اللواتية»، وجدتهم شباباً ينطوون على عمق من الانتماء والعاطفة الدينية، ويتصفون بالذكاء والثقة بالذات، والاهتمام بالدراسة والتعليم، وقد منحتهم

تربيتهم الأسرية وبيئتهم الاجتماعية المحافظة رقيًا في الأدب والأخلاق. وأساسًا فإن الجماعة اللواتي يعتبرون الطبقة المتعلمة والمثقفة ذات الخبرة التجارية الاقتصادية في المجتمع العماني آنذاك.

مع هؤلاء الشباب بدأت تجربتي في العمل الاجتماعي، واستفدت كثيرًا من هذه التجربة، وكان تعرفي إليهم فرصة ثمينة لامتحان قدراتي الإدارية والاجتماعية، وتنمية اهتماماتي الفكرية الثقافية.

وقد تفاعل معي هؤلاء الشباب؛ لأنهم رأوني في سنّهم وعمرهم، أقدم لهم الفكر الديني باللغة التي يفهمونها، ولأول مرة - كما كانوا يقولون - يجدون رجل دين يعيش معهم، ويشاركهم بعض البرامج الترفيهية كالرياضة والرحلات، ويتعاطى معهم دون كلفة ولا حواجز. حيث لم يكن في منطقتهم إلا عالم دين كبير في السنّ، صحيح أنه يزورهم بعض الخطباء في المواسم الدينية، إلا أنّ العلاقة معهم كانت تقتصر على التلقّي والاستماع غالبًا، وأتحدّث هنا عن تلك الحقبة الزمنية في النصف الأول من سبعينيات القرن الماضي.

وبحمد الله تعالى فقد تربّي من هؤلاء الشباب جيل من الكفاءات والقدرات التي يفخر بها مجتمعهم، وقد شقّ بعضهم طريقه إلى مواقع قيادية في الدولة والمجتمع وساحة الثقافة والإعلام.

كانت آليات التحرك والنشاط آنذاك إلى جانب الخطابة في المناسبات الدينية، تتمثل في إقامة الدروس التربوية الخاصة بالشباب، حيث اعتمدت نصوص «نهج البلاغة» كمحور أساس. وكنت أكتب كلّ درس في ملزمة، يطبعها الشباب ويكثرونها عبر جهاز (استانسل) ويتداولونها، ثم طبعت مجموعة من تلك الدروس في كتاب بعنوان «رؤى الحياة في نهج البلاغة».

كما أسّسنا مكتبة عامة لتكون مقرًا وعنوانًا لنشاط الشباب باسم «مكتبة الرسول

الأعظم ﷺ على سطح المسجد الرئيس للجماعة الواقع على كورنيش مدينة مطرح. ومن أجل أن يعبر الشباب عن ذواتهم، وبنموا مواهبهم وطاقاتهم، في مجتمع تقليدي يدير شؤونه كبار السنّ والبارزون من رجال الأعمال، شكّلنا دورة للتدريب على الكتابة والتأليف، واجتهدت في تشجيع الموهوبين منهم على إنجاز بعض الكتابات وطبعها، فكان مثيّرًا للاهتمام في ذلك الوقت أن يؤلف شاب صغير كتابًا يشقّ طريقه إلى الطباعة والنشر. كما تشكلت فرقة للإنشاد والأداء المسرحي.

ومن الإنجازات المهمة في تلك المرحلة إصدار مجلة باسم «الوعي» يُحرّرها الشباب بأقلامهم، ويقومون بإخراجها ومتابعة طباعتها ونشرها، وجمع التبرعات لتمويلها، مما أكسبهم خبرات وتجارب في المجال الإعلامي والثقافي، وعزز ثقتهم بأنفسهم، ولفت أنظار المجتمع إليهم.

أعتقد أنّ تلك الأنشطة، والأجواء التي خلقتها، اجتذبت كثيرًا من الشباب إلى أحضان الحالة الدينية والثقافية، وأنقذتهم من حالة الضياع والمزالق التي يتعرض لها الشباب، وخاصة في تلك المرحلة من بداية انفتاح المجتمع العماني، بعد استلام السلطان قابوس للحكم.

وقد ساعدنا على النجاح في هذا الحراك والنشاط، حسن العلاقة القائمة بين الجماعة وحكومتهم، وأجواء التسامح المذهبي في سلطنة عمان، حيث تتعايش المكونات المذهبية من الإباضية والسنة والشيعية في حالة من الوئام والانسجام، دون شعور بالتفرقة والتمييز، ولا معاناة من التعبئة والتحريض الطائفي.

وكنت أتواصل مع الوزراء والمسؤولين فأجد منهم كلّ احترام وترحيب بتلك البرامج، وكانت لي صداقة طيبة مع كبار علماء الإباضية كالمفتي السابق الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري رحمه الله، والعالم الأديب رئيس محكمة مطرح الشيخ سالم السيابي رحمه الله، والمفتي الحالي الشيخ أحمد الخليلي حفظه الله.

كما نشرت مقالات في عدد من الصحف والمجلات العمانية كجريدة عمان،
وجريدة الوطن، ومجلة العقيدة، ومجلة الأسرة.

وفي ذاكرتي كثير من الصور والمشاهد الرائعة عن تلك الأيام الجميلة التي قضيتها
في سلطنة عمان، أرجو أن أجد الفرصة المناسبة للكتابة عنها في المستقبل إن شاء الله
تعالى.

وأقدم هنا بالشكر الجزيل للأخ الكريم الأستاذ عبد الحسين محمد حسن جعفر
(أبو سمية) الذي بادر لتوثيق تلك المرحلة، وهو من صنّاعها الناشطين، وروادها
المخلصين.

ومن مبادراته الجميلة المشكورة على هذا الصّعيد، عزمه على إعادة طباعة أعداد
مجلة «الوعي» حيث طلب مني كتابة هذه السطور كمقدمة للكتاب الذي يجمع أعداد
المجلة. فله جزيل الشكر والتقدير، ولكلّ إخوتي وأحبتي في مطرح ومسقط الذين
سعدت بالتعرف إليهم، واستفدت منهم، لهم جميعاً كلّ المحبة والثناء، وخالص
الدعوات بالتوفيق والاستقامة في خدمة الدين والمجتمع والوطن.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٧ شعبان ١٤٣٧هـ

١٤/٥/٢٠١٦م





علماء القطيف: نستنكر عملية قتل الشهيد العنزي... والهجوم عمل مشين*

استنكر علماء القطيف العملية الإرهابية يوم الثلاثاء الماضي، على مركز شرطة القطيف التي أدت لاستشهاد العريف عبد السلام العنزي.

وقال البيان الموقع من سبعة من علماء القطيف، إنَّ العملية الإرهابية فعل مستنكر ومدان، لا نرتضيه من أيِّ كان، ضدَّ أيِّ كان، لبلد تاريخها الأمن والأمان وحفظ الإنسان.

نصّ البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

في الوقت الذي نطلب فيه التحلّي بالأخلاق الفاضلة، والالتزام بكلّ ما يحافظ على السلم الاجتماعي، ورعاية مؤسّسات الدولة، وتعاون المواطنين مع القوى الأمنية في مواجهة الإرهاب والإجرام، نتفاجأ بتصرف مشين من قبل بعض المجهولين، بإطلاق النار على مركز شرطة القطيف.

كانت من آثاره الدنيئة استشهاد جندي من رجال الأمن البواسل.

إنّه لفعل مستنكر ومدان، لا نرتضيه من أيّ كان، ضدّ أيّ كان، لبلد تاريخها الأمن والأمان وحفظ الإنسان.

١٤/١١/١٤٣٧هـ

علماء محافظة القطيف

١. الشيخ عبدالله الخنيزي
٢. الشيخ حسن الصفار
٣. الشيخ عبد الكريم الحبيل
٤. الشيخ جعفر الربيع
٥. الشيخ منصور السلطان
٦. الشيخ يوسف المهدي
٧. الشيخ محمد العبيدان



كلمة للجنة أنوار القرآن بسيهات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.
إن قيام المؤسسات الثقافية الاجتماعية هو مظهر من مظاهر حيوية المجتمع ونهوضه.

وانتساب أي مؤسسة للقرآن الكريم يفترض أن يجعلها في موقع الصدارة والريادة؛ لأن القرآن الكريم يُلهم أبناءه روح الصدق والإخلاص في العمل، ويزرع في نفوسهم حبّ الناس وحسن التخاطب معهم، فيصبحون أكثر نشاطاً وجدّية وعطاءً، وأقدر على الجذب والاستقطاب.

ومع تقديري وإكباري للجهود الطيبة التي تبذلها لجنة أنوار القرآن بسيهات، وسائر اللجان القرآنية في المنطقة، إلا أنني أهيّب بهم لمضاعفة الجهد والتحرك، فإنّ المجتمع يواجه تحديات خطيرة على الصعيد المعرفي والأخلاقي، لا يمكن مواجهتها إلا بمزيد من الفاعلية والنشاط.

كما أدعو أبناء المجتمع لاحتضان هذه المؤسسات القرآنية، ورفدها بالكفاءات، ودعمها بالإمكانات، لتقوم بدورها وتؤدي رسالتها.

وإذا كان لي من توصية أؤكد عليها فهي التوجه أكثر لجيل الناشئين، الذين تتلقفهم

مختلف فضاءات العالم الافتراضي، وأحدث برامج التواصل الإلكتروني، ولا يمكن صدّهم عن التفاعل مع هذا العالم الجذّاب، لكن المطلوب إعدادهم وتهيئتهم للتفاعل السليم، الذي يمنحهم المكاسب، ويجنبهم الأضرار والمخاطر. وذلك عبر تعزيز مبادئ القرآن في نفوسهم، وترسيخ القيم الفاضلة في حياتهم.

وفّقكم الله يا حملة القرآن، وأناز بجهودكم طريق الحياة، وهنيئاً لكم بهذا الانتماء والانتساب للقرآن الكريم.

حسن الصفار

١٤٣٧/١٢/١ هـ



أَيُّ اعْتِدَاءٍ خَارِجِ الْقَانُونِ مَرْفُوضٌ

تصريح للشيخ حسن الصفار بتاريخ ٢٨ ذي الحجة ١٤٣٧هـ الموافق ٣٠ سبتمبر ٢٠١٦م بخصوص اشتباه الأهالي بمواطن إنه «داعشي»:

بسم الله الرحمن الرحيم

في الوقت الذي ندعو فيه المواطنين لليقظة والانتباه، لرصد أيّ تحرّك مشبوه، يمكن أن يقوم به الإرهابيون، وأن يتكامل دورهم مع الأجهزة الأمنية، فإننا نوّكّد اختصاص الأجهزة الأمنية باتخاذ الإجراءات العملية. فحين يرى المواطنون شخصاً يشكّون في وضعه، عليهم الإبلاغ عنه، وتسليمه للجهات الأمنية، ولا يحقّ لهم القيام بأيّ اعتداء عليه، لاحتمال براءته وهو الأصل، ولأنّه لا أحد مخوّل لممارسة سلطة تنفيذية إلاّ الجهات المعنية، وأيّ اعتداء على أيّ إنسان خارج النظام والقانون مرفوض ومدان، ومحرم شرعاً.

ونحن نعتقد بالشراكة الوطنية، فكلّ مواطن شريك في كلّ ذرّة من تراب الوطن، والمواطنون على اختلاف مناطقهم ومذاهبهم يشكلون كتلة واحدة، وصفاً واحداً، وهذه من النعم الكبيرة التي نعيشها منذ توحيد البلاد على يد الملك المؤسس طاب ثراه.

وكلّ مواطن هو محلّ ترحيب في أيّ بقعة من بقاع الوطن، كما نرى بالفعل تواجد

أبناء هذه المنطقة في المناطق الأخرى من البلاد، للدراسة أو العمل، وكذلك تواجد أعداد كبيرة من أبناء المناطق الأخرى في هذه المنطقة.

وهذا مما نفخر به، ويجب أن نحافظ عليه، طبقاً لتعاليم ديننا، وتجسيدها للوحدة الوطنية، وتحقيقاً للسلم الأهلي والاجتماعي، وإذا ما حدث تصرف من أحد خارج هذا السياق، فهو خطأ يحاسب عليه وحده، ولا يصح أن يكون مبرراً لترويج النزعات العنصرية الطائفية أو القبلية.

حسن الصفار

١٤٣٧/١٢/٢٨ هـ

تقديم لكتاب:

بيوتات جمرية*

سلّط علماء الأنثروبولوجيا الأضواء على طبيعة المجتمع القرويّ، وبحثوا في دراساتهم التخصصية سمات وخصائص مجتمع القرية، والفوارق بينه وبين مجتمع المدينة.

وكان من تلك السمات التي نالت حظاً من الاهتمام في دراساتهم وأبحاثهم، ما يرتبط بالعلاقات داخل مجتمع القرية، فهو مجتمع متجانس، تسوده حالة من التضامن والتماسك، وتشتد فيه أواصر العلاقة بدرجة كبيرة، حيث تقوم على اللقاء المباشر الوجه للوجه، في مختلف الأوقات والمجالات، فالشوارع محدودة، وكذلك الأسواق وأماكن التجمعات، فيتلاقى الناس دائماً وأبداً، ويتداخلون عائلياً، لذلك يعرف القروي أفراد مجتمعه كلّهم تقريباً، بأسمائهم وعوائلهم وانتماءاتهم ووظائفهم وصفاتهم.

فأيّ واحدٍ من أهل القرية يدلك على أيّ بيت تريد فيها، ويعطيك المعلومات الأولية عن كلّ واحدٍ من أهلها.

كما يخضع الناس في القرية لمنظومة من الأعراف والتقاليد، ونظام القيم السائدة التي تحكم مختلف مجالات الحياة، بحيث يصعب على الفرد الانفلات أو التمرد

* المؤلف الشيخ حسن الغسرة، البحرين.

على شيءٍ منها، فنطاق الفردية محدود للغاية، على الصّعيد الفكري والسلوكي، إذ تسود المجتمع أفكار وتقاليد يأخذ بعضها درجة القداسة، حين تكون له صبغة دينية، أو تجذّر في العرف الاجتماعي.

ورقابة الأسرة والمجتمع في القرية صارمة على الأفراد ومحيطه بهم. كما أنّ مصادر المعرفة والتلقي تكاد تكون موحدة ومحدودة.

إنّ حالة الطيب والبساطة والمودة والتكافل الاجتماعي، هي من أبرز السمات الإيجابية لمجتمع القرية، الذي تقلّ فيه بسبب ذلك الأمراض النفسية ومعدّلات الجريمة، قياسًا بمجتمع المدينة، كما يشير الباحثون.

وقد عاش جيلنا المخضرم في المنطقة الخليجية، تجليات هذه السمات والصفات، في مجتمعات القرى المتناثرة على ضفاف الخليج، كالبحرين والقطيف والأحساء.

لكن القرية الآن تكاد أن تنحسر وتختفي، حيث زحف قسم من أهلها إلى المدن، كما تحولت القرية إلى مدينة، بسبب تطورات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فقد انتشر التعليم، وتنوعت مصادر الدخل، وتوفرت الإمكانيات المادية، وتقلصت مساحة العمل الزراعي، وتوسّعت الخدمات العمرانية، وغزت القرى العمالة الوافدة من مختلف مجتمعات العالم، على حساب تجانسها الاجتماعي، ولم تعد هناك فوارق كبيرة بين المدينة والقرية.

وهنا تبدو الحاجة ملحةً على الصعيد الثقافي والتاريخي لتوثيق حياة القرية، في ماضيها المتميّز، ومرحلتها الانتقالية الحاضرة، حفظًا للتراث الاجتماعي، ورفدًا لذاكرة الأجيال الصاعدة، وتذكيرًا بالقيم الفاضلة، والأخلاق النبيلة، والصفات الجميلة، وإحياءً وتكريماً للشخصيات الفاعلة المؤثرة، التي قدمت عطاءً علمياً وأدبياً واجتماعياً في مختلف المجالات.

فقد أنجبت هذه القرى علماء وفقهاء فطاحل، وأدباء وشعراء موهوبين، ونشطاء

في المجال الاجتماعي، والعمل التطوعي، والنضال السياسي.
ففي هذه القرى تراث يجب أن يحفظ، وعطاء يجب أن يُقدّر، وإسهامات وطنية
لا تنكر.

من هنا تأتي قيمة الجهد الكبير الذي بذله أخونا الكريم وصديقنا العزيز الشيخ
حسن الغسرة، في توثيق تاريخ مجتمع قريته بني جمرة من قرى البحرين الغالية.
وقد صرف أكثر من عشرين عامًا في جمع هذه المادة المعلوماتية القيمة، عن
أنساب البيوت والعوائل في هذه القرية، وتراجم شخصياتها، ووصف أساليب الحياة
فيها.

هذه المادة المعلوماتية، يمكن أن تكون مرجعًا ومصدرًا لكثير من الدراسات
التراثية الاجتماعية، القائمة على التحليل والمنهجية العلمية.

فشكرًا للمؤلف الكريم على ما بذل من جهد، ووفقه الله للمزيد من العطاء في
خدمة الدين والمجتمع.

والحمد لله رب العالمين.

حسن الصفار

٢٨ ذو الحجة ١٤٣٧ هـ

٣٠ سبتمبر ٢٠١٦ م



مراجعة التراث ونقد الذات

وجّهت للشيخ حسن الصفار مجموعة من الأسئلة من قبل عدد من الطلبة المبتعثين والمقيمين في (نيوزلندا) ضمن متداولهم الأسبوعي، مساء يوم الأحد ٣٠ ذو الحجة ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠١٦/١٠/٢م وكانت الأسئلة تدور حول النقد والمراجعة للتراث والذات المذهبية، فأجاب عليها الشيخ الصفار بمدخلة هاتفية هذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

السلام عليكم أيّها الإخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

أشكركم على إتاحة هذه الفرصة لي لمشاركتكم في هذا اللقاء المبارك، وأكبر فيكم هذه الروح الدينية الاجتماعية، كما أقدر اهتمامكم بمناقشة هذه المواضيع النوعية المهمة. أرجو الله تعالى لكم التوفيق والنجاح في مسعاكم العلمي والعملية.

موسم لتعزيز الولاء وترسيخ القيم

فيما يرتبط بموضوع الخطاب الديني في هذا الموسم لعاشوراء، وتناول نقد الذات، ومراجعة التراث، أودّ أن أؤكد أنّ الخطاب الديني في هذا الموسم أساساً يجب أن يستهدف ترسيخ الولاء الديني، وتعزيز القيم السامية في النفوس، فهو ليس خطاباً نخبويّاً حتى ينشغل بالنقد فقط، وإنّما هو خطاب شعبي جماهيري عام، تستمعه

جميع شرائح المجتمع، فينبغي أن يكون موجّهًا لتعزيز الولاء، وترسيخ القيم، وتوعية الناس بظروفهم وأوضاعهم.

وفيما يرتبط بمجتمعاتنا أكّدت على إخوتي الخطباء في هذا الموسم، أن يُركّزوا على ثقافة النجاح، وبناء الفرد الناجح، والمجتمع الناجح؛ لأننا نواجه تحديًا كبيرًا على هذا الصعيد.

ضرورة النقد والمراجعة

لكن موضوع النقد والمراجعة ينبغي ألا يغيب عن هذا الخطاب؛ لأنّه يلامس ضرورة، ويلبي حاجة، ويعالج إشكاليات في أذهان وسلوكيات شريحة كبيرة من أبناء المجتمع.

أساسًا موضوع النقد ضروري في كلّ المجالات، ولا أحد يناقش في ضرورته وأهميته في الجانب العلمي، فالنظريات العلمية يجب أن تتعرض للنقد والتحديث، وكذلك في الجانب السياسي، الجميع يؤمن بضرورة النقد والمعارضة السياسية، وفي المجال الاقتصادي أيضًا كلّ المجتمعات تراجع قوانينها وسياساتها الاقتصادية، هذا أمرٌ طبيعي، والسؤال الآن: هل المجال الديني مستثنى من مسألة النقد والمراجعة؟

بعض الناس قد يرون ذلك، على أساس أنّ الدين يرتبط بالمطلق والثابت، ويتصورون أنّ كلّ الجوانب والتفاصيل المرتبطة بالدين تصطبغ بصبغة الثبات، وبالتالي لا يمكن تغييرها أو تطويرها.

بالطبع هذه الفكرة ليست دقيقة؛ لأنّ الدين فيه مساحة ثابتة، وهي محدودة جدًّا، لكن المساحة الأكبر متحركة قابلة للتغيير، ففي المجال العقدي: الثابت هو الإيمان بالمعتقدات الرئيسة على المستوى الإسلامي، الإيمان بالله تعالى، وبالنبي صلى الله عليه وآله، وبالآخرة، وعلى المستوى المذهبي الشيعي يضاف إليها العدل والإمامة، لكن تفاصيل هذه المعتقدات وجزئياتها وما ينبثق عنها من أفكار، كلّها تفاصيل قابلة

للقاش والأخذ والردّ، والدليل على ذلك وجود مدارس متعددة ضمن الأمة الإسلامية، ووجود توجّهات مختلفة ضمن المذهب الواحد، مما يدلّ على أنّ التفاصيل في هذه المعتقدات لا تأخذ منحى الثبات، بحيث لا يمكن مراجعتها أو تغييرها.

في الجانب الآخر، هناك الأحكام الفقهية، والعلماء يقولون إنّ المسائل الشرعية الضرورية القطعية لا تزيد مساحتها من ٦-٥٪ فقط وتبقى نسبة ٩٥٪ من المسائل الشرعية ليست قطعية وضرورية لا يمكن النقاش فيها، وإنّما هي مسائل قابلة للاجتهاد، قد تختلف فيها آراء المجتهدين، وقد تتغير بعض الآراء فيها.

الجانب الديني ليس مستثنى من النقد

إذاً الجانب الديني ليس مستثنى من النقد، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ الجانب الديني يتمثل في البعد الفكري الثقافي، والبعد السلوكي، والممارسات الدينية، وبعد المؤسّسات والرموز التي تتصدّى للحالة الدينية، وأخيراً في المواقف التي يمكن أن يتخذها المجتمع الديني تجاه مختلف القضايا.

هذه الأمور الأربعة قابلة للنقد والمراجعة، لأننا لا نعتقد بعصمة الأفراد، لأنهم بشر قد يصيبون، وقد يخطئون في أفكارهم، والثقافة الدينية هي اجتهاد بشري فيما عدا النص الثابت البين الدلالة، وحينما نمرّ على آيات القرآن الكريم التي تأمر بالتفكير كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فإنّها لا تقصد زمنًا معيّنًا فقط، بحيث لا نحتاج إلى التفكير بعده، وهكذا على المستوى الفقهي استمرار عملية الاجتهاد في الحوزات العلمية، وعند الفقهاء، دليل على إمكانية المراجعة، والتغيير في بعض الأحكام.

أما السلوكيات والممارسات فهي أداء بشري معرض للخطأ، وقد تكون ممارسة معينة صحيحة في وقت ما، لكن مع تغيير الزمان والظروف يكون المطلوب تغيير وتطوير هذه الممارسة وهذا النشاط.

أما على صعيد الرموز الدينية من علماء ووكلاء وشخصيات، فكأننا نعترف ونقرّ

بأنهم ليسوا معصومين، وبالتالي فإن الغفلة والخطأ أمر وارد، فلا مانع من النقد، ولا مانع من المراجعة، نحن نجد أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام يدعو الناس من حوله إلى النقد، وإلى ألا يترددوا في قول كلمة يرونها حقاً أمام أمير المؤمنين المعصوم عليه السلام كما في نهج البلاغة: «وَلَا تَطُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي وَلَا التَّمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنْ اسْتِثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكْفُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ».

هل النقد ضمن دائرة خاصة؟

هناك نقاش هل أن النقد ينبغي أن يكون خاصاً داخل وسط ديني معين، كالعلماء والحوزات العلمية فقط أو أنه يكون نقداً مفتوحاً أمام الجمهور والرأي العام؟

نعترف أنه لا توجد آلية للنقد الخاص، ولا توجد مؤسسات ضمن القيادات الدينية تعنى بالمراجعة والنقد، وبالتالي فإن القول بأن النقد يكون خاصاً في دوائر معينة، مع عدم وجود منهجية وآلية تقوم بهذا الدور، فهذا يعني تعطيل النقد.

من ناحية أخرى، نعيش الآن في مجتمع بشري، يتسابق أبناؤه في المعرفة والثقافة والاطلاع، في زمن أصبحت فيه الشفافية شعاراً وقيمة عليا، فما عاد ممكناً أن تقول للجمهور إن الشيوخ أبخص، وأن عليكم أن تتبعوا هذه الأفكار والآراء والتوجهات دون تساؤل ونقد واعتراض، هذا لا يمكن في هذا الزمن.

وما الذي يجعلنا نتردد تجاه النقد والمراجعة؟ نحن واثقون من أصول ديننا، والمراجعة هي في التفاصيل وهذا لا يؤثر على أصل الدين، وعلى قوة الدين، لو اتضح أن هذه الفتوى ما عادت صالحة لهذا العصر، أو أن هذه الفكرة ليست صحيحة بالكامل، أو أن فلاناً من الناس الذي يمثل الحالة الدينية في موقع من المواقع، أخطأ أو اشتبه أو انحرف، نحن نرى القرآن يتحدث عن نماذج من هذا النوع، ونرى التاريخ يخبرنا أن هناك قيادات وشخصيات دينية تورطت في الخطأ المقصود أو غير المقصود،

فهذا لا يضرّ بقوة الدين، ولا يضعف هيبة الدين.

إضعاف الموقف أمام المخالفين

البعض يقول: نحن نعيش في صراع، وهناك مناوؤن ومخالفون، فإذا انتقدنا وراجعنا تراثنا، ننشر غسيلنا أمامهم.

وواضح أنّ هذه الدعوى ليست متينة؛ لأنّه ما عاد هناك شيء مستور، كلّ التراث، وكلّ الآراء، وكلّ المواقف، أصبحت معروفة أمام الجميع، في الماضي كانت لكلّ مذهب مصادر وكتب تتداول في داخله في كثير من الأحيان، الآن كلّ الكتب موجودة على الشبكة العنكبوتية، وبإمكان كلّ واحد أن يرجع إليها، وأن يتحصل عليها، في الماضي كانت بعض الممارسات الشعائرية تدور ضمن حارات مغلقة، لكن الشعائر والمناسبات الدينية أصبحت تبث على الفضائيات، فليس هناك شيء مخفيًا، ولو رأينا الآن الجهات التي تنتقد السنة من الشيعة، أو تنتقد الشيعة من السنة، لوجدنا أنّ كلّ طرف قد بالغ في البحث والتمحيص في تراث وأحوال الطرف الآخر. فإذا مسألة نشر الغسيل، وإضعاف المذهب أمام الآخرين، ليس حجة سليمة.

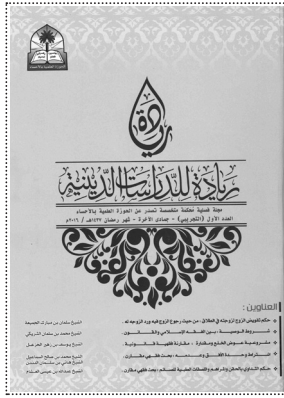
ونحن نرى أنّ القرآن الكريم كان يعرض النقد حتى تجاه رسول الله ﷺ، وما كان يضرّ بهيبة رسول الله ومكانته وعصمته؛ لأنّ النقد كان من الرّب الذي يخضع له الرسول ﷺ، ويقرّ له بالعبودية، يقول تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ وكذلك جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم فيها نقد لواقع المجتمع الديني في العصر النبوي، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ إذا لا مشكلة في أن يكون النقد واضحًا ومفتوحًا أمام الرأي العام.

مبادرات في النقد والمراجعة

وحول ما تحقق على هذا الصّعيد، هناك مبادرات عديدة، أصبحت أكثر جرأة، وأكثر انتشاراً، من قبل علماء قاموا بالنقد للتراث، وقاموا بالتجديد في كثير من المسائل الفكرية والفقهية، يمكننا ذكر دور السيد محسن الأمين العاملي، والشيخ محمد جواد مغنية، والشهيد مطهري، والعلامة فضل الله، وعدد من العلماء الذين قدّموا طروحات نقدية، وآراء بديلة لما ينتقدونه، ومن العلماء المعاصرين (الشيخ محمد آصف محسني) الذي قام بدور مهم في هذه السنوات؛ لأنّه راجع كلّ الروايات وكلّ التراث الوارد عن أهل البيت عليهم السلام، وقام بعملية غربلة وتصفية حسب رؤيته، وأصدر موسوعة مهمة تحت عنوان (معجم الأحاديث المعتبرة) تقع في ثمان مجلدات، وكذلك الشيخ حيدر حبّ الله الذي يقوم الآن بدور كبير على هذا الصّعيد.

بطبيعة الحال أمور كثيرة تقتضي نوعاً من الاختلاف في الآراء والأفكار، وهذا لا يُخاف منه، ولا يبعث قلقاً، حينما نقول مراجعة التراث، لا يعني أنّ الطائفة أو المجتمع الديني كلّهُ يتفق على رأي واحد، فهذا خلاف طبيعة المجتمع البشري.

هناك حديث طويل على هذا الصّعيد، لكنني لا أريد أخذ وقت أكثر، خاصة وأنّ الوقت محدود في جلستكم، أرجو أن أكون قد طرحت ما يهمكم التساؤل عنه، وأرجو أن أستفيد من مداخلتكم وملاحظاتكم، حفظكم الله ورعاكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



إشادة بمجلة ريادة للدراسات الدينية*

الأخ الكريم الشيخ الدكتور محمد بن جواد الخرس حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بيد الشكر والتقدير استلمت هديتكم القيّمة العدد الأول (التجريبي) من مجلة ريادة للدراسات الدينية الصادرة عن الحوزة العلمية بالأحساء التي ترأسون تحريرها. وقد سعدت كثيراً بانطلاق هذا المشروع المبارك، الذي يمكّن الحوزة العلمية من تحقيق أهدافها وتطلّعاتها، في تنمية الكفاءة العلمية لأبنائها ومنسوبيها، وتطور قدرات البحث المنهجي العلمي لديهم.

إنّ في حوزاتنا العلمية عدداً كبيراً من العلماء وطلاب العلوم الدينية، ففي إيران وحدها ينتسب للحوزات العلمية ما يقرب من مئة وخمسين ألفاً، كما نشرت بعض الصحف الإيرانية الصادرة بتاريخ ٢/٩/٢٠١٤م إلى جانب عشرات الآلاف في الحوزات العلمية في العراق وغيرها.

لكن نسبة الباحثين والمنتجين للعلم والمعرفة يشكّل نسبة محدودة جداً، وذلك

* مجلة فصلية مُحكّمة متخصصة تصدر عن الحوزة العلمية بالأحساء، العدد الأول (التجريبي) جمادى الآخرة - رمضان ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

بسبب عدم اعتماد برنامج في الحوزات العلمية لتنمية قدرات البحث والإنتاج العلمي، إلا في المؤسسات الأكاديمية كالكليات والجامعات التي نشأت في رحاب بعض الحوزات العلمية.

وقد بادر بعض إخواننا الأعزاء في الحوزة العلمية بالقطف إلى إصدار مجلة علمية (الفقاهة) تعنى بنشر البحوث في العلوم الشرعية تشجيعاً للكتابة والإنتاج المعرفي حيث صدر العدد التجريبي شتاء ٢٠٠٦م - ١٤٢٦هـ، وما تزال مستمرة في الصدور، وقد صدر منها العدد الثلاثون.

وجاء مشروعكم المبارك في الحوزة العلمية بالأحساء المتمثل بإنشاء إدارة للبحث العلمي، وتدرّيس مقرراته، وإصدار مجلة محكمة متخصصة، ليشكل خطوة رائدة متقدمة على هذا الصّعيد.

إنني كنت وما أزال أعتقد بأنّ أمام مجتمعنا فرصاً كبيرة للنمو والتقدم، في مختلف المجالات، من أجل تعزيز مكانته الوطنية، وأخذ موقعه اللائق بين سائر المجتمعات، أما وجود المشاكل والتحديات فهو أمر طبيعي في حياة جميع الشعوب والبلدان، لكن التحديات لا تواجه بالتقاعس واجترار الغبن ومشاعر المظلومية، وإنّما تواجه بالفاعلية، والوعي لاستثمار الفرص الممكنة، والاستفادة من الإمكانيات المتاحة.

لذلك أشدّ على أيديكم، وأقدّر جهود إدارة الحوزة العلمية بالأحساء، في تبنيها لمختلف البرامج العلمية والدينية البناءة، وكلي أمل وثقة في تطور هذه المجلة الرائدة (ريادة) لتأخذ موقعاً طليعياً في صدارة المجلات العلمية المتخصصة، مما يوجب الفخر والاعتزاز لجميع أبناء هذه المنطقة.

واسمحوا لي بتقديم ملاحظات متواضعة سجلتها من خلال تصفّحي السريع لهذا العدد الأول من المجلة:

انحصرت بحوث العدد في الجانب الفقهي، وكان من الأفضل لو تنوعت البحوث لتشمل جوانب أخرى من المعرفة الدينية، كالأصول، والحديث، وعلم الكلام، وقراءة

التاريخ العلمي للمنطقة، ودراسة نتاج أعلامها.

وجدت أنكم خصصتم صفحة قبل كل بحث، تحمل رواية من تراث أهل البيت (عليهم السلام)، ومن الأفضل أن يكون المصدر المعتمد الذي تنقل منه الروايات من المصادر الأساسية للحديث.

كما أقترح أن يكون اختيار النص مناسباً لموضوع البحث، أو حول أخلاقيات العلم والمعرفة، وليس من الأحاديث الوعظية العامة.

من المناسب أن تتكرس في البحوث منهجية تخريج الأحاديث المذكورة فيها، كما هو متداول في بحوث إخواننا أهل السنة غالباً، بأن يُشار في الهامش إلى سند الحديث ودرجته، هل هو صحيح أو ضعيف أو موثق حسب مصطلح علم الحديث، بناءً على رأي الباحث أو وفق المشهور.

لفت نظري في أحد البحوث، عرض لرأي عدد من الباحثين حول ترجيح قول فقهيّ على قول آخر، فإذا كان الباحث صاحب رأي فليطرح رأيه وأدلته، أما إذا لم يكن صاحب رأي فإنّ ترجيحه لا وجه له. فالموضوع ليس بحثاً اجتماعياً أو ثقافياً، وإنما هو رأي فقهيّ ينطلق من استنباط واجتهاد.

وفي الختام أرجو لكم المزيد من التوفيق والنجاح في هذا المشروع المبارك، وأسأل الله تعالى أن يكلاً الحوزة العلمية بحفظه وعين رعايته، وأن يجزي القائمين على إدارتها خير الجزاء.

وإلى الأمام يا أبناء الوطن على طريق المعرفة والتنمية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

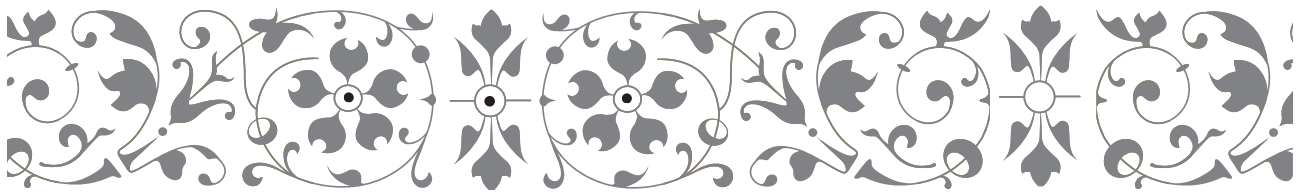
حسن موسى الصفار

١٩ ذو القعدة ١٤٣٧ هـ

٢٢ أغسطس ٢٠١٦ م



متابعات





الشيخ الصفار جهد متواصل في التنوير والتقريب*

بقلم الدكتور محمد علي البار^(٢)

ممن انتهض لمهمة إذكاء روح الأخوة والمحبة بين فرق المسلمين في العصر الحديث الشيخ رشيد رضا والشيخ محمد عبده والأستاذ حسن البنا والشيخ يوسف القرضاوي والسيد محمد أحمد الشاطري والشيخ حسن بن موسى الصفار الذي ولد في مدينة القطيف من المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م فقد جعل الشيخ حسن، زاده الله علمًا وخلقًا، كلَّ همّة منذ حداثة سنه وميعة صباه أن يدعو إلى الله بالموعظة الحسنة، وأن يزيل قدر المستطاع تراكمات الحزازات والإحن من القلوب بين طائفتين من طوائف المسلمين اقتتلتا طويلًا، وتعادتا عبر الأزمان والقرون المتطاولة.. وهما طائفة الشيعة الإمامية الجعفرية وطوائف السنة،

* جريدة المدينة، الجمعة ١٠ شعبان ١٤٢٢هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١م، العدد ١٤٠٦٥، السنة السابعة

والستون. (الدكتور محمد علي البار مفندًا الهجوم على الإسلام وداعيًا لاتحاد أبنائه).

(٢) الدكتور محمد علي البار طبيب وباحث سعودي، ولد سنة ١٩٣٩م، أخصائي أمراض باطنية ومستشار في قسم الطب الإسلامي، مركز الملك فهد للبحوث الطبية - جامعة الملك عبد العزيز، جدة. له العديد من المؤلفات العلمية والطبية. شارك في عدة مؤتمرات وندوات طبية مختلفة. شارك في أبحاث هيئة الإعجاز العلمي ومؤتمراتها، كتب مئات المقالات في الصحف والمجلات الصادرة في المملكة العربية السعودية وخارجها.

واستمعت إلى خطبه العديدة في المناسبات والجمع وفي عاشوراء مسجلة، وقرأت كثيراً من كتبه فوجدت علماً وخلقاً، وتبصيراً لمن يستمع إليه بأخلاق المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، وأخلاق آل بيته الكرام وكيف كانوا في القمة من السماحة ولين الجانب والعفو عمّن ظلمهم.

فها هو الإمام عليّ كرم الله وجهه ورضي عنه يدعو الخوارج الذين أغلظوا له القول إلى العجاذة بالحكمة والموعظة الحسنة، بل ويسمح لهم بالإصرار على موقفهم الظالم والخطأ طالما أنّهم لم يسفكوا الدم الحرام.. فلما سفكوا الدم الحرام قاتلهم، ولكن لم يجهز على جريحهم، ولم يستعبد أسيرهم ولم يأخذهم وأموالهم غنيمة بل عاملهم معاملة أهل البغي كما فعل في كلّ حروبه (فهم إخواننا بغوا علينا)، وتحذّر عن موقف الحسن بن علي ریحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيّد شباب أهل الجنة هو وأخيه الحسين عليه السلام وكيف تنازل الحسن عليه السلام عن الخلافة لمعاوية مع يقينه أنه هو الأجدر والأحقّ بها، ولكنه فعل ذلك كلّ من أجل حقن دماء المسلمين وإقامة الصلح بين الفئتين.

وعندما سُمّ الحسن وتقطّعت أوعاؤه بفعل السمّ سأله أخوه الحسين عمّن سمّه فأبى أن يصرّح باسمه حتى لا يثير فتنة.. وكذلك أوصى أخاه الحسين بأن يدفنه عند جدّه بعد أن أذنت السيدة عائشة إلا إذا أبى مروان وثارَت الفتنة وطلب من أخيه ألاّ تسفك فيه محجمة دم، وقبل أن يدفن بالبقيع وفعل الحسين ذلك وآل بيته على مضض.

وهكذا في العترة كلّها، فما أجدرا اتّباعهم أن يتخلقوا بأخلاقهم ويسيروا على هديهم ويقولوا بقولهم. فما عرف من أحد منهم قطّ أنه كان سبّاباً، بل تحمّلوا الأذى والسباب وسوء الخلق بتلك الأخلاق النبوية العالية، وكانوا منارات هدى ودعاة وحدة، وصبروا على الضيم حتى لا تتفرق الأمة وتتمزق كلّ ممزق. فكيف يدّعي من أتى بعدهم وانتسب إليهم أنّه منهم وهو سبّاب لعان. ما هذه طريقتهم ولا هذه دعوتهم، بل هم دعاة هدى ومنارات للوحدة والوئام.

وهكذا بذل الشيخ حسن الصفار جهده وعلمه في توضيح طريق الأئمة وجهادهم وصبرهم ورفيع أخلاقهم وحرصهم على وحدة الصف ولم الشعث ووحدة الكلمة، مع ترفّعهم عن السباب واللعان والصخب والممارة ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٦٣]، ثم إنَّ معركتنا اليوم مع يهود وأشياعهم لا تسمح لأحدٍ بأن يصرف أيّ جهدٍ سوى في استنقاذ الأقصى من براثن هذه الطغمة الفاسقة الفاجرة إخوة القردة وأشباه الخنازير، وهذا لا يعني أنّ الخلافات بين الفرق الإسلامية ستزول بين ليلة وضحاها.. ولكن المطلوب هو الالتقاء على ما يجمع ويقرب لا البحث عن نقط الاختلاف وتوسيع شقّة الخلاف.. وما يجمع فرق المسلمين كثير كثير.



فقه التعايش*

د. عبدالمحسن يوسف جمال

في مبادرة لها قيمتها العلمية والمعنوية نظم الإخوة في المملكة العربية السعودية «الملتقى الفقهي السنوي الأول» لتقريب الآراء الإسلامية السنية والشيعية في الفقه ومحاولة إيجاد أرضية مشتركة بينهما، وهي ولا شك أرضية واسعة جداً.

فقد نظم «مركز الفقهة للدراسات والبحوث الفقهية» بالقطيف هذا المؤتمر الذي حضرته مجموعة كبيرة من الشخصيات الدينية والثقافية ورجال أعمال من مختلف مناطق المملكة.

ولعلّ هذا التوجه التقاربي بين أبناء المملكة أصبح اليوم واقعاً ملموساً بدأ الناس يتلمّسونه ويقدرّون التوجهات السامية لخادم الحرمين الشريفين التي بدأت تؤتي ثمارها من خلال هذا التجانس الرائع بين أبناء المملكة، وبداية التوجه المشترك لإيجاد فقه التعايش بين المسلمين بعيداً عن التعصب.

ولقد كان لسماحة الشيخ حسن الصفار ورقة عمل متطورة في هذا الملتقى تحت عنوان «التأسيس للتسامح الديني»، وهو المطلوب في هذه الأيام وسط الصراعات العديدة التي نشاهدها هنا وهناك.

* جريدة القبس الكويتية الصادرة يوم الإثنين ٢٢ فبراير ٢٠١٠م الموافق ٨ ربيع الأول ١٤٣١هـ - العدد ١٣١٩٦.

ويمتاز الشيخ الصقّار برؤيته الاستراتيجية وحرصه على إنجاح هذا التقارب بين علماء الأمة، حيث يسعى مثابراً لتأصيل هذا المبدأ داخل المملكة وخارجها. وكذلك كان للدكتور محمد الهرفي من كلية الشريعة بالأحساء ورقة مهمّة أخرى حثّ فيها على الوحدة الإسلامية، وأوضح آراء العلماء المسلمين على مدار التاريخ بحرمة تكفير الآخر واتهامه.

ويبيّن أنه في السنوات الـ(٣٠) الماضية قام العديد من العلماء بوضع الكثير من الأبحاث والكتب حول الفقه والمذاهب الإسلامية.

وخرج المؤتمر بعدة توصيات مهمّة منها:

١. حثّ أتباع المذاهب الإسلامية على التواصل العلمي المؤسّس لمناخ التعايش بين المسلمين.
٢. ضرورة تشجيع البرامج واللقاءات والفعاليات ذات النّفس الوجدوي بغية تعزيز كلمة المسلمين ورصّ صفوفهم.
٣. ضرورة التواصل مع الحكومات الإسلامية بغية ترغيبها في تبني مشروع التعايش وتجريم حاضني ومروجي العنف والكرهية.
٤. التركيز على أهمية تبني وسائل الإعلام للخطاب المعتدل وحظر نشر وبثّ خطاب التخوين والتكفير.
٥. الاتصال بالقائمين على مناهج التعليم في الدول الإسلامية وحثهم على تنقيتها من كل ما يثير البغضاء والتنافر.



الشيخ الصفار.. منهجه الإصلاحى ومقاومة الخوف من التجديد*

بقلم الأستاذ: محمد محفوظ

ولد الشيخ حسن بن موسى بن الشيخ رضى الصفار سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨م في مدينة القطيف من المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية. وفي مراحل العمرية الأولى تعلم القرآن الحكيم ضمن الكتاتيب الأهلية ودرس الابتدائية والمتوسطة في مدينة القطيف. وبعدها هاجر إلى مدينة النجف لطلب العلم والدراسة في حوزتها المعروفة. وكان ذلك في عام ١٣٩١هـ الموافق ١٩٧١م، ثم انتقل إلى الحوزة العلمية في مدينة قم بإيران سنة ١٣٩٣هـ الموافق ١٩٧٣م، ثم التحق بمدرسة الرسول الأعظم في الكويت سنة ١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤م، وتلقى علومه ومعارفه الدينية عند مجموعة من العلماء والفقهاء أبرزهم المرجع الديني السيد محمد الحسيني الشيرازي والمرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي.

وتقديرًا لكفاءته العلمية وأنشطته الدينية والثقافية والدعوية المختلفة، منحه عدد من كبار المرجعيات الدينية إجازات وشهادات للرواية والتصدي للمهام والشؤون الدينية والثقافية المختلفة. ومن أبرز هؤلاء المعاصرين المرجع الديني السيد علي السيستاني.

* جزء من دراسة عن نظام الفتوى عند الشيعة الإمامية في الخليج، للأستاذ محمد محفوظ، صدرت ضمن كتاب: الفتوى في الخليج: الشيعة - الثورات - التأثير - ٢٠١٣م.

ويتميّز الشيخ الصفار بخطاباته الدينية الجريئة والتميزة. وقد مارس الخطابة الدينية من عام ١٣٨٨ هـ الموافق ١٩٦٨ م وعمرة إحدى عشرة سنة، واستضافته العديد من المحافل الدينية والثقافية والاجتماعية لإحياء المناسبات الدينية والمشاركة في المواسم الثقافية في القطيف والأحساء والبحرين والكويت وسلطنة عمان وقطر ودبي ودمشق وقم وطهران. ولديه مئات المحاضرات الدينية المسجلة والمبثوثة في بعض وسائل الإعلام المختلفة.

ومنذ استقراره في مدينة القطيف في عام ١٩٩٤ م، بعد هجرة دامت عقدًا ونصف العقد من الزمن، انشغل فيها الشيخ الصفار بأنشطة ثقافية واجتماعية وسياسية، تحول مجلسه العامر إلى منبر لإلقاء الدروس والمحاضرات والاجتماعات الثقافية والاجتماعية والوطنية.

ولا زال الشيخ يواصل دوره الديني والاجتماعي والثقافي والوطني، وينشط على أكثر من صعيد، وذلك من أجل زيادة الوعي الديني في المجتمع، وترقيته ثقافيًا وسياسيًا، وتنشيط مؤسسات المجتمع المدني، والمطالبة بحقوق مجتمعه عبر الحوار والتواصل مع الجهات الرسمية العليا في المملكة.

مؤلفاته وكتبه:

لعلنا لا نجانب الصواب حين القول: إن الشيخ حسن الصفار كأحد أعلام الإصلاح الديني في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية، توّسل بوسائل عديدة من أجل التعريف بأفكاره الإصلاحية، وزيادة وعي الناس الديني والثقافي والسياسي.

ومن هذه الوسائل وسيلة التأليف والكتابة. إذ إن الشيخ ومنذ انطلاقة الدينية والإصلاحية الأولى، وهو يلقي المحاضرات، ويؤلف الكتب، ويشارك في الندوات والملتقيات الثقافية والاجتماعية. ولذلك لديه عشرات الكتب والأبحاث، التي تعكس رؤيته وموقفه من مختلف التطورات والتحويلات. وبعض هذه المؤلفات ترجم إلى



لغات أخرى، ومن أبرز مؤلفاته الأسماء التالية:

١. التعددية والحرية في الإسلام - بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب.
٢. التسامح وثقافة الاختلاف: رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات.
٣. الشيخ علي البلادي القديحي: دراسة في شخصيته وتاريخه.
٤. فقه الأسرة: بحوث في الفقه المقارن والاجتماع.
٥. الحوار والانفتاح على الآخر.
٦. شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين.
٧. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (سبعة مجلدات).
٨. التنوع والتعايش: بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية.
٩. الخطاب الإسلامى وحقوق الإنسان.
١٠. السلفيون والشيعنة نحو علاقة أفضل.
١١. المذهب والوطن: مكاشفات وحوارات صريحة.
١٢. السلم الاجتماعى مقوماته وحمايته.
١٣. السياسة النبوية ودولة اللاعنف.
١٤. علماء الدين.. قراءة في الأدوار والمهام.
١٥. العمل والفاعلية طريق التقدم.
١٦. الأحادية الفكرية في الساحة الدينية.

وغيرها من الكتب والمؤلفات، إضافة إلى مكتبة صوتية متكاملة، حيث تحوي المحاضرات الدينية كدروس تفسير القرآن، والثقافية والسياسية.

إضافة إلى مشاركته الدائمة في المنتديات والندوات والمؤتمرات، وكتابة الأبحاث ونشرها في بعض المجلات كمجلة الكلمة ومجلة الواحة ومجلة البصائر

ومجلة الحج والعمرة ومجلة المنهاج ومجلة رسالة التقريب. ونشر بعض المقالات الأسبوعية في بعض الصحف كصحيفة اليوم السعودية وجريدة الوطن الكويتية وجريدة الأيام البحرينية. إضافة إلى التزامه بصلاة وخطبة الجمعة في مدينة القطيف.

منهجه الإصلاحية:

١. التصدي لشؤون المجتمع والأمة. فالشيخ الصفار ومنذ انطلاقة الدينية في عقد السبعينات، وهو يتصدى عبر وسائل عديدة لشؤون مجتمعه ووطنه وأمته. حتى أضحي بفعل هذا التصدي، أحد زعماء المجتمع الذي يشار إليه بالبنان، فهو يلقي المحاضرات والتوجيهات الإسلامية، ويتدخل لعلاج بعض المشكلات والأزمات الاجتماعية، ويساهم في مساعدة الفقراء والمحتاجين، ويرعى ويدعم العاملين لأجل مجتمعهم وأمتهم، ويلتقي المسؤولين ورجال السياسة ليطالب بحقوق الناس وضرورة إنصافهم في شؤون الحياة المختلفة، ويفتح قلبه وعقله وينسج العلاقات الوطنية والإسلامية من أجل ما ينفع حاضر المسلمين ومستقبلهم.

فصور التصدي الذي يمارسه الشيخ الصفار متعددة ومتنوعة، إلا أن أجلى وأظهر صورة لعملية التصدي هي بناؤه ورعايته لحركة إسلامية مستنيرة، تنشط على أكثر من صعيد، وتطالب بإصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية في المملكة وبالخصوص فيما يرتبط ووضع الشيعة في المملكة العربية السعودية.

٢. التواصل والانفتاح مع النخب الدينية والثقافية، وتجاوز كل العناوين التي تعبس الإنسان ضمن أطر ضيقة.

فالشيخ الصفار ومن خلال ممارساته ومبادراته، هو أحد أعلام الانفتاح والتواصل سواء في الدائرة الإسلامية أو الدائرة الوطنية. فهو أحد المطالبين والمبادرين للتقريب

بين المذاهب الإسلامية، كما أنه في ذات الوقت أحد المطالبين والمبادرين لنسج علاقات سوية بين جميع مكونات المجتمع والوطن.

إضافة إلى سعيه المتواصل للانفتاح والتواصل مع مختلف القوى والفعاليات الدينية والثقافية والاجتماعية في المجتمع المحلي. فهو طاقة متحركة باتجاه الانفتاح والتواصل. ويعمل عبر كتاباته ومحاضراته لتأصيل هذا الخيار، وتفكيك كل العوامل المضادة إليه.

لذلك فهو يقول في أحد كتبه: «في الواقع كل التراث الإسلامى، سواء كانت المصادر عند الشيعة أو عند السنة، تحتاج إلى تنقية وغرلة، وبعضها يحتاج إلى التوثق من صحته وصدوره، وبعضها يحتاج إلى إعادة النظر في فهمنا للنص حتى على تقدير صحة النص فكيف نفهمه. فكل التراث سواء كان ما عند السنة وما عند الشيعة يحتاج لبحث، لكن اللأفت للنظر أننا نهرب من النقد الذاتى وكل واحد يوجه نقده للآخر وليس لذاته. فالشيعى ينتقد ما فى تراث أهل السنة، لكنه لا يتحلّى بالجرأة لكى ينقد تراثه هو، والسنى أيضًا ينقد ما فى تراث الشيعة ولا يتحلّى بالجرأة لينقد ما عنده هو من تراث أيضًا ويعيد النظر فيه، وفى الحقيقة كل تراثنا السنى والشيعى بحاجة إلى إعادة نظر».

٣. بناء ورعاية ومساعدة المؤسسات الاجتماعية والثقافية. حيث إنه لا يمكن لأي فردٍ وحده مهما أوتي من طاقات وقدرات متميزة، أن يفي بحاجات ومتطلبات المجتمع أو مشروع الإصلاح الدينى والثقافى. وإنما هو بحاجة إلى مشاركة جميع فئات ومؤسسات المجتمع فى هذا المشروع. لهذا فإن الشيخ الصفار ووفق رؤيته الإصلاحية، فإنه يعتنى بالتواصل والرعاية للعديد من الأنشطة والمؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية، فيعمل على تشجيعها ودعمها وتذليل العقبات من أمامها، وفتح آفاق جديدة لها. ويوظف فى سبيل ذلك كل علاقاته ومعارفه واحترامه فى المجتمع، من أجل تقوية هذه المؤسسات،

ومدّها بأسباب القوة والاستمرار.

٤. التعاون ونسج علاقات التضامن مع مختلف القوى والفعاليات. فالمجتمع بكلّ فئاته وشرائحه، يزخر بالعديد من الكفاءات والطاقات. والرؤية الإصلاحية للشيخ الصفار، تقتضي تشجيع الجميع للتعاون مع بعضهم بعضاً، والقيام ببعض الأعمال المشتركة، وإنجاز تفاهم عميق بين مختلف الأطراف والأطراف. وهو دائماً من الباذلين جهداً، في سبيل خلق تفاهم عميق بين مختلف المكونات والتعبيرات.

٥. رعاية واحتضان مجموعة من الطاقات والكفاءات التي تشترك وإيّاها في همّ الإصلاح والتغيير. فهو لا يعمل وحده، وإنما يعمل على إشراك آخرين معه في العمل.

ويقوم في سبيل إنجاح تجربة الشراكة، بالكثير من الجهود، لتذليل بعض المشكلات، وضبط بعض التوترات، وإدارة بعض التباينات.

فالمنهج الإصلاحي للشيخ الصفار، يتّجه عبر هذه الأعمال والمناشط لتعميق خيار الإصلاح والتغيير في المجتمع، ولتوسيع دائرة المطالبين بالإصلاح، والسّاعين نحو نيّله وتجسيد حقائقه في الواقع الخارجي.

من أفكاره:

١ - الإنسان أساس التنمية:

« الإنسان هو أساس التنمية، ومحور النهوض والتغيير، فلا تحدث تنمية حقيقية إلا من خلال إنسان فاعل، ولا يتحقّق تقدّم إلا عبر مجتمع ناهض، وأوطاننا ومجتمعاتنا لن تتجاوز تخلفها إلا إذا قرّر أبنّاؤها استخدامها استخدام قدراتهم وطاقاتهم في العمل والبناء، وهل ينقص إنساننا شيء. إنّه لا يقلّ ذكاءً وفطنة عن أبناء المجتمعات الأخرى، وليست مواهبه واستعداداته أضعف من الآخرين، لكن ما يحتاج إليه إنساننا هو إرادة العمل.

وإرادة العمل تعني رفض غبار الكسل والخمول، ورفض منطق التبرير والتواكل، وتحدي المشاكل والصعوبات، وتحمل المشقة والعناء. وإرادة العمل إذا ما تفجرت وأشرفت في نفس الإنسان، انعكست أشعتها وآثارها على مختلف جوانب حياته، فبها يفتق ذهنه عن الخطط والمشاريع، وينتج عقله الآراء والأفكار، وتنشط حواسه وأعضاؤه للحركة والأداء».

٢- الحرية في الساحة الدينية:

«ليس من الخطأ أن يقتنع الإنسان برأي، أو ينتمي إلى مدرسة، أو يؤمن بقيادة، أو يثق بمرجعية، كما أنه من حقه أن يعبر عن رأيه، وأن ينتصر لتوجهه، وأن يبشر بأفكاره، لكن الخطأ هو احتكار هذا الحق لنفسه وإنكاره ذلك على الآخرين. إننا في ساحتنا الدينية بحاجة إلى الاعتراف بحق الاختلاف، وتعزيز حرية الرأي، ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر. ويجب أن نرفع الصوت عالياً ضد الإرهاب والقمع الفكري، ومحاولات الهيمنة، وفرض الوصاية على عقول الناس وأفكارهم، باسم العقيدة والدين».

٣- تنمية روح التعاون في المجتمع والأمة:

«إننا بحاجة إلى ثقافة تدعو إلى التعاون، وتبشّره في جميع الأوساط والميادين، ويجب أن نفضح العوائق الفكرية والنفسية التي تعرقل مسيرة التعاون، وتوقف حركتها، وخاصة ما ينسب منها إلى الدين؛ لأنها تعني تحميل الدين مسؤولية التخلف، وأنه العائق أمام إرادة التعاون. ولكي تسود منهجية التعاون في مجتمعاتنا، ينبغي أن تنطلق المبادرات التعاونية على مختلف الصُّعد، لتتراكم التجارب، وتتوفر النماذج المشجعة. إن على كل من يؤلمه واقع العلاقات المتردية داخل الأمة، ويتطلع إلى سيادة روح التعاون والعمل الجمعي، أن يبادر بشخصه ومن موقعه، وبما يمثل من دور، لمد يد التعاون والانفتاح على الآخرين، لتحويل التطلع إلى واقع، والفكرة إلى عمل. إن على المرجع الديني الذي يدعو إلى التعاون أن يخطو باتجاه التعاون مع سائر المرجعيات الدينية. والمفكر الذي ينظر للوحدة عليه أن يطرح مشروع عمل

يشترك فيه مع المفكرين الآخرين. والسياسي الذي يُندد بحالة التشرذم والخلافات، عليه أن يقدم نفسه نموذجًا للتعاون مع الآخرين. ورجل الأعمال الذي تبهره ضخامة الشركات الأجنبية عليه أن يسعى لإقناع أمثاله باندماج مؤسساتهم الاقتصادية، وهكذا العاملون في المجال الاجتماعي والعلمي وسائر المجالات».

الصفار.. ومقاومة الخوف من التجديد:

دائمًا المجتمعات الساكنة والجامدة، تخاف من التغيير والتجديد. وهذا الخوف يتحول بفعل عمق الجمود والتكلس إلى رهاب. أي إلى مرض مجتمعي يحول دون أن يفتح المجتمع على آفاق التغيير والتجديد وموجباتهما.

وفي هذا السياق تبرز المفارقة الصارخة، التي تعيشها المجتمعات الجامدة. فهي تعيش التخلف والجمود والسكون على كل الصُّعد، وتعتمد على غيرها من الأمم والمجتمعات في كل شيء، وترضى بكلّ متواليات هذا الواقع السيئ. وفي ذات الوقت تخاف التغيير، وترفض التجديد، وتقبل العيش في ظلّ هذا الواقع السيئ..

ولعلنا لا نبالغ حين القول: إنّ الخوف من التغيير والرّهاب من التجديد، ليس خاصًا بمجتمع دون آخر، وإنّما هي من خصائص المجتمعات المتخلفة والجامدة، بصرف النظر عن أيديولوجيتها وبيئتها.. فكلّ المجتمعات الجامدة تخاف من التغيير، وكلّ الأمم المتخلفة تخشى من التجديد لمستوى الرّهاب.

من هنا فإنّ لحظة الانطلاق الحقيقية في هذه المجتمعات، تتشكل حينما تتجاوز هذه المجتمعات حالة الخوف والرّهاب من التغيير والتجديد. فحينما يكسر المجتمع قيد الخوف من التغيير والتجديد، حينذاك يبدأ المجتمع الحياة الحقيقية، التي تمكنه من اجتراف فرادته وتجربته. أما المجتمعات التي لا تتمكن لأيّ سبب من الأسباب من تجاوز حالة الرّهاب والموقف المرّضي من التجديد، فإنه سيستمر في التقهقر والتراجع على جميع الصُّعد والمستويات.. والفئات والشرائح التي لها مصلحة في

استمرار التقهقر والجمود، ستستثمر هذه الحالة المرضية وتبني عليها الكثير من المواقف والإجراءات، والتي تعمق حالة التخلف وتزيد حالة الخوف المرضي من كل آفاق ومتطلبات التغيير والتجديد.

وينقل في هذا الصدد عن التاريخ الصيني القديم، أنه في ظل سلالة هان (٢٥ - ٢٢٠ ق.م) صدر مرسوم إمبراطوري ينص على أنه لا يجوز لأي متأدب أن يطرق، بصورة شفوية أو خطية، أي موضوع لم يعينه له أستاذه. فليس يحق لكائن من كان أن يتخطى ميراث معلمه. وكل من تسوّل له نفسه أن يتعدى الحدود المرسومة يغدو مبتدعاً.

وهكذا تأسس رهاب البدعة الذي شلّ قدرة المثقفين الصينيين على التفكير كما على التخيل. فلكنّ عقولهم قد حبست في أكياس من البلاستيك حتى لا يتسرّب إليها أي جديد.

فالنزوع القهري إلى رفض التغيير والخوف من التجديد، هو حالة مرضية، تزيد من انحطاط المجتمعات، وتبقيها تحت ضغط الجمود والتخلف. ولا تقدّم لهذه المجتمعات إلاّ بإنهاء حالة الرّهاب من التغيير والتجديد.. ونحن هنا لا نقول إنّ التجديد في المجتمعات بلا صعوبات وبلا مشاكل، ولكننا نودّ القول: إنّ مشاكل المجتمعات من فعل التغيير والتجديد أهون بكثير من استمرار حالة التخلف والجمود.. وإنّ المجتمعات لم تتقدّم إلاّ حينما انخفض منسوب الخوف من التغيير والتجديد إلى حدوده الدنيا. بدون ذلك ستبقى مقولات التقدم والتجديد والتغيير، مقولات جامدة ومنفصلة عن الحياة الاجتماعية.

وهذا ما يُفسّر لنا حالة بعض المجتمعات العربية والإسلامية على هذا الصّعيد. فهي مجتمعات مليئة في الإطار النظري بمقولات التقدم والحرية والتجديد، إلاّ أنّ واقعها الفعلي، أي واقع النخب وأغلب الشرائح والفئات الاجتماعية، تتوجّس خيفة من هذه المقولات، وتنسج علاقة مرضية مع مقتضيات التقدم والحرية والتجديد.

فتجد الإنسان يصرخ ليل نهار باسم التغيير والتجديد، إلا أنه في ذات الوقت يقف موقفاً سلبياً من كلِّ الوقائع الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تنسجم ومقولة التغيير والتجديد، فتتضخم لديه الخصوصيات إلى درجة إلغاء مقولة التجديد.. فهو باسم الثابت يحارب المتغيرات، وباسم الخصوصية يحارب التجديد، وبعنوان عدم التماهي مع الآخر الحضاري يقف ضدَّ كلِّ نزعات التغيير والتجديد. فهو على الصَّعيد النظري، جزء من مشروع الحلِّ، إلا أنه على الصَّعيد الواقعي، جزء من المشكلة والمأزق. وكلِّ ذلك بفعل رهاب التجديد والتغيير. وهي عناوين ومقولات لا يكفي التبجح بها، وإثما من الضروري الالتزام النفسي والعقلي والسلوكي بمقتضياتهما ومتطلباتهما. وهنا حجر الزاوية في مشروعات التجديد في كلِّ الأمم والمجتمعات.

لهذا من الضروري لأيِّ إنسان ومجتمع، أن ينسج علاقات جدلية ونقدية مع مقولاته وشعاراته، حتى لا تتحول هذه المقولات والشعارات إلى أفانيم مقدَّسة، تحارب التجديد في العمق والجوهر، وهي تنبأه في المظهر.

ويبدو من خلال التجارب الإنسانية المديدة، أن المجتمعات تتمايز على هذا الصَّعيد في هذه المسألة.. فكلُّ المجتمعات تصدح بضرورة التطوير والتجديد والتغيير، إلا أن هناك مجتمعات تخاف حقيقة من التجديد، لذلك فهي على الصَّعيد الواقعي تحارب كلِّ ممارسة تجديدية. فالتمايز يكون بين المجتمعات، بين مجتمعات ترفع شعار التجديد وتلتزم كلِّ مقتضياته ومتطلباته. ومجتمعات ترفع شعار التجديد دون التزام كلِّ المتطلبات.

ولعلَّ من أهمِّ الأسباب لهذا التمايز بين القول والممارسة هو في الخوف من التجديد والرهاب من التغيير. صحيح أن هذه المجتمعات ترفع شعار التجديد، إلا أنها على الصَّعيد النفسي والثقافي تخاف من المقتضيات والمتطلبات. فهي مع التجديد الذي لا يتعدى أن يكون شعاراً فحسب، أما التجديد الذي يتحول إلى مشروع عمل وبرامج عملية متكاملة، فهي ترفضه وتخاف منه. وأيِّ مجتمع لا يتحرَّر من



رهاب التجديد، فإنه لن يتمكن على المستوى الواقعي من الاستفادة من فرص الحياة ومكاسب الحضارة الحديثة.

ولكي تتحرر مجتمعاتنا من رهاب التجديد والتغيير، من الضروري التأكيد على النقاط التالية:

■ إنَّ التجديد والتغيير في المجتمعات الإنسانية، لا يحتاج فقط إلى توفر الشروط المعرفية والثقافية والسياسية، وإنما من الضروري أن يضاف إلى هذه الشروط، شرط الاستعداد النفسي والعملي لدفع ثمن ومتطلبات التجديد في الفضاء الاجتماعي. وبدون توفر هذا الشرط، لن تتمكن المجتمعات من ولوج مضمار التجديد. لأنَّ التجديد بحاجة إلى جهد إنساني متواصل، واستعداد نفسي مستديم لإنتاج فعل التجديد والتغيير في الواقع الاجتماعي. والاستعداد النفسي الذي نقصده في هذا السياق، ليس ادعاءً يُدعى، وإنما هو ممارسة سلوكية، تحتضن وتستوعب كلَّ شروط التجديد، وتعمل على تمثيل وتجسيد متطلباته في الذات والواقع العام.

فطريق التجديد في مجتمعاتنا، ليس معبداً أو سهلاً، وأمامه العديد من الصعوبات والمآزق، وبدون الاستعداد النفسي والعملي لدفع ثمن التجديد والتغيير، لن تتمكن مجتمعاتنا من القبض على حقيقة التجديد والتغيير. فالمطلوب دائماً وأبداً ومن أجل الاستيعاب الدائم لمكاسب العصر والحضارة الحديثة، هو توفر الجهد الإنساني الموازي لطموحاتنا وتطلعاتنا. وبدون ذلك ستصبح دعوات التجديد في أيِّ حقل من حقول الحياة وكأنها حرث في البحر. وعليه، فإنَّ التجديد في المجتمعات الإنسانية، يتطلب وجود مجددين، يجسّدون قيم ومبادئ التجديد، ويعملون من أجل بناء حقائق ووقائع في الحياة الاجتماعية منسجمة وقضايا التجديد ومتطلباته.

■ إنَّ قانون التغيير والتجديد في المجتمعات الإنسانية، لا يعتمد على قانون المفاجأة أو الصدفة، وإنما على التراكم. فالتجديد يتطلب دائماً ممارسة

تراكمية، بحيث تزداد وتتعمق عناصر التجديد في الواقع الاجتماعي. ولهذا ومن هذا المنطلق فنحن مع كل خطوة أو مبادرة صغيرة أو كبيرة، تعمق خيار التجديد وتراكم من عناصره في الفضاء الاجتماعي. وفي المحصلة النهائية فإنّ التجديد هو ناتج نهائي لمجموع الخطوات والمبادرات والممارسات الإيجابية في المجتمع.

ويشير إلى هذه الحقيقة المفكر العربي (جورج طرابيشي) في كتابه (هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية) بقوله: والواقع أنّ قانون الترابط بين حركة الإصلاح الديني والتقدم الثقافي دّل على فاعلية نموذجية في الدول الصغيرة الحجم في المقام الأول. وتلك هي حالة السويد التي كانت أول بلد في العالم يطور برنامجاً شاملاً لمحو الأمية. فانطلاقاً من فكرة لوثر البسيطة القائلة إنّ جميع المسيحيين بلا استثناء كهنة، وبما أنّ الكاهن هو بالتعريف في تصوّر بشر ما قبل الحداثة من يعرف القراءة، بات واجباً على البشر، كي يكونوا كهنةً، أي محض مسيحيين، أن يتعلموا القراءة.

وعلى العكس من الكنيسة الكاثوليكية التي عارضت وصول العامة إلى النصوص المقدّسة، شجعت الكنائس البروتستانتية أهالي المدن والأرياف على السّواء على تعلم القراءة. ومنذ مطلع القرن السابع عشر أطلقت كنيسة السويد اللوثرية، بمساندة من الدولة، حملاتٍ واسعة النطاق لمحو الأمية. وفي أقلّ من قرن، كان ثمانون في المئة من السكان، في ذلك البلد القروي، قد أضحوا من المتعلّمين. وما إنّ أطلّ القرن الثامن عشر حتى كان تعميم التعليم في السويد قد أضحى ظاهرة جماهيرية ناجزة، وهذا بدون وجود شبكة موازية من المدارس والأجهزة التربوية.

من خلال هذه التجربة نرى أهمية أن تترجم دعوات التجديد والتغيير إلى خطط وبرامج ومبادرات، حتى يتسنى للمجتمع اكتشاف بركات ومنافع التجديد على المستويين الخاصّ والعام.

وجماع القول: إنَّ التجديد في مجتمعاتنا ضرورة قصوى. ولكن هذا لا يعني أنَّ طريق التجديد سالك ومعبّد وبدون مشاكل، بل على العكس من ذلك حيث إنَّ طريق التجديد والتغيير مليء بالأشواك والصّعب. والشرط الضروري الذي يوفّر لنا إمكانية تجاوز كلّ هذه العقبات وإبراز منافع التجديد والتغيير هو إنهاء حالة الرهاب والخوف من التجديد.

والشيخ الصفار من أبرز المصلحين المعاصرين، الذي عمل عبر محاضراته وخطاباته ومؤلفاته، ومواقفه الفكرية والسياسية، على كسر حاجز الخوف عند المجتمع، ودفعهم نحو المشاركة وتحمل المسؤولية، بعيداً عن الجمود أو الرهاب من الجديد. وقد أَلّف كتاباً في نهاية عقد الثمانينات الميلادية، أطلق عليه عنوان (كيف نقهر الخوف) أراد أن يقول من خلال نصّ الكتاب، إنَّ المجتمع الذي ينشد التقدم والتغلب على مشاكله وأزماته السياسية والاقتصادية والحضارية، فإنه لن يتمكن من ذلك، إلا بقهر الخوف وتجاوز كلّ موجباته وتفكيك كلّ عوامله وأسبابه.

فالتقدم الحضاري للمجتمعات، لا يمكن أن يتحقق إلا بإنهاء حالة الخوف بكّل أشكالها ومستوياتها. لذلك نجد أنّ الشيخ الصفار يُعبّر في أحد نصوصه الموسوم بـ (الآحادية الفكرية في السّاحة الدينية)، بأنَّ التجديد هو قضيته الجوهرية والدائمة. إذ يقول: «التجديد في الفكر الإسلامي حالة حصلت في السّاحة الإسلامية عند كلّ المذاهب. فالإسلام كإسلام لا يتغيّر، لكن فهم المسلمين للإسلام في بعض الحقب والظروف قد يتخلف عن مسايرة التطور الفكري والاجتماعي، وتتراكم عليه مجموعة من الأفكار والتصورات التي تعبّر عن فهم متخلف من قبل بعض المسلمين، ولكنهم ينسبونّها إلى الإسلام، لكن يحتاج الفكر الإسلامي، بل والإنساني بشكل عام بين فترة وأخرى إلى نوع من الانتفاضة أو الهزّة أو إلى إزالة ما تراكم عليه من غبار، ودفعه لمسايرة التطور الذي يحدث في حياة المجتمع وحياة البشر، وهذه الحالة توجد في مختلف المدارس الفكرية والدينية وعلى الصّعيد الإسلامي، وكلّ المذاهب الإسلامية

أيضًا في الحالة الإيجابية تعيش مثل هذه الحالة (حالة التجديد)».

ويضيف في نفس الكتاب: «إنني أعدّ هذه القضية منطلق نشاطي وتحركي، فقد نشأت في بيئة دينية محافظة، ورأيت أقراني من الشباب معرضين عن الدين وعن الحالة الدينية، وهناك من استقطبته الاتجاهات المادية الوافدة، فانضموا إلى الأحزاب اليسارية من شيوعية وبعثية وقومية مختلفة كانت موجودة آنذاك، وهناك من عاشوا حياة اللامبالاة، فلا يهتمون بالجانب الديني ولا بالجانب الاجتماعي، ويمارسون التدين ممارسة تقليدية عادية، في حين تخلى البعض حتى عن هذه الممارسة وهم كثيرون.

وفي مثل هذه الأجواء بدأت أفكر أنه لا يمكن أن يكون الخلل في الدين ذاته، كما لا يمكن أن تتهم هؤلاء الشباب بأن لديهم خبثًا أو مرضًا أو انحرافًا طبيعيًا ذاتيًا، فليست المشكلة في الدين، ولا في الناس ولا في الشباب، إنما المشكلة فيما يعرض من الدين، وفي طريقة عرض الدين.

لذلك بدأت أتوجه إلى التجديد في طرح الدين، والتجديد في فهم الناس للدين. وبدأت بنفسي أولاً فحاولت أن أتعرّف إلى حقيقة الدين، وهل الدين هو نفسه السائد عند آبائنا وأمهاتنا وفي الأجواء التي نراها أمامنا؟ أو أن هناك شيئاً أعمق وأصدق وأقرب إلى حقيقة الدين؟».

ولا يمكن أن يتم تجاوز حالة الرهاب من التجديد أو القبض على حقائق الإصلاح والتجديد إلا بالنقاط التالية:

■ تأصيل قيم الحرية والتعددية في المجتمعات العربية والإسلامية، وذلك ليس من أجل تشريع الفوضى والانقسام في جسم الأمة، وإنما من أجل تحقيق الوحدة والتعايش بين جميع المكونات والتعبيرات على قاعدة الحرية والاحترام والمتبادل والتعايش الحضاري.

ويقول الشيخ الصفار في هذا السياق في كتابه الموسوم بـ (التنوع والتعايش -

بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية): «إن أول خطوة تضعنا على طريق التنمية والتقدم، هي امتلاك إرادة التعايش والقدرة على تحقيقه. فإذا ما اعترف بعضنا ببعض، واحترم كل واحد منا الآخر، وأقر بشراكته ودوره، حينئذٍ يمكننا العمل معاً لتجاوز حالة التخلف العميق والانطلاق نحو أفق الحضارة الواسع. إن المسافة بيننا وبين ركب الحضارة والتقدم بعيدة شاسعة، ونحتاج إلى بذل أقصى الجهود، وتفعيل كل الطاقات والقدرات، حتى نقطع شوطاً من ذلك الطريق الطويل. والتنمية تحدّ صارخ، حتى للأقطار التي تنعم بالسلام والاستقرار، كما أنّ هناك سباقاً عالمياً محموماً بين الدول الصناعية والمتقدمة نفسها، كما هو واضح اليوم بين أمريكا واليابان.

إننا لو تحرّكنا ومشينا بالسرعة نفسها التي يمشي بها الآخرون، لما استطعنا اللحاق بهم؛ لوجود مسافة كبيرة فاصلة، فمن يقطع أمامك ألف كيلومتر ويسير بسرعة ١٢٠ كلم في الساعة، لن تدركه أبداً إذا مشيت أنت بالسرعة نفسها، بل لا بُدّ لك من مضاعفة السرعة، لعلك تعوّض ما فاتك من المسافة التي قطعها أمامك.

يبدّ أنّ واقع التنافر والاحتراب الداخلي يعوق أيّ محاولة للنهوض والإقلاع، فشعوبنا كسائر المجتمعات البشرية، تنوع ضمنها الاتجاهات، وتتعدّد الانتماءات، دينياً وقومياً وسياسياً، لكنّ مشكلتنا أنّ كل اتجاه أو انتماء يعيش القلق من الآخرين في محيطه، حيث تسود أجواءنا حالة من الشك والارتياب تجاه بعضنا بعضاً، وهو ما يدفع كل طرفٍ للحذر من الآخر، والاستعداد لمواجهة، والعمل على إضعافه، فيحول بيننا وبين التعاون الجادّ المخلص، بل ويوجّه طاقاتنا نحو الهدم بدل البناء.

إنّ أذهاننا وأفكارنا مشغولة بمعاركنا الداخلية، وإنّ الجزء الأكبر من إمكاناتنا تستنزفه تلك المعارك».

ويضيف: «إنّ جروح الاحتراب الداخلي لا تزال تنزف من جسم أمتنا الإسلامية في أكثر من مكان، وبدرجات متفاوتة. وذلك يؤكّد ضرورة التوافق على مبدأ التعايش، والقبول بالآخر ومشاركته، بدلاً من التفكير في إلغائه أو تجاهله أو تهيمشه». ومفهوم

التعايش الذي يبلور الشيخ الصفار معالمه وحدوده، لا يساوي التنازل عن الثوابت أو الميوعة في التزام المبادئ والقيم وإنّما يعني «أنّ يعترف كلّ طرف للآخر بحقّه في التمسك بقناعاته ومعتقداته، وممارسة شعائره الدينية، والعمل وفق اجتهاداته المذهبية، ويتعامل الجميع كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات، متعاونين لتحقيق المصلحة العامة ومواجهة الأخطار المشتركة».

■ رفض كلّ أشكال الوصاية الفكرية وتأصيل حرية الرأي والاختيار. فالله سبحانه وتعالى لم يشرع لأحد أن ينزع حرية أحد، أو يضطّطه بسبب قناعاته وأفكاره. فالناس سواسية ولهم كامل الحقّ والأهلية للتعبير عن ذواتهم وأفكارهم.

ويوضح الشيخ الصفار رؤيته حول رفض الوصاية الفكرية بقوله: «لقد عانى الإنسان ولا زال يعاني من نوعين من محاولات الاستعباد والتسلط: استعباد لجسمه يقيّد حركته ونشاطه، وتسلط على فكره يصادر حرية رأيه، وحقّه في التعبير عنه.

وإذا كانت مظاهر الاستعباد المادي قد تقلّصت، فإنّ ممارسات الوصاية الفكرية لا تزال واسعة النطاق، خاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

وتعني الوصاية الفكرية: أنّ جهة ما تعطي لنفسها الحقّ في تحديد ساحة التفكير أمام الناس، وتسعى لإلزامهم بأرائها وأفكارها عن طريق الفرض والهيمنة.

ومن أبرز مظاهر الوصاية الفكرية ما يلي:

١. فرض الرأي على الآخرين بالقوة، ومصادرة حريتهم في الاختيار.
٢. النيل من الحقوق المادية والمعنوية للآخرين بسبب اختياراتهم الفكرية.
٣. الاحتقار وسوء التعامل مع ذوي الرأي الآخر».

ويضيف: «إنّ اعتقاد الإنسان بصواب رأيه، وإخلاصه لذلك الرأي، ورغبته في اتباع الآخرين له، كلّ ذلك أمر مشروع، ولكن ليس عبر الفرض والوصاية، وإنّما عن طريق إقناع الآخرين بذلك الرأي، ومن يرفض الاقتناع فهو حرٌّ في اختياره، محقّاً كان



أو مبطلاً، وليس من العقل والمنطق إجباره».

و «إن الطريق المشروع والنهج الصحيح لنشر أيّ فكرة ومبدأ، هو عرضها بأحسن بيان، والدعوة إليها بالمنطق والبرهان، والجدال عنها بأفضل أساليب التخاطب مع العقول والنفوس، وذلك هو النهج الإلهي الذي قرّره القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. كذلك فإنّ مواجهة الأفكار الباطلة، والآراء الخاطئة، يكون بنقدها ومناقشتها، وتبسيط الأضواء على مكامن انحرافها، ونقاط ضعفها».

٤. تأصيل قيم الانفتاح والتواصل بين جميع المكونات والتعبيرات. ويقدم الشيخ الصفار مجموعة من المقترحات في هذا السياق. إذ يقول: «إنّ ساحة الأمة، وبخاصة في هذا العصر الذي تشتد فيه التحديات، وتتسم أجواؤه بالانفتاح المعرفي، بحاجة إلى مبادرات جريئة لكسر حالة الجمود والقطيعة على الصّعيد العقدي معرفياً، وتوفير فرص التواصل العلمي، وعرض الآراء والأفكار بموضوعية وإنصاف، ويمكن أن تكون المقترحات التالية سبيلاً للتواصل:

١. إنشاء كلية لدراسة العقائد وعلم الكلام المقارن على نسق دراسة علم الفقه المقارن.

٢. تشكيل مؤسسة علمية إسلامية، تهتم بالدراسات والبحوث العقدية، بمشاركة علماء ومفكرين يمثلون مختلف المدارس الكلامية في الأمة، على غرار مجمع الفقه الإسلامي. ونتمنى تكرار التجربة الرائدة لمجمع الفقه الإسلامي التي سبقت الإشارة إليها: من تكليف ممثلي كلّ مذهب بتقديم رأي مذهبهم على صعيد القواعد الأصولية والفقهية، نتمنى حصول مثل ذلك على الصّعيد العقدي أيضاً، بأن يقدم العلماء من كلّ مذهب آراءهم العقدية والكلامية بأسلوب علمي موثّق، ليكون ذلك هو المصدر

والمرجع المعتمد لدى الآخرين عنهم.

٣. إصدار مجلة متخصصة ببحوث علم الكلام والدراسات العقديّة، تفتح على مختلف التوجّهات، بنشر كتاباتها العلمية، وإجراء الحوارات مع شخصياتهم المعرفية.

٤. عقد مؤتمرات تخصّصية تناقش قضايا العقيدة وعلم الكلام، تشارك فيها مختلف المدارس، ويبحث كلّ مؤتمر قضية محدّدة، مثلاً: مسألة العصمة، أو القضاء والقدر، أو أسماء الله وصفاته، أو الإمامة. وكذلك بحث المسائل الجديدة في علم الكلام كالتعددية الدينية، والعلاقة بين الدين والعلم، والهرمونيك أو تفسير النصوص».

٥. تجذير قيم النقد والمحاسبة في المجتمعات العربية والإسلامية، وينبغي ألا نخاف من ممارسة النقد لذواتنا وتاريخها، ولا بُدّ من الابتعاد عن كلّ الحالات النرجسية التي ترفض مساءلة الذات أو مراقبة أدائها في أيّ حقلٍ من حقول الحياة.

ويعبّر الشيخ الصفار عن هذه الحقيقة بقوله: «إننا بحاجة إلى شجاعة أدبية وجرأة موضوعية لتشخيص مواقع الخطأ، كما نشيد بمواقع القوة ونفخر بها في تاريخنا المجيد. ولا يعني ذلك أن نستغرق في مشاكل التاريخ الماضي، ولا أن ننشغل بالخلاف حول أحداثها، ولا أن نعمن في جلد الذات، ولكن تقديس الذات وتبرئتها وتمجيد كلّ ما سلف وسبق هو حالة سلبية خاطئة.

إننا نفصل بين واقع الاستبداد في تاريخ الأمة وطبيعة تعاليم الإسلام وإنسانية قيمه وتشريعاته، كما ندرك أنّ أعلام الأمة الصالحين من الفقهاء والمفكرين كانوا مخالفين لمسيرة الظلم بل كانوا ضحايا لها في غالب الأحيان، لذلك فإننا لا ندين كلّ تاريخ الأمة وإنّما ندين ما يستحق الإدانة، قصرت مساحته أو غلبت. والتقديس المطلق والتنزيه التبريري العاطفي هو نوع مرفوض من خداع الذات».



عالم الدين الشيخ حسن الصفار يزور الحسينية الحديرية ردًا على الاعتداء الإرهابي عليها*

زار عالم الدين الشيخ حسن الصفار الحسينية الحديرية في سيهات بالسعودية، وذلك بعد العمل الإرهابي الذي استهدفها أمس الجمعة (١٦ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٥) وأسفر عن استشهاد ٥ أشخاص.

وأوردت عدد من الحسابات على «تويتر» صورًا للصفار في الحسينية.

الوسط

موسسة صحفية مستقلة

العدد: 4786 | الأحد 25 الثامن 2015 الموافق 11 محرم 1437 هـ

الشيخ الصفار: التصريحات الشيعية التوسعية تفرق الغطاء لطلب حذره



وقال رجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار إن التصريحات الشيعية التوسعية تفرق الغطاء لطلب حذره والصادر عن رجل دين شيعي سعودي ضد أهل البيت باتت تمنح المبرر الشرعي للاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة في مسجد الرقة بمدينة القطيف شرق السعودية في التاسع من محرم 1437 هـ الموافق 23 الثامن الأول 2015.

وقال الشيخ الصفار بقوله نعم بدأت بعض الرموز الشيعية المحلية الكفيرة التي ارتدت حولها طوفان هجاء المسلمين التوسعة لترسم خطوطها وخطواتها بمسارات غير جيدة.

وقال أمام حشد من المصلين إن التصريحات الشيعية التوسعية باتت تفرق الغطاء لطلب حذره والصادر عن رجل دين شيعي سعودي ضد أهل البيت باتت تمنح المبرر الشرعي للاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

وأرجع الشيخ الصفار عن عدم استغرابه في ظل أجواء التخوين المطلق من وقوع اعتداءات مقلقة على غرار الهجوم الإرهابي الذي سقط في مدينة نجران في السعودية الجنوبية في سنوات قبل أيام.

وحذ الصفار الجهات المسيئة على عدم الصبر والاعتدال في تمسك الاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

وقال إن حكومات المنطقة هي المسئولة عن وضع حد للاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

حرب قارة

وقال الشيخ الصفار إن السعودية في حاجة إلى مراجعة الإيماء والخلف "ما يكفينا تقارن بين الهجوم على مكة المكرمة بمسألة الأمانة التي تقطنها أهل الأمان".

وأشار إلى أن العرب من الحكومات هي المسئولة بالدرجة الأولى عن وضع حد للاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

وقال "بعض الحكومات الشيعية أن لا تفرق بينها وبين فرقنا الصراخ وان لا تستمر في صب الزيت على نيران هذه الحرب القارة التي لا تنتهي".

وأشار إلى أن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وأشار إلى أن العرب من الحكومات هي المسئولة بالدرجة الأولى عن وضع حد للاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

وقال "بعض الحكومات الشيعية أن لا تفرق بينها وبين فرقنا الصراخ وان لا تستمر في صب الزيت على نيران هذه الحرب القارة التي لا تنتهي".

وأشار إلى أن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وأشار إلى أن العرب من الحكومات هي المسئولة بالدرجة الأولى عن وضع حد للاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

وقال "بعض الحكومات الشيعية أن لا تفرق بينها وبين فرقنا الصراخ وان لا تستمر في صب الزيت على نيران هذه الحرب القارة التي لا تنتهي".

وأشار إلى أن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وأشار إلى أن العرب من الحكومات هي المسئولة بالدرجة الأولى عن وضع حد للاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

وقال "بعض الحكومات الشيعية أن لا تفرق بينها وبين فرقنا الصراخ وان لا تستمر في صب الزيت على نيران هذه الحرب القارة التي لا تنتهي".

وأشار إلى أن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وأشار إلى أن العرب من الحكومات هي المسئولة بالدرجة الأولى عن وضع حد للاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

وقال "بعض الحكومات الشيعية أن لا تفرق بينها وبين فرقنا الصراخ وان لا تستمر في صب الزيت على نيران هذه الحرب القارة التي لا تنتهي".

وأشار إلى أن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وأشار إلى أن العرب من الحكومات هي المسئولة بالدرجة الأولى عن وضع حد للاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

وقال "بعض الحكومات الشيعية أن لا تفرق بينها وبين فرقنا الصراخ وان لا تستمر في صب الزيت على نيران هذه الحرب القارة التي لا تنتهي".

وأشار إلى أن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وأشار إلى أن العرب من الحكومات هي المسئولة بالدرجة الأولى عن وضع حد للاعتداءات الإرهابية التي تستهدف المسلمين السنة في دول الخليج والشرق الأوسط.

وقال "بعض الحكومات الشيعية أن لا تفرق بينها وبين فرقنا الصراخ وان لا تستمر في صب الزيت على نيران هذه الحرب القارة التي لا تنتهي".

وأشار إلى أن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

وقال إن الحكومات الشيعية التي ترسلت في العراق الإسلامية قبلها أن لا تصبح أذنان الصابون حتى تترك المصلين المسلمين.

الشيخ الصفار: التصريحات الدينية المسيئة للشيعية توفر الغطاء للإرهاب ضدهم*

قال رجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار إن التصريحات الدينية المسيئة الصادرة عن رموز دينية سعودية ضد أتباع أهل البيت باتت تمنح المبرر والغطاء الشرعي للاعتداءات الإرهابية ضد المواطنين الشيعة.

جاء ذلك خلال حديث الجمعة في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية في التاسع من محرم 1437 هـ الموافق 23 أكتوبر/ تشرين الأول 2015.

وانتقد الشيخ الصفار بشدة تصريحات بعض الرموز الدينية المحلية الكبيرة التي درجت سنوياً على مهاجمة إحياء المسلمين الشيعة لمراسم عاشوراء وأطلقت بحقهم توصيفات غير لائقة.

وقال أمام حشد من المصلين إن التصريحات الدينية المسيئة لأتباع أهل البيت باتت تمنح المبرر وتوفر الغطاء الشرعي للاعتداءات الإرهابية ضد المواطنين الشيعة، مستغرباً إطلاق هذه التصريحات في الوقت الذي يأخذ الإرهاب المحلي طابعاً طائفياً مع سلسلة الاعتداءات التي استهدفت المواطنين الشيعة وراح ضحيتها عشرات الشهداء الأبرياء.

* صحيفة الوسط البحرينية العدد: 4796، الأحد 25 أكتوبر 2015 الموافق 11 محرم 1437 هـ.

وأعرب الشيخ الصفار عن عدم استغرابه في ظلّ أجواء الشحن الطائفي من وقوع اعتداءات منفلة على غرار الهجوم الإرهابي الذي سقط فيه خمسة شهداء في الحسينية الحيدرية في سيهات قبل أيام.

وحثّ الصفار الجهات السياسية على لجم الأصوات الطائفية إذا لم تكن الأخيرة تدرك خطورة الأوضاع الراهنة. معرباً عن أسفه إزاء غياب الإرادة السياسية التي تضع حداً للتوجّهات الطائفية.

وقال إنّ حكومات المنطقة هي المسؤولة عن وضع حدّ للاحتراب في المنطقة من خلال الحوار والتفاوض متى ما توفرت الإرادة السياسية.

حرب قدرة

وقال الشيخ الصفار إنّ السعودية في حاجة إلى مواجهة الإرهاب والعنف «وهذا يقتضي تضافر كلّ الجهود لعدم إتاحة الفرصة لصناعة الأرضية التي تنطلق منها أعمال الإرهاب».

وفيما أعرب عن اعتقاده أنّ الحكومات هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن وضع حدّ للاحتراب الطائفي، دعا في الوقت عينه المؤسسات الدينية إلى النأي عن التحول إلى وقود للاحتراب في المنطقة.

وقال «ينبغي للجهات الدينية ألاّ ترضى لنفسها أن تكون وقوداً لهذا الصراع وألاّ تستمرّ في صبّ الزيت على نار هذه الحرب القدرة في بلاد المسلمين».

وأضاف بأنّ القيادات الدينية إذا لم تستطع أن توقف الاحتراب في البلاد الإسلامية فينبغي ألاّ تصبح أداة لصبّ الزيت على نار الفتنة بين المسلمين.

ودعا الرموز الدينية إلى نزع التصنيفات الطائفية التي تنبذ المسلمين تبعاً لانتماءاتهم المذهبية من قبيل النواصب والروافض وغير ذلك، معللاً أنّ هذه التوصيفات «تكرّس الحالة الطائفية للنزاع».

وقال إن النزاعات المشتعلة في بلاد المسلمين من أفغانستان إلى شمال أفريقيا مردها إلى انتشار مجموعات إرهابية لها أغراضها ولا علاقة لها بالسنة ولا الشيعة. وأضاف أن السياسيين المستبدين غالباً ما يوظفون الشعارات الدينية لاستقطاب المقاتلين المناصرين الأكثر شراسة وعنفاً.

وحث على النأي عن الجدل المذهبي العقيم والعبثي القائم منذ ١٤٠٠ سنة. قائلاً إن هذا الجدل بات يستغل ويوظف سياسياً لصبّ المزيد من الزيت على نار الاحتراب الطائفي.

وأشاد الشيخ الصفار بمواقف المؤمنين الذين واطبوا على حضور المجالس الحسينية لإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين رغم الهجمات الدموية والتهديدات الإرهابية المتواصلة باستهدافهم.

وثنى مواقف الجهات الأمنية التي تقوم بواجبها في تنفيذ انتشار أمني ملحوظ لتأمين سائر المنطقة في أعقاب اعتداء سيئات.

وشدد على أن الإرهاب لن يفلح في ثني الشيعة عن إقامة شعائرهم الدينية التي ورثوها عن أئمتهم لا بالقوة ولا بالإرهاب والعنف.



الشيخ الصفار في استقباله للدكتور الرباعي:

تجديد الفكر والخطاب الديني مهمة جميع الواعين

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن مهمة تجديد الفكر والخطاب الديني ليست محصورة في المؤسسة الدينية، وإن كان لعلماء الدين الدور الأساس فيها، لكن ما تعانيه المؤسسة الدينية من حالة ركود وجمود، وتأثر بالضغوط المختلفة الشعبية والرسمية، يجعلها عاجزة عن إنجاز هذه المهمة، مما يستلزم تضافر جهود الواعين من أبناء الأمة من مفكرين ومثقفين وإعلاميين وناشطين اجتماعيين وكل من يحمل هم الدين والمجتمع، للدفع والتحفيز والمبادرة باتجاه التجديد في الفكر والخطاب الديني، ودعم التوجهات الإصلاحية في وسط علماء الدين، هذه التوجهات التي تواجهها ضغوط شديدة من داخل المؤسسة وخارجها.

جاء ذلك في حوار سماحته مع الدكتور علي بن محمد الرباعي مدير مكتب جريدة عكاظ في منطقة الباحة وأحد كتابها البارزين. الذي زار الشيخ الصفار في مكتبه بالقطيف مساء يوم الأحد ١٩ محرم ١٤٣٧ هـ الموافق ٢ نوفمبر ٢٠١٥ م.

وقد رحّب الشيخ الصفار بضيفه الكريم مشيداً باهتماماته الفكرية وبجرأته النقدية، مؤكداً على حاجة الساحة الوطنية لتعزيز مشروعية النقد وحرية الرأي والفكر، لتجاوز هيمنة الاتجاه الواحد الذي يدّعي لنفسه احتكار الدين وامتلاك الحقيقة المطلقة.

من جهته أبدى الدكتور علي الرباعي اهتمامه بمتابعة الحراك الثقافي في محافظة القطيف، واستعرض بعض الإشكاليات المتعلقة بمهمة تجديد الفكر والخطاب

الديني، معتبراً ذلك من الأولويات التي يجب أن تشغل بال كل مثقف غيور على مصلحة الدين والوطن، وأنّ العوائق أمام حركة التجديد والنقد أصبحت أضعف وأقلّ قياساً بالفترة القريبة الماضية.

وأجرى مع الشيخ الصفار حواراً ثقافياً صحفياً نشر في جريدة عكاظ يوم الأحد ٢٤ صفر ١٤٣٧هـ الموافق ٠٦ ديسمبر ٢٠١٥م، كما اصطحبه الشيخ الصفار في جولة على أرجاء مكتبته العامرة، شاكرًا لضيافته العزيزة لزيارته الكريمة.



الوسط

شعبية سياسية مستقلة

العدد: 4809 | السبت 07 نوفمبر 2015 الموافق 24 محرم 1437هـ



صدر عالم الدين الشيخ حسن الصفار عن الانخداع بالدعاوى التي تتظاهر عن الدين والعقيدة، فيما تكمن وراءها أغراض ومصالح سياسية.

جاء ذلك خلال خطبة أمس الجمعة (6 نوفمبر) تشرين الثاني (2015) في مسجد الرسة بمدينة القطيف شرق السعودية.

ودعا الشيخ الصفار إلى التزام الحذر وعدم الانخداع بالدعاوى التي تتظاهر بالدفاع عن الدين والعقيدة، فيما تكمن وراءها أغراض ومصالح سياسية.

وأعرب صفار عن اعتقاده أن بعض الأعراف المهمة تحتاج أذرع الحرف واستئناف الناس من حولها.

وقال أمام حشد من المصلين إن إثارة العواطف الدينية هي أفضل طريق يتأذى إليه بعض المفسد الإتياع وتحصيل المكسب.

ورفض الصفار ما وصفه بالتخيل المذهبي لتسرعات والخلافت، الذي يذهب إلى الطعن في العقيدة النبوية للأهلين وتحميلها المسؤولية عن كثرة أذى الناس لا وجه دينها.

وتلقت الحشود الخطابية المشوية والكثيرة التي تنحو إلى أسباع الوجه الخدي على الخلافات السياسية التي لا يكون وراءها الغرض من وراءها.

وحتى يقول أن توظيف الدين توظيفاً سياسياً ما يأتي نتيجة التوسع والمصالح السياسية.

وحث الصفار على تجديد الإيمان الديني وتوجيهه في الإجابة نحو التعاضد والحيمة وبناء وتقدم الأبحاث، ورفض في الأثر الإيمانية وتكلم بحسب الله.

وقال إن التمسك بالدين هو الذي يمس المشاعر الإنسانية في نفسه تجاه كل الناس "إن كانوا في الدين والهدى... فجميعهم أحرار في الأضواء والسياسة وتكلم بحسب الله".

وأضاف بأن صورة الإيمان الديني إلى عقيدة من العقائد لا ينبغي أن يكون سياسياً كراهية ومشاعر الغداء بين الإنسان وأهله الإنسان.

ورفض الصفار خلف التناقض الذي تحت مبرر الرد على استغزات الأهلين.

وقال الصفار أنه مهما كانت العروة الغليظة كبيرة وتعرف معها الظهور إلا أن رضا الله أهم من حشد الإتياع وهو أهم من كسب المشاعر والعواطف من خلال التوسع العيني.

الصفار يحذر من الانخداع بالتأجيج تظاهراً بالدفاع عن الدين*

حذر عالم الدين الشيخ حسن الصفار، من الانخداع بالدعاوى التي تتظاهر بالدفاع عن الدين والعقيدة، فيما تكمن وراءها أغراض ومصالح سياسية.

جاء ذلك خلال خطبة أمس الجمعة (٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥) في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

ودعا الشيخ الصفار إلى التزام الحذر، وعدم الانخداع بالدعاوى التي تتظاهر بالدفاع عن الدين أو المذهب، وتذهب بعيداً في التأجيج الطائفي، والتحريض المذهبي لأغراض سياسية.

وأعرب صفار عن اعتقاده: أن بعض الأطراف المهمة، تلجأ لزراعة الخوف، وإثارة القلق في الأوساط المحيطة بها، لغرض تحشيد الأتباع وزيادة اصطفاف الناس من حولها.

وقال أمام حشد من المصلين: إن إثارة العواطف الدينية هي أفضل طريق يلجأ إليه البعض لحشد الأتباع وتحصيل المكاسب.

ورفض الصفار ما وصفه بالتحليل المذهبي للصراعات والخلافات، الذي يذهب إلى الطعن في العقائد الدينية للأخرين: وتحميلها المسؤولية عن نشوء أي نزاع سياسي

لا وجه دينياً له.

وانتقد القنوات الطائفية السنية والشيعية، التي تنحو إلى إسباغ الوجه العقدي على الخلافات السياسية، التي قد يكون وراءها أغراض سياسية.

إلى ذلك رفض الشيخ الصفار تضليل الناس، بإرجاع النزاعات السياسية إلى أسباب دينية ومذهبية، مستدلاً على بطلان ذلك بوجود حالات احترام بين فصائل واتجاهات دينية داخل الطوائف والمذاهب نفسها.

ومضى يقول إنّ توظيف الدين توظيفاً سلبياً، غالباً ما يأتي نتيجة الدوافع والمصالح السياسية.

وحثّ الصفار على ترشيد الانتماء الديني، وتوظيفه في الاتجاه الإيجابي نحو التعايش والمحبة، والتنمية وبناء وتقديم الأوطان. ورفض في مقابل ذلك تأليب الناس على بعضهم بعضاً.

وقال إنّ المتدين الحقيقي هو الذي ينمي المشاعر الإنسانية في نفسه تجاه كلّ الناس «وإن خالفوه في الدين والمذهب.. فجميعهم أخوة في الأسرة الإنسانية وكلهم عيال الله».

وأضاف بأنّ مجرد الانتماء الديني إلى عقيدة من العقائد، لا ينبغي أن يكون سبباً للكراهية ومشاعر العداة بين الإنسان وأخيه الإنسان.

ورفض الانسياق خلف التقاذف الديني تحت مبرر الرد على استفزازات الآخرين.

وقال الصفار، إنّهما كانت الموجة الطائفية كبيرة، وتجرف معها الكثيرين، إلا أنّ رضا الله أهم من حشد الأتباع، وهو أهم من كسب المشاعر والعواطف من خلال التأجيج الديني.

الوسط

العدد: 4816 | السبت 14 نوفمبر 2015، الموافق 01 صفر 1437 هـ



الصفحة: ١٤
العدد: 4816 | السبت 14 نوفمبر 2015، الموافق 01 صفر 1437 هـ

حث الشيخ حسن الصفار على تعميق مفهوم التسامح على مستوى الأفراد والمؤسسات والجماعات والتمسك بالقيم العيش المشترك والتنمية والتقدم، وفقاً لما نقله الموقع الإلكتروني الخاص بالصفار على الإنترنت.

جاء ذلك خلال حديثه لعمدة (12 نوفمبر تشرين الثاني 2015) في رسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وأشاد الشيخ الصفار لمرور مناسبة اليوم العالمي للتسامح المصادف 16 نوفمبر أيضاً الذي أرمي في "عقبة يتعدى من الاحتراب والتطاحن".

وأشاد الشيخ الصفار بالجهود التي يبذلها من أجل تحقيق التنمية والتقدم، وفقاً لما نقله الموقع الإلكتروني الخاص بالصفار على الإنترنت.

وقال إن التسامح في مفهومه الإنساني المعاصر يعني الإقرار بالآخر واحترام وجهات الناس الدينية والثقافية والحضارية.

وتابع أن التسامح لم يعد مجرد مسألة أخلاقية بل بات لها مبادئها وقوانينها وبيئتها الخاصة ينبغي أن تقوم بها الدول والمجتمعات.

وذكر بأن من أساس التسامح التسامح بالآخر أن يحترم كل ثقافة من ثقافتها على مستوى الأديان والعقائد والتوجهات ووفق النظر إلى المواقف على أساس الأهم والمعاني.

وأشاد الشيخ الصفار بالجهود التي تبذلها من أجل تحقيق التنمية والتقدم، وفقاً لما نقله الموقع الإلكتروني الخاص بالصفار على الإنترنت.

وقال إن التسامح في مفهومه الإنساني المعاصر يعني الإقرار بالآخر واحترام وجهات الناس الدينية والثقافية والحضارية.

وتابع أن التسامح لم يعد مجرد مسألة أخلاقية بل بات لها مبادئها وقوانينها وبيئتها الخاصة ينبغي أن تقوم بها الدول والمجتمعات.

وذكر بأن من أساس التسامح التسامح بالآخر أن يحترم كل ثقافة من ثقافتها على مستوى الأديان والعقائد والتوجهات ووفق النظر إلى المواقف على أساس الأهم والمعاني.

وأشاد الشيخ الصفار بالجهود التي تبذلها من أجل تحقيق التنمية والتقدم، وفقاً لما نقله الموقع الإلكتروني الخاص بالصفار على الإنترنت.

وقال إن التسامح في مفهومه الإنساني المعاصر يعني الإقرار بالآخر واحترام وجهات الناس الدينية والثقافية والحضارية.

وتابع أن التسامح لم يعد مجرد مسألة أخلاقية بل بات لها مبادئها وقوانينها وبيئتها الخاصة ينبغي أن تقوم بها الدول والمجتمعات.

وذكر بأن من أساس التسامح التسامح بالآخر أن يحترم كل ثقافة من ثقافتها على مستوى الأديان والعقائد والتوجهات ووفق النظر إلى المواقف على أساس الأهم والمعاني.

الصفار يحدث على التسامح على مستوى الأفراد والحكومات*

حثَّ الشيخ حسن الصفار على تعميق مفهوم التسامح على مستوى الأفراد والمؤسسات والحكومات والجماعات والتمسك بالقيم العيش المشترك والتنمية والتقدم، وفقاً لما نقله الموقع الإلكتروني الخاص بالشيخ حسن الصفار على الإنترنت. جاء ذلك خلال حديث الجمعة (١٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥) في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وأشاد الشيخ الصفار لمرور مناسبة اليوم العالمي للتسامح المصادف ١٦ نوفمبر فيما تغرق الأمة في «حالة بشعة من الاحتراب والتطاحن».

وأضاف أمام حشدٍ من المصلين أنه لا يكاد يمرُّ يوم على مجتمعاتنا دون وقوع فظائع إنسانية وأخرها ما حدث من تفجير انتحاري في ضاحية بيروت الجنوبية ليل أمس وراح ضحيته عشرات الأبرياء.

وقال إن التسامح في مفهومه الإنساني المعاصر يعني الإقرار بالتنوع واحترام توجهات الناس الدينية والثقافية والحضارية.

وتابع أن التسامح لم يعد مجرد مسألة أخلاقية بقدر ما بات نهجاً سياسياً وقانوناً وثقافة وبيئة حاضنة ينبغي أن تلتزم بها الدول والمجتمعات.

ومضى يقول إنَّ البيان العالمي للتسامح يفرض أن تحترم كلَّ حكومة التنوع القائم بين مواطنيها على مستوى الأديان والعقائد والتوجّهات ورفض النظر إلى المواطنين على أساس أفكارهم ومعتقداتهم.

وأسف الشيخ الصفار إلى تعليم الطلاب في مجتمعاتنا على كراهية أتباع الأديان والعقائد الأخرى عوضاً عن تربيتهم على احترام عقائد وأفكار الآخرين.

وقال إننا لا ينبغي أن نستغرب خروج أفواج الإرهابيين في مجتمعاتنا معللاً «بأننا نحن الذين زرنا البذرة في نفوسهم من خلال التعليم على التعصّب والتحريض على الغير».

وعلى المستوى الديني قال إنَّ الخطاب الديني بات يتجاهل مشاكل الناس الحقيقية في مقابل التركيز على تعبئة الأتباع وشحنهم بالكراهية ضدّ الأطراف الأخرى.

وتابع أن التعبئة الطائفية المتبادلة هي التي تخلق الأجواء لنشوء التوجهات التعصبية والظواهر الإرهابية.

وفي السياق أعرب عن الأسف إزاء تحول حوادث صغيرة إلى قضايا كبرى من قبيل استخدام موظفة نعمة دينية في هاتفها الجوال أو احتفاظ سائق تاكسي فقير برمز ديني في سيارته.

ومضى يقول إنَّ هذه السلوكيات الراضية للتسامح لم تأت من فراغ بقدر ما جاءت نتيجة أجواء وتربية وحالة اجتماعية باتت تفرز هذه الأمور.

وحثّ على العودة إلى المبادئ الدينية النقية وتعميق مفهوم التسامح على مستوى الأفراد والمؤسسات والحكومات والجماعات، والتزام قيم العيش المشترك، والتفرغ للتنمية والتقدم على غرار الأمم والمجتمعات المتحضرة.



دعا عالم الدين الشيخ حسن الصفار في الثاني من نوفمبر عن طويته في الخطب والندوات الشتائية الداعية بالهلاك والانتقام من الشعوب الغربية والطوائف الإسلامية، معللاً بأن تلك الدعوات خلقت أرضية العنف والإرهاب في مجتمعاتنا، حسبما نقل موقعه الإلكتروني.

جاد ذلك خلال حديث أمس الجمعة (20 نوفمبر) بثلاثين دقيقة في مسجد الإمام محمد بن عبد الوهاب في الرياض.

وقد استعرض الشيخ الصفار في خطبه الجمعة وجه الشعوب والطوائف الأخرى من التي خلقت في مجتمعاتنا أرضية العنف والإرهاب التي باتت يضرب العالم اليوم.

وكان الصفار في السياق الهجومي الإقليمي التي خلقت الإرهاب في سنة

بأرض مجتمعاتنا.

وأوضح الصفار من ضمنها أن الدعوات الشيعية في المجتمعات الإسلامية سادت فيها طويلاً لتفسيح المجال للجماعات الانفصالية والإرهابية

والاستمرار لنظرية التوراة واليهود من التوراة، وحفظها وتوريثها من التوراة.

وحدّ الصفار الشيعية على التوراة عن مختلف التوراة وزيادة مخزون الاعتقاد تجاه الأخر الذين يشار إليهم باليهود.

ورفقا الصفار قد سادت في سائرها، والجماعات والشعوب الإسلامية الجاهلة والجهالة والانتقام من الشعوب الغربية، عوضاً عن الاستفاد

من تطور وتفسيح المجال للجماعات الجاهلة.

في مقال تلك تلك في الصحف الشعبية الخاطئة التي يصعب التنبؤ بالشعب البشري في المستقبل من الغرب في تحقيق نهضة علمية واقتصادية

كشمالية، والفرح من الدول الغربية ورفض الاستسلام بعد الحشاش الحرة الهائلة التي تقودها على يد الغرب نفسه لأن الحرب العالمية

الثانية.

وقد التزم الصفار أن الباحثين علماء البيولوجيا والعلوم الحياتية والاقتصادية والسياسية مع الغرب، فبدأت المجتمعات تتغير وتتحول

شعوب الأمة والبلاد والقرعة التي تظهر أنفسهم التقدماً من الغرب.

وقال من شعوب المنطقة يتأخر عن التوراة الجرام الإسلامية من مسحتها وإسقاطها واستلهاه والتسوية الذي خلق بعد مرحلة الاستعمار.

وأضاف أن اليوم، وباتت أرضها تحرك نتيجة تفسيح المجال للجماعات الجاهلة التي سادت في عصرها، فبدأت تتغير وتتحول.

الآن دعوات الإرهاب في مجتمعاتنا، حسبما نقل موقعه الإلكتروني.

وحدّ على خلاف الخاطئة من وجهة نظرهم في إداره الصرافة والتاريخ في ذلك عن التفسيح المجال للإرهابية.

وأضاف أن الدعوات الخاطئة هي من الصرافة التي من شأنها أن تضرب على مسو، والإرهاب لما الشعوب والأمم

والفرح أن الدعوات الخاطئة والانتقام من التوراة، وحفظها وتوريثها من التوراة.

والفرح أن الدعوات الخاطئة والانتقام من التوراة، وحفظها وتوريثها من التوراة.

الشيخ الصفار: التعبئة الانفعالية ضد الغرب والطوائف الأخرى خلقت الإرهاب في مجتمعاتنا*

دعا عالم الدين الشيخ حسن الصفار إلى النأي عن «البكائيات» والشعارات الشتائية الداعية بالهلاك والانتقام من الشعوب الغربية والطوائف الإسلامية، معللاً بأن تلك الدعوات خلقت أرضية العنف والإرهاب في مجتمعاتنا، حسبما نقل موقعه الإلكتروني.

جاء ذلك خلال حديث أمس الجمعة (٢٠ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥) في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الصفار إن التعبئة الانفعالية تجاه الشعوب والطوائف الأخرى هي التي خلقت في مجتمعاتنا أرضية العنف والإرهاب الذي يضرب العالم اليوم.

ودان الصفار في السياق الهجمات الإرهابية التي طالت الأبرياء في مدينة باريس الجمعة الماضية.

وأوضح أمام حشد من المصلين أن المنابر الدينية في المجتمعات الإسلامية سادت فيها طويلاً المسلكية الانفعالية والنفسية الانهزامية والاستسلام لنظرية المؤامرة والتوجس الدائم من الغرب.

وحث المنابر الدينية على النأي عن «خطاب التعبئة وزيادة مخزون الاحتقان تجاه

الآخر الديني والمذهبي».

ووفقاً للصفار فقد سادت في منابرنا «البكائيات» والشعارات الشتائم الداعية بالهلاك والانتقام من الشعوب الغربية عوضاً عن الاستفادة من التقدم والنهضة العلمية الموجودة عندها.

في مقابل ذلك تناول الصفار المنهجية العقلانية التي أتبعها الشعب الياباني في الاستفادة من الغرب في تحقيق نهضة علمية واقتصادية كاسحة، والخروج من ذيل الهزيمة وفرض الاستسلام بعد الخسائر البشرية الهائلة التي تكبدها على يد الغرب نفسه أبان الحرب العالمية الثانية.

وقال الشيخ الصفار إنَّ اليابانيين عبأوا شبابهم باتجاه السباق العلمي والاقتصادي والصناعي مع الغرب، فيما اتجهت منابرنا لحقن وتعبئة شباب الأمة بالأحقاد والرغبة في تفجير أنفسهم انتقاماً من الغرب.

وقال إنَّ شعوب المنطقة باتت تدفع ثمن الجرائم الإرهابية من سمعتها وتنميتها واستقلالها «النسبي» الذي تحقق بعد مرحلة الاستعمار.

وأضاف أنَّ أجواء بلادنا وأراضيها تحولت نتيجة المسلكية الانفعالية السائدة إلى مسرح مفتوح للقوى الخارجية تحت عنوان (مكافحة الإرهاب) وعلى نحو أسوأ مما شهدته المنطقة أبان مرحلة الاستعمار الغربي.

وحثَّ على اتخاذ العقلانية مرجعية ومنهجاً في إدارة الصراعات والنأي في قبال ذلك عن المسلكية الانفعالية والغرائزية.

وأضاف أنَّ المنهجية العقلانية في حلِّ الصراعات أمر مطلوب على مستوى الأفراد كما الشعوب والأمم.

وأوضح أنَّ السلوك الانفعالي المندفع والمتعجل لا يحلُّ المشاكل الاجتماعية والسياسية غالباً وإنما هو أقرب إلى إيقاع الإنسان في المآزق والأضرار.



الشيخ الصفار يدعو الحسينيات لتبني طباعة الكتب ضمن برامجها وميزانياتها*

طالب الشيخ حسن الصفار أن تأخذ مسألة الكتاب دورها في مراسيم الاحتفاء بمناسبة عاشوراء العظيمة، وسائر المناسبات، وأن تبني كلَّ حسينية وموكب طباعة كتاب عن الإمام الحسين، لما لذاك «من أثر ثقافي وعلمي كبير».

وتابع: لا بُدَّ أن يأخذ الكتاب الحسيني طباعةً ونشرًا، دوره في مراسيم الاحتفاء بهذه المناسبة العظيمة «إذ لا يزال الإقبال عليه محدودًا وليس بالمستوى المطلوب».

جاء ذلك خلال الحفل الذي أقامته في حسينية العسيف بالشويكة، لجنة الإمام الجواد بالقطف، لتكريم ٨٣ كاتبًا مشاركًا في كتاب «في كربلاء» الذي تصدره اللجنة كلَّ عام، مساء الجمعة/ ليلة السبت ٧ صفر ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠ نوفمبر ٢٠١٥م.

وقال الشيخ الصفار: كلَّ جهد يبذل في إحياء ذكرى سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين فهو جهد مقبول ومشكور عند الله تعالى إن شاء الله، ونحن نعتقد أن استمرار خط ومدرسة أهل البيت رهن بهذا النشاط وهذه الجهود التي تبذل في إحياء ذكرى الحسين ﷺ.

ودعا سماحته إلى الأخذ برواية: «إذ رأيت الناس قد أقبلوا على كثرة العمل

فأقبل على صفوة العمل»^(١)، «فهناك أعمال يقبل عليها الكثيرون، ويقومون بها، وهي ميسورة، والأجواء جاهزة ومهيئة للتفاعل معها، وهناك أعمال لا يقوم بها إلا عدد محدود من المجتمع، والتفاعل معها في الغالب يكون محدودًا».

وأضاف: من تلك الأعمال التي لا تجد لها تجاوبًا كبيرًا في المجتمع مسألة الكتابة والكتاب.

وتابع: في أيام عاشوراء يبذل المؤمنون الكثير من المال والوقت والجهد في إحياء هذه المناسبة، وهذا جهد مشكور، ويتطلع الجميع للأجر من الله تعالى، وفي كل مجلس هناك خطابة وإطعام غالبًا، أو على الأقل هناك ضيافة بالمرطبات.

وتساءل سماحته: لماذا لا يكون جزءٌ من برنامج كلٍّ مآتمٍ وحسينية وموكب عزاء أن تطبع كتابًا؟ ولماذا لا ترصد كلٍّ حسينية مبلغًا لطباعة كتاب، وإذا صار جزءًا من مصرف الحسينية يجوز الصرف عليه حتى من الوقف.

ودعا لتخصيص ميزانية للكتاب، كما تخصص ميزانية للخطيب، وللإطعام، ولصيانة المآتم، ونفقاته المختلفة.

وأوضح أن هذا العمل هو ما يجب أن يتوجه له الواعون المخلصون من أبناء المجتمع، فطباعة الكتاب ونشره اليوم سهل يسير، ولو تبنت نصف حسينياتنا طباعة كتاب كل عام، فإنها ستنتج حراكًا ثقافيًا كبيرًا، حيث تقدر المآتم في محافظة القطيف بالمئات.

وأشار إلى أن طباعة الكتاب ونشره تُحدث حراكًا فكريًا وثقافيًا، هناك مؤلف يؤلف، وناشر ينشر، وقارئ يقرأ، وهذا يقوي حركة الفكر والثقافة في المجتمع، ويخدم قضية الإمام الحسين، والقضية الدينية التي هي قضية الإمام الحسين عليه السلام.

وعن طباعة الكتاب في الماضي قال سماحته: كانت الطباعة في الماضي مكلفة، وتعتبر إنجازًا كبيرًا، وكانت هناك عقبات أمام توفير الكتاب ونشره.

(١) محمد بن الحسن الحسيني العاملي، المواعظ العديدة، الطبعة السادسة ١٤١٩ هـ، قم، ص ١٧٨.

واستشهد بما كان يبذله الشيخ عليّ المرهون رحمه الله «إذ كان يصرف وقتاً طويلاً في متابعة طباعة كتب وتراث البلد، وكان يشكو معاناته الدائمة مع المطابع ومتابعة الكتاب» مضيفاً: أما الكتاب الآن فتوفيره أمر سهل ميسور.

وأشاد الشيخ الصفار بالعاملين في لجنة الإمام الجواد، الذين سنّوا هذه السنة الحسنة في البلد، وهذا عمل جيّد، لكن المطلوب دعم هذا البرنامج وتوسعة رقعة القيام به.

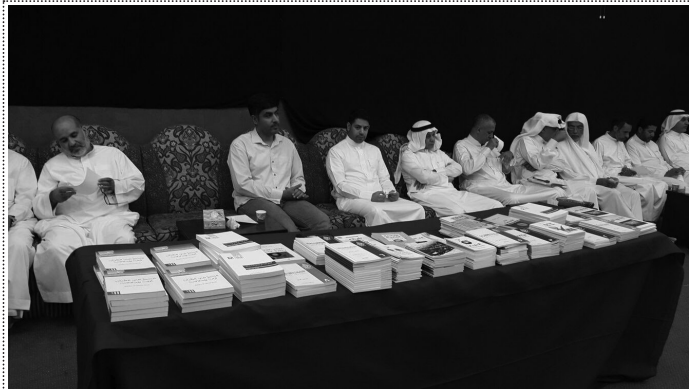
وأبان أنّ طباعة ألف نسخة أو ألفين من كتاب عن الحسين لا تكفي، فعدد سكان القطيف على الأقلّ ٦٠٠ ألف، ومعظم نساء ورجال المنطقة يقرؤون، حيث تلاشت نسبة الأمية إلى حدّ كبير، فنحن مطالبون بتوفير كتاب عن الإمام لكلّ فردٍ من أفراد المجتمع.

وتابع: إذا كان القراء في المنطقة ١٠٠ ألف فنحتاج إلى ١٠٠ ألف نسخة، وبحاجة إلى زيادة كمية الكتاب، وأن يطبع قبل عاشوراء، وأن يكون متوفراً لكلّ الحسينيات والمواكب.

وطالب المجتمع أن يُعمّم هذه التجربة، وأبدى تعجّبهُ لعدم استنساخ هذا المشروع في مدن وقرى المحافظة، رغم أهمية الكتاب، وأهمية الحديث عن الإمام الحسين ونهضته، مقارنةً ذلك باستنساخ برامج أخرى كالمضاميف التي انتشرت بسرعة.

وختم الشيخ الصفار كلمته بشكر القائمين على هذا المشروع، وعلى استمراريتهم، آملاً أن تستمرّ، وأن يتسع نطاق النشر والطباعة، وشكر الكتّاب والمشاركين داعياً لهم بالأجر والمثوبة.

وتضمن الحفل كلمة للشيخ عبد الغني العباس، وكلمة لعضو اللجنة أخصائي التغذية العلاجية رضي منصور العسيف، ومشاركة شعرية للشاعر حسين الجامع بقصيدة بعنوان: «تراثيل الطف»، كما تم تكريم الكتّاب المشاركين.





رفض الشيخ حسن الصفار بشدة ما وصفها ظاهراً «الشيعة فوبيا» التي تغلبها على الجهات ضد مواطنيها الشيعة، محذراً من تفشي هذه الممارسة التي تهدد «التفجير الإيراني» وذلك بحسب ما نقله الموقع الإلكتروني الخاص بالشيخ الصفار، علاوة على نقله لبيان للشيخ (27 نوفمبر 2015) الذي ألقى في مسجده الرئيسي بمدينة القطيف شرق المملكة العربية السعودية.

ويحل الشيخ الصفار وسئل الأعلام السعودية ترويج ظاهرة «الشيعة فوبيا» القومية على أساس العنصرية، معتاداً أنها لا تفرق بين جهتها النحوية والذئاب أن بعض الحزب الذين من ظاهراً «التفجير الإيراني» في بلاد الغرب يتألم هم للقيام بظلمة ظاهرة «الشيعة فوبيا» ضد مواطنيهم من المسلمين الشيعة.

ويذكر الشيخ الصفار ما عرّفه بمحاكاة أو برتابة شخصيات عامة مشهورة محلّتها المواقف النحوية والصلوات في مسجدهم - وفقاً لما نقله الموقع الإلكتروني الخاص به-.

ويحذر الصفار من «التفجير الإيراني» نتيجة هذه الممارسات الضارة بوحدة المجتمع وتماسكه وتكثيف مكوناته على بعضها البعض. والذئاب أن المسلمين الشيعة كأي مجتمع آخر أيهم الحذر وقهر غير ذلك «لهم ليسوا مثلكم» - وفقاً على نحو فهم تصوير الصورة النحوية عن الشيعة بعضهم وتوهمهم في تفهيم.

ويحسب بالقرآن أن حجة الشكوك من المسلمين الشيعة يتأخر بلوغها إلا أن الأثر من جهته نتيجة الاعتقادات الخلفية على التسبب والسياسات والتمويل ومخالفات الأثر في العلاقات والتمسك والاعتناء بالعلم في وقتنا الحاضر.

وإنما حكومات المنطقة في تدمير العنصرية والطائفية توضع في الممارسات بتدبير الفرق في إرسالها وتوطئتها وصولاً إلى تعزيز الصورة على أساس العنصرية وبها.

ويحذر الصفار من الخطأ والتكبير والتكبير من مختلف الجهات الفكرية والجماعية عن «الشيعة فوبيا» ضد الممارسات الضارة بوحدة مجتمعاتهم.

معبّر عن ترحيبه بمواقف الإيجابية الصادرة عن بعض القاتب حثاً.

وفي سياق آخر، رفض الصفار إعطاء صفة «شيعة» لثورة قامت خيالية منظمة في مختلف عربية عدة تحضر.

وإذ دعا الصفار الحكومات إلى التخلص من العنصرية وتطرف الجموع النحوية، ورفضاً لقرعهم في ضمان صحة المسلمين.

مستلاً على ذلك بما يجري في بعض تلك المناطق الضيقة كالصومال ومصر وليبيا وأن زعماء أو مكوناتها فيها.

الصفار يدعو الحكومات إلى تدمير العنصرية والطائفية ويحذر من «تفجير الأوطان»*

رفض الشيخ حسن الصفار بشدة ما وصفها ظاهراً «الشيعة فوبيا» التي فتعلها بعض الجهات ضد مواطنيها الشيعة، محذراً من تفشي هذه الممارسة التي تهدد بـ «تفجير الأوطان»، وذلك بحسب ما نقله الموقع الإلكتروني الخاص بالشيخ الصفار، نقلاً عن خطبة أمس الجمعة (27 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015) في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق المملكة العربية السعودية.

وحملّ الشيخ الصفار وسائل الإعلام مسؤولية ترويج ظاهرة «الشيعة فوبيا» القائمة على أساس تخويف مكونات الأمة والوطن من بعضها بعضاً.

وأضاف أنّ بعض المنزعجين من ظاهرة «الإسلام فوبيا» في بلاد الغرب باتوا هم أنفسهم يفتعلون ظاهرة «الشيعة فوبيا» ضد مواطنيهم من المسلمين الشيعة.

وانتقد الشيخ الصفار ما عبّر عنه بمعاينة أو إدانة شخصيات عامة لمجرد مجالستها المواطنين الشيعة والصلاة في مساجدهم - وفقاً لما نقله الموقع الإلكتروني الخاص به -.

وحذّر الصفار من «تفجير الأوطان» نتيجة هذه الممارسات الضارة بوحدة المجتمع

وتماسكه وتأليب مكوناته على بعضها بعضًا.

وأضاف أن المسلمين الشيعة كأبي مجتمع آخر فيهم الخير وفيهم غير ذلك «فهم ليسوا ملائكة»، رافضًا على نحو قطعي تعميم الصورة النمطية عن الشيعة بأجمعهم واتهامهم في دينهم.

ومضى يقول: إن حملة التخويف من المسلمين الشيعة بات يدفع ثمنها آلاف الأبرياء من حياتهم نتيجة الاعتداءات الطائفية على المساجد والحسينيات والأسواق وحافلات الركاب في أفغانستان وباكستان وبنغلاديش والعراق ولبنان والخليج.

ودعا حكومات المنطقة إلى تجريم العنصرية والطائفية لوضع حدٍّ لمحاولات بثّ الفرقة في أوساط مواطنيها وصولًا إلى تعزيز المساواة على أساس المواطنة وحدها.

وحتّ الواعين من الخطباء والكتّاب والمثقفين من مختلف التوجهات الفكرية والمذهبية على «رفع صوتهم» ضد الممارسات الضارة بوحدة مجتمعها.

معربًا عن ترحيبه بالمواقف الإيجابية الصادرة عن بعض الكتّاب علنًا.

وفي سياق ذي صلة، رفض الصفار إعطاء صبغة طائفية «سنية شيعية» للصرعات السياسية المحتمدة في مناطق عربية عديدة لمجرد وجود المكون الشيعي طرفًا في بعضها.

وأرجع النزاعات المتفجرة في المنطقة العربية لظروف التحول السياسي، ورغبة كل طرفٍ في ضمان حصته السياسية.

مستدلًا على ذلك بما يجري في بعض البلاد المضطربة كالصومال ومصر وليبيا دون وجود أيّ مكونات مذهبية فيها.



زيارة شخصيات ومراكز إسلامية في لندن

بداعي إجراء الفحوصات الطبية سافر سماحة الشيخ حسن الصفار إلى لندن بتاريخ ١٩ صفر ١٤٣٧هـ الموافق ٢ ديسمبر ٢٠١٥م برفقة الشيخ حسين رمضان القریش والدكتور عقيل الفردان، حيث استمرت الرحلة مدة أسبوعين إلى تاريخ ٦ ربيع الأول ١٤٣٧هـ الموافق ١٨ ديسمبر ٢٠١٥م.

وقد اغتنم سماحة الشيخ الفرصة للتواصل مع الشخصيات العلمية والمراكز الإسلامية في العاصمة البريطانية، حيث استقبل عددًا من العلماء الذين زاروه في مقر إقامة، كما لبى بعض الدعوات لزيارة مراكزهم ومؤسساتهم.

وفيما يلي عرض لأهم تلك اللقاءات والزيارات:

مؤسسة الإمام علي - مكتب المرجع السيستاني

استقبل الشيخ الصفار مساء يوم الثلاثاء ٨ ديسمبر ٢٠١٥م سماحة السيد محمد سعيد الخلخالي المرشد الديني في مؤسسة الإمام علي (مكتب المرجع الأعلى السيستاني) الذي رحب بزيارة الشيخ الصفار ونقل إليه تحيات سماحة السيد مرتضى الكشميري ممثل المرجعية العليا، لكونه مسافرًا، ودعا لزيارة المؤسسة حيث أقام مأدبة غداء على شرفه، ظهر يوم الخميس ١٠ ديسمبر ٢٠١٥م، حضرها العاملون في المؤسسة وعدد من الشخصيات العلمية والثقافية، من بينها أصحاب السماحة الدكتور السيد فاضل الميلاني، والشيخ إحسان الجواهري، والسيد مجتبي فقيه إيماني، والسيد هاشم شبر، والسيد مهدي طعمة، والسيد مهدي الشهرستاني، والسيد محمد العوامي،

والدكتور غانم جواد، والحاج صادق زكي.

مؤسسة الامام الخوئي

في صباح يوم الأحد ١٣ ديسمبر ٢٠١٥م استقبل الشيخ الصفار سماحة آية الله الدكتور السيد فاضل الميلاني، وسماحة السيد عبد الصاحب الخوئي الأمين العام لمؤسسة الإمام الخوئي، وقدّما له دعوة لزيارة المؤسسة، حيث أقيمت مأدبة غداء على شرفه ظهر يوم الاثنين ١٤ ديسمبر ٢٠١٥م حضرها جمع من العلماء والشخصيات من بينهم أصحاب السماحة: الشيخ حسن التريكي، والشيخ رشاد الأنصاري، والسيد جعفر الميلاني، والسيد محسن الخوئي، والسيد محسن الخلخالي، كما تفقد سماحته أقسام المؤسسة المختلفة، واطّلع على مجمل أنشطتها التعليمية والثقافية والإعلامية واهتمامها بالعلاقات مع سائر المؤسسات والجهات الدينية والسياسية.

الشيخ الكرباسي - المركز الحسيني للدراسات

كما استقبل سماحته صباح يوم الثلاثاء ٨ ديسمبر ٢٠١٥م سماحة آية الله الشيخ محمد صادق الكرباسي مؤسس المركز الحسيني للدراسات، وبرفقته عدد من المساعدين والباحثين في المركز، وقدم الشيخ الكرباسي دعوة لسماحته لزيارة المركز، حيث أقاموا مأدبة عشاء وحفلاً تكريمياً لسماحته ليلة الجمعة ١١ ديسمبر ٢٠١٥م ألقى فيه الشاعر الدكتور عبدالعزيز شبيّن قصيدة بالمناسبة، وتجول الشيخ الصفار في أرجاء المركز، حيث تصدر دائرة المعارف الحسينية التي تُعدّ من أكبر وأوسع دوائر المعارف، ويتوقع أن يصل أجزاءها إلى ٥٠٠ جزء صدر منها حتى الآن أكثر من ١٠٠ جزء، إلى جانب إصدارات فقهية وأدبية مختلفة.

رابطة علماء الدين - حسينية الرسول الأعظم

واستقبل الشيخ الصفار صباح يوم السبت ١٢ ديسمبر ٢٠١٥م عددًا من العلماء

في رابطة علماء الدين وهم أصحاب السماحة: الشيخ عبدالرحمن الحائري والشيخ فاضل الخطيب والسيد مصطفى الموسوي والسيد هاشم آل ماجد، وقدّموا لسماحته الدعوة لزيارتهم في مقرهم في منزل الشيخ عبدالرحمن الحائري بجانب حسينية الرسول الأعظم، وأقاموا مأدبة عشاء على شرفه مساء يوم الاثنين ١٤ ديسمبر ٢٠١٥م بحضور جمع من العلماء والخطباء، من بينهم أصحاب السماحة: الشيخ حسن غديري، والسيد فيصل السيد مرزوق العلوي، والشيخ علي برهان، والشيخ كاظم الحائري، والسيد مصطفى الموسوي، والسيد هاشم آل ماجد، والشيخ فاضل الخطيب، والشيخ عبدالرحمن الحائري، والحاج راضي عباس الكربلائي مسؤول حسينية الرسول الأعظم ﷺ.

استقبالات أخرى

كما استقبل سماحته خلال فترة إقامته عددًا من الشخصيات التي جاءت لزيارته، منهم: الدكتور عباس إمامي، والإعلامي أنيس القديحي، والأستاذ عقيل لادك، من الناشطين في جماعة الخوجة بلندن، والأستاذ علي التميمي، والسيد عبد المنعم محمد الحسن، والشيخ أيوب.







تُرِيدُ شَتَاتَنَا الْأَمْرُ

قصيدة للشاعر الدكتور عبد العزيز شبين، بمناسبة استضافة المركز الحسيني للدراسات في لندن، سماحة الشيخ حسن الصّفار (حفظه الله)، وذلك بتاريخ ١١/١٢/٢٠١٥م.

وَالْأَيْكَ مَنْفِيٍّ وَمُنْحَطِمٌ؟	يَا طَائِرًا هَلْ يَنْفَعُ النَّعْمُ
فَلَقَدْ جَفَّتْ أَنْظَارِي الْقَمَمُ!	عَنْقَاءَ مُدِّي مِنْكَ لِي وَصَلًا
نَرَعَى وَكُلُّ رُعَاتِنَا غَنَمُ!	هَذِي الْحُقُولُ قُطُوفَهَا وَحِلَا
أَيْنَ الْبِلَادُ الْقُدُسُ وَالْحُرْمُ!؟	تَاهَ الطَّرِيقُ فَأَيْنَ قَبْلَتِنَا
أَيْنَ الْمَطَايَا السَّبْعُ وَالْحَرَمُ!؟	قُدَّ الشَّرَاعُ إِلَى مَرَاثِنَا
وَالنَّازِفَانِ: الْجُرْحُ وَالْأَلَمُ!	قَالُوا: اتَّحَدْنَا فَالْبِحَارُ دَمُ!
وَالصَّامِتَانِ: اللُّوحُ وَالْقَلَمُ!	شَاخَ الْكَلَامُ عَلَى رُفُوفِ أَسَى
الصَّاحِبَانِ: الرِّيحُ وَالصَّنَمُ!	يَا سَاكِنًا فِي كَهْفِهِ زَمَنًا
قُلْتُ: انظُرُوا لِمَ يُرْفَعُ الْعَلَمُ!	قَالُوا: انْتظَرْنَا فَجَرَ مَنْ رُفِعُوا
كَيْفَ انْجَلَّتْ بَعْيُونِكَ الظُّلْمُ؟	يَا نَجَلَ مُوسَى وَالرُّؤَى غَلَسُ
تَجْرِي وَلُجُّ اللَّيْلِ يَلْتَطِمُ!	خِضْرًا أَرَاكَ عَلَى سَفِينَتِهِ
ظَمَأَى وَنَهْرَكَ حَوْلَهَا شِبِمْ!	فِرْعَوْنُ يَعْشَى كُلَّ كَوْكَبَةٍ
تَ يَرِفُ مَطْلَعُهَا وَيَتَتَمُّ!	أَرْضُ الْقَطِيفِ بِدَايَةِ الْكَلِمَا

حُلْمًا يَصُوعُ بِنَشْرِهِ السَّلْمُ!
 تَسْتَأْفُ حِينَ يَهْزُكَ النَّسْمُ!
 يَبْضَا أَعْفُ صِفَاتِهَا الْكَرْمُ!
 وَالظَّالِمُونَ بِفِيكَ قَدْ خُتِمُوا
 يَنْهَلُ مِنْهُ السَّائِلُ الْعَرْمُ!
 تُسْكَبُ بِمَا خَضِرَتْ لَهَا الدَّيْمُ!
 أَمْ نَجْمُكَ التَّيْهَانُ أَمْ ضَرْمُ؟
 مَسْكَأً تَبَجَّسَ لَيْسَ يَنْقَطُمُ!
 عَبْرَ الْمَطَافِ فَكَيْفَ تَتَلِمُ؟!
 لَا تَسْتَطِيلُ يَدٌ وَلَا قَدَمُ!
 تِ أَعِيبُ لَا أَهْلٌ وَلَا لَمَمُ!
 إِذْ نَاحَ مِثْلَ نَوَاحِهِ الْغَمَمُ!
 يُصْغِي إِلَى آلاَمِنَا الصَّمَمُ!
 قَوْمِي ذَوَائِبُهُمْ وَمَا عَلِمُوا!
 ثِيهِ الَّتِي فِي الصَّمْتِ تَضَطَّرَّمُ
 عِنْدَ الطَّعَانِ وَجُودَهَا عَدَمُ!
 مَنْ ذَا تُذَادُ بِأَنْفِهِ الدَّمَمُ؟!
 وَسُؤَالِنَا: هَلْ تُنْجِبُ الرَّمَمُ؟!
 لَا الْقُدْسُ ذَاكَ وَلَا الْوُقُوفُ هُمُ!
 تَنْزَاحُ عَنِ أَعْنَاقِنَا الْخُطْمُ؟!
 تُذَكِّي فِذِي عَادٌ وَذِي إِرْمُ!

فِيهَا افْتَتَحَتْ سَنَا مَشَارِقَهَا
 مِنْ بَوْحِ قَافِيَةِ تَعِي وَطَنًا
 لَمْ يَنْسَ مِنْكَ بَنُو حُسَيْنَ يَدًا
 مَوْسُوعَةً أَرُوَيْتَ رَمَلَتَهَا
 مَاذِي كَفَّكَ لَمْ يَزَلْ بَرَدًا
 أَذْخَلَ يَدًا مَلَأَى بِجُبَّتِهَا
 مُصْبَاحُكَ السَّحْرِيُّ أَبَدَعَهَا
 فَمَكَ الشَّدَا الزَّاكِي يُبَادِلُهَا
 أَبْرَاجُكَ الْعُلْيَا لَهَا سَنَدُ
 النَّارِ وَالْأَبْوَابُ مُوَصَّدَةٌ
 فِي غَابِرٍ مِنْ مُوحِشِ الْحَسْرَا
 آبَ الْغُرَابِ إِلَى وَسَائِدِنَا
 هَلْ حَرَّكُوا نَبْضًا؟ وَمَنْ عَجَبِ
 حَيْرَانَ وَالظُّلُمَاتُ تَأْكُلُ مِنْ
 يَحْكِي لِي النَّايُ الْقَدِيمُ مَرَا
 يَا أُمَّةً فِي عِزِّهَا طُعِنَتْ
 يَا أُمَّةً تُخْصِي ضَرَاغِمَهَا
 قَدْ أَرْغَمَتْ بِالْعُقْمِ نَخْلَتَهَا
 الْكُلُّ فِي الْعَرَصَاتِ قَدْ وَقَفُوا
 نُقْتَادُ لَا نُدْرِي إِلَى وَمَتَى
 مِنْ أَلْفِ عَامٍ وَالْبَسُوسُ بِنَا

بِشَوَاطِئِهِ نُشَوَى وَنَهْشِمُ!
 هَذَا عَلَيَّهَا عَتَّرَ هَرِمُ!
 صَمَاءٌ يُدْمِي جُرْحَهَا الْعَجْمُ!
 أَبَدًا بِهَا الْإِلْهَامُ يَنْسَجِمُ!
 هَلْ تُثْمِرُ الصَّيْحَاتُ وَاللُّجْمُ!
 لَمْ يُغْرِهِ التَّخْلِيْقُ وَالْأُجْمُ!
 حَ مَلَائِكُ يَشْدُو وَيَيْتَسِمُ!
 نَجْلُ الْأَكَارِمِ وَالْعَلَى شِمَمُ!
 بِسِرَاجِ هَذَا الْفَجْرِ مُعْتَصِمُ!
 يَبْرُقُ لَنَا الْإِشْرَاقُ وَالْحُلْمُ!
 وَعَلَى الْعِجَابِ الْعِزُّ يَرْتَسِمُ!
 بِفُؤَادٍ مَنْ تَرَقَّى بِهِ الْهِمَمُ!
 نَسَبٌ لَهُ فِي السُّوَدَدِ الْقِدَمُ!
 نُورِيهِمَا الْإِبْحَارُ وَالِدُّعْمُ
 وَمَنْ الرَّبِيعِ ضُحَى يَطِيبُ فَمُ
 مَا بَيْنَ ذَا أَوْ ذَاكَ مُلْتَحِمُ
 مِنْ كُلِّ سِحْرِ لَيْسَ يَنْجِذِمُ
 فَ مَنْ انْتَشَى فِي بَدْئِهِ الْكَلِمُ
 فَمُ، وَبَعْدُ كَوَيْتُهُ الرَّحِمُ!
 غُ الْحُزْنِ فِي الرُّوحَيْنِ مُلْتَسِمُ!
 وَأَضَاعَنِي الْإِغْمَاءُ وَالنَّدَمُ!

نَحْنُ الْحُطَامُ وَغَيْرُنَا سَفَرُ
 شَاخَتْ وَلَمْ تُفْطَمِ فَرَائِسُنَا
 فَهَلْ تُفِيدُ مَقَابِرِي لُغَةً
 وَبِكُلِّ مِسْبَحَةٍ مُبَعَثَرَةٍ
 وَإِذَا الْحَسَامُ بِرَاحَتِيكَ نَبَا
 وَإِذَا الْحَمَامُ جَثَّتْ قَوَادِمُهُ
 لَكِنَّ مَنْ رَوْضِ الْقَطِيفِ صَبَا
 اللَّوْذَعِيُّ سَلِيلٌ مَكْرَمَةٌ
 الْحُرُّ مَهْمَا غَابَ شَارِقُهُ
 يَا أَنْجَمَ الْحَرِيَّةِ انْفَلِقِي
 فَعَلَى الشَّفَاهِ اللَّحْنُ نَبْذُرُهُ
 لَا يَنْبُضُ الْأَمَلُ الطَّرُوبُ سِوَى
 صَفَّارٍ وَالْكَرْبَاسُ بَيْنَهُمَا
 ذَانِ الْجَنَاحَانِ اللَّذَانِ عَلَى
 فِالِي الشُّمُوعِ تَحْنُ دَاجِيَةٌ
 أَنْتَ الْمُهَاجِرُ وَالْمَدَى قَدْرُ
 نَعْرُ الْقَطِيفِ إِذَا شَدَا بَدْعُ
 عَلَّمْتَ مِنْ زَيْنِ الْعِبَادِ حُرُ
 مِنْهَا إِلَى نَجْفِ الْوَلَا، فِالِي
 ذِي كَرْبَلَا أُمُّ الْقَطِيفِ وَنُسُ
 بِعُرُوبَيْتِي ضَيَّعْتُ خَارِطَيْتِي

لَمْ أَدْكِرْ حَتَّى طُقُولَتَهَا
 كَيْفَ افْتَرَقْنَا مِثْلَ شِرْذِمَةٍ
 لَا غَايَتِي فُرْسٌ وَلَا عَرَبٌ
 أَنَا طَيْبَتِي خَضْرًا كَتَبْتُ عَلَيْـ

أَنْسَانِي الْعُزَّى وَمَنْ حَكَّمُوا!
 شَيْعًا تُرِيدُ شَتَاتَنَا الْأُمَّمُ!؟
 فَمَرَامِي الْإِنْسَانُ وَالْقَيْمُ!
 هَهَا: جُرْحُنَا بِالذِّينِ يَلْتَمُّ





انتقد حرمان المسيحيين العاملين في البلاد العربية والإسلامية من الإحتفاء بمناسباتهم الدينية

الشيخ الصفار: الجماعات المتطرفة أفسدت العلاقة بين المسلمين والشعوب الأخرى*

حمل الشيخ حسن الصفار، خلال حديث الجمعة في (١٤ ربيع الأول ١٤٣٧هـ) الموافق (٢٥ ديسمبر / كانون الأول ٢٠١٥)، في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية، الجماعات المتطرفة المسؤولة عن إفساد العلاقة بين المسلمين والشعوب الأخرى «إمّا لجهل وحماقة أو لأنها مدفوعة من جهات مغرضة».

وقال الشيخ الصفار إن الهجمات الإرهابية التي طالت الأبرياء في الغرب «حرّفت العلاقة بين المجتمعات الإسلامية والشعوب الغربية حتى بلغت الآن مرحلة حرجة». ومضى أن الوجود الإسلامي في الغرب أصبح مثيراً للقلق على نحو غير مسبوق نتيجة أفعال الجماعات الإرهابية بحق الأبرياء هناك.

وتابع أمام حشدٍ من المصلين أن الجماعات المتطرفة أخذت على عاتقها مهمة إفساد العلاقة بين الشعوب الإسلامية والشعوب الأخرى «إمّا لجهل وحماقة أو لأنها مدفوعة من جهات مغرضة».

وقال الصفار إن هناك فرقاً بين معارضة الموقف السياسي للحكومات الغربية والعلاقة مع الشعوب الغربية المسيحية، رافضاً الخلط بين الأمرين. وتابع أن مناوئة الحكومات الغربية سياسياً «أمر متفهم»، غير أنه من المرفوض قطعاً ارتكاب أفعال العدوان بحق المواطنين الأبرياء من شعوب تلك الدول.

* صحيفة الوسط البحرينية. العدد ٤٨٥٨، السبت ٢٦ ديسمبر ٢٠١٥م الموافق ١٥ ربيع الأول ١٤٣٧هـ.

وضمن التدايعات، أشار إلى تكوّن رأي عام غربي مناهض لوجود المسلمين في البلاد الغربية ضاعف منه دفع اللوبيات الصهيونية واليمين المتطرف.

وحمل الشيخ الصفار جانباً من التراث الإسلامي لدى مختلف المذاهب والمدارس الفقهية المسؤولية عن وجود آراء سلبية لا تساعد المسلمين على النظر باحترام والعيش بسلام مع أتباع الديانات الأخرى.

وقال إنّ العلاقة الإسلامية المسيحية ظلّت طويلاً محكومة بنصوص تراثية «مخجلة من الناحية الإنسانية» بعضها موضوعة وأخرى جرى إساءة تفسيرها. وحثّ على إعادة النظر في نصوص من التراث الإسلامي على صعيد العلاقة مع الديانات الأخرى. وتابع أنّ في التراث الإسلامي ما يخلق الأرضية للعداء مع الآخرين والإساءة إليهم، ومن ذلك إساءة الفهم لآيات الجهاد في الإسلام.

ورفض في السياق الدعاء بالهلاك على «جميع» اليهود والنصارى، مشدداً على أنّ الدعاء ينبغي أن يكون موجّهاً ضد المعتدين والظالمين.

وانتقد على نحو لاذع حرمان المسيحيين العاملين في بعض البلاد العربية والإسلامية من الاحتفاء بمناسباتهم الدينية، وإصدار الفتاوى بحرمة تهنئتهم بأعيادهم.

وشدّد على أنّ اعتقاد المسلم أنّ دينه هو الدين الحقّ لا يعني بأيّ حال الإساءة إلى أتباع الديانات الأخرى. داعياً المسلمين في الغرب على وجه الخصوص إلى إطلاق المبادرات سعياً وراء تحسين صورة الإسلام هناك.

وفي السياق، بارك للأمة الإسلامية والشعوب المسيحية ذكرى مولد النبي محمد وميلاد السيد المسيح، متمنياً أن يكون تزامن المناسبتين سبباً في إحلال الأمن والسلام على جميع أبناء البشرية.

كما رفع تعازيه الحازّة إلى أهالي جازان في وفاة أكثر من ٢٥ مريضاً وإصابة العشرات في الحريق الذي اندلع في مستشفى جازان يوم أمس الأول، داعياً بالرحمة للمتوفين والشفاء العاجل للمصابين.



الشيخ الصفار وخطاب الاعتدال*

وسام السبع

الشيخ حسن الصفار، أحد كبار علماء الدين في المنطقة الشرقية، بالمملكة العربية السعودية، ومن المفكرين البارزين الذين توسّعوا في تقديم رؤية واقعية متقدمة وعميقة، لواقع ومستقبل التعايش المذهبي في المنطقة، وهو يحرص عملياً، على تأسيس علاقات مفتوحة مع جميع الشخصيات والأطياف الفكرية والمذهبية في المجتمع، وقد شهدت شخصياً عدداً من هذه اللقاءات، سواء في مكتبه بالقطيف، أو في مملكة البحرين، التي يتردد بين حين وآخر خطيباً رئيساً في محافلها وفعاليتها الدينية.

ومنذ أن عاد الشيخ الصفار من مهجره الدمشقي، على إثر المصالحة الوطنية التي تمت بين المعارضة والنظام في عهد الملك الراحل فهد بن عبد العزيز (ت ٢٠٠٥) مطلع تسعينيات القرن الماضي، دشّن الشيخ رؤية جديدة للعمل في الداخل، تركز على ثلاث دعائم: الانفتاح على الدولة، النهوض بواقع مؤسسات المجتمع المدني وبناء ورعاية قدراته، وأخيراً التعاطي الإيجابي مع المحيط عبر التواصل مع رموز المذاهب الإسلامية داخل وخارج المملكة. وقد قدّم طوال أكثر من عقدين ونصف في كلّ هذه المحاور الثلاثة جهوداً جبّارة على المستويين التنظيري والميداني.

* صحيفة الوسط البحرينية، العدد ٤٨٦١، الثلاثاء ٢٩ ديسمبر ٢٠١٥م، الموافق ١٨ ربيع الأول ١٤٣٧هـ.

في مكتبه، في حيّ الجزيرة بمحافظة القطيف، حظيتُ قبل أيام بلقاء مع الشيخ الصفار، سألته عن مواضيع كثيرة، وأجاب بتلقائته وصراحته المعهودة، لكنه، كعادته دائماً، سألتني عن تطورات الوضع البحريني العام، وركّز بشكل خاص على الحراك الثقافي الذي يراه ضعيفاً، ولا يتناسب مع الحيوية والألق العلمي الذي كان للبلاد في تاريخها الغابر، قلت: نعاني من فوضى في الأولويات، والتسييس جزء من المشكلة، لدينا واقع مسيِّج بالتسييس، وعقلية ابن البلد، على الأغلب، تعتبر القضايا الثقافية شأنًا ترفيًّا.

لكنه تحدث عن مسؤولية المجتمع في تغيير ثقافة أبنائه، مشيراً إلى حقيقة أن ظاهرة التراجع الثقافي في البحرين - وضمنًا بالطبع يدخل تراجع الخطاب الديني - سبقت اندلاع الأزمة السياسية الأخيرة كما لاحظ، وأنها فاقمته فحسب.

وبصفته عضوًا في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وفي الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وكان قد شارك في مؤتمرات للحوار الوطني بالمملكة العربية السعودية، حرصتُ على أن أسأله عن إمكانية ولادة مبادرات سياسية، تنطلق من المجتمعات الشيعية، لتحريك الأوضاع باتجاه فتح قنوات تواصل مع الدولة في كلٍّ من البحرين والسعودية، وصولاً إلى تسويات كبرى، تعيد الأمور إلى نصابها الصحيح، أكد الشيخ أن الحاجة باتت ماسة في ظلّ الأوضاع الحالية، إلى ضرورة بناء نخب شيعية «مدنية» قادرة على التواصل مع الدولة، وترتيب الأوضاع الداخلية لدولنا، وقال: «بتُّ على قناعة الآن أكثر من أيّ وقت مضى، بأنّ على (عالم الدين) أن ينأى بنفسه عن العمل السياسي، فهو غير قادر على أداء دوره بحياد، في ظلّ القيود والضغوط التي يفرضها المجتمع عليه» ويضيف: «عالم الدين غير قادر في مجتمعنا اليوم على القيام بمسؤولياته بحرية تامة، فهو دائماً مقيد بتوقعات المجتمع ورغبات الفاعلين فيه، ومن شأن تصدّي النخب الشيعية «غير العلمائية»، أعيان ووجهاء ومثقفون، للعمل في قضايا الشأن العام أن تفيده منه الطائفة والدولة معاً».

في الأزمات والمنعطفات الحادة، تبدو الجماهير تواقّة للإصغاء إلى الأصوات المتشددة، لكن الحاجة تبقى ضرورية دائماً للاستماع إلى الأصوات الحكيمة والعاقلة، وفي الغالب فإنّ هذه الأصوات لا يُسمع صوتها مع ضجيج الأحداث، وتراكم الأخطاء، إلا بعد فوات الأوان.

وانطلاقاً من ركائزه الثلاث، التزم الصفار موقفاً متحفظاً من الحراك السياسي الذي شهدته المنطقة، ونأى بنفسه عن الانخراط في تأييده؛ لأنه لم يعد يؤمن بأنّ الصدام مع الدولة أيّاً تكن بواعثه خياراً صائباً، فضلاً عن أنه خيار يصطدم - في الجوهر - مع مشروعه الهادف إلى تعزيز حالة التعاون والثقة مع الدولة، والتأسيس لعلاقات وديّة عابرة للمذاهب، والعمل على ترتيب البيت الشيعي على الصعيد الإنساني والاجتماعي والإنمائي، ضمن رؤية وطنية مرنة تعترف بالآخر.

الصفار، طرح في اللقاء أكثر من قضية، وفتح أكثر من ملف إشكالي، العلاقة مع الدولة كان أحدها، لكنه أيضاً طرح إشكالية تراث الخصومة الذي يحضر بقوة في الخطاب السياسي والإعلامي، ويؤجج الخلافات المذهبية، ويشحن عقلية الجماهير بسموم الكراهية، وهو خطاب طائفي تفاقم بصورة مرعبة، وأخذ يغذّي صراعات المنطقة الدموية منذ العام ٢٠٠٣ م.

وتحدّث عن مسؤولية علماء الشيعة في تنقية التراث الشيعي مما علق به، وأكد أن الشيعة مسؤولون - كما غيرهم - عن التعاطي النقدي مع الموروث العقائدي والروائي الدخيل، إذا ما أُريد لمساعي التقريب أن تنجح فعلياً.

وانتقد الشيخ الصفار بعض الظواهر السلبية الموجودة في بعض الأوساط الشيعية المتشددة، كالتعرض لصحابة الرسول الأعظم ﷺ، والطعن في أمهات المؤمنين، وقد حرص على إهدائي في ختام اللقاء كتاب «أمهات المؤمنين على ضوء مصادر الشيعة» للشيخ حسين علي المصطفى، يقدم فيه الكتاب رؤية منصفة لأمهات المؤمنين، ويوضح مكانتهنّ وعفتهنّ وبراءتهنّ مما ينسب لهن بعض الموتورين الغلاة.

الشيخ الصفار صاحب بيان عذب، ومنطق جميل، ورؤية واضحة، وخطابه الديني معتدل، وفيه مساحة واسعة من الاهتمام بشؤون الحياة، وقضايا المجتمع، والنهضة، وبناء الشخصية، وبث ثقافة الوحدة والتسامح، وحماية حقوق الإنسان. ومهاراته الخطابية بدأت تبرز بوضوح منذ صغره، وقد بدأ ممارسة الخطابة العام (١٩٦٨ م) وعمره إحدى عشرة سنة!!

وقلمه لا يقلّ جمالاً وفائدة عن خطاباته التي تكتسب راهنية، وتتميز بالعمق والرصانة العلمية، وقد أصدر ما يزيد على مئة كتاب في مختلف مجالات المعارف الدينية والثقافية، وترجم بعضها إلى لغات أخرى، ومن مؤلفاته المطبوعة «التسامح وثقافة الاختلاف: رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات»، و«التنوع والتعايش» و«أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع» صدر منه ١٠ مجلدات. و«السلفيون والشيعية نحو علاقة أفضل» وغيرها. وكان وما يزال يمارس دور الريادي في حركة التواصل والانفتاح مع مختلف الأطياف والتوجهات في الساحة الوطنية والإسلامية. أعتقد أنّ إبراز هذا النوع من الشخصيات الإسلامية والعلمية المرموقة في إعلامنا، والإصغاء لظروحاتها وآرائها يعطي فرصة لتجاوز الأخطاء وتصحيح المفاهيم، كما ويعطي صورة جميلة للإسلام المتسامح الذي يحث على التعايش وقبول الآخر، واحترام الحالة التعددية في مجتمعاتنا.



الشيخ البلوشي يدعو للتعلم من الغرب عمق البحث العلمي وتنوعه

دعا الدكتور الشيخ حسن البلوشي للتعلم من الباحثين الغربيين عمق البحث العلمي وتنوع فروعه.

وأبان أن علماء الغرب والباحثين درسوا العالم الإسلامي بشكل عميق ومفصل ومنوع، مؤكداً أنهم امتازوا بعمق البحث ودقته.

جاء ذلك خلال محاضرة ألقاها في مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار مساء يوم الخميس ٢٠ ربيع الأول ١٤٣٧ هـ الموافق ٣١ ديسمبر ٢٠١٥ م.

وأوضح البلوشي أن بعض العلماء والباحثين في الجامعات الغربية انتقلوا لدراسة المسائل الدقيقة في الفقه والأصول العقائد.

وقال: لم تعد دراساتهم عنا في الفقه والأصول والعقائد فقط بل شملت حتى علم الحديث والرجال والتفسير.

وأضاف: بل شملت تاريخ التشيع، وتاريخ الغلو والغلاة، وتفاصيل دقيقة في الفقه كتاريخ اللغة بعد الأخوند، واختلاف منهج الخوئي عن البروجرد في تصحيح الرجال.

وأشار إلى أنه لن يتعجب إذا التقى طالباً فرنسياً فسأله من يقلد؟ أو طالباً ألمانياً فسأله عن علاقة هذه الجماعة بتلك، أو أبدى ملاحظاته على فكر المرجع الفلاني.

وضرب أمثلة للإصرار على البحث بأستاذه (البروفيسور روبرت كليف) الذي اشتغل مدة عشر سنوات ليكتب دراسة عن تاريخ الحركة الإخبارية.

وعن التنوع في البحوث أفاد بأن كلّ الحقول باتت مطروقة كالشعر والشعراء والتفسير والمفسرين، مرورًا بالحركات الإسلامية والتوجهات الجديدة.

وألمح إلى أن من أهم أسباب التقدم لديهم التطور المنهجي في دراسة الآخر. وتابع: إذا أراد أحدهم دراسة فكرة ما فلا بُدّ من العيش ضمن هذه الفكرة والتقاء القائلين بها ومعرفة من قرب.

وأضاف: لو أراد أحد الباحثين الكتابة عن الشعائر الحسينية مثلاً فلا بُدّ أن يزور منطقة شيعية، فيحضر مجالسهم، ويستمع لقصائدهم، ويدون ملاحظاته عن قرب.

وأشاد بما سمّاه «التحول في بنية الباحثين» فلم يعد البحث حكرًا على الغربي، بل تجد المؤتمر الخاصّ بالعالم الإسلامي يحضره الغربي والشرقي، المسلم بجنب المسيحي.

وأضاف: كان البحث في هذه المراكز مقتصرًا على الأبيض المسيحي اليوم صار للجالية الإسلامية دور في البحث مما سبب تغير في النكهة.

وتابع: هذا التغير صار واضحًا، فالدراسات أصبحت أقلّ انحيازًا، وأقلّ غرورًا، وأقرب للواقع، وأقرب للمصادر بمعنى الواقعيات وليس التصورات.

وانتقد الباحث البلوشي ما سمّاه غياب المسلمين عامة والشيعية خاصة عن المشهد العلمي والثقافي الغربي.

وقال: حتى الآن لم نقدّم أيّ ترجمة متقنة لكتبتنا المعتمدة كنهج البلاغة والكتب الأربعة.

وتابع: يجب أن نقدّم للباحثين مصادر نترجمها أو نشرف على ترجمتها لنقدّمها



صافية بعيدة عن سوء الفهم.

كما انتقد غياب الترجمة للبحوث والدراسات الغربية، وغيابها عن الساحة الإسلامية رغم عمق بعضها وشموله وتطوره.

وأشار الدكتور البلوشي إلى انعقاد ثلاثة إلى أربعة مؤتمرات وجلسات وورش عمل شهرياً حول الفكر الشيعي في مراكز الأبحاث المختصة، وبعضها يحضره أكثر من مئة باحث، وتأسف لعدم استفادتنا من الأوراق التي تقدم في هذه المؤتمرات وذلك بسبب حاجز اللغة.

وأوضح أن هذه المؤتمرات تتطرق لكل جوانب الفكر الشيعي عقائده وفقه ورجاله وأعيانه وإسهاماته، ووضع الحالي والمستقبلي وتطورات دوله ومناطقه.

ودعا لاغتنام الفرص للتعاون العلمي والثقافي مع هذه الجهات العلمية، وعقد المؤتمرات والزيارات المتبادلة.

وكشف عن سعيه مع بعض المراكز الإسلامية لإقامة مؤتمر عن شخصية الرسول الأعظم يشارك فيه عدد من الباحثين من جميع أنحاء العالم.

وأشاد بالتوجه العلمي لدى بعض الشباب المتدين وإقبالهم على الدراسات الأكاديمية، والاطلاع الواسع على الفكر المعاصر والفكر الديني، وتناولهم للقضايا الفقهية والعقدية بمنهجية وأسلوب علمي، داعياً للدقة فيما يتناولونه وبمنهجية علمية.

كلمة الشيخ الصفار

هذا وقد بدأ اللقاء بكلمة لسماحة الشيخ حسن الصفار عرف من خلالها بالضيف الذي جمع بين الدراسة الحوزوية والأكاديمية، وتميز بالنشاط العلمي والثقافي حتى وصل إلى درجات جيّدة في الدراسة الدينية، ونال درجة (الدكتوراه) من جامعة اكسترا في لندن.

وقال الشيخ الصفار: حلّ علينا الشيخ حسن البلوشي ضيفاً وجرى الحديث عن صورة الفكر الشيعي في الأوساط الأكاديمية في بريطانيا عامة والجامعة التي يدرس فيها بشكل خاص، فأحبيت أن يشاركنا الإخوة في سماع هذا الحديث.

وأشاد سماحته بالحالة العلمية والتقدم البحثي لدى فئة من الشباب المتدينين الملتحقين بالأكاديميات العلمية، التي أصبحت تسير بشكل متوازٍ مع الحوزات، داعياً إلى عمق الأبحاث ودقتها من خلال المناهج العلمية المتبعة لدى بعض الجامعات، والنشاط في الكتابة والترجمة لتعم الفائدة على الجميع.

مداخلات

وأوضح الأستاذ علي الحرز في مداخلته أنّ النظرة السلبية للمستشرقين كان سببها أنّ بعضهم كان سيئ السمعة وعمالته للاستخبارات كانت واضحة، ولكن هذا لا ينفي أنّ العالم الإسلامي استفاد من بعض إنتاجاتهم.

وطالب الأستاذ منصور سلاط بقراءة كتاب (الاستشراق) لإدوارد سعيد، بعيداً عن التعصب؛ لأنه كان يتحدث عن الظاهرة ويبين سلبياتها من إيجابياتها.

وعن الحذر من المستشرقين قال الأستاذ عبد الباقي البصارة: نحن نعلم أنّ كثيراً من المستشرقين هم أعيين للاستخبارات، ودورهم البحث عن نقاط الضعف لدى المسلمين لكي يسهل القضاء عليهم، مؤكّداً أنّ هذا لا ينطبق أيضاً على الجميع.

من جهته قال الدكتور البلوشي إنّ ما ذكر ليس الصورة الكاملة، وإنّ الاستشراق بدأ يأخذ منهجاً آخر بسبب تنوع المصادر، ففيهم من دافعه الفضول العلمي، وهناك التقاطع العلمي بين تاريخ أوروبا وتاريخ الشرق.

وروى أنّ أستاذه في الجامعة تبرأ من الاستشراق وبين أنه ليس مستشرقاً بل هو باحث أنثروبولوجيا (Anthropology)، مؤكّداً أنّ (النية) هي التي تبيّن الهدف من الدراسات والبحوث.



الشيخ الصفار يدعو إلى التوازن بين أداء العبادات والاهتمام بشؤون الحياة المتدينون المزايدون قد لا يعجبهم الكلام عن "الاقتصاد في العبادة"

دعا رجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار المجتمعات الدينية إلى تحقيق التوازن بين أداء العبادات والاهتمام بشؤون الحياة الأخرى من العمل وإعمار الأرض وخدمة الناس.

جاء ذلك خلال حديث أمس الجمعة (١٥ يناير / كانون الثاني ٢٠١٦)، بمسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار إن من مشاكل المجتمعات الدينية «إغفال هدف العبادات» حتى مع انتشار الأجواء العبادية الظاهرية من كثرة المساجد وصيام شهر رمضان والإقبال على الحج والزيارة.

وأضاف أن من المشكلات أيضًا ما وصفها بمشكلة تضخم الجانب العبادي على حساب المهام الحياتية الأخرى «كما لو أن الإنسان خلق ليصوم ويصلي فقط».

ومضى يقول إن الكادّين في طلب الرزق والعاملين في خدمة الناس والباحثين عن اكتشافات تنقذ حياة البشر لهم ثواب عند الله تعالى يضاهي ثواب من يصرفون وقتهم في أداء الحج والزيارة. وأوضح سماحته أن الغاية الأصل للدين هي أن يحيا الناس حياة طيبة في أجواء يسودها إقامة القسط والعدل بين الناس.

* صحيفة الوسط البحرينية. العدد ٤٨٧٩، السبت ١٦ يناير ٢٠١٦م الموافق ٠٦ ربيع الآخر ١٤٣٧هـ.

وتابع موضِّحًا بأنَّ هدف الصلاة هو النَّأي عن الفحشاء والمنكر، فإن لم يتحقق هذا الهدف فلا قيمة عندها لتلك الصلاة، وكذلك الحال مع سائر العبادات.

وقال الشيخ الصفار «لا ينبغي بالمتدينين أن يأخذوا بالعبادات فيما يغفلون عن القيم والأهداف التي شرعت من أجلها تلك العبادات».

وأضاف سماحته أنَّ حالة التفاوت بين أداء العبادات وتحقيق الهدف من وراءها «يُنْبئ عن وجود خلل». ولفت سماحته إلى أنَّ ذلك الخلل لا يقتصر على الأفراد وحدهم وإنَّما يطال الأمم والمجتمعات.

وفي السياق أشار سماحته إلى توصل باحثين في الولايات المتحدة إلى نتائج لافتة حول أكثر الدول التزامًا بمبادئ القرآن الكريم في مجالات العدالة الاجتماعية والحريات العامة.

وقال بأنَّ الباحثين توصلوا إلى أنَّ ثلاث دول غربية هي إيرلندا والدنمارك ولوكسمبورغ احتلت المراتب الأولى في التزام مبادئ القرآن في تلك المجالات في حين جاءت الدول الإسلامية في مراتب متأخرة.

الاقتصاد في العبادة

وأشار الشيخ الصفار إلى أنَّ من وصفهم بالمتدينين المزايدين قد لا يعجبهم الكلام عن مسألة «الاقتصاد في العبادة» حتى لو كانت تعجُّ بها المصادر الإسلامية مروية عن النبي وأئمة المسلمين، وهو عنوان باب من أبواب الحديث في مصادره.

وتابع بأنَّ الغرض من الحديث هنا ليس التقليل من أهمية أداء العبادات المختلفة وإنما لفت الأنظار إلى عدم إغفال الأهداف الكامنة خلف تلك العبادات.

ودعا المؤمنين إلى ضرورة تحقيق التوازن بين العبادة وشؤون الحياة الأخرى من العمل وإعمار الأرض وخدمة الناس.

القارات والجزر والبحار، ويقارن بينها بشغف، حتى وضع نظرياته في أصل الأنواع، وفي النشوء والارتقاء، والانتخاب الطبيعي، فحرّك بها ساكن المعرفة على هذا الصّعيد، وأصبحت محلّ أخذ وردّ.

وهو ذات الدافع الذي حرّك العالم الهولندي (ليفون هوك) ليرى الكائنات الأصغر مما تراه العين المجردة، فانهمك في تطوير العدسات وتكثيف التجارب عليها لعدد من السنين، حتى اكتشف عام ١٦٧٤ م من خلال عدساته الكائنات الدقيقة التي سمّيناها الجراثيم. ونجد مثل ذلك في مسيرة العالم الإيطالي غاليلو، الذي ألحّت على ذهنه التساؤلات حول علاقة الأفلاك والأجرام ببعضها، وقام بعملٍ وجهه دؤوب لتطوير تلسكوب قاده إلى العديد من الملاحظات والاكتشافات الفلكية^(١).

هذه القدرات والميول التي تدفع الإنسان للاكتشاف والاختراع، تحتاج إلى تنمية ورعاية واهتمام، من قبل الفرد ذاته، ومن خلال البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها، أما حين يتجاهل الفرد ما تنطوي عليه نفسه من قدرات واستعدادات، أو حين يعيش ضمن بيئة تفتقد الأجواء المشجّعة، فإنه لن يسلك هذا الطريق.

وهذا هو سرُّ التفاوت بين مجتمعات تنجب المبدعين والمخترعين، وتنتج العلم والمعرفة، وبين مجتمعات تعيش التخلف والركود.

إنّ الهدف الأساس للدين الإلهي هو إثارة عقل الإنسان، واستنهاض قدراته وطاقاته، ليتأمل في ذاته، ويستكشف الكون من حوله، ويدرس الطبيعة التي تحتضنه، وبذلك يعرف عظمة القدرة التي أنشأت الكون والحياة، ويدرك مهمته في الوجود، المتمثلة في الخضوع لله وإعمار الأرض، عن طريق العلم والمعرفة، والعمل والحركة.

لذا نجد معظم آيات القرآن الكريم تدعو إلى التفكير والنظر والتعقل، يقول تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

(١) إبراهيم كشت. جريدة الرأي الكويتية ١٦ يناير ٢٠١٣ م.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾
 ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ
 كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾

وحين استجابت الأمة الإسلامية لنداء مثل هذه الآيات القرآنية، أصبحت أمة رائدة على مستوى الحضارة والإنتاج العلمي، وبرز فيها العلماء المبدعون، الذين انفتحوا على تجارب الأمم الأخرى، واستوعبوا وطورها، وأضافوا باكتشافاتهم واختراعاتهم مكاسب جديدة، ومنجزات عظيمة، في مسيرة العلم والحضارة الإنسانية. هكذا كانت الأمة في ماضيها الزاهر، أما واقع الأمة في الزمن الحاضر فهو على العكس من ذلك تماماً، حيث تفصلها عن ركب الحضارة مسافة بعيدة، ولا يكاد يذكر لها إسهام في مجال العلم والمعرفة.

وكان الأمة قد أدارت ظهرها لمعظم آيات قرآنها المجيد، واكتفت بعدد من الآيات حول العبادة والشعائر الدينية.

إن أبناء مجتمعاتنا لا ينقصهم شيء من المؤهلات الذاتية لنيل المعرفة، ولتحقيق الإبداع والإنجاز العلمي، لكن ما ينقصهم هو البيئة المشجعة والأجواء الدافعة.

فمنذ زمن طويل تفتقد مجتمعاتنا الإسلامية الاستقرار السياسي، حيث تخضع للاستبداد، وتتفجر فيها الصراعات السياسية القاتلة، مما يعطي الأولوية لمعارك الصراع، وحرص كل طرف على امتلاك أقوى أدوات المواجهة للطرف الآخر، ويستنزف القدرات والإمكانات الوطنية، وكل ذلك على حساب التنمية، واهتمامات التقدم العلمي.

كما لا تزال الاختلافات الدينية تشغل مساحة واسعة من اهتمامات الناس في مجتمعاتنا، رغم مرور الأزمنة والقرون على نشأة هذه المذاهب المختلفة، لكن الجدل والنزاع لا يزال مستعراً بين أتباعها، يخبو تارة ويتأجج تارة أخرى، بما يستتبعه من إثارة للضغائن والأحقاد، وانقسام في المجتمعات، وتزييف للاهتمامات.

في مثل هذه البيئة المنشغلة بالصراعات السياسية، والاختلافات الدينية، من الطبيعي أن ينحسر الاهتمام بالعلم، وألا تتوفر فرص الإبداع والإنجاز المعرفي، ولا حرية التفكير والبحث العلمي.

من ناحية أخرى، فإن أبناء مجتمعاتنا يفتقدون الأجواء المشجعة والدافعة لهم للإبداع والإنجاز العلمي، بدءاً من العائلة، التي لا تتعامل مع أبنائها على أساس أنهم مشاريع لعلماء ومبدعين، وغاية ما تطمح إليه العائلة غالباً، هو حصول أبنائها على شهادات تؤمن لهم الوظائف لتسيير حياتهم المادية.

أما التعليم في بلداننا فأبعد ما يكون عن تربية الذهنية العلمية؛ لأنه يعتمد أسلوب التحفيظ والتلقين، ولا يمتلك معظم المعلمين مؤهلات تنمية مواهب الطلاب، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم.

وخلال هذا الأسبوع، أعلن في الرياض عن أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية، حيث فازت شخصيات عربية بالجائزة في ثلاثة فروع منها، هي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، واللغة العربية، أما في المجال العلمي فقد فاز أستاذان هولنديان بجائزة الطب، وأمريكي وبريطاني بجائزة العلوم.

وفي جميع الأعوام السابقة، كان الفائزون بجائزة الملك فيصل في فروع الطب وعلوم الطبيعة هم من الأجانب، إلا ما ندر.

وقد حمل لنا الأسبوع الماضي خبراً سعيداً يثلج الصدر على هذا الصّعيد، وهو ما أعلنته وكالة ناسا العالمية لعلوم الفضاء من إطلاق اسم أحد أبناء محافظة القطيف، الطالب المبتعث عبد الجبار عبد الرزاق الحمود، على الكوكب الجديد الذي تم اكتشافه مؤخراً، حيث سمي الكوكب باسم (الحمود) تقديراً لما حققه من نجاح في أبحاثه العلمية، وذكرت وكالة ناسا أن تسمية الكوكب (*alhamood 31926*) يأتي تكريماً للطالب عبد الجبار عبد الرزاق الحمود (مواليد سنة ١٩٩٦م)، بعد فوزه بأفضل بحث على المستوى العالمي، إضافة إلى تحقيق الطالب الحمود المركز الأول في بحوث

علم النبات في برنامج انتل ايسف العالمي ٢٠١٥ في الولايات المتحدة الأمريكية. كما تم تكريمه من قبل جائزة «نوبل» في حفلها الأخير المقام في السويد. وقد استمع كل هؤلاء العلماء إلى البحث الذي قدّمه عبد الجبار الحمود، والذي كان بعنوان «استخدام فيروس TRV عن طريق تحرير الجينوم باستخدام نظام CRISPR/Cas9».

وقد أثنى على بحثه هذا كبار العلماء من الحضور، حيث اعتبروه بحثًا مثاليًا، وثورة في عالم جينات النبات، وتم تكريمه ومنحه جائزة مقدارها ٨٠٠٠٠ دولار أمريكي من قبل المركز.

شارك عبد الجبار الحمود في العديد من المسابقات العلمية أثناء دراسته في المرحلتين المتوسطة والثانوية في السعودية، حيث حصل على ميدالية ودرع وجوائز رسمية أخرى في مجال الروبوت، كما وصل للمرحلة النهائية في المشاركة بمسابقة بحث نظام الحماية من الحرائق على مستوى المنطقة الشرقية، وحصل على المركز السادس على المستوى المحلي والثالث عربيًا لمشاركته في برنامج ايسك الذي أقيم في قطر.

وكان لبيئته العائلية دور أساس في تشجيع موهبته وطموحه العلمي، فوالده كان يعمل مهندسًا استشاريًا في شركة أرامكو السعودية، ووالدته معلّمة، ولاهتمامهما بتربية أبنائهما، فإن إخوة عبد الجبار وأخواته جميعًا من ذوي الشهادات العلمية المتقدمة.

وتزامنًا مع هذا الإنجاز الرائع للحمود، حققت إحدى بنات المحافظة إنجازًا علميًا مشابهاً، حيث حصلت الطيبة المبتعثة بسمات محمد المعلم على جائزة أفضل بحث على مستوى أوروبا في فئة أبحاث طب العيون، مقدمة من منظمة دعم أبحاث أمراض العيون الأوروبية.

يأتي ذلك نظير اكتشافها لطفرات وراثية جديدة تتسبب في إصابة العيون بمرض الرأرأة الخلقي «congenital nystagmus» وهو شكل من حركات العين اللا

إرادية، التي تؤدي إلى خلل الرؤية وضعفها لدى الأطفال.

إضافة لتقديمها لبحث تفصيلي يسهم في تطوير هذا الاكتشاف والحد منه في محاضرة قدّمها بمؤتمر طب العيون المنعقد في شهر أكتوبر المنصرم بمدينة نيس الفرنسية.

وأوضحت الطبيبة المعلم التي تدرس الدكتوراه في تخصص أمراض العيون الجينية بجامعة جنت البلجيكية، أنّ هذه الدراسة استغرقت مدة عامين، تخللها الفحص الإكلينيكي للحالات المرضية، واستخلاص الحمض النووي، ودراسة الطفرات المسببة للمرض، وتحديد مدى خطورتها، وكيفية الحد منها.

وتم نشر هذا البحث في مجلة طب العيون الأمريكية «*IOVS Journal*» وهي مجلة علمية محكمة، تحتل المرتبة الخامسة عالمياً على مستوى المجالات العلمية في تخصص طب العيون، حسب تصنيف *ISI web of knowledge*.

إنّ ما حققه الحمود وما حققته بسمات المعلم من إنجاز علمي نفخر به، يجب أن يكون دافعاً لأبنائنا وبناتنا نحو الجدّ والاجتهاد في دراستهم، وإقبالهم على العلم والمعرفة بالثقيف الذاتي، والمشاركة في النشاطات العلمية المحلية والدولية.

كما يجب أن يكون محفّزاً للعوائل للاهتمام بتعليم أبنائهم وبناتهم وتنمية مواهبهم وقدراتهم، ليكونوا مشاريع إنجاز وإبداع.

وعلى المجتمع أن يحتفي بالطاقات المبدعة، والكفاءات المتميزة، تقديراً لها، ولتصبح نماذج اقتداء لأجيالنا الصاعدة.

كما لا يفوتنا الإشادة بالمؤسّسات الوطنية المهمة برعاية الموهوبين والمبدعين، كمؤسسة موهبة، وجامعة كاوست.

نسأل الله تعالى أن يوفق أبناءنا المبدعين لمواصلة مسيرتهم العلمية وتحقيق المزيد من العطاء والإنجاز، لخدمة وطنهم ومجتمعهم، وخدمة البشرية جمعاء. كما نسأله تعالى لوطننا الرقي والازدهار والأمن والاستقرار.



الشيخ "الصفار": يشيد بالمواقف الحكيمة، و"الخرس": الأحساء عصيةً على المعتدين*

طالب الموسى - الأحساء نيوز

أشاد الشيخ حسن الصفار بالمواقف الحكيمة لعلماء وأعيان ورجالات الأحساء والأهالي وتماسكهم في أشد الظروف الصعبة وما شهدته الأحساء من أعمال تخريبية إرهابية لا تمت للإسلام بصله حيث طالت تلك الأعمال الإرهابية مساجد الله والحرمات واستباحت دماء المؤمنين الأبرياء، وذلك لتصدّيهم لكافة الفتن التي تحاك ضدّ المجتمع الأحسائي الذي عرف كأنموذج للتعايش السلمي بين كافة طوائفه الإسلامية بلا تفریق على مرّ الأزمان والعصور، ومشيداً بصوت الوحدة الوطنية الذي يعلو دائماً هنا للتصدي لكافة الفتن الذي تهدف لبثّ نار الفتن الطائفية في المنطقة والوطن.

من جهته أكّد الوجيه محمد الخرس لصحيفة (الأحساء نيوز) بأنّ الأحساء بوحدتها وتعايشها السلمي «عصيةً» على أهل الفتن والمخربين أيّما كان مبتغاهم وأهدافهم الضالة، ومشيراً إلى مواقف أهالي الأحساء التي جاءت بعد تلك الأحداث التخريبية التي تعرضت لها المنطقة مؤخراً، وداعياً الجميع إلى الترابط والصمود ضدّ هذه الفتنة والوقوف مع الدولة صفّاً واحداً لكي تكتمل الجهود لحفظ أمن هذه البلاد الغالية ليعيش الجميع بسلمٍ وسلام.

كان ذلك خلال زيارة وفدٍ من علماء الدين بالقطيف يتقدّمهم سماحة الشيخ حسن

الصفار إلى رجل الأعمال الوجيه الأحسائي محمد الخرس «أبو هاني» مساء أمس الخميس في منزله بالخرس، وذلك على هامش تواجدهم في الأحساء لتقديم واجب العزاء ومواساة الأهالي في عزاء شهداء مسجد الإمام «الرضا» بمحاسن الأحساء الذين قضوا نحبتهم في التفجير الأثم في صلاة الجمعة الماضية.

هذا ورحب الوجيه الخرس بالمشائخ لتشريفه بهذه الزيارة ولحراكتهم المبارك وتواجدهم في الأحساء لتقديم واجب العزاء، حيث دار الحديث خلال الزيارة حول الظروف الصعبة والتحديات التي يواجهها المجتمع والأفعال الإرهابية في المنطقة التي كان آخرها التفجير الأليم في مسجد الإمام «الرضا» بمحاسن الأحساء الذي راح ضحيته أربعة من شهداء الصلاة الأبرياء.

وكان الشيخ الصفار بمعية عدد من المشايخ قد شارك في مجلس عزاء الشهداء صباح الأربعاء ٢٤ ربيع الآخر الموافق ٣ فبراير ٢٠١٦م، ولبى دعوة الغداء في منزل الحاج محمد الخرس (أبو هاني)، الذي دعا جمعاً من العلماء والشخصيات على شرف سماحته.



الرياض
1437 هـ الموافق 2015 م - 1438 هـ الموافق 2016 م

عدد 1077 - 1078

حذر من جهات تسعى إلى تشويه صورة الإسلام

الشيخ حسن الصفار يدين حادثة الأحساء الإرهابية وقتل الجنديين في سيهات



الشيخ حسن الصفار
شدد الشيخ حسن الصفار على أن الأعمال الإرهابية التي تستهدف المسلمين في السعودية تعود إلى حادثة من استنساب القتل «إرهابية» مستنسخة كمنهجية إرهابية شاذة وبالشدة وما يخالف قيم ومبادئ الإسلام.

وأن في مسجد الرسالة بمدينة القطيف التي شارك جهات متخفية على الأعمق عدت إلى تحويل الدين الذي يدعو إلى العدل واحسان إلى كافة المصلين والاحتراب والاعتزاز والتمتع والرحمة والبركات النبوية التي تكلمت بالصدق والشفقة والبركة.

وأن استنساب الاحساء على مسجد الرضا من محاسن في الاحساء، وبمقتضى ما يعلل الإرهابي الذي لا يحصى أوجهه كما هو في الوقت نفسه حادثة مقتل رجلين أمن في مدينة سيهات، إذ كان الشهيدان يقومان بواجبهما في حماية سيارة نقل المصلين.

وأن في الأمانة القبطية جهات تنسب إلى الدين عبادات ولا تزال على فريق كل ما يخالف قيمه ومبادئه التي هي خلق شباب الآلة الحديثة في الوسائل الحديثة بنسب أن يتورطوا في قتل الجنديين والاحساء، ولا يجب أن يتناول من طرف من تلك الجهة التي قد أورد في أو كلاً، مستنداً إلى خلاف قيم الدين التي هي عبادة الله المخلصين من ذلك.

وأشار إلى أن الأمانة القبطية ينبغي أن تكون الصادقة والشفقة في ردهم حتى لا يتسبب قتلهم من هذا أو ذلك إلى التورط في مصادمات جديدة من حالة استنساب القتل التي قد يمارسها هؤلاء في مواقع عديدة.

وأن الشيخ الصفار بأن استنساب القتل قد يقع المتدين المادي إلى الضمير في أوضاع الناس والمسلمين منهم وأسقطهم باسم الدين، إنما كما يقع الإرهابي قاتل المصلين في المساجد، مشيراً إلى هذا حرام وأنه يعاقب الله ولا يظلم أحداً.

داعياً إلى ثقافة دينية رامية لتبني ثقافة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وكونه على صورة المصطفى والمتمسك في نفس الإنسان.

حذر من جهات تسعى إلى تشويه صورة الإسلام

الشيخ حسن الصفار يدين حادثة الأحساء الإرهابية وقتل الجنديين في سيهات

منير النمر

شدد الشيخ حسن الصفار على أن الأعمال الإرهابية التي تستهدف المصلين في المساجد تعود إلى حالة من «استلاب العقول» يمارسها منتسبون للدين، إذ يشحنون شباب الأمة بالتشدد وبما يخالف ويؤدّم قيم ومبادئ الدين الإسلامي.

وقال في مسجد الرسالة بمدينة القطيف «إن هناك جهات محسوبة على الإسلام، عمدت إلى تحويل الدين الذي يدعو إلى العدل والاحسان إلى مادة للعنف والإرهاب والاحتراب، وانتهاك الشعائر والحرمة الدينية، عبر تفجير المساجد واستهداف الأبرياء».

ودان الصفار الاعتداء على مسجد الرضا بحي محاسن في الاحساء، واصفاً إياه بالعمل الإرهابي الذي راح ضحيته أربعة شهداء، كما دان في الوقت نفسه حادثة مقتل رجلي أمن في مدينة سيهات، إذ كان الشهيدان يقومان بحماية سيارة نقل الأموال في سيهات مطلع الأسبوع الماضي.

وقال إنّ الأمة الإسلامية ابتليت بجهات تنتسب إلى الدين، عملت ولا تزال على تزريق كلّ ما يخالف ويدمر قيم ومبادئ الدين في عقول شباب الأمة، مضيفاً «إنّ الانسان المتديّن ينبغي أن يلتزم بمبادئ وقيم الدين الانسانية، ولا يصحّ أبداً أن يتنازل عن شيء من تلك القيم؛ لأنّ فلانا أمره، أو قال له أو أفناه»، مشدداً بأنّ طاعة أيّ شخص بخلاف قيم الدين إنّما هي عبادة لذلك الشخص من دون الله.

وأضاف يقول «إنّ الإنسان المسلم ينبغي أن تكون المبادئ الدينية واضحة في ذهنه، حتى لا يُستلب عقله من هذا أو ذاك، وأنّ المتديّن العادي مدعو للحذر الشديد من حالة استلاب العقل، التي قد يمارسها بحقّه الآخرون في مواضيع عديدة».

وذكر الشيخ الصفار: بأنّ استلاب العقل قد يدفع المتديّن العادي إلى الطعن في أعراض الناس، والنيل منهم، وتسقيطهم باسم الدين، تماماً كما يدفع الإرهابي لقتل المصلين في المساجد، مضيفاً «إنّ هذا حرام وذاك حرام، وهذا ظلم وذاك ظلم أيضاً». داعياً إلى ثقافة دينية واعية، تثير للناس دفائن العقول، وتؤكد محورية العقل والضمير في نفس الإنسان.

وأكد على الاهتمام باستحضار العقل في التوجيه الديني، وتقييم مختلف الدعوات والآراء والمواقف الدينية، على ضوء المبادئ والقيم، من العدل والإحسان، ورفض الظلم والعدوان، خاصة على صعيد الشأن العام والعلاقات الاجتماعية.



في تأبين الملا خليل أبو زيد

الشيخ الصفار يؤكد ضرورة التصدي للشأن الاجتماعي وتواصل نخب المجتمع*



أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار،
بخدمة الفقيه الراحل الملا خليل أبو زيد
للمنبر الحسيني، طيلة سبعة عقود من حياته،
وبتربيته لجيل من الخطباء اللامعين (توفي
في ٢١ / ٢ / ٢٠١٦م).

جاء ذلك في ختام مجالس التأبين لأستاذ
خطباء تاروت الملا خليل أبو زيد، في مسجد
المصطفى بحَيِّ التركيّة بالقطيف (ليلة الجمعة ١٧ جمادى الأولى ١٤٣٧هـ الموافق
٢٦ / ٢ / ٢٠١٦م).

وركّز الشيخ الصفار على الدور الذي كان يمثله المجلس اليومي في منزل الفقيه
الراحل، حيث يجتمع عدد من خطباء تاروت ومثقفها، ويتداولون أخبار المجتمع،
ويتبادلون التجارب والخبرات، ويعززون فيما بينهم مشاعر المحبة والاحترام
والتعاون.

مؤكدًا أهمية التواصل داخل نخب المجتمع، وضرورة تصديها للشأن الاجتماعي العام.

وأشار إلى أن مجتمع المنطقة يزخر بالكفاءات والقدرات المتميزة، في مختلف المجالات العلمية والأدبية والفنية والرياضية. واستعرض عددًا من الأسماء اللامعة في تاريخ المنطقة، كالشيخ إبراهيم القطيفي (٩٤٥هـ) الذي نال احتفاءً واحترامًا من كبار علماء النجف الأشرف، حينما هاجر إليها، وتتضمن كتبه العلمية طرح آرائه ومناقشة الآراء الأخرى كبحوث المحقق الأردبيلي، وصاحب الجواهر، والشيخ الأنصاري. ودخل الشيخ إبراهيم القطيفي معركة علمية مع المحقق الكركي الفقيه البارز في الدولة الصفوية في إيران آنذاك.

وكذلك الشيخ محمد آل عبد الجبار (توفي ١٢٥٢هـ) الذي كانت له مرجعية في أطراف إيران والعراق والخليج، وارتضاه العلماء في النجف وكرلاء حكمًا في الخلاف حول آراء السيد الرشتي. وله شرح لأحاديث أصول الكافي يعتبر من أوسع الشروح وأدقها في الوسط العلمي.

كما استعرض الشيخ الصفار لمحة عن شخصية الشيخ حسن علي البدر (١٢٧٨هـ - ١٣٣٤هـ) وجهاده ضد الغزو الإيطالي لليبيا، والاحتلال البريطاني للعراق.

واستذكر سماحته في هذا السياق شخصية الشيخ علي أبو الحسن الخنيزي (١٣٢٤هـ - ١٣٧٤هـ)، وريادته في طرح موضوع التقارب المذهبي من خلال كتابه القيم (الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية) الذي يقع في مجلدين كبيرين، وأسف الشيخ الصفار لتغييب هذا الكتاب مع حاجة الساحة الوطنية لمنهجيته في معالجة الخلافات المذهبية، بروح علمية، وبلغة موزونة معتدلة، وليس بأسلوب التشنج والبذاءة.

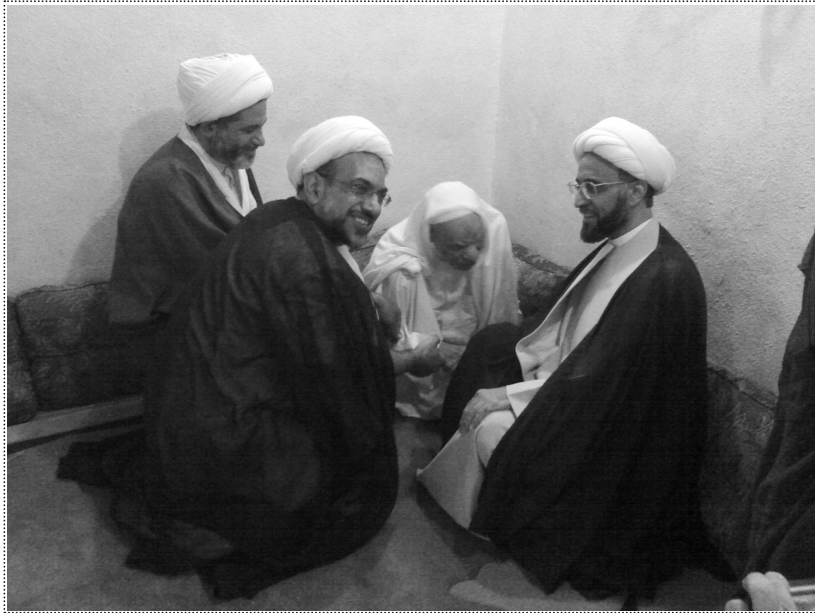
وأشار إلى شخصية الأستاذ سلمان الصفواني (١٣١٩هـ - ١٤٠٩هـ) الذي أصدر جريدة (اليقظة) سياسية يومية في بغداد سنة ١٩٢٤م، وشخصية الأستاذ محمد حسن

النمر (١٣٠٠هـ-١٣٩٧هـ) الذي أصدر هو الآخر جريدة (بهلول) سياسية نقدية في بغداد سنة ١٩٣٢ م. وقد وصف الشيخ الصفار هذه الكفاءات وأمثالها، بأنها تمتلك الثقة بالذات، والتطلع والطموح، والجرأة في طرح المواقف والآراء، وتبني القضايا الكبرى للأمة والدين.

وقال الشيخ الصفار إن بروز الكفاءات في المجتمع مكسب عظيم، لكن المطلوب إلى جانب ذلك تلاقي هذه الكفاءات وتواصلها، وتصديها للشأن الاجتماعي. وما يشكو منه مجتمعنا هو ضعف روح العمل الجمعي، وخاصة في أوساط النخب الاجتماعية.

مشيرًا إلى أن اختلاف الآراء والتوجهات لا ينبغي أن يكون عائقًا أمام تواصل النخب، لبلورة الآراء وإنصاحها، وتنظيم الاختلاف وحسن إدارته.

وختم الشيخ الصفار حديثه بالإشادة بالسمات الأخلاقية الفاضلة لشخصية الفقيد الراحل.





قال رجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار إن «القوامة الشرعية للزوج على المرأة لا تشمل الجانب الفكري والعقدي... فلا شأن للزوج بأمر المرأة أو مذهب معتقه الزوجة». جاء ذلك خلال حديث الجمعة أمس (٤ مارس) أذاعه مركز «الوسط» في الرياض.

وقال الشيخ الصفار إن لا سلطة للزوج على زوجته في المجال العقدي والفكري مبتدأ، موضحاً بأن العلاقة بينهما في هذا المجال مختلفة بين اثنين من سائر الناس، فموضع الحوار والسعي للهداية والإرشاد، والمصاحبة في إقامة الرجل على الشريعة لا يرد من حق الرجل على زوجته في أمرين اثنين: حق الاستمتاع الجنسي ما لم يكن هناك منع وحل «المسألة» أي ألا يخرج من المنزل إلا بإذن الزوج، والصف مستحبه بل لا حل لها عند الرجل على المرأة خارج المنزل.

ويشدّد الصفار بأن قوامة الرجل على المرأة لا تشمل الجانب الفكري والعقدي، فلا شأن للزوج بأمر المرأة أو رأي أو مذهب معتقه الزوجة، وإذا كانت زوجته كاتبة غير مسلمة لا يصبغ له أيديها على الصلاة ومعه يقول أمام حشد من المسلمين أن القوامة لا تخص إلا تتنازل المرأة عن شخصيتها وكيانها وتصبح بزوج الرجل في كل شيء «أين ما لم يول به بقره الشرع الإسلامي».

وأوضح الشيخ الصفار بأن قوامة الرجل على الزوجة لا تعني الإكراه التام لشخصية المرأة والأضلاع المطلق للزوج في مختلف المجالات، وتلك «السلطة» التي يفرضها الإسلام على بعض العبادات والأحكام والتفويضات الشرعية التي تعزز القوامة على المرأة ولأن بعض العبادات والتفويضات في بعض المجتمعات الحديثة والدينية فيها تغيرت بخلاف تلك وأشار الشيخ الصفار إلى أن بعض أمة أهل البيت كانت لهم زوجهات مطلقات على نحو غير في الرأي والتوجه العقلي والسياسي، ولم يحدوا بغيره عن تغير قناعاتهم تحت أي مبرر، وأوقع ذلك إلى أن العقول الإنسانية والحكمة وهي التعبير عن ذات قوم متميزة، وأن الإنسان كائن مستقل يعطي احترامه وإقراره وحرمة.

الشيخ الصفار: لا شأن للزوج بأمر المرأة أو مذهب معتقه الزوجة*

قال رجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار إن «القوامة الشرعية للرجل على المرأة لا تشمل الجانب الفكري والعقدي... فلا شأن للزوج بأمر مذهب معتقه الزوجة». جاء ذلك خلال حديث الجمعة أمس (٤ مارس / آذار ٢٠١٦)، في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية.

وقال الشيخ الصفار أن لا سلطة للرجل على زوجته في المجال العقدي والفكري بتاتاً، موضحاً بأن العلاقة بينهما في هذا المجال كالعلاقة بين أي اثنين من سائر الناس تخضع لعنوان الحوار والسعي للهداية والإرشاد. وأوضح بأن قوامة الرجل في الشريعة لا تزيد عن حق الرجل على زوجته في أمرين اثنين؛ حق الاستمتاع الجنسي ما لم يكن هناك مانع، وحق المساكنة «أي ألا تخرج من المنزل إلا بإذن الزوج». وأضاف سماحته بأن لا حق شرعياً للرجل على زوجته خارج هذين الأمرين.

وشدّد الصفار بأن قوامة الرجل على المرأة لا تشمل الجانب الفكري والعقدي، فلا شأن للزوج بأمر فكرة أو رأي أو مذهب معتقه الزوجة، وإذا كانت زوجته كاتبة غير مسلمة فلا يصبغ له إجبارها على الإسلام. ومضى يقول أمام حشد من المصلين إن القوامة لا تعني أن تتنازل المرأة عن شخصيتها وكيانها وتصبح طوع الرجل في كل شيء «فإن هذا ما لم يقل به الدين ولم يقره التشريع الإسلامي».

وأوضح الشيخ الصفار بأنّ قوامة الرجل على الزوجة لا تعني الإلغاء التام لشخصية المرأة والإخضاع المطلق لسلطة الزوج في مختلف المجالات. وانتقد «المتكلمين» في تطويع النصوص الدينية لإسباغ الشرعية على بعض العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية التي تعزّز الهيمنة على المرأة. وقال إنّ بعض العادات والأعراف والتقاليد قد يوافق تشريعات الدين وآدابه فيما الكثير منها بخلاف ذلك.

وأشار الشيخ الصفار إلى أنّ بعض أئمة أهل البيت كانت لهم زوجات مخالفات على نحوٍ كبير في الرأي والتوجه العقدي والسياسي، ولم يكونوا يجبرونهن على تغيير قناعاتهن تحت أيّ مبرر. وأرجع ذلك إلى أنّ اعتبار الإنسانية والكرامة وحقّ التعبير عن الذات قيم حاكمة، وأنّ الإنسان كيان مستقلّ ينبغي احترام إنسانيته وقراره وحرّيته.

الوسط

بمبادرة جمعية الوسط

العدد: 4934 | الجمعة 11 مارس 2016، الموافق 02 جمادى الآخرة 1437 هـ.



«الصفار» ورأس الفهم الديني الضال والشكل ضد المرأة
وجه رجل الدين السعودي، حسن الصفار انتقادات لما وصفه بـ«الفهم الديني الضال» والسيء والمتحيز ضد المرأة، محملاً إياه المسؤولية عن تعطيل التنمية وتشويه سمعة الإسلام حيال قضايا المرأة.

جاء ذلك خلال خطبة الجمعة اليوم (11 مارس/آذار 2016) في مدينة الرياض بمدينة القطيف شرق السعودية، وتلقاها «الوسط» من مكتب الصفار في مدينة القطيف.

ورأس الصفار «الآن تكفي حقوق المرأة في النظر من المجتمعات الأجنبية ويظهر أنها تعجز المرأة ولا تؤثر كما تعرض اختلافات لمشكلة الإسلام في فهم الدين».

وأوضح أن الفهم العربي السويدي ترواحل ترواحل ما بين منصف المرأة وتحميها تعرض المرأة في المجتمعات المتقدمة من أبناء الأمة.

وذكر الصفار: «الآن تكفي حقوق المرأة في النظر من المجتمعات الأجنبية ويظهر أنها تعجز المرأة ولا تؤثر كما تعرض اختلافات لمشكلة الإسلام في فهم الدين».

وتابع الصفار: «الآن تكفي حقوق المرأة في النظر من المجتمعات الأجنبية ويظهر أنها تعجز المرأة ولا تؤثر كما تعرض اختلافات لمشكلة الإسلام في فهم الدين».

وأوضح الصفار: «الآن تكفي حقوق المرأة في النظر من المجتمعات الأجنبية ويظهر أنها تعجز المرأة ولا تؤثر كما تعرض اختلافات لمشكلة الإسلام في فهم الدين».

وتابع الصفار: «الآن تكفي حقوق المرأة في النظر من المجتمعات الأجنبية ويظهر أنها تعجز المرأة ولا تؤثر كما تعرض اختلافات لمشكلة الإسلام في فهم الدين».

وأوضح الصفار: «الآن تكفي حقوق المرأة في النظر من المجتمعات الأجنبية ويظهر أنها تعجز المرأة ولا تؤثر كما تعرض اختلافات لمشكلة الإسلام في فهم الدين».

«الصفار» يرفض الفهم الديني الضال والمنحاز ضد المرأة*

وجه رجل الدين السعودي، حسن الصفار انتقادات لما وصفه بـ«الفهم الديني الضال» والسيء والمنحاز ضد المرأة» محملاً إياه المسؤولية عن تعطيل التنمية وتشويه سمعة الإسلام حيال قضايا المرأة.

جاء ذلك خلال خطبة الجمعة اليوم (11 مارس/ آذار 2016) في مسجد الرسالة بمدينة القطيف شرق السعودية، وتلقاها «الوسط» من مكتب الصفار نسخة من الخطبة.

وقال الصفار «لا تزال تنتقص حقوق المرأة في الكثير من المجتمعات الإسلامية وينظر إليها نظرة دونية ولا تتوفر لها الفرص المتكافئة للمشاركة في تنمية المجتمع».

وأوضح أن المملكة العربية السعودية تواجه تياراً متشدداً يمانع من إنصاف المرأة وإتاحة الفرص أمامها في العمل والمشاركة العامة استناداً إلى فهم ديني خطأ ومقولات غير ثابتة.

وأضاف أن الفهم الديني المتشدد والمتحيز ضد المرأة هو الذي عطل التنمية وشوّه سمعة الإسلام عند الأجيال الصاعدة من أبناء الأمة وعند الآخرين.

وانتقد «الفهم الديني الضال» والسيء والمنحاز ضد المرأة» الذي تتبع منه بعض القوانين والتشريعات.

* صحيفة الوسط البحرينية. العدد 4934، الجمعة 11 مارس 2016م الموافق 2 جمادى الآخرة 1437 هـ.

وشدّد القول «إنّ المرأة تمثل نصف المجتمع، وحينما تظلم المرأة يكون نصف المجتمع مظلوماً».

وتابع «عندما يجري الإساءة للمرأة بعنوان ديني فإنّ ذلك يعني الإساءة للدين، عندما ينسب إليه احتقار المرأة والنظرة الدونية إليها».

وجاءت تعليقات الصفار على خلفية اليوم العالمي للمرأة المصادف للثامن من مارس / آذار.

إلى ذلك، أعرب الصفار عن رفضه القاطع النظرة القائلة بأفضلية الرجل المطلقة على المرأة.

وقال إنّ «الأنوثة لا تعني الدونية والرجولة لا تعني التميز والتفوق.. الرجولة ليست مسوّغاً للتمييز والأنوثة ليست سبباً للتأخر».

وأوضح بأنّ معايير التفوق بين الرجل والمرأة تعود في نظر الشريعة إلى ثلاثة معايير فقط، هي: التقوى والعلم والعمل الصالح.

وأسف إلى واقع الكثير من البلاد والمجتمعات الإسلامية المخالف لنظرة الإسلام وأحكام الدين على صعيد حقوق المرأة.

وأعرب عن اعتقاده بأنّ النظرة «الجاهلة» القائلة بالتفوق الذكوري مردّها إلى عهود سحيقة كانت فيها القوة الجسدية هي المعيار الوحيد للتفوق والهيمنة في ظلّ انعدام فرص البروز أمام المرأة.

وأشاد الصفار بالتقدم النسبي في السعودية المتمثل في تعليم المرأة وفتح «بعض الأبواب» على صعيد العمل إلى جانب دخول المرأة مجلس الشورى ومشاركتها في الانتخابات البلدية.

واستبعد أيّ موانع شرعية من تعيين امرأة سفيرة للبلاد أو وزيرة ضمن الحكومة



قائلاً «ما الذي يمنع أن تكون هناك امرأة وزيرة على غرار البلاد الخليجية والعربية والإسلامية الأخرى».

ودعا في السياق إلى إصلاح قوانين الأحوال الشخصية التي لا تزال تعوق حركة المرأة ولا تنتصف لها في مجالات الزواج والطلاق والحضانة، عبر إعمال الآراء الفقهية المتسامحة والنأي عن فرض الآراء الفقهية المتشددة على المجتمع.

وأسف الصفار إلى «احتدام النقاش في بلادنا عن الحق في قيادة المرأة للسيارة في الوقت الذي باتت فيه المرأة تقود الأوطان عبر العالم».

وأضاف «التطور البشري الذي أتاح فرصاً متكافئة للرجل والمرأة كشف عن تنافس حقيقي بين الجنسين على صعيد الذكاء والتفوق العلمي والإدارة والقيادة».

وتابع «إنّ ذلك قاد إلى تسلم المرأة رئاسة الحكومة في ١٩ دولة أبرزها ألمانيا والبرازيل والأرجنتين إلى جانب خمس وزيرات دفاع منها في ألبانيا وإيطاليا وهولندا».

وأفاد بأنّ «هناك علاقة على ذلك مرشحتين بارزتين اليوم إحداهما لقيادة الدولة الأعظم الولايات المتحدة الاميركية والثانية لقيادة منظمة الأمم المتحدة».



الشيخ الصفار مؤبناً السيد الوداعي

كان أنموذجاً في الورع والقرب من الناس

عبر سماحة الشيخ حسن الصفار عن عميق حزنه وألمه لوفاة سماحة العلامة السيد جواد السيد فضل الوداعي من كبار علماء الدين في البحرين، والذي انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ الموافق ٢١ مارس ٢٠١٦م، وكانت ولادته بتاريخ ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٢هـ الموافق ٢٤ ديسمبر ١٩٢٣م. وأشاد الشيخ الصفار بأهم صفات الفقيه الراحل وهي الورع والنزاهة حيث عرف ببساطة العيش والتواضع، والتزام الاحتياط في الأمور الدينية، وحسن الخلق مع جميع الناس بغض النظر عن اتفاهه أو اختلافه معهم، كما كان مهتماً بالدفاع عن حقوق الناس.

وامتاز رحمه الله بالقرب من الناس وتفقد حاجات الضعفاء منهم، والإصغاء لتساؤلاتهم والإجابة عليها بكل لطف ووضوح، لذلك اتفق الناس على محبته واحترامه على اختلاف توجهاتهم الفكرية والسياسية.

وأشار الشيخ الصفار إلى تواصل الفقيه الراحل مع الأوساط العلمية الدينية في القطيف حيث يحرص على التواصل معهم في مناسبات الأفراح والأتراح.

وقد بادر سماحة الشيخ الصفار للذهاب إلى البحرين للمشاركة في عزاء الفقيه الراحل، وتقديم واجب العزاء لأسرته الكريمة، ولعلماء البحرين الأفاضل، صباح يوم الأربعاء ١٤ جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ الموافق ٢٣ مارس ٢٠١٦م.

تغمده الله بواسع رحمته وحشره مع النبي وآله الطاهرين، وخلف على مجتمعه بالخلف الصالح.



نمط الشعوذة بين الناس القائم على مزاعم حول تلبس الجنّ والشياطين من ثمّ كتابة الأحجبة وادّعاء الرقية الشرعية».

وأضاف أنّ «الخرافيين والمشعوذين لا تقوم سوقهم الرائجة إلا على أكتاف السذج والمغفلين فقط». وتابع أنّ «الخرافيين يلجأون إلى ترهيب الناس من عواقب عدم امتثالهم لخرافاتهم التي لا أساس لها والقائمة أساساً على الأوهام والأطياف والمنامات».

وأضاف أنّ «مشكلة المشاكل تكمن في وجود أجواء ترهيبية غرضها تكميم أفواه المنتقدين والمعترضين باتهامهم في دينهم ووصمهم بالعداء لأهل البيت والخروج عن العقيدة الصحيحة».

وأشار إلى أنّ «المحصّلة النهائية لتكميم الأفواه هي انطلاء الخرافات والأوهام على الناس وتشويه صورة الدين وتلوّث سمعة المذهب وإشغال الناس باهتمامات زائفة على حساب الأعمال الحقيقية التي تثري حياتهم وتنمي مجتمعاتهم».

وأعرب الصفار عن اعتقاده بأنّ «لأجواء التوتر وصراع الهويات دوراً في قيام السوق السوداء التي تمارس التدليس تحت شعار الدين». مضيفاً «أنّ هناك قنوات فضائية عديدة باتت جزءاً من التوجهات الخرافية».

وأمام حشدٍ من المصلين حثّ الصفار على اليقظة و«أن لا يتنازل المرء عن عقله» خضوعاً لخرافات وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان.

كما حثّ على التقيّد بالسنن الإلهية والأخذ بالأساليب الطبيعية والتوكل على الله. مضيفاً بأنّ من الخطأ الكبير الاكتفاء بالغيبات وتجاهل القوانين والسنن الطبيعية.

ولخصّ العلاقة بين ضرورة اتباع السنن الطبيعية والاعتماد على الغيب في الحديث النبوي الشريف «اعقلها وتوكل».

الوسط

العدد: 4855 | الجمعة 01 أبريل 2016 | الموافق 23 صفر 1437 هـ



دعا الشيخ حسن الصفار إلى وقفة أكثر إنسانية حيال ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال مساهمة على نحو أكبر في إنشاء المراكز الخاصة برعاية أفراد هذه الفئة.

جاء ذلك خلال خطبة الجمعة في مسجد الرملة بمدينة القطيف شرق السعودية اليوم الجمعة (1 أبريل/ نيسان 2016).

وبعدية اليوم العالمي لتوعية مرضى التوحد الذي يعطى يوم السبت تكريم للشيخ الصفار على البشيرية وتفهمه جانب من تعاقب على الخدمة العلمية الخاصة بالاحتياجات الخاصة بمرض التوحد لاكتشاف أسبابه وانتشاره من التوحد.

وقال إن مرض التوحد الذي يتفك بولده من 88 3000 إنسان يعجز عن الان بمرضا أفضضا لم يلق الخدمه على أيديه العلمية. وعلى الصعوبة العملي دعا الصفار إلى ترجمة الخدمة العلمية في المجتمع إلى مشاريع إنسانية حول الضطاء وذوي الاحتياجات الخاصة. وأتمم مدير المركز الخيرية العلمية عن استنباط الأبعاد المتزايدة من المصائب دعا الصفار إلى مساهمة مجتمعاتهم أكثر في إنشاء المراكز الخاصة بمرضى التوحد.

وأوضح إن مساهمة ذوي الاحتياجات الخاصة لا تظل أمرا مؤقتا عن المساعدة في بناء المسجد أو الصنعية أو مساهمة الجنية بل قد تكون أكثر حين تشكل العجبة إلى ذلك.

وتابع القول إنه لا توجد خدمة علمية في المجتمع التي مشاير إنسانية مستكون ملة بنية شكية ومفردا لفرقة من أو مشكورين. وقال الشيخ الصفار "إنما تطرح المسألة الإنسانية في الحلقة في طريقة تعامله مع ذوي الاحتياجات الخاصة".

وفي السياق حدّد الصفار الأسس التي عليها انطلق مسكون بقره على إرضاء قضاء الله والتعاطف مع الملة لهم وفق ما يتلون عليه. وأضاف بأن طلق الحساب من محيط الانتماء في السجود والصنعية والتدري والعمرسة داعيا إلى تقبيل الجوهرة لتأجيلهم لتأجيلهم لتأجيلهم في التوحد.

كما أعرب عن التفهم والتعاطف في محاور خدمة ذوي الاحتياجات الخاصة. مؤكدا في زبدة أبعاد العاشق في هذا المجال. ورغم تفرد الاتماع رفعة التفهمين الإرضاع ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع فقط يستعمله في الوقت هذه التين يتأقن المحتاجين بالأفراد.

المصدر: صحيفة الوسط البحرينية

تم نقل الصفحة من الرابط: <http://www.alwasatnews.com/news/1097409.html>

الشيخ الصفار يدعو إلى وقفة أكثر إنسانية حيال ذوي الاحتياجات الخاصة*

دعا الشيخ حسن الصفار إلى وقفة اجتماعية أكثر إنسانية حيال أوضاع ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال المساهمة على نحو أكبر في إنشاء المراكز الخاصة برعاية أفراد هذه الفئة.

جاء ذلك خلال خطبة الجمعة في مسجد الرملة بمدينة القطيف شرق السعودية اليوم الجمعة (1 أبريل / نيسان 2016).

وبمناسبة اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحد الذي يصادف يوم السبت تمنى الشيخ الصفار على البشرية توفير جانب من إنفاقها على الأسلحة الفتاكة لخدمة الأبحاث العلمية الخاصة بمرض التوحد لاكتشاف أسبابه والحد من انتشاره.

وقال إن مرض التوحد الذي بات يفتك بواحد من كل 88 طفلاً لا يزال يعتبر حتى الآن مرضاً غامضاً لم يقف العلماء على أسبابه الفعلية.

وعلى الصعيد المحلي دعا الصفار إلى ترجمة الحالة الدينية في المجتمع إلى مشاعر إنسانية حيال الضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة.

* صحيفة الوسط البحرينية. العدد 4900، الجمعة 01 أبريل 2016م الموافق 23 جمادى الآخرة 1437هـ.

وأمام عجز المراكز القليلة القائمة عن استيعاب الأعداد المتزايدة من المصابين دعا الصغار إلى مساهمة اجتماعية أكبر في إنشاء المراكز الخاصة بمرض التوحد. وأوضح أن مساندة ذوي الاحتياجات الخاصة لا تقلّ أجرًا وثوابًا عن المساهمة في بناء المسجد أو الحسينية أو سائر الأعمال الدينية بل قد تكون أكثر حين تشتدّ الحاجة إلى ذلك.

وتابع القول انه إذا لم تترجم الحالة الدينية في المجتمع إلى مشاعر إنسانية فستكون حالة دينية شكلية وطقوسًا فارغة من أيّ مضمون.

وقال الشيخ الصغار «إنما تتجلى إنسانية الإنسان في الحقيقة في طريقة تعامله مع ذوي الاحتياجات الخاصة».

وفي السياق حثّ الصغار الأسر التي لديها أطفال مصابون بالتوحد على الرضا بقضاء الله والتعاطي مع الحالة كأمر واقع يثابون عليه. رافضًا عزل الطفل المصاب عن محيطه الاجتماعي في المسجد والحسينية والنادي والمدرسة داعيًا إلى تكثيف الجهود لتأهيلهم للاندماج في المجتمع.

كما أعرب عن تقديره للعاملين في مجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة. مؤتملاً في زيادة أعداد العاملين في هذا المجال.

ورغم تقديره لانتساع رقعة المتفهمين لأوضاع ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع انتقد سماحته في الوقت عينه الذين يقابلون المعاقين بالازدراء.



140 شخصية دينية واجتماعية تشارك في افتتاح مقرّ "البيت السعيد" بصفوى*

فضيلة عباس

شارك ١٤٠ شخصية اجتماعية ورجال دين ورؤساء وأعضاء الجمعيات الخيرية ولجان التنمية الأهلية بمحافظة القطيف في افتتاح المقرّ الرسمي الدائم لمركز البيت السعيد مساء السبت بحجّي الحجريّة في صفوى.

وأثنى الشيخ حسن الصفار خلال كلمة للداعمين على مسيرة المركز وصموده أمام التحدّيات والصعوبات التي واجهته، مُبدياً أمله في أن تعمّ تجربة المركز في مدن وقرى المحافظة، داعياً إلى دعم المراكز والمؤسّسات التي تُعنى بالأسرة.

وحضر الحفل الذي حمل عنوان «البيت السعيد.. مسيرة متجدّدة» عدد من رجال الدين في مقدمتهم الشيخ يوسف المهدي والشيخ حسن الخويليدي والسيد حسن النمر والسيد حيدر العوامي والشيخ محمد العليوات.

وقدم المدرب والمستشار الأسري ناصر الراشد خلال الحفل كلمة باسم المدربين، متحدثاً فيها عن العائد الحيوي للتدريب، وأهدافه، والحاجة إلى دعم المجتمع والمدربين المحترفين في المجال الأسري للمركز.

وتضمن الافتتاح جولة تعريفية بأقسام المركز والاطلاع على معرض الكاريكاتير

الأسري وحفلاً خطابياً تعريفياً بإنجازات المركز مع تكريم الداعمين للمركز وتناول وجبة العشاء على شرف الافتتاح.

وابتدأ عريف الحفل وأحد أعضاء المركز المهندس عادل الأحمد بالتقديم للحفل، تلاه تلاوة من آيات الذكر الحكيم قدمها القارئ الشبل علي خضر الغاشي.

واستعرض رئيس المركز الشيخ صالح آل إبراهيم أهم إنجازات المركز خلال ١٥ سنة ماضية، وفي ختام الحفل قام الشيخ يوسف المهدي والسيد حسن النمر بتكريم داعمي المركز.

واشتمل الحفل على فقرة أدبية للشاعر سعيد آل رهين ونجله أحمد، مستعرضين فيها أهمية صفاء الجو الأسري من خلال أوصاف أدبية في الأسرة.

وأشاد رئيس لجنة التنمية بسنابس علي آل ادغام بجهود المركز وإنجازاته وبفقرات حفل الافتتاح خلال كلمة وجهها للمركز.

وبارك السيد محمد الشخص افتتاح المركز وما احتواه من تعريف بأهدافه وإنجازاته، مشيراً إلى أن إخراج الحفل بهذه الصورة يساهم في تعزيز الثقة واجتذاب العديد من أهل الخير لمديد العون.

وأثنى الأخصائي النفسي أحمد آل سعيد على التطور المستمر للمركز، مشيداً باحتفالية افتتاح المقر الجديد للمركز وما تضمنه الافتتاح.

وقال علي الجعفر: «اطلعت على أقسام المركز وعلى الإنجازات الكبيرة التي قام بها المركز خلال مدة الخمسة عشر عاماً من مسيرته المباركة، ونقله من المحلية والوصول به إلى المحافل الدولية».

وأشاد بالجهود المبذولة من رئيس المركز والكوادر العاملة، واصفاً بأنها «فخر الجميع من أبناء المجتمع ودلالة على العمل المتواصل الدؤوب».

الجدير بالذكر أن مركز البيت السعيد مؤسسة اجتماعية تُعنى بالثقافة والتأهيل

والتدريب الزوجي والتربوي والأسري، تأسست عام ١٤٢٢ هجرية.

ويهدف المركز إلى توعية الأفراد بأهمية الأسرة والحفاظ عليها وإرشاد الأسر إلى عوامل الاستقرار والسعادة وتبصير المقبلين على الزواج بالحياة الزوجية ومتطلباتها وإكساب الأزواج مهارات وفنون التعامل الزوجي وتأهيل الأزواج للقيام بمهام الزوجية وإدارة شؤون الأسرة والمنزل وتوعية الأفراد بطرق إدارة الخلاف العائلي وتدريب الآباء على أساليب التربية السليمة للأبناء.

وتتضمن أنشطة المركز «الدورات التدريبية، المحاضرات، اللقاءات الحوارية، الملتقيات الأسرية، المعارض والمهرجانات الأسرية، الإصدارات الأسرية، الاستشارات الزوجية والتربوية، المشاركات الدولية».







الشيخ الصفار في استقباله الشيخ علي بن يحيى بابكر:

تجسير العلاقة بين السنة والشيعة واجب ديني و وطني.

قال الشيخ حسن الصفار: إنَّ أيَّ مسلم واعٍ وأيِّ مواطن غيور لا يسعه أن يقف موقف المتفرج واللاأبالي تجاه محاولات التفرقة، وإيقاد الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة، ذلك أنَّ الإصلاح بين فئات الأمة ومكونات المجتمع واجب ديني ومسؤولية وطنية، لصريح قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ولقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. ولأنَّ حسن العلاقة بين المكونات الوطنية هو الذي يحفظ وحدة الوطن وأمنه واستقراره.

جاء ذلك في استقبال سماحته للمحامي الباحث الشيخ علي بن يحيى بابكر^(١) بتاريخ ٢٩ رجب ١٤٣٧هـ الموافق ٥ مايو ٢٠١٦م، وهو مدير لمكتبة المحامين في الرياض، وكان قد ألَّف كتابًا بعنوان (جواز الصلح بين أهل السنة والشيعة في العراق وغيرها) طبع سنة ١٤٣٠هـ في الرياض، وهو ردٌّ على من عارض اجتماع مكة بين الأطراف العراقية من السنة والشيعة الذي انعقد بمبادرة من حكومة المملكة في شهر رمضان سنة ١٤٢٧هـ، وتمخضت عنه وثيقة للصلح والتوافق آنذاك، فعارضه بعض

(١) الشيخ علي بن يحيى بابكر ولد في جدة سنة ١٣٨٥هـ، وبعد تخرجه من الثانوية اتجه لدراسة العلوم الشرعية في الرياض التي انتقل إليها سنة ١٤٠٥هـ وحضر دروس كبار المشايخ والعلماء، كما رحل إلى قرية دماج في صعدة باليمن والتحق بمدرسة الشيخ مقبل الوداعي لعدة أشهر. وله عدد من المؤلفات المطبوعة، منها: (قضايا الطلاق والحضانة والنفقة والزيرة)، و(كيف تطالب بحقوقك أمام القضاء؟)، و(فهرسة نظام المرافعات مع لائحته التنفيذية) وغيرها، يعمل في مجال المحاماة.

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظه الله

الأخ الكريم الأستاذ علي بن يحيى بابكر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كان وصول كتابك القيم (جواز الصلح بين أهل السنة والشريعة) بمثابة نعمة غير مترقبة، حيث لم يسبق لي أن سمعت عن الكتاب أو عن شخصية المؤلف، مع اهتمامي بموضوع البحث وسعيي للتعرف على المبشرين بثقافة التعايش والوحدة الوطنية والإسلامية.

شعرت بالسعادة والتفاؤل وأنا أقرأ صفحات الكتاب؛ لأنها تعزز الأمل بوجود شريحة من الواعين المخلصين الذين يتجاوزون تأثيرات أجواء الشحن الإعلامي الطائفي، ويتحدون زواجر الأحداث السياسية المجيرة لتفتيت الأمة وتمزيق شعوب المنطقة.

ويبدو أنّ وجود الواعين المخلصين ليس قليلاً في ساحة وطننا الغالي، ولكنهم ينقصهم التعارف والتعاون على خدمة هذا المبدأ العظيم، وحدة الأمة والاعتصام بحبل الله، ومواجهة التفرقة والنزاعات، وتلبية لأمره تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

أسأل الله سبحانه وتعالى لك الأجر والثواب والمزيد من التوفيق في خدمة الدين والوطن.

وأرجو أن نحظى بزيارتك قريباً إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حسن بن موسى الصفار

١٦ جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ

٧ مارس ٢٠١٥ م



الشيخ الصفار في استقباله للدكتور المحرج:

الانفتاح والتواصل منهج يتمسك به الواعون

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن الانفتاح والتواصل مبدأ ومنهج يتمسك به الواعون المخلصون، ولا يتراجعون عنه بسبب الأحداث الطارئة، أو الاختلاف في بعض الآراء والمواقف، جاء ذلك في سياق حديثه للترحيب بزيارة الدكتور الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز المحرج لسماحته يوم الخميس ٢٨ رجب ١٤٣٧هـ الموافق ٥ مايو ٢٠١٦م.

وأشاد الشيخ الصفار باستمراره وإصرار الدكتور المحرج على التواصل والانفتاح مع الأوساط الدينية والثقافية في القطيف والأحساء، متجاوزاً تحفظات المتأثرين بالخلافات المذهبية والأحداث السياسية.

وقال الشيخ الصفار: رأينا بعض الأشخاص ممن تفاعلوا مع دعوة الحوار الوطني والانفتاح الفكري، وقالوا كلاماً طيباً، وزارونا وزرناهم، لكنهم عادوا إلى خطاب التشدد والفتور في التواصل بمبرر حصول بعض الأحداث والمشاكل السياسية والتوترات الطائفية على المستوى الإقليمي.

مضيفاً سماحته: أنه مبرر غير مقبول؛ لأن المشاكل والتوترات يجب أن تدفع المخلصين الواعين إلى تكثيف جهودهم لمحاصرتها، ومنع تأثير تداعياتها على وطننا ومجتمعنا.

من جهته عبّر الشيخ الدكتور المحرج عن تأييده لما طرحه الشيخ الصفار قائلاً: إنني منذ تعرّفت على الشيخ الصفار منذ سنوات وأنا أتابع خطابه، وأشهد بصدق

اعتداله، وإيمانه بالوحدة والتقارب، وأرى أنّ هذا التوجه المعتدل ترك آثاراً طيبة على المستوى الوطني، وفي أوساط من المشايخ كانوا متحفّظين سابقاً تجاه الشيعة لكنهم الآن أكثر تقبّلاً واستجابة.

شاكراً للشيخ الصفار حسن استقباله وكريم ضيافته، وكان برفقة الدكتور المحرج الشيخ جازع بن عبد العزيز آل طابع الدوسري، من العاملين في إدارة الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني.

وقد بذل الدكتور المحرج جهوداً مشكورة في تجسير الهوة وتشجيع التلاقي بين العلماء والمثقفين من المواطنين السنة والشيعة في المملكة، تجاوباً مع الجهود التي يبذلها الشيخ الصفار في ذات السياق، وانعقدت لقاءات في الرياض والقطيف لخدمة هذا التوجه الوطني الوجدوي، وذلك بعد أن حمل الدكتور المحرج رسالة تضمنت عدداً من التساؤلات والإشكاليات لدى بعض الأوساط السلفية تجاه الشيعة، طالباً من الشيخ الصفار الإجابة عليها بما يوضح الصورة ويخلق أرضية للتلاقي والانفتاح، وقد كتب الشيخ الصفار إجابة شافية على تلك التساؤلات وقام الدكتور المحرج بإيصالها لعدد من العلماء السلفيين. ويمكن الاطلاع على نص الرسالتين في المجلد الأول من كتاب مسارات صفحة ٥٥٩ وعلى الرابط التالي على شبكة الإنترنت:

<https://www.saffar.org/index.php?act=artc&id=1845>



وأوضح بأن هذا الذي قاد إلى ترجمة العرب للعلوم الطبيعية والإنسانية المختلفة التي تركتها الحضارات السابقة ومن ثم تطويرها والإضافة عليها، وهو ما شكّل لاحقاً أساساً لانطلاق الحضارة الغربية الحديثة.

ومضى يقول إنّ النهوض الحضاري للمسلمين لن يأخذ طريقه في ظلّ حالة الانغلاق التامّ على الذات والقطيعة مع الآخرين «فذلك خلاف مسيرة الحضارات». وأضاف بأنّ السبيل إلى النهوض لن يتأتى إلاّ على ذات المنوال الذي فعله المسلمون الأوائل بالانفتاح على الحضارات الأخرى واستيعاب منجزاتها والبناء عليها.

وقال الشيخ الصفار إنّ الاسلام لم يبدأ مسيرته انطلاقاً من نقطة الصفر وإنّما كان امتداداً وتصديقاً للشرائع والرسالات السماوية السابقة.

وتابع يقول: إنّ الإسلام لم يتنكر للرسالات والكتب السماوية السابقة وإنّما هناك ١٨ آية في القرآن الكريم وصفت الإسلام بأن جاء مصدّقاً لتلك الرسالات.

وأوضح أنّ النصوص الدينية التي تحدثت عن التحريف الذي طال الشرائع السماوية الأخرى لم تصل إلى حدّ إبطال تلك الشرائع جملة وتفصيلاً.

وقال إنّ الإسلام على المستوى العربي لم يحدث قطيعة نهائية مع كلّ عادات وتقاليد وتاريخ العرب في عصر الجاهلية وإنّما أبقى على بعض العادات الطيبة التي كانت سائدة في المجتمع العربي آنذاك.



محافظ القطيف يزور فضيلة الشيخ الصفار*

قام سعادة محافظ القطيف خالد بن عبد العزيز الصفيان صباح اليوم الثلاثاء ١١ مايو ٢٠١٦م بزيارة ودية إلى فضيلة الشيخ حسن الصفار بمنزله بحي الجزيرة بالقطيف، حيث كان في استقباله الشيخ وعدد من أعيان المحافظة، وتم خلال الزيارة تبادل الأحاديث الودية.





إجراء عملية قلب جراحية

أجريت عملية قلب جراحية ناجحة بحمد الله تعالى لسماحة الشيخ الصفار في مستشفى (Spire Southampton Hospital) بمدينة (ساوثامبتون Southamton) التي تبعد عن العاصمة البريطانية «لندن» نحو ١٢٠ كلم باتجاه الجنوب الغربي، في يوم الجمعة ١٢ شعبان ١٤٣٧هـ الموافق ٢٠ مايو ٢٠١٦م وهي عملية قلب مفتوح لترقيع وإصلاح الصمام.

وكان الشيخ الصفار قد غادر البلاد مساء يوم الأحد ٨ شعبان الموافق ١٥ مايو برفقة الدكتور عقيل الفردان ودخل المستشفى يوم الخميس ١١ شعبان الموافق ١٩ مايو، وخرج من المستشفى ١٨ شعبان الموافق ٢٦ مايو، وعاد إلى البلاد بالسلامة يوم السبت ٢٧ شعبان الموافق ٤ يونيو ٢٠١٦م.

وتلقى سماحته خلال وجوده في المستشفى كثيرًا من الاتصالات لتهنئته بنجاح العملية وللاطمئنان على صحته، أبرزها اتصال من مكتب صاحب السمو الملكي ولي العهد وزير الداخلية الأمير محمد بن نايف، ومن صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف أمير المنطقة الشرقية، ومن محافظ محافظة القطيف الأستاذ خالد الصفيان، ومن الممثل العام للمرجع الأعلى السيد السيستاني سماحة السيد جواد الشهرستاني، ومن المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني، ومن سماحة السيد حسين الشيرازي عن والده المرجع السيد صادق الشيرازي، ومن آية الله السيد مرتضى القزويني، ومن مكتب المرجع السيد فضل الله في لبنان، والعلامة الشيخ عباس كاشف الغطاء

من النجف الأشرف، وآية الله الشيخ عبدالكريم الحائري من كربلاء المقدسة، والأستاذ إبراهيم الشيخ محمد مهدي شمس الدين من لبنان، وسماحة السيد محمد باقر الكشميري ممثل المرجع السيستاني في أمريكا الشمالية، وآية الله الشيخ محمد صادق الكرباسي من لندن، والدكتور الشريف حاتم العوني من مكة المكرمة، والسيد زيد الفضيل من جدة، والدكتور مرزوق بن تنباك من الرياض، والدكتور عبد الجليل السيف، وشخصيات كثيرة أخرى من مختلف المناطق والبلدان.

وعند عودته إلى البلاد استمرت الاتصالات، وبدأ استقبال المهنيين بالسلامة ليلة الجمعة ٥ رمضان المبارك الموافق ١١ يونيو ٢٠١٦م، حيث توافد عدد كبير من المواطنين من مختلف الطبقات مدة أسبوع. جزى الله الجميع خيراً، وأتم على سماحته الصحة والعافية.





تحية قلب لقلب

فريد عبد الله النمر^(١)

وما أوشم الحب من جرح وما زَمًا
به الإبداع حين اصطفى العزما
تغنيك هذا النبض تمنحها العلما
عناوينك الكبرى التي تولم الحلما
تضيء لها بالشوق ما يشعل المرمى
لتمنح هذا الحب ما شابه الإسماء
بجوهره المعنى فيقتحم الفهما
تضيفك في الآلاء أنشودة تنمى
تثيب بني الإنسان للقيمة العظمى
تربى على الأخلاق منهجك الأسمى
كما يشرق الإيمان في حالك الظلما
طلعية الأنداء تختبر النجما
أعيدها من ضررٍ لمهجتها أدمى

أخص من القلب ما ضيم وما هُمًا
أخص من القلب ما كان مغرمًا يطوف
فيا سيّد الرؤيا لكل قصيدة
أحال تحياتي التي تشرح الصدى
أقاسمك الآمال في كلّ وجهة
وذي رثي تصطاد منك حنينها
وهمسك من كونٍ يسبح دراية
عرفناك عالي النفس ذا عبقرية
وكفاك كم ترنو لهزّ حقيقة
وأنت صباح كلّه في أثيره
وأنت مداد الصدق ما زال طلعه
حنانيك هذا الطهر جرحك رعشة
وروحك روح الشمس ساطعة الرؤى

(١) كاتب وشاعر سعودي.

فلا أبصرت للداء منك عيونه
فكن حيث قلب الصدق نحو بصيرة
وقلبك مفتاح السكينات إن همى
وأنت مدى للعلم ما زال جوهرًا
لك الشرفة بيضاء حبلى بضوئها
حنانيك من جرح ومن كلّ علة
بمقدار ما تمتدّ فينا لفكرة
لنلقاك في ظلّ الحكايات حكمة
كذاك حديث الحبّ أجلوه ها هنا
على ألمّ تحنو وقلبك هالة قطيفية
لك الحبّ أحلامٌ.. خلاصة رؤية
فعوفيت من قلبٍ وعوفيت من نهى
لتبقى زكيّ النفس يا فكرة الهدى

ولا أوهنت من سلامتك العظما
تتوق لكنّه الوعي تعصر الكرما
أراه بعين الصبر يغترف النعمى
بكينونة الإنسان تورقه السهما
تديف جمال الحقّ تشعله الحسما
تباغتك الشكوى لتلتحف السقما
نرتّب أيّ الكون يبقى بك العزما
تليق بهذا الوعي توسعه حجما
لنافلةٍ سمحاء تلهمنا الرحمى
تطفو على الأرض للأسمى
تراودنا فجرًا ونشرعها رسما
يؤثث ميراث التسامح والسلمما
وتبقى منار العلم في فكرك الأنمى

فريد النمر

٢٠١٦/٦/٦ م



مدافع القطيف يطمئن على صحة الشيخ حسن الصفار*

جعفر الصفار - القطيف

شدّد محافظ القطيف خالد الصفيان، على أهمية اللّحمة الوطنية، بين الإخوة و أبناء الشعب الواحد في ظلّ قيادة حكيمة راشدة لخدام الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود يحفظه الله».

وقال الصفيان خلال زيارته صباح أمس الشيخ حسن الصفار في مجلسه بمحافظة القطيف للاطمئنان على صحته، بعد إجرائه عملية جراحية في القلب بأحد المستشفيات البريطانية وعودته، مساء يوم الجمعة الماضي: «إننا نعمل سوياً يداً بيد لما يخدم مصلحة الوطن والمواطن في هذا الجزء العزيز من وطننا الغالي»، مشيراً إلى أهمية اللقاءات والتواصل المباشر في توطيد الوحدة الوطنية، مؤكّداً أنّ توجيهات ولاة الأمر، وصاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف أمير المنطقة الشرقية، تؤكّد على جميع المسؤولين، ضرورة الانفتاح على المواطنين والتواصل معهم لما يحقق مصلحة البلاد وخدمة المواطنين، سائلاً المولى العليّ القدير أن يمنّ على الشيخ الصفار بالصحة والعافية وبالشفاء العاجل.

من جهته، ثمّن الشيخ حسن الصفار زيارة المحافظ، مشيراً إلى النهج الحميد في

التواصل الدائم، سائلاً البارئ - عزّ وجلّ - أن يجعل ذلك في موازين حسناته، وأن
 يتمتع بالصحة والعافية، وعبر عن شكره وامتنانه لجميع من سأل واطمأنّ عليه، سائلاً
 المولى - جلّ شأنه - أن يتمتعهم بالصحة والعافية، وألا يريهم أيّ مكروه.





نفحات شهر رمضان*

قال الشيخ حسن الصفار في مقال له إن «في هذا الشهر الكريم الذي جاءت الآيات والأحاديث والروايات في تبيان فضله وعظمته، بما يفوق تصور الإنسان، علينا الاهتمام باستثمار فرص الخير والرحمة والمغفرة فيه».

فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه لما حضر شهر رمضان: «سبحان الله! ماذا تستقبلون وماذا يستقبلكم»^(١)، كما ورد في حديث آخر عنه ﷺ: «لويلعلم العبد ما في رمضان لو دأ أن يكون رمضان السنة»^(٢)، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «شهر رمضان سيّد الشهور»^(٣)، وعنه ﷺ: «هو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره الإجابة والعتق من النار».

وهذا الإمام الصادق عليه السلام يوصي ولده إذا دخل شهر رمضان قائلاً: «فأجهدوا أنفسكم، فإن فيه تقسم الأرزاق وتكتب الآجال، وفيه يكتب وفد الله الذين يفتدون إليه، وفيه ليلة العمل فيها خير من العمل في ألف شهر»^(٤).

على الإنسان أن يضع له برنامجاً مميّزاً لهذا الشهر المميز، حتى لا يكون كغيره من الشهور، فليحرص الإنسان المؤمن بأن يكون له فيه برنامجان: على المستوى الفردي، وعلى المستوى العائلي، فعلى المستوى الفردي في هذا البرنامج:

* صحيفة الوسط البحرينية. العدد ٥٠٢٣، الأربعاء ٠٨ يونيو ٢٠١٦م الموافق ٠٣ رمضان ١٤٣٧هـ.

(٢) مستدرک الوسائل. ج ٧، ص ٤٢٥، حديث ٨٥٨٩.

(٣) بحار الأنوار. ج ٩٣، ص ٣٤٦، حديث ١٢.

(٤) بحار الأنوار. ج ٤٠، ص ٥٤، حديث ٨٩.

(٥) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٣٠٥، حديث ١٣٤٨١.

أولاً: تلاوة القرآن الكريم والدعاء والاستغفار، يقول عليّ (عليه السلام): «عليكم في شهر رمضان بكثرة الاستغفار والدعاء، فأما الدعاء فيدفع به عنكم البلاء، وأما الاستغفار فيمحي ذنوبكم»^(١).

وبحمد الله لدينا كنوز روحية من الدعاء، تركها أهل بيت النبوة، وجدّهم رسول الله ﷺ كدعاء السحر، وأدعية الأيام. فكل لحظة من لحظات هذا الشهر، وكل ساعة من ساعاته، هناك دعاء من الأدعية يقرأ فيها، فعلى الإنسان الاستفادة من ذلك. ثانياً: المواظبة على صلاة الجماعة.

ثالثاً: صلاة الليل والنوافل المستحبة، فإذا كان الإنسان طوال السنة لديه مختلف الأشغال والأعمال، فعليه في شهر رمضان المبارك أن يجعل له برنامجاً لأداء النوافل المستحبة، وأن يسعى بالمقدار الممكن لتعويد نفسه على هذه النوافل.

رابعاً: الصدقة، «فقد سئل رسول الله ﷺ، أي الصدقة أفضل؟، قال: صدقة في رمضان»^(٢). فعلى الإنسان بذل ما يستطيع في هذا الشهر الكريم، لمختلف الأعمال الخيرية، من مساعدة للفقراء، ودعم للنشاطات الاجتماعية.

خامساً: صلة الأرحام والتواصل الاجتماعي، بأن يكون للإنسان برنامج يومي لزيارة أرحامه، وتفقد أحوالهم.

سادساً: حضور مجالس الذكر والمعرفة، ففيها من الفوائد الروحية والاجتماعية والثقافية الشيء الكثير.

وهناك برنامج على الصعيد العائلي: بإشعار العائلة بميزة هذا الشهر على سائر الشهور، ليس بالجوانب المادية فقط، ولكن بالجوانب الروحية، وهي الأهم. وذلك بتدريب الأولاد على الصلاة والصيام والقراءة الجماعية للقرآن والدعاء. والزيارات العائلية والاجتماعية، بأن تشارك العائلة كلها في الزيارة للأرحام، ولسائر أبناء المجتمع.

(١) الكافي. ج ٤، ص ٨٨، حديث ٧.

(٢) سنن البيهقي. ج ٤، باب الجود والإفضال في شهر رمضان، ص ٣٠٥.



المئات يعودون الشيخ الصفار بعد رحلة علاجية*

توافد المئات مساء الخميس على مكتب الشيخ حسن الصفار في مدينة القطيف، لتهنئة سماحته بمناسبة العودة من رحلة علاجية في الخارج.

واصطف طابور طويل ضمّ المئات من الشخصيات الدينية والاجتماعية والثقافية، الذين توافدوا من مختلف مدن المنطقة الشرقية للسلام على الشيخ الصفار. وضمّت قائمة الزائرين شخصيات وطنية معروفة من مناطق ومدن الأحساء والخبر والجبيل.

واستمرّ سيل الزائرين بالتوافد طوال مدة اللقاء التي دامت نحو ساعة واحدة فقط مراعاة للوضع الصحي للشيخ الصفار.

وأعلن مكتب الشيخ الصفار عن استمرار استقبال الزائرين في الليالي القادمة. وكان الشيخ الصفار عاد الأسبوع الماضي من رحلة علاجية دامت أسابيع في العاصمة البريطانية تكملت بالنجاح وفقاً للفريق الطبي الذي أشرف على علاجه.





مهدة للشيخ الصفار من الأديب الأستاذ أحمد اللويم

قَلْبٌ لَنْ يَشِيخَ

وعياً تضيءُ سماءه الأفكارُ
أوما جرت من فوقه الأنهارُ؟
من بعد ما جفت بها الأبصارُ
تجني قطافَ وُعوده الأطيّارُ
ما ضاق عن أسرابها المضمّارُ
ترجو لك العلياء والإكبارُ
حتى تقوّسَ ساعدُ جبّارُ
ممن ينامُ وليله إعصارُ
كالحلْمِ تعبرُ حيث لا أمطارُ

من وحي منبرك النهى تشتارُ
لا زال منبرك الملاذَ لظامئِ
شمسٌ تُبلّلُ بالضياء عيوننا
الفجرُ رفّ على التخوم فبادرت
فتسابت نحو الكريمِ بريقهُ
أبا زكيّ لا رأيتك غيرَ ما
حملت ذراعك مُثقلاتِ همومنا
وبقيت يوقظك الضميرُ ولم تكن
والصبح طائفةٌ عليك غيومهُ

ولئن علاها في الرفوفِ غبارُ
وأراغَ خطواً في المسيرِ عثارُ
وتدحرجت من سقفها الأعدارُ
أبديةً لم يُنسها الإنكارُ
سمعَ النجوم فتتشي الأعمارُ
ما كنت تُسلمهُ فذلك عارُ

اليأس لم يعصفُ بأجملِ فكرةٍ
لا زلتَ تحملها وإن بُعدَ المدى
غصّت بك الأحلامُ حتى أُتخمت
ومشيت يملؤك المكانُ حكايةً
فهنا القטיפُ تُعيدُ أغنيةً على
وطنٍ حلفتَ بأن تكونَ حليفهُ

أَوْقَدْتَ رَوْحَكَ فِي مَدَاهُ مِشْعَلًا فَدَجَّاهُ فِي عَيْنِ الْمُحِبِّ نَهَارُ
نَأْوِي إِلَيْكَ نَجْرُ عَيْبَةٍ يَأْسِنَا فَنَرَاكَ مِلْءَ حَدِيثِكَ الْإِصْرَارُ

أَبَا زَكِيِّ كَمْ يُجَرِّعُكَ الْمَدَى رَكْضًا وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْمَغَوَارُ
أَهْرَقْتَ نَهْرًا مِنْ شَبَابٍ مَفْعَمٍ بِالصَّبْرِ حَتَّى شَابَتِ الْأَنْهَارُ
وَبَقِيَتْ مَمْتَلَأًا بِنَظَرَةٍ وَاثِقٍ أَنَّ النَّهَارَ تُعَدُّهُ الْأَسْحَارُ
وَبِأَنَّ طِفْلًا مِنْ يَقِينٍ لَمْ يَكُنْ لِشَيْخٍ لَوْ شَاخَتْ بِهِ الْأَعْمَارُ
نَبَتَ الْيَقِينُ عَلَى ضَفَافِ قَلْبِنَا مُذْ فَاصٌّ مِنْ إِرْشَادِكَ التِّيَّارُ
فَإِذَا الْقُلُوبُ مَسَاجِدٌ مَعْمُورَةٌ فِيهَا يُصَلِّي فِرْضُهُ الْمَخْتَارُ
أَوْ مَا اتَّخَذَتْ مِنَ الْحَوَارِ سَفِينَةً وَإِنَّ التَّوَى عَنْ قَصْدِهِ الْإِبْحَارُ؟
وَإِذَا تَعَالَى الْمَوْجُ رُضَتْ عَرَامَةٌ فِيهِ فَأَيُّقِنَنَّ أَنَّكَ الْبَحَّارُ
احْفَظْ بِقَايَا قَلْبِكَ الْمَجْدُولِ مِنْ نَسَمِ الرَّبِيعِ لِتَنْعَمَ الْأَزْهَارُ
أَدْرِي بِأَنَّ الدَّرْبَ صَعْبٌ طِيَّهُ فَخُطَاكَ يُلْهَبُ عَزْمَهَا اسْتِنْفَارُ
وَتَعِيدُ مَا بَدَأَتْ يَدَاكَ بِنَاءَهُ وَتَقِيمُ مِنْهُ جَانِبًا يَنْهَارُ
أَيُّقِنَنَّ أَنَّ حِصَادَ صَبْرِكَ وَاعِدُ وَلَسَوْفَ تَضْحَكُ فِي السَّلَالِ ثِمَارُ

أَبَا زَكِيِّ لِلْقَطِيفِ تَفَاخُرٌ بِكَ وَهِيَ مِنْ أُخْرَى عَلَيْكَ تَغَارُ
وَعَلَيْكَ لَوْ يُغْضِي الْوَفَاءُ لِأَطْبَقَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ كَأَنَّهَا الْأَسْوَارُ
وَلَا نَذَرْتُكَ مِنَ الْبِعَادِ وَإِنْ قَسَا يَوْمًا عَلَى مَعْشُوقِهَا الْإِنْذَارُ
تِلْكَمُ هِيَ الْأَحْسَاءُ مَا بَرَحَتْ إِلَى وَعَدٍ ضَرَبَتْ تَشُدُّهَا الْأَنْظَارُ
عَوْفِيَتْ مِنْ سَقَمٍ تَحَطَّمِ حُلْمُهُ بِجِبَالِ صَبْرِ سَامَهَا إِعْصَارُ

قَابَلْتُهُ بِالشِّكْرِ يَسِيمُ ثَغْرُهُ
جُنَّاكَ نَحْمَلُ فِي السَّلَالِ سَعَادَةً
وَأَفْتِكَ مِنْ عُسِّ الدَّعَاءِ قَلُوبُنَا
لِسَلَامَةٍ ضَافٍ عَلَيْكَ لَبُوسَهَا
لِمَثُوبَةٍ أَهْدَاكَهَا الْقَهَّارُ
وَنَرُّشُهَا حَتَّى تَفِيضَ الدَّارُ
وَالْحَمْدَلَاتُ الرِّيشُ وَالْمَنْقَارُ
دَامَتْ فَلَا أَنْحَلَّتْ لَهَا أَرْزَارُ

١٢ يونيو ٢٠١٦م

أحمد اللويم







الشيخ الصفار يشكر المطمئنين على صحته.. وقصر الزيارة على ليلتي الجمعة والسبت*

قدّم الشيخ حسن الصفار شكره الجزيل لوفود الزائرين الذين قصدوا مكتبه في مدينة القطيف على مدى الأسبوع الماضي للاطمئنان على صحته إثر عودته من رحلة علاجية.

وتدفق على مكتب الشيخ الصفار على مدى الليالي الماضية الكثير من الوفود الأهلية والشخصيات الدينية ووجوه المجتمع للاطمئنان على صحة الشيخ الصفار وتهنئته بسلامة الوصول.

وجاء من مكتب الشيخ الصفار «إنّ الشيخ الصفار يتقدم بوافر الشكر والامتنان لكلّ زائريه والمتصلين للاطمئنان على صحته من مسؤولين ومرجعيات دينية وعلماء وشخصيات من مختلف مناطق الوطن وخارجه وسائر أفراد المجتمع ويسأل الله أن يمتّعهم جميعاً بالصحة والعافية».

هذا وأعلن المكتب عن قصر أوقات الزيارة في الأيام القادمة على ليلتي الجمعة «مساء الخميس» والسبت «مساء الجمعة» من الساعة ٩:٣٠ إلى ١٠:٣٠.

وكان الشيخ الصفار عاد مؤخراً من رحلة علاجية دامت أسابيع في العاصمة البريطانية خضع خلالها لعملية جراحية تكللت بالنجاح وفقاً للفريق الطبي المعالج.





لدى استقباله إدارة جمعية العوامية ولجنة مسجد الرسالة

الشيخ الصفار يطالب الجمعيات الخيرية بجذب الكفاءات*

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار إدارات الجمعيات الخيرية، بأهمية الانفتاح على الكفاءات الأكاديمية والاجتماعية في كل منطقة، من أجل تسهيل عملية جذب المتطوعين للأنشطة المختلفة، وللإستفادة من الطاقات الاجتماعية، وتوفير إدارة أفضل.

مضيفاً خلال استقباله وفداً من إدارة جمعية العوامية الخيرية، في مجلسه الأسبوعي، مساء الجمعة ١٧ شوال ١٤٣٧هـ إن مجتمعا يزخر بالكثير من الطاقات والكفاءات في كافة المجالات، وهذا يتطلب اكتشاف هذه الطاقات ودعوتها للعمل في الأنشطة التطوعية.

ووضع وفد إدارة جمعية العوامية الخيرية، الذي مثله كل من رئيس الجمعية، ونائب الرئيس، وعدد من الأعضاء، الشيخ الصفار في أجواء أنشطة الجمعية، وأبرز العوائق التي يواجهونها، ومن أهمها قلة وجود المتطوعين في الجمعية.

وأشاد الشيخ الصفار بما يحتضنه مجتمع العوامية من كفاءات بارزة، في مختلف المجالات الأكاديمية والأدبية والاجتماعية، داعياً إلى تكثيف الجهد لخدمة هذا المجتمع، الذي يحتاج إلى الكثير من الخدمات. كما شكر للجمعية الخيرية دورها

ونشاطها في هذا المجال، متمنياً تفاعلاً أكبر من المجتمع معها، بانضمام الكفاءات إليها، وحضورهم جمعيتها العمومية، وإقبالهم على الترشيح لمجلس الإدارة وإدارة اللجان.

وفي جانب آخر أكد الشيخ الصفار خلال استقباله اللجنة القائمة على مسجد الرسالة بالقطيف، أنّ المساجد في المنطقة ولله الحمد، أصبحت اليوم متوفرة بشكل كبير، وهذه نعمة عظيمة، إلا أنّ الأهم هو حثّ الناس على الحضور للمساجد، وتوفير البرامج المناسبة لهم.

وأشاد سماحته بكوادر حماية الصلاة في مساجد وحسينيات المنطقة، الذين يقومون بمهمة حفظ المصلين، رغم قسوة الظروف المناخية، والحرّ الشديد، خصوصاً هذه الأيام.

بدوره أشاد فضيلة الشيخ محمد الخميس باسم القائمين على مسجد الرسالة، بسماحة الشيخ الصفار، ودوره الفكري على المستوى الإسلامي، وليس المحلي فقط، متمنياً له باسم الوفد الزائر دوام الصحة والعافية والمزيد من العطاء.





في استقباله لمدير مكتب الإشراف التعليمي:

الشيخ الصفار: مطلوب ضبط غياب الطلاب باسم المناسبات الدينية

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن التساهل في غياب الطلبة عن مدارسهم باسم المناسبات الدينية أمر غير مقبول، منتقداً شياع هذه الظاهرة في أيام كثيرة من السنة بين الطلاب في المنطقة، بعنوان ذكريات مواليد ووفيات أهل البيت عليهم السلام. مؤكداً أنّ الغياب قد يكون مبرراً في المناسبات الدينية الرئيسة كعاشوراء مثلاً، أما الغياب في كلّ مناسبة وعلى اختلاف روايات المناسبات، فهذا ما يكون على حساب تحصيل الطلاب ومصالحهم الدراسية.

جاء ذلك خلال استقبال سماحته لمدير وأعضاء مكتب الإشراف التعليمي والتربوي في محافظة القطيف الأستاذ عبد الكريم العليط بتاريخ ١٥ رمضان ١٤٣٧ الموافق ٢١ يونيو ٢٠١٦م حيث ناقشوا هذا الموضوع وشكوا من كثرة غياب الطلاب بهذا العنوان، والآثار السلبية المترتبة عليه.

وتحدّث الشيخ الصفار عن أهمية الاحتفاء بالمناسبات الدينية، وأنّها تربط الأجيال الناشئة بتاريخهم ورموزهم الدينية، وتشكّل فرصة لتعزيز المبادئ والقيم، ومعالجة المشاكل الاجتماعية، لكن ذلك لا يستلزم تعطيل المدارس والأعمال، حيث تجري معظم الاحتفالات مساءً، وعنوان تعظيم الشعائر خاص بالمناسبات الرئيسة المهمة كعاشوراء مثلاً.

مضيفاً أنه في مختلف المجتمعات الشيعية لا يجري التعطيل في كلّ المناسبات

وعملاً بمختلف الروايات. ففي إيران والعراق هناك مناسبات دينية محددة فقط يجري التعطيل فيها.

وأشار الشيخ الصفار إلى أنّ هناك من يقول: إنّ بعض المعلمين هم من يشجعون الطلاب على الغياب بهذا العنوان، ليوفروا لأنفسهم الراحة، داعياً الإدارة التعليمية إلى ممارسة دورها وصلاحياتها في ضبط هذا الانفلات والتسيّب.

وأشاد الشيخ الصفار بمجلة (المعرفة) التي تصدرها وزارة التعليم، متمنياً حرص كلّ معلم على قراءتها؛ لاحتوائها على تجارب قيمة عن تطوير التعليم في المجتمعات والشعوب المتقدمة، ولأنّها تذكر المعلم بمسؤوليته الخطيرة في إعداد الأجيال، وبناء الكفاءات.

كما جرى تناول بعض الهموم والقضايا التي ترتبط بالعملية التعليمية، وقد شكر سماحته الأستاذ عبد الكريم العليط ومرافقيه زيارتهم، مقدّراً اهتمام مكتب الإشراف التعليمي في محافظة القطيف برفع مستوى البيئة التعليمية والارتقاء بمستويات الطلاب، حيث أحرز طلاب مدارس القطيف مواقع متقدمة في مختلف المسابقات المحلية والإقليمية والدولية.

بدوره شكر الأستاذ العليط للشيخ الصفار حسن استقباله وما طرح من آراء ومقترحات مفيدة نافعة.



إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: «عليك بالتواضع فإنه من أعظم العبادات»^(١)، والتواضع ليس مفهوماً فضفاضاً، ولا فكرة خيالية، وإنما هو سلوك وطبع يتطبع به الإنسان في تعامله مع الآخرين، فيتواضع في تعامله مع زوجته ومع الوالدين والأبناء. يتجلى التواضع أكثر في التعامل مع من هو دونك في المكانة، وأقل منك علماً ومالاً وقدرة.

وهل من الفخر التواضع أمام زعيم من الزعماء وتبجيله واحترامه؟ إن ذلك قد يكون مفروضاً على الإنسان، إنما الفضل والتواضع الحقيقي هو الاحترام للفقير والضعيف، ومن يعمل تحت إشرافك.

مشاهد وتجليات

لير كيف يتجلى التواضع في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام عبر الأمثلة التالية:

تواضع أمير المؤمنين عليه السلام وتعامله مع خادمه قنبر الذي كان يحترمه، حتى إنه يذهب معه إلى السوق، فيشتري ثوبين، فيعطي قنبر الثوب الأعلى، ويقول له: أنت شابٌ ولك شره الشباب، فخذ هذا الثوب، ويأخذ هو الثوب الأقل قيمة، مع أنه كان في موقع الخلافة والحكم، والأهم من ذلك ما يتمتع به من كمالات وخصائص، لكنه لم يتعامل على أساس التعالي، بل كان يرفض ذلك من الناس أن يتعاملوا معه على هذا الأساس، وقال لهم: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَنْظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّ قِيلَ لِي وَلَا التَّمَّاسِ إِعْظَامَ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكْفُوا عَن مَقَالَةِ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةِ بَعْدِلٍ»^(٢).

وعندما عاد من صفين، ومرّ بالأنبار، استقبله جماعة ومعهم دهاقينهم، فلما

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٤، ص ٣٠١.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ٢١٦، ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين.

استقبلوه نزلوا، وجاؤوا يشددون معه، ويسيرون أمامه وخلفه، تعظيمًا له، فالتفت إليهم أمير المؤمنين قائلًا: ماذا تصنعون؟

قالوا: هذا خلق نعظم به الأمراء، فرفض أمير المؤمنين هذه الطريقة، وقال: «أما هذا الذي زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الأمراء، فوالله ما ينتفع بهذا الأمراء، وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تعودوا له»^(١).

يأتي له ضيف مع ابنه، فيقدم له الطعام، وبعد انتهاء الطعام، يقوم الإمام بنفسه ليصب الماء على يد الضيف، فيخجل الرجل، ولكن عليًا يلزمه بذلك، فيصب الماء على يد ضيفه، ولما جاء دور الولد، التفت الإمام إلى ولده محمد، وقال: صب الماء على يد الغلام، وقال للغلام ما يشبه الاعتذار: لأنّ أباك موجود فإني أميز أباك احترامًا له، أصبّ على يده، ويصبّ ولدي على يدك، ولو لم يكن أبوك موجودًا لصببت أنا على يدك.

كان متواضعًا في داره، يخدم في البيت مع عياله، وكان يخرج إلى الشارع في وضع عادي دون أبهة، ودون موكب، كعادة ما يصاحب الزعماء أو الحكام.

وقد ورد عنه عليه السلام أنه كان يمشي حافيًا، ويعلق نعليه بيده اليسرى في خمسة موارد: يوم عيد الفطر، وعيد الأضحى، ويوم الجمعة، وعند العيادة حينما يذهب لعيادة مريض، وتشيع الجنازة، ويقول: إنّها مواضع لله، فأحبّ أن أكون فيها حافيًا.

إنّ من يتوالى عليًا ويحبّه، فإنّ عليه أن يقتفي أثره في التواضع والتسامح مع الناس، القريبين والبعيدين، فإنّ ذلك هو سبب العلو والرفعة.

(١) بحار الأنوار. ج ١٠٠، ص ٥٥.



الشيخ الصفار في استقباله رئيس تحرير جريدة اليوم:

للصحافة دور أساس في تعزيز الوعي الوطني ونهج التسامح

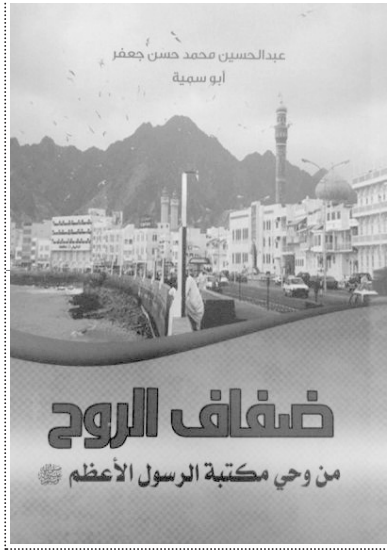
أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أهمية الدور الكبير الذي يجب أن تقوم به الصحافة ووسائل الإعلام في تعزيز الوعي الوطني، و نهج التسامح، وخاصة في الظروف الحساسة الخطيرة التي تمرّ بها المنطقة، حيث تعصف بها أمواج الفتن الطائفية، وتدايعات الصراعات الإقليمية والدولية، حيث تسعى قوى الشر لنشر الفوضى والنزاع في مختلف الأوطان.

جاء ذلك في استقبال سماحته رئيس تحرير جريدة اليوم الأستاذ عبد الوهاب الفايز والدكتور يوسف مكي بتاريخ ١٥ شوال ١٤٣٧ هـ الموافق ٢١ يوليو ٢٠١٦ م حيث كان اللقاء فرصة لتداول الحديث حول تجديد الخطاب الديني، ليتجاوز حال الانشغال بأحداث التاريخ ونزاعاته السياسية الدينية، وليواكب تطورات الحياة بما تحتاج من مفاهيم وتشريعات مناسبة.

وقال الشيخ الصفار: إنّ على الصحافة أن تعكس واقع التنوع المذهبي والفكري في المنطقة، ليتعرف الناس إلى بعضهم بعضاً من خلال القراءة المباشرة والاطّلاع الميداني، وليس عبر الوسائط غير النزيهة التي تفتقد الموضوعية والإنصاف.

بدوره أشاد الأستاذ عبد الوهاب الفايز بالحراك الثقافي والأدبي النشط في المنطقة، وأبدى اعتزازه بالعلاقات والروابط التي تشدّه إلى كثير من الأدباء والمثقفين فيها.

كما تحدث الدكتور يوسف مكي عن ضرورة الوعي بما يجري في العالم من تغيرات سياسية وتحولات عميقة، لا ينبغي النظر إليها بسطحية وبمواقف إيديولوجية جامدة.



الشيخ الصفار في عمان قاد حراكًا اجتماعيًا رغم حداثة سنه!*

أديب أبو المكارم

«Zafaf al-Ruh .. من وحي مكتبة الرسول الأعظم» بحث أصدره الكاتب الأستاذ عبد الحسين محمد حسن جعفر (أبو سمية) من سلطنة عمان، مؤرخًا فيه لحقبة زمنية شهدت فيها بلدته الطيبة حركة شبابية لصناعة تغيير اجتماعي، نحو الوعي والثقافة، قادها الشيخ الصفار رغم حداثة سنه، وحداثة عهده بتلك البلدة.

بحث صغير طبع سنة ٢٠١٣م، ويقع في خمسين صفحة من القطع الصغير، إلا أنه كبير فيما حواه من معلومات تشدك إلى تلك الحقبة الزمنية، التي شهدت فيها المنطقة انشدادًا وميلًا نحو التدين الواعي، لمصاحبته للفكر والثقافة.

حلّ الشيخ الصفار ابن السبعة عشر عامًا على بلدة عمان خطيبًا لموسم محرم ١٣٩٤هـ، ذلك السنّ الذي أربك مستقبله ومضيفه، وتقبلوا الأمر على مضض؛ لأنهم لم يكونوا يتوقعون أن خطيب الموسم حدث السنّ!

شهدت الليلة الأولى من قراءته حضورًا عاديًا، تضاعف في الليلة التالية، حين ذاع صيت الخطبة الأولى وتمكّن الخطيب، مما اضطرهم بعد ذلك لنقل القراءة إلى مسجد الرسول الأعظم.

«فصرت أتردد على زيارة سلطنة عمان، وخاصة في المواسم الدينية، وأمكث فيها ما يزيد على أربعة أشهر في كل عام، لمدة ثلاث سنوات: (١٣٩٤ - ١٣٩٧ هـ) يقول الشيخ الصفار في تقديمه للكتاب، ويضيف: «كانت إقامتي في مسقط، لكن نشاطي وعملي الاجتماعي والثقافي كان في مطرح؛ لأنني تعرفت فيها على جيل من الشباب المتلهف للمعرفة والنشاط، وهم أبناء الجماعة التي يطلق عليها (اللواتية)».

لم يحصر الشيخ الصفار نشاطه في الخطابة والتوعية الدينية، من خلال المنبر فحسب، بل قاد حركة ثقافية في مجتمع تقليدي، يدير شؤون كبار السن والبارزون من رجال الأعمال كما يعبر عنه في تقديمه. بدأ الشيخ الصفار بتحفيز الشباب لتأسيس أنشطة جديدة على مجتمعهم، وقد واجهت بعضها بعض التحديات، لكن إصراره مكّنه أن ينجز في عمان خلال فترة وجيزة عملاً جباراً، ربما يعجز عن إنجازه الكثير من الناس. كما يعبر المؤلف.

ثلاث هيئات بقيادة شابة

أسس الشيخ الصفار ثلاث هيئات تدار من قبل الشباب:

الأولى: مكتبة الرسول الأعظم عند قبيلة اللواتية في مطرح.

الثانية: مكتبة الإمام الصادق عند قبيلة العجم في جبرو.

الثالثة: الجمعية الإسلامية عند قبيلة البحارنة في مسقط.

وقد تحدّث الكاتب عن بداية تأسيس كلّ هيئة على حدة، وما واجههم من عقبات، وكيف تم تخطيطها، وصولاً إلى استخراج تصريح رسمي لها.

ليس وحده تأسيس الشيخ - رغم حداثة سنّه - لهذه الهيئات اللافت للانتباه، بل تحفيزه الشباب وإعدادهم لإدارة هذه الهيئات هو ما يلفت الانتباه أكثر.

حيث عقد الشيخ ورش عمل، ودورات تدريبية، ربما لم تكن معهودة في تلك



الحقبة الزمنية، ولعلها الأولى من نوعها. فقد شكّل ورشة عمل في فنّ الخطابة، وإعداد الخطيب الحسيني. وأخرى في فنّ الكتابة والتأليف. وقد تخرج على يديه مجموعة من المثقفين والكتاب، وتم إصدار مجلة الوعي التي كانت تطبع بموافقة من وزارة الإعلام.

ثبات المبدأ

وهنا نقطتان تثيران الانتباه أيضًا، تبيينان مبدأ الشيخ منذ بداية عهده بالعمل الديني والفكري والاجتماعي، وهما:

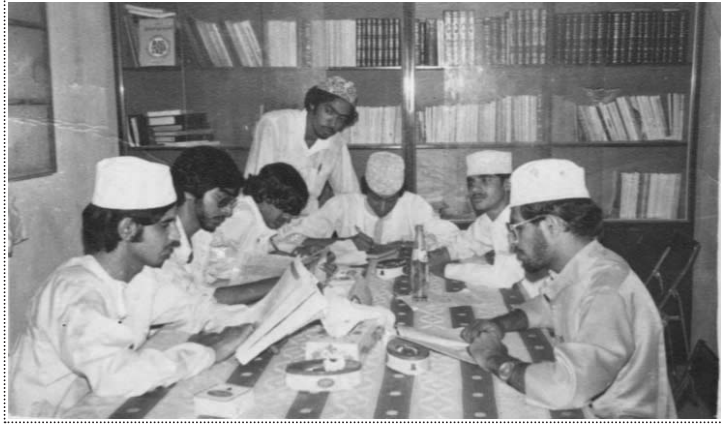
الأولى: الحسّ الوطني. حيث كان يشجّع ويؤكد ضرورة أخذ الموافقة الرسمية من الدولة، كما في مكتبة الرسول الأعظم ومجلة الوعي، إيمانًا منه بأنّ ذلك يعطي العمل المؤسّسي والاجتماعي فرصة أكبر للانتشار والقبول. إضافة إلى نشر مقالاته في الصحف المحلية، كجريدة عمان والوطن. مستفيدًا من حسن علاقة المجتمع العماني بحكومتهم، وأجواء التسامح المذهبي كذلك.

الثانية: التعايش والتواصل مع الأطراف الأخرى. لم يكن الشيخ في ذلك المجتمع المتسامح دينيًا منغلّقًا على أبناء طائفته، بل انفتح على أعلام المذاهب الأخرى، كما أشار في تقديمه: «كانت لي صداقة طيبة مع كبار علماء الإباضية كالمفتي السابق الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري رحمه الله، والعالم الأديب رئيس محكمة مطرح الشيخ سالم السيابي رحمه الله، والمفتي الحالي الشيخ أحمد الخليلي حفظه الله».

في الكتاب معلومات ثرية، عن حقبة زمنية، لا يزال جيلها يعطي من ثمراتها للأجيال التي تلتها. وفيه معلومات تاريخية عن تلك الفترة الزمنية بعضها خاصة بسلطنة عمان، وبعضها تشترك فيها مع بقية دول الخليج العربي. إضافة إلى دور الشيخ الصفار حفظه

الله في تلك الفترة، ودور الشباب الرسالي الذي تفاعل معه، وأكمل معه المشوار الديني والفكري. وقد كان في طليعتهم الناشط الاجتماعي والمثقف مؤلف الكتاب، وهو باحث ومؤرخ عماني ولد سنة ١٩٥٤م وتخرج في جامعة القاهرة بكالوريوس جيولوجيا. ويزاول التجارة حالياً في مطرح بسلطنة عمان.

مثل هذه الدراسات وهذه النماذج تزرع في نفوس الشباب الأمل، ومواجهة التحديات، لتحقيق الأهداف النبيلة، التي تجنح بمجتمعاتهم نحو التغيير للأفضل.





في استقباله إدارة نادي الترجي:

الشيخ الصفار: على المجتمع الأهلي احتضان الأندية الرياضية

قال سماحة الشيخ حسن الصفار في استقباله لإدارة نادي الترجي الرياضي بالقطيف بتاريخ ٢٥ رمضان ١٤٣٧هـ الموافق ٣٠ يونيو ٢٠١٦م: إنَّ على المجتمع الأهلي أن يحتضن الأندية الرياضية، فدعمها ليس مهمة الحكومة فقط، وإنَّما هي مسؤولية المجتمع أيضًا، ذلك لأنَّ مستقبل أبنائنا وشبابنا يجب أن يحتلَّ سلَّم الأولويات في اهتماماتنا.

وقد استمع الشيخ الصفار لما عرضه أعضاء مجلس الإدارة، وهم: الأستاذ عبد المجيد حسن المحاسنة نائب رئيس مجلس الإدارة، والأستاذ عبدالله حسن الصباغ أمين عام النادي، ومن الأعضاء: نزار علي آل عباس، وعصام عبدالله أبو السعود، ورسول شفيق الجشي، وفؤاد أحمد آل كرم.

عن إنجازات النادي وانتقاله إلى منشأته الجديدة، التي تضمّ: ملعباً لكرة القدم، ومضماراً دولياً لسباقات ألعاب القوى، وصالة سباحة، وصالة رياضية مغطاة لجميع الألعاب الرياضية، مثل: كرة السلة وكرة اليد والكرة الطائرة والعديد من المنافسات الرياضية.

كما عرضوا لسماحته ما يواجهه النادي من تحديات وخاصة على الصعيد المالي؛ نظراً للمحدودية الدعم الرسمي في هذه المرحلة، وما تستلزمه عمليات التدريب والتأهيل للاعبين استعداداً لخوض المباريات والمنافسات من كلفة عالية.

من جهته دعا الشيخ الصفار رجال الأعمال وأهل الخير في المنطقة للمزيد من دعم الأندية الرياضية، أسوةً برجال الأعمال في سائر مناطق المملكة الذين يُقبلون ويتنافسون على دعم أندية مناطقهم، مشيداً بالكفاءات الرياضية العالية لأبناء المنطقة وما حقته من إنجازات كبيرة في مختلف الميادين الرياضية على المستوى الوطني والإقليمي والدولي.

وأضاف الشيخ الصفار: إنني أعتقد أنّ دعم الأندية الرياضية لا يقلّ ثواباً عن دعم المساجد والحسينيات والأنشطة الدينية؛ لأنّ الأندية تجاوزت في هذا الزمن مجرد النشاط الجسمي الرياضي، وأصبحت حاضنة للشباب لتصريف طاقاتهم في المجالات الإيجابية، حفظاً لهم عن التوجّهات السيئة المنحرفة، كما أصبحت عنواناً لثقة المجتمع واعتزازه بذاته في محيطه الوطني والعالمي.

وطالب سماحته إدارة النادي بالانفتاح أكثر على المجتمع لتوفير مزيد من التواصل والتفاعل.





خلال لقائه مع فتيات مركز نور
الشيخ الصفار: أجواء
التحديات فرصة لصقل
المواهب*

قال الشيخ حسن الصفار إنّ التحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تحيط بالمجتمع هي أكبر فرصة لصقل المواهب، وتنمية القدرات.

جاء ذلك خلال لقاء سماحته مع فتيات مركز نور، ضمن برنامج مستكشفات، في مكتبه مساء يوم السبت ١٠ ذو القعدة ١٤٣٧ هـ الموافق ١٣ اغسطس ٢٠١٦ م.

وأبان سماحته أنّ الإنسان في كلّ وقت يحتاج للطمأنينة والاستقرار النفسي، موضّحاً أنّ القلق والاضطراب يؤذيه ويضرّ به.

وتابع قد يعيش الإنسان أجواء تبعث على الاطمئنان، أو تولّد القلق، فلا بُدّ من مواجهتها والاستفادة منها.

وخاطب الحاضرات: أنتنّ تعشن ظروفاً يزداد فيها القلق، فهناك اضطرابات، وأسئلة تلحّ على الإنسان حول انتمائه وهويته ووضع. وأوضح أنّ الوضع يكون أحياناً هادئاً لا أسئلة مقلقة، ولا اضطرابات أو تموجات فكرية يعاني منها.

وأبان أنّ الوضع المقصود والتحديات التي تواجه الإنسان هو الوضع السياسي، والاجتماعي، والفكري.

وتابع: هذا الوضع يعني الحاجة لمنابع يستقي منها الإنسان الاطمئنان والثقة، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

وقال إن ذكر الله دافع للاطمئنان، لكن ما هو ذكر الله الذي يورث الاطمئنان؟

وأوضح أن ذكر الله هو حضور القيم الإلهية والإنسانية في فكر الإنسان، ومن يمتلك هذه القيم لا يواجه التحديات بخواء، وإنما بمبادئ وقيم عليا، تمكنه من التغلب عليها.

وعن السبيل ليكون الإنسان مطمئناً قال سماحته: أن يؤمن الإنسان بقوة مطلقة تتحكم بهذا الكون، وتهمين عليه، وأن يفتح عليها ليحصل على النتائج المرجوة، إذ لا يحصل شيء إلا باختيار الله وتقديره، والله لا يختار للإنسان إلا الخير والصالح.

وتابع سماحته: الثقة بالله تلهم الإنسان في وجه الصعوبات، ومن يعيشون الخطر إذا لم يتسلحوا بالثقة بالله، فإنهم يعينون على أنفسهم، وتكون قدرتهم على المواجهة ضعيفة، كالمريض الذي يترك الدواء فيفتك المرض بجسمه.

وعن الأمر الثاني الذي يجب على الإنسان أن يتسلح به في وجه الصعاب هو «الثقة بالذات»، فالوائق من نفسه يطمئن ولا يضطرب. مبيناً أن الثقة بالذات لها دور كبير، وعلى الإنسان أن يثق بذاته.

وحذّر سماحته من الأخبار المتشائمة، فالحياة فيها فرص كثيرة، ولطف الله ورحمته كبيرة، والمستقبل يحمل الكثير من الآمال، ويجب أن ندرس التحديات بحجمها.

وطالب الفتيات بالآ يقبلن بالإحباط، ولا يتركن له سبيلاً للتسلل إلى أنفسهن، فكلّ التحديات ليست فوق إرادة الإنسان، ولا يعجز الإنسان في مواجهتها.

وفي إجابته عن تساؤلات حول دور المرأة في التنمية؟ أشار إلى أن للمرأة مستقبلاً مشرقاً في الوطن فقد فتحت أمامها بعض الأبواب المغلقة، ونأمل أن تتكافأ فرص المرأة مع الرجل على مختلف المستويات، وأن تحتل مكانها في مجلس الوزراء والسلك الديبلوماسي.



الشيخ الصفار في تأبين المقابي:

أحبّ الناس ووقف معظم ثروته لأعمال الخير

في المجلس الأخير لعزاء الفقيد الحاج سعيد بن عبد الحسين المقابي (رحمه الله) مساء الأربعاء ليلة الخميس ٢٢/١١/١٤٣٧ هـ الموافق ٢٦ أغسطس ٢٠١٦ م تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار عن حياة الفقيد الراحل ومآثره، وقال عنه: إن قلبه يفيض بحبّ الناس، وكانت راحته وسعادته في التواصل مع الناس، فهو يتفقد كلّ معارفه وأصحابه تليفونياً بشكل شبه يومي، وكان يحفظ المئات من أرقام الهواتف عن ظهر قلب، حيث فقد بصره.

وأضاف الشيخ الصفار أنّ الحاج سعيد المقابي يعتبر نفسه مسؤولاً عن عائلة كلّ من سافر من أصدقائه، حيث يتواصل مع العائلة يومياً لتفقد احتياجاتها ويبعث لها شيئاً من المؤونة وإن لم تطلب ذلك.

وكان يزور أرحامه نساءً ورجالاً حتى مع عجزه عن المشي، واستخدامه لكرسي متحرك، كما يصرّ على حضور مجالس العزاء للمتوفين ممن يعرفهم من مختلف المناطق، وكذلك مناسبات الأفراح والزواج، غير عابيء بضعفه ومرضه.

وقد انتقل الحاج سعيد المقابي إلى رحمة الله تعالى صباح يوم الأحد ١٨ ذي القعدة ١٤٣٧ هـ الموافق ٢١/٨/٢٠١٦ م، حيث تصدّى الشيخ الصفار لأمر تجهيزه والصلاة عليه وإقامة عزائه لمدة ثلاثة أيام.

وأشار الشيخ الصفار في حديثه عن الفقيد إلى أنه كان من مؤسسي جمعية القطيف الخيرية، وأنه وقف معظم ثروته لمختلف أعمال الخير في حياته.

والجدير بالذكر أنّ الفقيد الراحل حينما علم بشراء الشيخ الصفار للأرض المجاورة

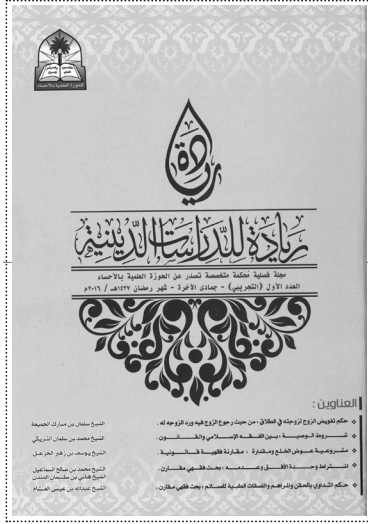
لمنزله في منطقة الجزيرة ليبيني عليها مجلساً لاستقبالته ونشاطه العلمي والاجتماعي، التزم رحمه الله بتكاليف البناء، حيث أشاد مبنى من ثلاثة أدوار وقبو، فأطلق عليه الشيخ الصفار (مجلس الحاج سعيد المقابي) وفاءً له وتخليداً لذكراه، ويضم قاعة كبيرة للمحاضرات، ومكتبة للمطالعة، وشققاً للضيافة، ومكاتب للعمل والنشاط الاجتماعي، وقد افتتح المبنى سنة ١٤٣٦ هـ.

ولد الحاج سعيد المقابي سنة ١٣٤٥ هـ، أما والده الحاج عبد الحسين المقابي فكان من الأخيار الصالحين (١٣١٩ هـ-١٣٩٦ هـ)، وأصلهم من قرية مقابا، من البحرين توطن جداهم القطيف.

وقد درس الحاج سعيد المقابي علوم العربية (الأجرومية وقطر الندى وشرح ابن مالك على الألفية ومغنى اللبيب) على يد ابن عمته الشيخ أحمد السويكت (.... - ١٣٩٥ هـ)، ومن زملائه في الدراسة الشيخ محمد حسن الشيخ منصور المرهون، وأخوه الملا صادق المرهون، والملا باقر المدن، والملا مهدي المناميين، والملا عبد الله المناميين، والحاج أحمد المناميين.

وكان يحفظ الكثير من ألفية ابن مالك والشواهد النحوية، كما كان حريصاً على التزام قواعد النحو في كلامه، وينتقد أخطاء بعض الخطباء النحوية حين يستمع إليهم. مارس الخطابة الحسينية وقتاً يسيراً في شبابه ثم انصرف لأعمال التجارة، ضمن مؤسسته لبيع الساعات والأجهزة الكهربائية، واستمر في إدارة مؤسسته حتى بعد أن فقد بصره سنة ١٤٠٠ هـ، ولم يترك الحضور اليومي في المؤسسة رغم كبر سنه ومرضه، إلى أن عجز تماماً عن الحركة وأصبح طريح الفراش في السنة الأخيرة من حياته حتى اختاره الله تعالى إليه.

كانت له علاقة وثيقة مع علماء بلده، وعلاقته الأوثق كانت أخيراً مع الشيخ الصفار، حيث كان يحضر مجلسه ليلياً، ويحرص على حضور خطباته في المواسم الدينية. وكان يعتبر الشيخ الصفار بمنزلة الولد له، ويعتمد عليه فيما يهّمه؛ لأنه لا عقب له، وكان الشيخ الصفار شديد الاهتمام والعناية به. تغمّده الله بوسع الرحمة والمغفرة.



مشيداً بمجلة ريادة

الشيخ الصفار يدعو الحوزات العلمية إلى تنمية قدرات البحث والإنتاج العلمي*

دعا الشيخ حسن الصفار الحوزات العلمية إلى اعتماد برامج لتنمية قدرات البحث والإنتاج العلمي في أوساط منسوبيها.

وأشار إلى أنّ الحوزات العلمية في إيران وحدها تضمّ مئة وخمسين ألف طالب إلى جانب عشرات الآلاف في الحوزات العلمية في العراق وغيرها. لكن نسبة الباحثين والمنتجين للعلم والمعرفة يشكل نسبة محدودة جداً.

جاء ذلك ضمن إشادة الشيخ الصفار بمبادرة الحوزة العلمية في الأحساء لإنشاء إدارة للبحث العلمي وتدرّيس مقرراته، وإصدار مجلة متخصصة محكمة بعنوان «ريادة» حيث صدر منها العدد الأول (التجريبي).

وفي رسالة وجهها لأمين عام الحوزة العلمية في الأحساء سماحة السيد هاشم السلّمان ولرئيس تحرير المجلة الدكتور محمد جواد الخرس بتاريخ ١٩ ذي القعدة ١٤٣٧ هـ قال الشيخ الصفار:

إنني كنت ولا أزال أعتقد بأنّ أمام مجتمعنا فرصاً كبيرة للنمو والتقدم، في مختلف المجالات، من أجل تعزيز مكانته الوطنية، وأخذ موقعه اللائق بين سائر المجتمعات،

أما وجود المشاكل والتحديات فهو أمر طبيعي في حياة جميع الشعوب والبلدان، لكن التحديات لا تواجه بالتقاعس واجترار الغبن ومشاعر المظلومية، وإنما تواجه بالفاعلية، والوعي لاستثمار الفرص الممكنة، والاستفادة من الإمكانيات المتاحة.

لذلك أشدّ على أيديكم، وأقدر جهود إدارة الحوزة العلمية بالأحساء، في تبنيها لمختلف البرامج العلمية والدينية البناءة، وكلّي أمل وثقة في تطور هذه المجلة الرائدة (ريادة) لتأخذ موقعاً طليعياً في صدارة المجالات العلمية التخصصية، مما يوجب الفخر والاعتزاز لجميع أبناء هذه المنطقة.

وأشار الشيخ الصفار إلى مبادرة سابقة قام بها بعض الباحثين الحوزويين في القطيف بإصدار مجلة «الفقاهة» التي صدر العدد التجريبي منها شتاء ٢٠٠٦م ولا تزال مستمرة في الصدور، حيث صدر منها ثلاثون عددًا.

وختم الشيخ الصفار رسالته بإبداء بعض الملاحظات والمقترحات لتطوير المجلة «ريادة» ولرفع مستوى بحوثها.



الشيخ الصفار يدعو إلى التزام الحذر على أعتاب مناسبة عاشوراء*

- ويشير إلى تحذيرات من مخاطر أمنية محتملة خلال عاشوراء.
- ويحثّ على النأي عن نشر أجواء الرعب والفرع والخوف في الأوساط الاجتماعية.
- ويدعو إلى أقصى درجات التعاون مع الأجهزة الرسمية المنوط بها حماية المنطقة.

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار أهالي المنطقة، إلى اتّخاذ أقصى الاحتياطات اللازمة، على أعتاب مناسبة عاشوراء، تحسّباً من وقوع اعتداءات إرهابية دموية على غرار ما جرى في السنتين الماضيتين.

ونوّه سماحته خلال احتفالية حاشدة، أقيمت في القاعة الكبيرة بمجلس الحاج سعيد المقابي بمدينة القطيف، إلى تحذيرات من مخاطر أمنية محتملة، تهدد الفعاليات الدينية خلال عاشوراء.

وحضر الاحتفالية التي أقيمت يوم الثلاثاء ١٨ ذي الحجة ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٠/٩/٢٠١٦م بمناسبة يوم الغدير جمع من علماء الدين، والشخصيات، ووجهاء المنطقة، وجمهور المستمعين.

وشهدت مناسبة عاشوراء في العام الماضي والعام الذي سبقه هجوماً دمويين بالأسلحة الرشاشة، استهدفاً مسجداً في قرية الدالوة بالأحساء، والحسينية الحيدرية في مدينة سيهات في القطيف، راح ضحيتها عدد من الشهداء.

ودعا الشيخ الصفار إلى استقبال موسم عاشوراء بكل شجاعة، ودونما خشية أو قلق، ووضع الثقة بالله سبحانه، والاطمئنان إلى أن إحياء مناسبة أهل البيت يمثل عملاً مقدّساً، وينبغي أن توطن النفوس على ما يصيبها في هذا السبيل.

وحثّ على النأي عن نشر أجواء الرعب والفرع والخوف، في الأوساط الاجتماعية، جرّاء المخاطر الأمنية غير المستبعدة.

وأشاد سماحته بالشباب القائمين على حماية المساجد والحسينيات والمواكب، في أرجاء المنطقة، الذين قال إنهم اكتسبوا خبرة جيّدة خلال السنتين الماضيتين، ونالت جهودهم تقدير الجهات الأمنية العاملة معهم جنباً إلى جنب.

ودعا الشباب إلى التحلي باليقظة والوعي، وروح المبادرة، تحسّباً لأيّ طارئ، إلى جانب إظهار أقصى درجات التعاون مع أفراد الأجهزة الرسمية، التي ستتخذ الاحتياطات الأمنية اللازمة، في محيط المنطقة وداخلها.

وقال إن أفراد الأجهزة الأمنية هم إخواننا، وأبناء مجتمعنا، ويواجهون الأخطار من أجل حمايتنا، وينبغي أن يقابلوا بالتعاون، وأن يسمعوا من منابرنا الخطاب الجاذب، والبعيد عن التنازع والصدام.

ودعا سماحته إلى استثمار الوجود المكثّف لرجال الأمن في مناطق الاحتفالات الدينية، خلال مناسبة عاشوراء، واعتبارهم ضيوفاً أعزّاء على مجتمعنا، ينبغي أن يحظوا بالترحيب اللائق، ويسمعوا الكلام الطيب.

ويدعو إلى الوقوف بوجه الأصوات التكفيرية

إلى ذلك حذر سماحة الشيخ الصفار بشدة من تسرّب حالات التطرف الديني إلى



أتباع مدرسة أهل البيت. معرباً عن رفضه القاطع لحالات التشكيك في أديان الناس، لمجرد الاختلاف الجزئي معهم، في أمر أو آخر.

ومضى يقول إنَّ الشروع في اتِّهام الآخرين بالضلال والابتداع، ومن ثم المزايدة عليهم في أديانهم، هو المعادل الطبيعي للتكفير عينه، الذي يقود إلى الإخراج من الدين والملة.

وحذّر سماحته من أن السكوت عن حالات اتِّهام الآخرين في أديانهم، ووصمهم بالضلال، ربما قاد إلى تفشي الممارسات التكفيرية المتشددة في أوساط أتباع أهل البيت، على غرار ما أصاب المجتمعات الأخرى.

وقال سماحته إنَّ العلاقة بأهل البيت ينبغي أن تكون سبباً لتعميق مشاعر الأخوة والمودة بين شيعتهم ومحبيهم، لا أن تكون وسيلة للتنازع والشقاق.

ودعا إلى الإمساك على يد المتورطين في التشدد الديني، حماية لمستقبل مجتمعاتنا، من مصير مشابه للآخرين.

وأرجع الشيخ الصفار جانباً من الأوضاع المأساوية، وحالات الاحتراب في الأمة الإسلامية، إلى تفشّي القطيعة، واتِّهام الآخرين، والتشكيك في أديانهم، كما تفعل المدارس التكفيرية، والتيارات المتطرفة.

وأضاف: بأن الجماعات التكفيرية «جعلت الدين على مقاسها وفكرها، واعتبرت كلّ من خالفها مشرّكاً أو مبتدعاً».

وقال إنَّ هذه النزعات التكفيرية ترسّخت نتيجة تسرّبها إلى المناهج التعليمية، والمنابر الدينية، لتنتهي بالواقع الإسلامي إلى ما هو عليه اليوم من حالات النزاع.

وتابع: إنَّ هذه الحالة المأساوية التي باتت تضرب الكثير من مجتمعات الأغلبية السُّنية في البلاد الإسلامية، «هي ثمرة لفكر التطرف والتشدد واتِّهام الآخرين في أديانهم».





الصفار يدعو إلى اتخاذ الاحتياطات خلال عاشوراء تفاديًا للتهديدات الإرهابية بالسعودية*

دعا رجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار أهالي منطقة القطيف بالسعودية إلى اتخاذ أقصى الاحتياطات اللازمة على أعتاب مناسبة عاشوراء تحسبًا من وقوع اعتداءات إرهابية دموية على غرار ما جرى في السنتين الماضيتين، وفق ما أفاده مكتبه في تصريح صحافي.

ونوّه خلال احتفالية حاشدة أقيمت في القاعة الكبيرة في مكتب الشيخ الصفار بمدينة القطيف إلى تحذيرات من مخاطر أمنية محتملة تهدد الفعاليات الدينية خلال عاشوراء.

وحضر الاحتفالية التي أقيمت أمس الثلاثاء (٢٠ سبتمبر / أيلول ٢٠١٦) بمناسبة بيوم الغدير جمع من علماء الدين والشخصيات ووجهاء المنطقة وجمهور المستمعين.

وشهدت مناسبة عاشوراء في العام الماضي والعام الذي سبقه هجوماً دمويين بالأسلحة الرشاشة استهدفاً مسجداً في قرية الدالوة بالأحساء والحسينية الحيدرية في مدينة سيهات في القطيف راح ضحيتها عدد من الشهداء.

ودعا الصفار إلى استقبال موسم عاشوراء بكل شجاعة ودونما خشية أو قلق ووضع الثقة بالله سبحانه والاطمئنان إلى أن إحياء مناسبة أهل البيت يمثل عملاً

* صحيفة الوسط البحرينية. العدد ٥١٢٨، الأربعاء ٢١ سبتمبر ٢٠١٦م الموافق ١٩ ذي الحجة ١٤٣٧هـ.

مقدّساً وينبغي أن توطن النفوس على ما يصيها في هذا السبيل .
وحتّى على النأي عن نشر أجواء الرعب والفرع والخوف في الأوساط الاجتماعية
جرّاء المخاطر الأمنية غير المستبعدة .

وأشاد سماحته بالشباب القائمين على حماية المساجد والحسينيات والمواكب
في أرجاء المنطقة الذين قال إنهم اكتسبوا خبرة جيدة خلال الستين الماضيتين ونالت
جهودهم تقدير الجهات الأمنية العاملة معهم جنباً إلى جنب .

ودعا الشباب إلى التحلي باليقظة والوعي وروح المبادرة تحسّبا لأيّ طارئ
إلى جانب إظهار أقصى درجات التعاون مع أفراد الأجهزة الرسمية التي ستتخذ
الاحتياطات الأمنية اللازمة في محيط المنطقة وداخلها .

وقال إنّ أفراد الأجهزة الأمنية هم في نهاية المطاف إخواننا وأبناء مجتمعنا
ويواجهون الأخطار من أجل حمايتنا وينبغي أن يقابلوا بالتعاون وأن يسمعوا من
منابرنا الخطاب الجاذب والبعيد عن التنازع والصدام .

ودعا إلى استغلال الوجود المكثف لرجال الأمن في مناطق الاحتفالات الدينية
خلال مناسبة عاشوراء واعتبارهم ضيوفاً أعزاء على مجتمعنا ينبغي أن يحظوا
بالترحيب اللائق ويسمعوا الكلام الطيب .

إلى ذلك، حدّر الصفار بشدة من تسرب حالات التطرف الديني إلى أتباع مدرسة
أهل البيت . معرباً عن رفضه القاطع لحالات التشكيك في أديان الناس لمجرد
الاختلاف الجزئي معهم في أمر أو آخر .

ومضى يقول «إنّ الشروع في اتهام الآخرين بالضلال والابتداع ومن ثم المزايمة
عليهم في أديانهم، هو المعادل الطبيعي للتكفير عينه الذي يقود حتماً إلى الإخراج من
الدين والملة» .

وحدّر من أنّ السكوت عن حالات اتّهام الآخرين في أديانهم ووصمهم بالضلال



الذي ربما قاد إلى تفشي الممارسات التكفيرية المتشددة في أوساط أتباع أهل البيت على غرار ما أصاب المجتمعات الأخرى.

وقال «إنّ العلاقة بأهل البيت ينبغي أن تكون سبباً لتعميق مشاعر الأخوة والمودة بين شيعتهم ومحبيهم لا أن تكون وسيلة للتنازع والشقاق».

ودعا إلى الإمساك على يد المتورطين في التشدد الديني حماية لمستقبل مجتمعاتنا من مصير مشابه للآخرين.

وأرجع الصغار جانباً من الأوضاع المأساوية وحالات الاحتراب في الأمة الإسلامية إلى تفشي القطيعة واتّهام الآخرين والتشكيك في أديانهم كما تفعل المدارس التكفيرية والتيارات المتطرفة.

وأضاف بأنّ الجماعات التكفيرية «جعلت الدين على مقاسها وفكرها واعتبرت كلّ من خالفها مشرّكاً أو مبتدعاً».

وقال إنّ هذه النزعات التكفيرية ترسّخت نتيجة تسربها إلى المناهج التعليمية والمنابر الدينية لتنتهي بالواقع الإسلامي إلى ما هو عليه اليوم من حالات النزاع.

وتابع أنّ هذه الحالة المأساوية التي باتت تضرب الكثير من مجتمعات الأغلبية السّنية في البلاد الإسلامية «هي ثمرة لفكر التطرف والتشدد واتّهام الآخرين في أديانهم».





في حفل تكريم المعلمين المتقاعدين

الشويكة: الشيخ الصفار يدعو المعلمين لغرس قيم الصلاح ومنهجية التفكير لدى الطلاب*

- ويدعو المعلمين المتقاعدين لتسجيل تجاربهم والانخراط في العمل الاجتماعي.
- ويؤكد أنّ الجيل الجديد يواجه تحديات فكرية وسلوكية كبيرة.
- ويقترح انبثاق مؤسسة تهتمّ بشأن المعلمين ومساعدتهم للقيام بأدوارهم بأكمل وجه.

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار: المعلمين إلى بذل أقصى جهودهم لغرس القيم الصحيحة، وتبصير الطلاب بما يواجههم من صعوبات، مؤكداً أنّ الأجيال الحالية تواجه تحديات ثقافية وقيمية كبيرة وخطيرة.

وأبان سماحته: أنّ الانفتاح الفكري اليوم يمثل ناحية إيجابية، لكنها تحتاج إلى صناعة جيل قادر على الانتقاء والتمييز، وتقويم الآراء والأفكار.

جاء ذلك خلال الحفل الذي أقامه أهالي الشويكة لـ ٣٣ معلّمًا ومعلّمة، بعد تقاعدهم، مساء الخميس ١٤ ذي الحجة ١٤٣٧هـ الموافق ١٥ سبتمبر ٢٠١٦م.

وأبان سماحته: أنّ مسؤولية المعلم في هذا الزمن الراهن كبيرة، فالجيل الجديد

يواجه تحديات كبيرة على المستوى القيمي والأخلاقي.

وتابع: في الماضي لم تكن هذه التحديات بهذه الدرجة، الآن نواجه تحديًا كبيرًا وخطيرًا، يتمثل في الانفتاح على كافة الصُّعد.

وأوضح أن أذهان أبناء اليوم أصبحت منفتحة على سائر التيارات والتوجهات الفكرية والثقافية، وهذا ليس سلبياً في حد ذاته؛ لأنّ الانفتاح يوفر فرص العلم والمعرفة.

وقال: إنّ السُّلبي في الأمر حينما لا يكون ذهن الشاب قادراً على الانتقاء والتمييز، وتقويم الآراء والأفكار، وهنا تأتي مهمة المعلمين والمربين.

وأشار إلى أنّ المسألة التعليمية ليست أن نحشو الأذهان بالمعلومات، بل الأهم أن نرسي منهجية الفهم والإدراك العلمي، والقدرة على التعامل مع الأفكار والأوضاع المحيطة.

ونوّه إلى أنّ الحصول على المعلومات لم يعدّ أمراً صعباً، فالإنترنت يوفر مختلف المعلومات، لكن الأهم هو كيف يتعامل الإنسان مع المعلومة ويوظفها بالشكل السليم.

وعن الجانب السلوكي قال سماحة الشيخ الصفار: أصبح الشباب اليوم يعيشون أجواءً ضاغطة من الإغراءات، تدفع نحو الأهواء والشهوات واللامبالاة.

ومضى يقول: واجبنا أن نبصّر أبناءنا بالسلوك السليم بإقناعهم، وبغرس التوجهات الصحيحة داخل نفوسهم، والمعلّم يعقد عليه الآمال بالقيام بهذا الدور الكبير.

وأبان سماحته: إنّ دور المعلّم أصبح أكبر من دور الأسرة، وأكبر من دور الخطيب والعالم الديني، الذين لا يلتقون مع كلّ الناس، عكس المعلّم الذي تمرّ عليه كلّ أجيال المجتمع، ويقضي معهم أوقاتاً طويلة تستمر سنوات.

وأوضح: إنّ الطالب يعيش تحت إشراف المعلّم، ويتأثر به، فعلى المعلّم أن يزرع

روح الاجتهاد، وتوجهات الصلاح، في نفس الطالب، عن طريق سلوكه، وأسلوب طرحه.

وتابع: يجب أن نذكر المعلمين بمسؤوليتهم، فالقضية ليست مجرد وظيفة وتحصيل مرتب شهري، وإنما هي مسؤولية دينية، تندرج تحت عناوين شرعية، كالهداية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الخير.

وقال: نعقد الآمال على المعلمين من أجل أن يقوموا بدورهم السليم في إعداد الجيل، ومساعدته لمواجهة التحديات.

وأوضح: إنَّ على كلِّ معلم أن يعرف أنَّ هؤلاء الطلاب ليسوا أجانِب عنه، فكلُّ جهدٍ يصرفه في سبيل تربيتهم، وتقويم سلوكهم، ينعكس عليه بشكل مباشر.

وأضاف: هذا الطالب قد يكون الطبيب الذي يعالجك ويعالج أسرته، وقد يكون زوج ابنتك، أو معلم حفيدك.

وحذّر الشيخ الصفار من تدنّي التحصيل العلمي الذي يؤثر على حياة الأبناء، وعلى مستقبلهم ومستقبل مجتمعهم.

وفي جانب آخر تحدث سماحة الشيخ إلى المتقاعدين، وقال: لا يعني التقاعد انتهاء دور الإنسان في الحياة والمجتمع، بعد هذه السنين التي قضاها، وأصبحت لديه خبرة وتجربة، عليه أن يفيد الآخرين من تجربته.

وطالب المعلمين والمعلمات المتقاعدين: بأن يكتبوا تجاربهم وانطباعاتهم، ليستفيد منها المعلمون الجدد.

وقال: مع الأسف نحن لا نحترم تجاربنا، سنين يقضيها المعلم في التعليم، ولا يسجل تجربته، ليستفيد منها الآخرون.

ودعاهم لأن يأخذوا دورهم في المجتمع، وخدمة الشأن العام، مؤكِّدًا حاجة المجتمع إلى انبثاق مؤسسة تهتم بشأن المعلمين ومساعدتهم للقيام بأدوارهم بأكمل وجه.





الشيخ الصفار في استقباله لجمعية العطاء النسائية:

نتطلع إلى دور اجتماعي أكبر للمرأة في المنطقة

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إن قيام جمعية أهلية رسمية للنشاط النسائي في محافظة القطيف كان أمنية يتطلع لها الواعون من أبناء وبنات المنطقة، منذ عهد بعيد، وقد تحقق ذلك والحمد لله بتأسيس جمعية العطاء النسائية بالقطيف في ٢٦ / ٧ / ١٤٢٩ هـ والمنطقة بحاجة إلى وجود أكثر من مؤسسة مماثلة لكثافتها السكانية الزاخرة بالكفاءات والقدرات النسائية في مختلف المجالات.

جاء ذلك في استقباله لإدارة جمعية العطاء النسائي في القطيف د. أحلام القطري رئيسة الجمعية، وهنأى علي آل سيف نائبة الرئيس، وعالية سعود الحداد، وسعاد عباس الخنيزي عضوات الجمعية بتاريخ ٢٦ ذي الحجة ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ٢٠١٦ م حيث استمع إلى تقرير عن دور الجمعية ونشاطها والتحديات التي تواجه خططها ومشاريعها.

وقد شكر سماحته للأخوات الكريمات زيارتهنّ، وأبدى تقديره وامتنانه للدور الذي تقوم به جمعية العطاء والإنجازات التي حققتها، وقال: إننا نتطلع إلى دور اجتماعي أكبر للمرأة في المنطقة؛ لأنّ تطورات الحياة وضعت المجتمع أمام تحديات كبيرة على الصعيد الاجتماعي، فهناك أسر فقيرة تحتاج إلى الدعم والمساعدة، وهناك أخطار تهدد تماسك الأسرة، حيث تتعدد ألوان المشكلات الأسرية، وترتفع نسبة الطلاق، وتحصل حالات العنف الأسري، كما أنّ الفتيات تحاصرهنّ القيود ويبحثن

عن فرص لتنمية قدراتهمّ وتفعيل طاقاتهمّ.

ودعا سماحته إدارة الجمعية إلى وضع الخطط لاستقطاب الكفاءات والعناصر النسائية على مستوى المحافظة من صفوى إلى سيهات ومن دارين إلى الجش فهي جمعية لكلّ المحافظة.

مؤكّدا ضرورة المرونة لتكون الجمعية مظلة للأنشطة المختلفة في كافة المحافظة، أسوة بالجمعيات الخيرية الأخرى التي استوعبت لجاناً قرآنية واجتماعية وثقافية، بأن يفسح المجال لكلّ لجنة أن تمارس نشاطها تحت سقف نظام الجمعية دون مركزية شديدة.

وفي مناقشة موضوع الصعوبات المالية التي تواجه الجمعية أشار سماحته إلى وجود عدد كبير من النساء ذوات الوظيفة والامكانية المالية، لكننا بحاجة إلى بثّ ثقافة الإنفاق وتحمل المسؤولية تجاه المجتمع في أوساطهنّ. ومهم جداً مبادرات التواصل من قبل الجمعية والانفتاح على العناصر والتجمعات النسائية في مختلف أرجاء المنطقة، وتوفير المناسبات الدينية فرصة طيبة لاستحضار دور الجمعية وعرض مشاريعها وبرامجها، كليلة القدر، وعاشوراء، وسائر المناسبات حيث تقام مجالس واجتماعات نسائية حاشدة.

بدورهنّ تقدمن الأخوات في إدارة جمعية العطاء بالشكر الجزيل لسماحته على حسن الاستقبال والتشجيع والمقترحات البناءة التي قدّمها.



الشيخ الصفار: ملتقى الصحة النفسية استجابة ضرورية واعية لتحذ كبير

في زيارته لملتقى تعزيز الصحة النفسية في القطيف بتاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٤٣٧ هـ الموافق ٣٠ سبتمبر ٢٠١٦م أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بمبادرة تأسيس هذا المركز المهم، ورآها استجابة ضرورية واعية لتحذ كبير يواجه المجتمع؛ لأن تطورات الحياة وضغوطها المختلفة تزيد من نسبة الأمراض النفسية في المجتمع، فلا بُد من نشر ثقافة احتواء هذه الأمراض، بالتأكيد على أساليب الوقاية وبرامج العلاج، أما التجاهل والتغافل فإنه يكرّس تلك الأمراض ويزيد من تداعياتها على حياة المصابين، مما ينكد عيش أسرهم، ويهدد المجتمع بأخطار كثيرة.

وقد قام أعضاء إدارة الملتقى - الأستاذ فيصل العجيان والدكتور مصدق الخميس والأستاذ جعفر العيد - بجولة مع سماحته على أقسام المركز، وقدموا عرضاً عن جهودهم وأنشطتهم، والصعوبات التي تواجههم في مشروعهم، شاكرين لسماحة الشيخ الصفار وقوفه معهم منذ بداية انطلاق المشروع ودعمه المتواصل لهذا المجهود الإنساني التطوعي في المنطقة.

ودعا الشيخ الصفار إدارة الملتقى إلى التواصل المكثف مع العلماء والخطباء، ليطّلعوا أكثر على مدى انتشار الأمراض النفسية في المجتمع، وبرامج احتوائها، ليساعدوا في تقديم الإرشاد والتوجيهات اللازمة في خطاباتهم وأحاديثهم في المناسبات الدينية، وليتكامل دورهم مع المؤسسات الاجتماعية القائمة.

كما طالب سماحته أهل الخير ورجال الأعمال بدعم هذا الصرح الإنساني الذي تشتد الحاجة إلى جهوده في الوقت الراهن.

يذكر أن المركز يهدف إلى تقديم ثقافة نفسية واجتماعية عبر المحاضرات والندوات واللقاءات والكتيبات والنشرات، ويقدم المركز أربع محاضرات ودورتين شهرياً، بالإضافة لتقديم الاستشارات عبر الهاتف الاستشاري والواتس آب وكل وسائل التواصل الاجتماعي، مما يعطي فرصة للتواصل والتفاعل مع الخبراء والمهنيين.



الشيخ الصفار: يدعو لتعزيز العمل التنموي الاجتماعي ودعم مؤسساته*

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى العمل على تعزيز العمل الاجتماعي وتطوير مؤسساته، وتقديم الدعم المادي والمعنوي، والانخراط في المشاريع الاجتماعية لخدمة المحتاجين والنهوض بالعمل الاجتماعي على أكمل وجه.

جاء ذلك خلال تدشين جمعية القطيف الخيرية مكتب خدماتها بجنوب القطيف، الذي يخدم الأحياء الجنوبية في المحافظة «الشويكة، الكويكب، الخضيرة، مياس، الدبائية، أم اجزم» الواقعة ضمن نطاق خدماتها، وذلك يوم الخميس ليلة الجمعة ٢٨/١٢/١٤٣٧هـ الموافق ٢٩/٩/٢٠١٦م.

وعبر الشيخ الصفار عن سعادته بافتتاح الفرع الخاص للأحياء الخاصة بجنوبي القطيف، ذات الكثافة السكانية بالمنطقة.

وتحدّث عن بداية تأسيس جمعية القطيف الخيرية، في هذه الأحياء الجنوبية من القطيف، قبل أكثر من خمسين عامًا على يد الشيخ علي المرهون رحمه الله، ومجموعة من المؤمنين، تحت اسم الصندوق الخيري بالدبائية، حتى تم ترسيمها ضمن اسم الجمعية.

وقال سماحته: لا بُدّ من تعزيز المؤسسات الاجتماعية والعمل المؤسساتي، فأهل

الخير في مجتمعنا كثيرون، ومحبو الخير لا زال بعضهم يnehجون العمل الفردي، ونحن بحاجة إلى تعزيز العمل الجمعي المؤسسي.

وتابع: عندما نقرأ عن المؤسسات الاجتماعية في مختلف البلدان نراهم يحتفلون بالذكرى المئوية لتأسيسها، ففي مصر مثلاً قرأت عن جمعية احتفلت بمرور ١٢٦ سنة على تأسيسها.

وأوضح: أنه كلما تجذرت الأعمال الخيرية في المجتمع، تعزز المجتمع، وأصبح من السهل على الجيل التالي المزيد من التطوير والدعم، ولن يعانون كما عانى الجيل الأول.

وأبان الشيخ الصفار، إن الجيل اليوم لا بُدَّ أن يكون أكثر إقبالاً على العمل المؤسسي الخيري، فهو أكثر علمًا وإطلاعًا على أهمية هذا النشاط.

ونوّه إلى أنه في بعض الأحيان لا يكون للناس فكرة واضحة عن هذه المؤسسات، لوجود ضعف في الإعلام، مرجعًا ذلك لعدم الاستفادة من المنابر المؤثرة.

وأضاف: للأسف فإن المنبر والمسجد لا يجد نفسه معنيًا بالحديث عن هذه المؤسسات المجتمعية.

وقال سماحته: لعل مناسبة عاشوراء فرصة للحديث والدعوة لدعم المؤسسات الأهلية والخيرية.

واستنكر من يتحدث عن العمل الاجتماعي، لكنه يتحاشى ذكر أسماء المؤسسات القائمة، مؤكِّدًا على انتهاج أسلوب الوضوح في دعم هذه المؤسسات، ووجود إشكالات وتساؤلات لا يعني ألا يجهر الخطيب برأيه.

وتابع: يجب أن نكون أكثر صراحة في الدعم والإشادة بالجمعيات، والنماذج المتميزة من أبناء المجتمع.

وأوضح أن العمل الاجتماعي تجاوز مشكلة الإمكانيات المادية إلى حدٍّ كبير،

ومشكلته اليوم هي الإمكانيات البشرية، من الناشطين والمثقفين والواعين، لذا علينا أن نستقطبهم باتجاه العمل الاجتماعي.

وتساءل سماحته: إلى متى ونحن منشغولون بالجدليات بين الإسلاميين والليبراليين، وبين الشيعة والسنة، أو بين الوطنية والقومية، ونصرف جهداً ووقتاً دون طائل، ونترك العمل الأهم الذي يتمثل في العمل لإنهاض المجتمع ودعم مشاريعه الاجتماعية؟ وقال: من أهم الأولويات في مجتمعنا اليوم هو تعزيز العمل التنموي الاجتماعي في حالته المؤسسية.

وأضاف: ينبغي أن نصرّف جهداً من أجل إقناع الناس وتوجيههم لهذا العمل، كما ينبغي استيعاب الشباب لكي لا يكونوا صيداً سهلاً للعصابات والتوجهات المنحرفة. وأبان أن المواقب العزائية لا ينبغي أن تكون مجرد زخم عاطفي، بل لا بُدَّ أن تدعو المشاركين فيها للعمل الاجتماعي، ولا بُدَّ من تحمّل الهمّ الاجتماعي.



أكد أن أيّ سلطات تنفيذية من اختصاص الدولة وحدها ولا يجوز منازعتها

السعودية: الصفار يندد بتعرض مواطن لاعتداء في القطيف*

ندد رجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار باعتداء مواطنين في محافظة القطيف على مواطن قصد إحدى البلديات وتعرض للتوقيف والاعتداء بدعوى الاشتباه في انتمائه إلى تنظيم داعش الإرهابي.

وأكد الصفار في بيان تلقى «الشرق الأوسط» نسخة منه أنه لا يحق لأيّ أحد ممارسة أيّ سلطة تنفيذية بمعزل عن الدولة، وقال: «لا أحد مخوّل لممارسة سلطة تنفيذية إلا الجهات المعنية، وأي اعتداء على أي إنسان خارج النظام والقانون مرفوض ومحرّم شرعاً».



وكان مصدر أمّني سعودي في المنطقة الشرقية قال مساء أول من أمس إنه «عند العاشرة والنصف من مساء اليوم (أول من أمس) تبليت شرطة محافظة القطيف عن تعرض مواطن يقطن بمحافظة رأس تنورة للاعتداء بالضرب وإحداث تلفيات بأحد مواطنين يقيمون بمحافظة رأس تنورة للاعتداء بالضرب وإحداث تلفيات بمركبته من قبل مجموعة من الأشخاص أثناء تواجده ببلدة البحاري بمحافظة القطيف».

* جريدة الشرق الأوسط الصادرة يوم السبت ٢٨ ذو الحجة ١٤٣٧هـ، ١ أكتوبر ٢٠١٦م العدد ١٣٨٢٢.

وأضاف: إنه تم نقل المعتدى عليه «إلى المستشفى لتلقي العلاج اللازم فيما شرع المختصون بالشرطة في إجراءات الضبط الجنائي للبلاغ والكشف عن ملبساته». وتشهدت القطيف والأحساء إجراءات أمنية غير مسبقة في ظلّ تحذيرات من تعرّض مجالس العزاء الحسينية لاعتداءات، ودعت السلطات الأمنية المواطنين للحذر والتعاون مع الجهات المختصة.

وقال الشيخ الصفار أمس إنّه «في الوقت الذي ندعو فيه المواطنين لليقظة والانتباه لرصد أيّ تحرك مشبوه يمكن أن يقوم به الإرهابيون، وأن يتكامل دورهم مع الأجهزة الأمنية، فإننا نؤكّد على اختصاص الأجهزة الأمنية باتخاذ الإجراءات العملية».

وأضاف: «حين يرى المواطنون شخصاً يشكّون في وضعه، عليهم الإبلاغ عنه وتسليمه للجهات الأمنية ولا يحقّ لهم القيام بأيّ اعتداء عليه؛ لاحتمال براءته وهو الأصل، ولأنّه لا أحد مخوّل لممارسة سلطة تنفيذية إلاّ الجهات المعنية، وأيّ اعتداء على أيّ إنسان خارج النظام والقانون مرفوض ومدان ومحرم شرعاً».

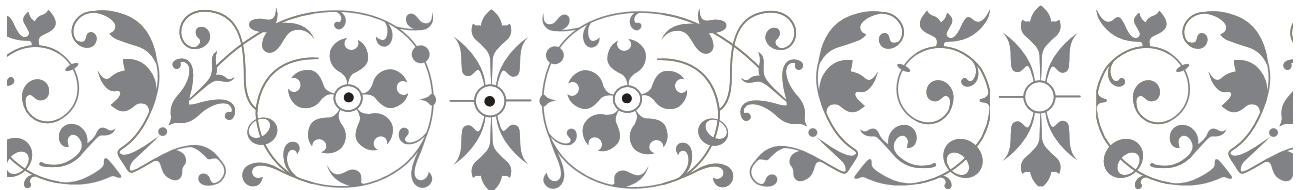
ومضى يقول: «نحن نعتقد بالشراكة الوطنية فكلّ مواطن شريك في كلّ ذرّة من تراب الوطن، والمواطنون على اختلاف مناطقهم ومذاهبهم يشكلون كتلة واحدة وصبغاً واحداً، وهذه من النعم الكبيرة التي نعيشها منذ توحيد البلاد على يد الملك المؤسس طاب ثراه، وكلّ مواطن هو محلّ ترحيب في أيّ بقعة من بقاع الوطن».

وأضاف: «كما نرى بالفعل تواجد أبناء هذه المنطقة في المناطق الأخرى من البلاد للدراسة أو العمل، وكذلك تواجد أعداد كبيرة من أبناء المناطق الأخرى في هذه المنطقة».

وأكد أنّ «هذا مما نفخر به ويجب أن نحافظ عليه، طبقاً لتعاليم ديننا وتجسيداً للوحدة الوطنية وتحقيقاً للسلم الأهلي والاجتماعي، وإذا ما حدث تصرف من أحدٍ خارج هذا السياق فهو خطأ يحاسب عليه وحده ولا يصح أن يكون مبرراً للترويج النزعات العنصرية الطائفية أو القبلية».



ندوات ومحاضرات



التعارف رؤية قرآنية*

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣].

هذا الوجود البشري الكبير المتنوع في أعراقه، وألوانه، ولغاته وثقافته، يرجع إلى أصل واحد، كما يؤكد ذلك القرآن الكريم، وكما تؤكد كل النظريات العلمية، فأبناء البشر يرجعون إلى أصل واحد، والخالق هو إله واحد وهو الله سبحانه وتعالى، والمكونات الأساس لأبناء البشر هي مكونات متساوية في أصل وجودها، وإن كانت متفاوتة في مستويات استخدامها وتفعيلها، فالجوارح والأعضاء والمكونات الجسمية واحدة عند أبناء البشر، وكذلك الحال في المكونات الفكرية، والروحية، والنفسية هي متشابهة عند أبناء البشر، لكن التفاوت يحصل في درجة استخدام هذه الأعضاء الجسمية وهذه القوى الفكرية والنفسية، فهناك من يفعل هذه القدرات المادية أو المعنوية أكثر من الآخرين.

هؤلاء البشر كلهم يعودون إلى أصل واحد وخالقهم هو إله واحد، والمقومات الأساس في شخصياتهم هي مقومات واحدة، لكن شاءت حكمة البارئ وقدرته جلّ وعلا أن تتنوع الخصائص وأن تتفاوت المستويات، فالخصائص بين أبناء البشر والمستويات متفاوتة، وهذا له أسبابه الطبيعية.

* ألقى المحاضرة بمجلس ساحة الشيخ حسن الصفار بتاريخ ١٧ صفر ١٤٢٨ هـ.

كيف نشأ التفاوت؟

نشأ الناس في البداية في محيط واحد ، حيث كان أبو البشر آدم يُشكّل العائلة الإنسانية الأولى، هو مع زوجته حواء وأولادهم ، ومع استمرار التناسل البشري انتشر أبناء آدم في أنحاء مختلفة من الأرض، هذا الانتشار جعل كل مجموعة تعيش ضمن بيئة تختلف عن البيئة الأخرى، هذا الاختلاف البيئي، والجغرافي، في الحياة الطبيعية انعكس اختلافًا ماديًا وثقافيًا، أشكال حياة الناس قد تختلف في أجواء حارة أو أجواء باردة، في مناطق جبلية أو ساحلية، هذا التفاوت في البيئة الطبيعية التي يعيشها الناس تنعكس اختلافًا على أوضاعهم المادية، وتنعكس اختلافًا في ثقافتهم، فحصلت تنوعات وتفاوت في أبناء البشر، وبمرور الوقت أصبحت البشرية تنقسم إلى قبائل وعشائر، وإلى شعوب. وهذا التنوع لا ينفي الأصل الواحد.

لذلك تتوجه الآية الكريمة بالخطاب إلى أبناء البشر جميعًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، الآية الكريمة في سورة الحجرات، والآيات السابقة لها كانت تخاطب المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، هنا انتقل الخطاب من: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾؛ لأن الحديث ليس خاصًا بالمؤمنين، وإنما هو متوجّه إلى الناس باعتبارهم ناسًا بغض النظر عن أديانهم ومعتقداتهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، خطاب عام لكل من ينطبق عليه هذا العنوان، مهما كان لونه، ولغته وعرقه، ودينه، ومذهبه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾، والخطاب من قبل الله سبحانه وتعالى هو الخالق: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾، وفيه إيحاء وتبيين للفلسفة التي تريد الآية أن تصل لها، وهي أنه يمهد ويؤكد أرضية الوحدة بين أبناء البشر ما دام الخالق واحدًا، وليس هناك أحد من البشر من خلق إله آخر، ولا يوجد إله آخر إلا الله سبحانه وتعالى، فالتأكيد على أن الخالق واحد من أجل إعداد الأرضية الفكرية والنفسية، لتوطيد العلاقات بين هؤلاء الذين خلقهم إله واحد.

ثم تشير الآية إلى الحكمة في التنوع، وإلى وحدة الأصل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾، وإن الطريقة التي يأتي منها هذا الإنسان من أي لون كان من أي دين كان، من

أيّ مستوى كان، هي نفس الطريقة التي يأتي منها الإنسان الآخر، فليس هناك إنسان يأتي للحياة بطريقة متميزة مختلفة، والنتيجة إذاً أنّ الإله واحد، وطريقة الخلقه إذاً واحدة، ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾، هذا التنوع إنّما حصل بإرادة الله تعالى وبحكمته وليس بإرادتكم أنتم.

وفي هذا إيحاء لكلّ إنسان يريد أن يتصور بأنّ كونه من هذه القبيلة أو كونه من هذه العائلة مدعاة للتميز، وأنّ كون الآخر من عائلة و قبيلة أخرى سبباً للدونية، هل أنت اخترت انتسابك لهذه القبيلة! وهل ذلك الآخر اختار انتسابه لتلك القبيلة؟ هل أنّ كلّ إنسان يوجد في هذه الحياة قبل مجيئه للحياة يعرض عليه معجم القبائل والأنساب ويقال له: اختر القبيلة التي تريد أن تولد منها، أو تكون منتمياً إليها؟ نحن نعرف الآن أنّ الإنسان في اختياره للجامعة للدراسة تعرض عليه مختلف الجامعات، هو يختار الجامعة التي يريد، وهو يتحمل مسؤولية اختياره، نحن نعرف أنّ مختلف القضايا المكتسبة يكون للإنسان رأي فيها، لكنّ انتماءك العائلي، والقبلي، والقومي والعريقي لا اختيار لك فيه، فلا فخر لك فيه، ولا يشكل نقطة ضعف لك، المسألة ترتبط بالله سبحانه وتعالى.

الشعوب والقبائل

تكلم المفسرون كثيراً حول المقصود بالشعوب والقبائل وأيهما أوسع من الآخر، هل أنّ الشعب أوسع من القبيلة، أو أنّ القبيلة أوسع من الشعب، لا شأن لنا في هذا الاختلاف، لكن من حيث الفهم المعاصر نجد أنّ بينهما تداخلاً، يطلق على كلّ من يعيشون في وطن واحد تحت ظلّ نظام واحد بأنه شعب، ويقال الشعب الأمريكي، الشعب الياباني، الشعب السعودي، الشعب العراقي، وهذا الشعب يعتبر إطاراً يستوعب قبائل مختلفة، هنا يبدو الشعب أوسع من القبيلة؛ لكننا في نفس الوقت نجد أنّ بعض القبائل لها فروع في مختلف الشعوب، وعلى المستوى العربي نجد أنّ بعض القبائل لها فرع في العراق ولها فرع في سورية ولها فرع في السعودية ولها فروع في مختلف المناطق.

الهدف لتعارفوا

طبيعة الحياة اقتضت أن تكونوا متنوعين في انتماءاتكم الشعوبية والقبلية، هذا الاختلاف ينعكس اختلافًا في الثقافات، ينبغي أن يكون دافعًا للتعارف.

هذا التنوع هو مظهر من مظاهر القدرة والإبداع الإلهي، كما نجد أن الفنان الذي يستطيع أن يصنع مناظر مختلفة متعددة يبرز قدرته بهذا التنوع، إنَّ الحديقة التي تكون فيها الألوان متنوعة مدعاة لقيمة أكبر لهذه الحديقة، وهذا الوجود البشري هو مظهر من مظاهر القدرة الإلهية، لذلك آيات أخرى من القرآن الكريم تعتبر اختلاف ألسنتكم وألوانكم آية من آيات الله سبحانه وتعالى، ومظهر من مظاهر العظمة الإلهية يقول تعالى: ﴿...وَاخْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ...﴾.

قواعد التعارف وآفاقه

أولاً: المعرفة

التعارف ينبثق أولاً من المعرفة، الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان هذه الخاصية - خاصية المعرفة - وقيمه تأتي من تفعيله لهذه الخاصية، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [سورة البقرة، الآيات: ٣١-٣٢].

ميزة آدم أنه كانت له قابلية المعرفة والعلم، وبذلك فضّله الله على الملائكة وأمر الملائكة بأن يسجدوا له، والتعارف ينبثق من خاصية المعرفة، أن الإنسان القادر على المعرفة ينبغي له أن يستفيد من التنوع البشري في كسب المعرفة، وعلينا أن نتأمل في كلمة ﴿لِتَعَارَفُوا﴾، يعني أن كل طرف يتعرف إلى الآخر كحالة متقابلة، ليس تعرفًا من جهة واحدة فقط وإنما من الجهتين، إنَّ التعارف قيمة كبيرة في حياة البشر، أنت تنتمي إلى دين وآخر ينتمي إلى دين آخر، أنت تنتمي إلى مذهب والآخر ينتمي إلى مذهب آخر، تنتمي إلى ثقافة وهو ينتمي إلى ثقافة أخرى، إلى قبيلة وهو ينتمي إلى

قبيلة أخرى، إلى شعب وهو إلى شعب آخر، هذا التنوع فيه تجارب مختلفة، أول ما ينبغي أن تهتم به في حالة التنوع أن تتعرف إلى خصائص وصفات الطرف الآخر، هذا ما يجب أن تسعى إليه.

البعض من الناس تحصل عندهم حالة انطواء على ذاتهم، القومية، القبلية، أو الدينية، أو الفتوية، لا يكون لديهم سعي للتعرف إلى الطرف الآخر، وتهيب من التعرف - أنا ليس لي دخل بالتعرف على أتباع المذهب الآخر، ماذا أصنع بهم؟ ما معنى أن أنترف إلى أتباع الدين الآخر؟، على أصحاب الثقافة الأخرى - وتضييق الدائرة إلى أن يكون أناس ضمن مذهب واحد لكن لهم مدارس متعددة، فيعزف كل طرف عن التعرف إلى ما عند الطرف الآخر لا يجد نفسه مندفعاً كي يتعرف إليهم.

وفي بعض الأحيان يكون له صورة خطأ عن الطرف الآخر ينشغل بها ولا يسعى للتعرف الحقيقي، أنا أرسم في ذهني صورة لصاحب المذهب الآخر، وأكتفي بهذه الصورة وأزعم أن هذا هو الآخر فأقول: السنة كذا، الأباضية كذا، الشيعة كذا الزيدية كذا، من قال إنهم كذا؟ أنا أفعل صورة، أنا أتقبل صورة رسمت ضمن بيئة معينة ولا أسعى للتعرف الحقيقي، يفترض أن هذه الآية الكريمة تخلق دافعاً لكل مؤمن، بأن يتعرف إلى الآخرين، كما هم على حقيقتهم، فإذا تعرّف إليهم تتيح لهم الفرصة بأن يتعرفوا إليك، والآية الكريمة تقول: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ يعني - تبادل - تتعرف وتعرف حتى يتحقق هذا المبدأ وتتحقق هذه القيمة.

ثانياً: التعارف

في آخر حديثنا نشير إلى أنه حتى على المستوى الفردي، بعض الناس لديهم هذا الاهتمام بأن يتعرفوا إلى الأفراد الآخرين، فإذا جلس في مجلس وكان إلى جانبه شخص يندفع للتعرف إليه، في المجتمعات الغربية أصبح متداولاً بأن كل شخص عنده بطاقة تعريف (كارت) من يلتقي مع الآخر تجده يعرفه بنفسه ويعطيه (كارت)، هذا خلق حضاري، لكن هذه العادة ليست رائجة لدينا إلا على المستويات الرسمية،

وعلى مستوى رجال الأعمال، بينما هي عادة طيبة أن الإنسان حينما يلتقي شخصاً يتعرف إليه. هنالك رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، تقول: «أن من صحب مؤمناً أربعين خطوة سأل الله عنه يوم القيامة»^(١).

البعض من الناس ليس لديه توجه التعرف إلى الآخرين، بينما هناك بعض الأشخاص عندهم هذا الاهتمام بل عندهم براعة بمجرد أن يلتقي شخصاً يتعرف إليه، يكسبه، يتبادل معه المعرفة، ثم يفكر كيف يستثمر هذه العلاقة، نحن بحاجة إلى هذا الخلق الحضاري على مستوى الأفراد، لن نخسر شيئاً بل ستربح ثروة من المعارف من الأفكار، من التجارب، جرّب أن تهتم بالتعرف إلى أكبر قدر ممكن من الأشخاص الذين تكون في محيطهم أو يكونون في محيطك بسبب أو بآخر، فتجد أمامك آفاقاً مفتوحة.

حينما تسمع عن جماعة معينة، اسعَ للتعرف إليهم: مَنْ هم، ما أفكارهم، ما آراؤهم، ما مواقفهم، اسعَ للتعرف إليهم عبر التواصل المباشر أو عبر القراءة عنهم، يذكرون أنه في أمريكا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أقبل الأمريكيون بشغف على مطالعة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين، وفرغت المكتبات من كل كتاب يرتبط بالإسلام والمسلمين، لماذا؟ لأنّ الأمريكي يسمع في وسائل الإعلام أنّ هذه الحادثة حصلت وخلفها إسلام ومسلمون، فيتساءل: ما هو الإسلام؟ ومن هم المسلمون؟ صار يبحث، يذهب للمكتبة، يشتري كتاباً، والعلماء المسلمون - بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر - يقولون: صرنا ندعى في الجامعات والمراكز دلالة على أنّ الناس هناك يبحثون عن المعرفة، ﴿لِتَعَارَفُوا﴾، بينما نحن - مع الأسف - في كثير من الأحيان نسمع عن جهة، ولا نكلف أنفسنا ونكتفي بالمعلومات الجاهزة - يقال إنّهم كذا - يصلنا خبر بأنهم كذا، هذا خطأ. إنّها قيمة كبيرة يركّزها القرآن الكريم: قيمة التعارف ﴿لِتَعَارَفُوا﴾.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٢٧٥، حديث ٣٠.

الودّ الذي يمنحه الله*

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٩٦].

حينما يمتنّ الله سبحانه وتعالى على أحدٍ من عباده بشيءٍ ويعده بذلك الشيء، فلا بدّ أن يكون ذلك الشيء عظيماً، والآية الكريمة تؤكّد أن الله سبحانه وتعالى يعدّ عباده المؤمنين ويمنّ عليهم بنعمة كبيرة من نعمه، تلك النعمة هو أنه سيجعل لهم وداً في القلوب والنفوس. فلا بدّ أن يكون وجود المحبة والمودة للإنسان في قلوب الآخرين شيئاً مهمّاً، ولو لم يكن شيئاً مهمّاً لما وعد الله به صفوة عباده، ولما نسب وجود ذلك الودّ إلى ذاته سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعني أنّ الناس الذين يؤمنون بالله ويؤمنون بالمبادئ الدينية والقيم الأخلاقية السامية، هؤلاء الذين يمتلكون صفة الإيمان وهي صفة عقلية نفسية؛ لأنّ الإيمان مصدره العقل ومقرّه النفس. وإلى جانب هذه الصفة، هناك صفة أخرى ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنّ الإيمان هذه الصفة النظرية النفسية يجب أن تتحول إلى سلوك وعمل وممارسة، أما إذا بقيت مجرد نظرية أو فكرة ولم تتحول إلى سلوك خارجي فإنّها لا تعتبر ذات قيمة وتأثير..، فالقيمة والتأثير والفائدة في انعكاسها على الحياة العملية، لذلك فإنّ الله سبحانه لم يكتف بصفة الإيمان ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بل

أردفها ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

صحيح أن الإيمان يفترض أن يدفع للعمل الصالح، لكن بعض الناس قد يكتفون بالإيمان النظري، وبالحالة العقديّة دون أن يترجم ذلك إلى عمل. الله سبحانه وتعالى يقول أن من يكتفي بالإيمان النظري العقدي في قلبه ولا يلتزم معطيات هذا الإيمان، فإن ذلك لا يؤدي إلى نتيجة وكما يقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي إن الإيمان يجب أن يكون إلى جانبه العمل المنبثق من حالة الإيمان، لذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، الذين تتوفر في عقولهم الرؤية الصحيحة للكون والحياة وللمبدأ والمعاد ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، سلوكهم وعملهم وممارساتهم منسجمة مع مقتضى ذلك الإيمان، ومن وحي ذلك الإيمان، هؤلاء الذين يمتلكون هاتين الصفتين سيجعل لهم الله سبحانه ودًا، الودّ هو المحبة والمودة، أي إن الله سبحانه سيجعل لهم المحبة والمودة في قلوب الناس.

صور الودّ الإلهي

﴿سَيَجْعَلُ﴾ هذا الجعل كيف يكون؟ وللإجابة يمكننا تصور ذلك على نحوين:

الأول: الجعل الغيبي: أي إن الله سبحانه وتعالى سيجعل القلوب منجذبة إليهم، وهناك روايات تؤيد هذا المعنى: ورد في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(١). إن الله سبحانه وتعالى إذا أحبّ عبدًا - (أي عبّد من عباده) - والسؤال: كيف يحبّ الله عبدًا من عباده؟ إنّه جلّ وعلا لا يحبّه لمنظره أو جماله أو ماله، إنما يحبّه؛ لأنّه يستحق المحبة، لصفاء قلبه، لخلوص نفسه، لسلامة سلوكه وعمله، هذا هو التأثير الغيبي، أي: يحبّه أهل السماء، ويجعل الله سبحانه له جاذبية فتجذب نحوه

(١) صحيح البخاري. ج ٤، ص ٩٥، حديث ٦٠٤٠.

القلوب والنفوس في الأرض، هذا تأثير غيبي إلهي.

الثاني: النحو الآخر الذي يمكن أن نفهم به هذا الجعل: أن طبيعة الإيمان والعمل الصالح، تجعل الإنسان في موقعية المحبوب عند الناس.

فالناس متى يحبون شخصًا؟ يحبونه إذا رأوه صالحًا، محسنًا، طيبًا، القلوب تحب شخصًا كهذا. المؤمن الذي يعمل الأعمال الصالحة، طبيعة شخصيته وسلوكه تجذب النفوس إليه، فهو مثلاً يتصف بالإحسان إلى الآخرين واحترامهم، ورد في الحديث: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها»^(١)، فمن الطبيعي أن يحبه الناس، لماذا؟ لأنه محسن، لأنه يخدم الآخرين ويحترمهم ولا يسيء إليهم، بل يحسن معاملتهم، إن سلوك الإنسان المؤمن وطبيعة شخصيته تجعله محبوبًا لدى الآخرين، حين يكون ملتزمًا أخلاق الإيمان وآدابه.

بعض الأحيان يكون الإيمان في أذهاننا ونظرنا يتخذ صورة معينة، مثلاً نقول: إن المؤمن هو ذلك الذي يذهب إلى المسجد ويتعبّد ويطلب في صلاته ويصوم، ولا ن فكر أنه يجب أن يكون بشوشًا، حلو المعشر، كريم الأخلاق والطباع، لذلك نصاب بالعجب عندما يقال إن المؤمن محبوب. فمثلاً هناك أناس مؤمنون - حسب تصورنا للإيمان - ولكنهم غير محبوبين، حتى أقرباؤهم لا يودّونهم، لذلك نحن نحتاج أن نصحح صورة المؤمن في أذهاننا.

المؤمن والوَدَّ

هناك تساؤل: هل المؤمن من يصلي ومن يذهب للمسجد ويقرأ الأدعية والقرآن ويصوم؟

الجواب: هذه ليست الصورة الكاملة للإيمان، إنما الصورة الكاملة تكون بإفشاء السلام وإطعام الطعام، من يكون حزنه في قلبه وبشره في وجهه، من يحسن إلى

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨١، حديث ٥٨٢٦.

الناس، من لا يسيء إليهم.. إلخ. فمن يلتزم الأخلاقيات الحميدة يحبه الناس، حتى لو لم يظهروا محبتهم له، نحن نجد في سيرة رسول الله ﷺ وفي سيرة الأئمة الطاهرين عليهم أفضل الصلاة والسلام، حتى أعداؤهم الذين يكيدون لهم، في أعماقهم إعجاب وانبهار، ولكن المصالح والصراع الدنيوي والمصلحي جعلتهم في هذه الموقعية.

وهناك رأي للسيد الخوئي (رحمه الله): عندما يتحدث عن معنى النواصب - الذين ينصبون العدا لآل البيت - يقول كلامًا مؤداه: أنه ليس بالضرورة أن الخلفاء الحاكمين - الذين كانوا في عصر أهل البيت - نواصب، نعم، هم يؤذون أهل البيت، لكن طلب المصلحة والعرش والحكم والسلطة جعلهم يؤذونهم، ولكن داخل قلوبهم ليس لديهم عداوة لأهل البيت، بل ربما كان هناك إعجاب ومحبة لهم، كما قال هارون الرشيد لولده في القصة المنقولة لما رآه يحترم الإمام الكاظم ﷺ في ذلك الكلام الطويل: «إن الملك عقيم ولو نازعتني فيه أنت لأخذت الذي فيه عينيك»، هذا ليس ناصب العداوة لولده، ولكن إذا اقتضت المصلحة يقتل ولده. وقد نقل هذا الرأي عن السيد الخوئي السيد محمد مهدي الخلخالي في تقريره لدرسه بعنوان دروس في فقه الشيعة، ومما جاء فيه: «من هنا يحكم بإسلام الأولين الغاصبين لحق أمير المؤمنين ﷺ إسلامًا ظاهريًا لعدم نصبهم - ظاهراً - عداوة أهل البيت وإنما نازعهم في تحصيل المقام والرياسة العامة»^(١).

التودد الحقيقي

الإنسان المؤمن له محبة في النفوس، حتى من يعاديه ظاهراً في أعماق نفسه وقلبه لديه انشداد نحوه، لدينا نصوص كثيرة تتحدث حول قيمة وأخلاقية التودد إلى الناس. والتودد يعني: طلب المودة - أي أن تطلب محبة الناس - أن تسعى لأن يحبك

(١) فقه الشيعة ج ٣ ص ١٢٦، وأيضاً مباني منهاج الصالحين، السيد تقي القمي ج ٣ ص ٢٥٠، (بيروت: دار

السرور) ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ.

الناس، بعض الناس ليس لديهم هذا التوجه، الروايات والنصوص تطلب من الإنسان المؤمن أن يسعى لكسب قلوب الناس ومحبتهم، لكن، كيف تحصل على مودّتهم؟ طلب مودة الآخرين بما يوجبها، وإني أستغرب كثيراً أن بعض هذه المفاهيم الأخلاقية السلوكية تكاد تكون مغيبّة في وعينا وأفكارنا، وخاصة في الوسط الديني، نحن نعرف فضل الصلاة والزيارة والعزاء، وفضل كثير من العبادات والمستحبات، لكن هناك من المفاهيم والسلوكيات ما ترتبط بالتعامل مع الناس، والتركيز عليها في الوسط الديني قليل، وهذا يجعل الإنسان المؤمن مهتماً ببعض العبادات الطقوسية، لكنه غير مهتم بالمعاملة مع الناس وحسن العلاقة معهم، هذا إيمان مبتور «إيمان ببعض الكتاب» ﴿أَفْتَوْا مُنُونًا بِيَعُضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨٥].

لِنَلْقَ نَظْرَةً عَلَى بَعْضِ النُّصُوصِ، ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان التودّد إلى الناس»^(١)، لا شيء أهمّ بعد الإيمان بالله سبحانه من أن تسعى لكسب محبة الناس، الإيمان بالله والتودّد إلى الناس. في رأس القائمة والأولويات، بأن تتصرف بشكل يحبّك ويودّك الناس.

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التحبّب إلى الناس»^(٢) هنا دعوة إلى التحبّب إلى الناس كافة - لم يقل إلى المؤمنين أو المسلمين أو الأقرباء - إنما الناس بشكل عام، وعنه ﷺ: «التودّد نصف العقل»^(٣) أي إن كسب محبة الناس، يمثل ٥٠٪ من استخدام العقل، ومن لا يسعى لمحبة الناس نصف رأس مال عقله مجمّد. وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «أول العقل التودّد»^(٤).

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٢٩٥.

(٢) بحار الأنوار. ج ١، ص ١٣١.

(٣) من لا يحضره الفقيه. ج ٤، ص ٤١٦، حديث ٥٩٠٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١١٩، حكمة ٥٤٨.

الدين المعاملة

جاء عن رسول الله ﷺ: «التوَدَّد نصف الدين»^(١) ليس فقط نصف العقل بل نصف الدين، ولكن ما معنى نصف الدين؟ الدين له هدفان: حسن العلاقة مع الخالق، وحسن العلاقة مع المخلوقين.

نصف الدين أن تتعامل مع الله بشكل سليم: عبادة الله والخضوع له.
أما النصف الثاني: المعاملة الطيبة مع الناس، وهي جزء من العبادة لله.

المودة قرابة

المودة تخلق وشيعة مع الآخرين تشبه الرحم والقرابة.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «المودة قرابة مستفادة»^(٢). أي كلما كسبت مودة أحدٍ اكتسبت أقرباءً جددًا، وعنه عليه السلام: «المودة إحدى القرابتين»^(٣)، فالقرابة إمّا عبر الرحم أو عبر المودة والمحبة، بل هناك نصوص تشير أنّ مكانة المودة أكثر من الرحم، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «المودة أقرب نسب»^(٤)، وفي رواية أخرى «المودة أقرب رحم»^(٥)، وفي رواية ثالثة «المودة أقرب الأنساب»^(٦)، وهناك روايات تقارن بين القرابة الرحمية وقرابة المودة: عن رسول الله ﷺ: «القريب من قرّبته المودّة وإن بعد نسبه، والبعيد من بعدته المودّة وأن قرب نسبه»^(٧)، قريبك ولكن لا تربطكما محبة، لا تحبه ولا يحبك. وآخر بعيد - ليس بينكما صلة قرابة - ولكن بين الطرفين مودة

(١) بحار الأنوار. ج ٧١، ص ٣٩٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه. ج ٤ ص ٣٨٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٦٥، حكمة ٢٠٥٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٦٥، حكمة ٢٠٥٥.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٦٥، حكمة ٢٠٥٤.

(٦) بحار الأنوار. ج ٧٤، ص ٤١٩.

(٧) الكافي. ج ٢ ص ٦٤٣.

هذا هو أقرب الأقرباء، وفي كلمة جميلة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «كُلُّ قرابة تحتاج إلى مودة»^(١)، كونه قريبك: أخوك أو ابن عمك أو ابن خالك، هذا لا يكفي ما لم تكن هناك ألفة ومحبة، وفي كلمة أخرى: «تحتاج القرابة إلى مودة، ولا تحتاج المودة إلى قرابة»^(٢)، كلمة رائعة، وعنه عليه السلام: «رَبِّ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أُمَّكَ»^(٣).

ونختم برواية عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: «أنفع الكنوز محبة القلوب»^(٤) يا لها من عبارة رائعة، أنفع الكنوز - لا المال لا المنصب لا شيء آخر - محبة القلوب هو أهمّ رصيد، لذلك يبذل الإنسان ماله وجاهه وجهده من أجل أن ينال المحبة والمودة من الآخرين.



(١) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٣٠٥، حديث ٤٨٩.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢١٤، حكمة ٢.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١١٨، حكمة ٥٢٠.

قواعد الألفة والمحببة في الهدى النبوي*

﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٦٣].

طبيعة الحياة البشرية تحصل فيها شوائب وموانع تكدر صفو العلاقات بين الناس، وهذا ليس شيئاً خاصاً بالحياة البشرية، حتى بقية أنواع الحياة تجد فيها أشياء مشابهة، فمثلاً: من يقرأ في مجال الزراعة يجد أنّ هناك جهداً كبيراً يُصرف، ونظريات كثيرة تُطرح، حول الوجودات والأشياء الضارة في عالم الزراعة، هناك نباتات غير مرغوبة للناس، وتسبب أضراراً في بعض الأحيان للنباتات المرغوبة، ويطلق عليها الخبراء الزراعيون الأعشاب الضارة أو العشب الضار، تنتشر في المساحات المزروعة، وحتى في الطرقات، ومختلف الأماكن، تنتشر بعض النباتات يطلق عليها الأعشاب الضارة، ورغم أنّ الناس لا يرغبون في وجودها إلاّ أنّها تنتشر من دون قصد من الناس.

ويقول الخبراء إنّ هذه البذور والأعشاب الضارة قد تنتقل عن طريق الرياح، وقد تنتقل عن طريق المياه، وقد تنتشر عن طريق نقل الحيوانات لها والطيور، بل قد تنتشر عبر ثياب المزارعين، تعلق بثياب المزارع من مكان، فيذهب ليوصل عمله في

مزرعته، هذه البذور التي أصبحت على ثوبه لسببٍ أو لآخر تسقط على الأرض وتنبت تلك الأعشاب الضارة.

أيضاً هناك الفطريات التي تنشأ في مختلف جوانب الحياة، ويعدّد العلماء منها ١٠٠ ألف نوع من أنواع الفطريات، التي يقسمونها إلى نوعين: فطريات طفيلية لا تنتج ولا تصنع غذاءها بنفسها، إنما تتغذى على حساب البيئة المحيطة بها، وفطريات تنشأ في الأشياء المتحللة، التي لا حاجة للناس بها، ووجودها لا يضرّ، لكن الفطريات الطفيلية لا أحد يرغب فيها، هذه الطفيليات تحصل أيضاً في النباتات، وبين المزروعات، وتسبب مشاكل كثيرة فيها.

الوقاية من الطفيليات

لذلك صرف الإنسان منذ بداية انشغاله بالزراعة جهوداً كبيرة للقضاء على العشب الضار، وعلى الطفيليات، وتطورت الحالة من استخدام اليد لقطع هذه الأعشاب الضارة، إلى حرقها بالنار، وأخيراً إلى المبيدات الكيماوية التي ترشّ من أجل إبادة هذه الأعشاب الضارة.

الزراعة تبت فيها هذه الأعشاب الضارة، وقد تكون لها جانب منفعة لكنها غير واضحة، حيث تكون بعض الأعشاب ضارة في مكان لكنها نافعة في مكان آخر.

وفي عالم الإنسان تنشأ شوائب في نفس الإنسان، وفي العلاقات الاجتماعية، لسببٍ أو آخر، هذه الشوائب تكون لها بذور (بذور الحسد- بذور التنافر- بذور الأنانية) هذه البذور التي تنتقل بنفسها، وهي موجودة في أعماق الإنسان، بسبب طبيعة خلقته، وتحتاج إلى مكافحة، وإذا لم تكافح هذه الشوائب فإن الحياة الاجتماعية لا تطاق، تماماً كالأعشاب الضارة والطفيليات، إذا لم تكافح في عالم الزراعة، تسبب أضراراً على حساب النباتات الصالحة، وتكون سامة في كثير من الأحيان، كذلك في الحياة الاجتماعية لا بُدَّ وأن يصرف جهد في مقاومة الأعشاب الضارة في ساحة العلاقات الاجتماعية.

وتمامًا كما أنّ الخبراء الزراعيين يطورون جهودهم لمواجهة العشب الضار، ولمواجهة الطفيليات السامة، كذلك في المجتمع الإنساني لا بُدّ من مقاومة ما يضرّ الحياة الاجتماعية، ولكن كيف يمكن مقاومة العشب الضار والطفيليات في ساحة العلاقات الاجتماعية؟

هناك جهود مادية قد تصرف لتنقية الأجواء في العلاقات الإنسانية، لكن الجهود المادية يبقى دورها محدودًا، ما دامت العلاقات ترتبط بالحالة العاطفية والروحية، فإنّها تحتاج إلى جهد أعمق من الجهود المادية الخارجية، التي تتمثل في المصالح المادية، والمشاركة في مصالح معينة، والاستقطاب عن طريق إغراءات معينة، إنّ معالجة المشاكل بوسائل مادية نحتاج لها، ويكون لها دور، لكنها لا تؤدي كلّ الدور المطلوب.

الآية الكريمة التي تبركنا بتلاوتها، يقول الله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٦٣]، والسؤال قلوب من؟ إنّها قلوب العرب الذين استجابوا لدعوة رسول الله ﷺ، وكانوا من قبائل شتى، ففي مكة كان هناك حالة من التمايز القبلي، وكانت كلّ قبيلة تفتخر على القبيلة الأخرى، وكذلك في المدينة المنورة كان هنالك حروب بين الأوس والخزرج امتدت سنين طويلة، والحياة القبلية التي كان يعيشها العرب كانت تعطي فرصة للكثير من الأعشاب الضارة، والفطريات السامة، التي كانت تشوب العلاقات بين الناس، حيث كانت الحروب تحصل بين القبائل، والعلاقات كانت متوترة ومتشنجة..

فلما جاء الإسلام، أراد رسول الله ﷺ أن يوحد هؤلاء الناس، ولكن كيف؟ هل بالوسائل المادية؟ لو استخدمت الوسائل المادية فقط لتنقية العلاقات بين أبناء المجتمع البشري لما استطاعت أن تصل إلى المستوى المطلوب، هناك حاجة إلى وسائل أخرى.. إلى وسائل روحية، تغسل ما في القلوب، تصحح مسار العواطف والمشاعر التي في أعماق النفوس. وهذا هو عمق رسالة الإسلام، وجوهر الدور

الذي قام به رسول الله ﷺ، الله تعالى يخاطبه: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ المسألة ليست تأليفاً بين الأجسام والمصالح، وإنما بين القلوب ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، إن استخدام المسائل المادية فقط لإيجاد علاقات سليمة داخل أي مجتمع إنساني، أو بين المجتمعات الإنسانية، لا تحقق المطلوب إذا اقتصرنا عليها، ليس مجتمع الرسول فقط بل كل المجتمعات البشرية والإنسانية.

مناهج لتحسين العلاقات

ولا شك أنّ المجتمعات الحضارية المتقدمة لديهم المناهج والبرامج لتحسين العلاقات، والعلاقات الاجتماعية الموجودة فيها ظاهرها جيّد، ولكن في العمق هناك خلل كبير، يتحدث عنه الباحثون والعلماء، ومراكز الدراسات في تلك المجتمعات، وعن نتائجه، هذا الإنسان الأمريكي الذي يقوم بهذه الجرائم الفظيعة في العراق، في التعامل مع المعتقلين والأسرى والناس الأبرياء، يهجمون على عائلة؛ لأنّ ابنتهم كانت جميلة فيغتصبونها ثم يقتلونها ويقتلون أباهما وأمها ثم يقتلون إختها، هذه الحادثة المشهورة التي وقعت في العراق، والجندي الآن يحاكم في أمريكا على هذه الجريمة، وأمثالها الكثير من الحوادث، هذا الإنسان عاش في المجتمع الأمريكي، بل في مؤسسة فيها انضباط هي (المؤسسة العسكرية) وكذلك ما حدث من جرائم في سجون أبو غريب والبصرة، والذي ظهر هو أقلّ من الحقيقة.. وكذلك في الصومال والسودان في دارفور وفي مناطق مختلفة من العالم، بل إنّ هناك تقريراً كاملاً عن جرائم موظفي وقوات الأمم المتحدة في مختلف دول العالم، بعض هؤلاء يقومون بجرائم سرقة وذبح ونهب واغتصاب داخل أمريكا ومختلف المناطق.

هذا لا يعني أنّ مثل هذه الجرائم متمركزة في تلك المناطق فقط، ففي المجتمعات الإسلامية أيضاً توجد مثل هذه الأمور، لكننا نريد أن نقول إنّ البرامج والمناهج الموضوعية في المجتمعات الغربية هي مناهج جيدة وقيمة، ونحتاج إليها، إنّ للقضاء

دورًا، وللإعلام والقانون دورًا، وللنظام دورًا في رعاية وحماية العلاقات بين الناس، إنَّ هذه الوسائل مطلوبة ولا يمكن الاستهانة بها، ولكننا نريد أن نقول إنَّها وحدها لا تكفي، نحتاج إلى شيءٍ آخر، وهو ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنِهِمْ﴾ بعض المفسرين أعطى الموضوع طابعًا غيبيًا محضًا، أي إنَّ الله بالغيب والتوفيق، ألف بين هؤلاء الناس، ببركة وجود رسول الله ﷺ، ولا شك أنَّ للغيب دورًا، ولكنني أعتقد أنَّ القضية لا تقتصر على هذا الجانب، وليس هو الجانب الأساس في المسألة، وإنما التأليف الذي صنع بين هذه القلوب إنما صنع بواسطة البرامج التي تساعد على تهذيب النفوس والقلوب.

البرامج الأربعة

يمكننا الإشارة إلى أربعة برامج كانت في رسالة النبي ﷺ هي التي أنتجت هذه الوحدة العجيبة في التاريخ:

أولاً: تحقيق العدالة والمساواة بين الناس:

لأنَّ الناس إذا حصل تمييز بينهم، يوغر القلوب بالعداوة، أنت لا تستطيع في جمع يؤلب بعضهم على بعض، أن تحقق المحبة فيما بينهم، ونجد ذلك في حال التمييز بين الأبناء، لذا يجب المساواة بينهم، وهذا ما تشير إليه مضامين النصوص الكريمة، إنَّ مما يؤلب صدور الأبناء تجاه بعضهم هو التمييز بينهم.

وبين الناس بشكل عام، إذا كان نظام من الأنظمة، أو دولة من الدول تميّز بين مواطنيها، وتمارس سياسة التمييز بينهم، من الطبيعي أن هذه السياسة لا تساعد على إيجاد جوِّ المحبة والوئام، فالذي يحصل على الامتيازات سيسهر بالتعالي، ويريد أن يحافظ على تلك الامتيازات، ومن يفقد تلك الامتيازات يشعر بالغبن، ويريد أن ينتقم لظلامته.

الإسلام مبادئه جاءت لترسي العدالة والمساواة بين الناس، وقد طبقها رسول

الله ﷺ فغرس المحبة، وجعل النظام هو الحاكم، مثلاً: المستحب شرعاً أن الرجل إذا شرب الماء يعرض على من حوله، فيبدأ بمن على يمينه، ثم من على شماله، كائناً من كان، الرواية تقول إن الرسول ﷺ كان جالساً وجيء له بماء ليشرب منه، وكان على يمينه صبي صغير، وعلى شماله شيوخ الصحابة - ووفقاً للاستحباب الشرعي أراد أن يبدأ بمن على يمينه، ولكن وفقاً للحالة الاجتماعية التي تراعي موقعية الشخصيات الكبيرة، تقول الرواية: «التفت الرسول ﷺ إلى الصبي الذي على يمينه وسأل الصبي إن كان يأذن أن يبدأ كبار وشيوخ الصحابة بشرب الماء، فأجاب الصبي بالرفض حرصاً منه على التبرك بسؤر رسول الله ﷺ»، إن هذا التصرف من رسول الله تحقيق وتطبيق لمبادئ العدل والمساواة، وهي تُعدّ عاملاً أساساً من عوامل توفير المحبة والوئام في نفوس الناس.

ثانياً: التهذيب الروحي والأخلاقي

الناس إنما يتنافرون ويتعادون فيما بينهم بسبب حالات الأنانية المفرطة، والحسد والأحقاد، إن الحضارة المادية تفتقد إلى الاهتمام بتهذيب النفس والروح، ذلك أن أساليب وخطاب التهذيب الروحي والنفسي عند المتدينين لم تتطور، كما يقتضي تطور الحياة الفكرية والاجتماعية، لذلك تجدون أن دور التوجيه المعنوي والروحي والتهذيب الأخلاقي في الحياة الإنسانية محدود.

ثالثاً: التوجيه للأهداف العليا المشتركة

أي جماعة يكون لديها هدف جماعي رفيع، لا بُدّ وأن يشغلها عن الصغائر والقضايا الجانبية، الإسلام أعطى أولئك الناس - الذين كانوا يعيشون حياة الصحراء والتقاتل على المرعى، والتفاخر بالأشياء الثانوية - منحهم هدفاً كبيراً وتطلّعاً آخر، فجمع عقولهم وقلوبهم على هدف سام كبير.

رابعاً: نشر ثقافة المحبة

الثقافة التي تجعل الناس يحبّ بعضهم بعضاً، ذلك أننا نجد أن هناك نوعين من

الثقافة: ثقافة تؤلب الناس بعضهم على بعض، تبرز لكل طرف الجانب السلبي عن الآخر، وتحرّض على الكراهية.

مثلاً تعبئ المسلمين ضد الغربيين بشكل عام، وفي أوساط الغرب تحرض على الكراهية ضد المسلمين، وضد الشعوب الأخرى باعتبارها شعوباً متخلفة ورجعية، هذه ثقافة مدمرة تحرض على الكراهية.

وبين المسلمين أنفسهم، هنالك تحريض على الكراهية. فعلى الصعيد المذهبي، مثلاً: هناك ثقافة داخل بعض أوساط الشيعة ضد السنة، وكأنّ السنة خارج الإسلام، كلّهم في جهنم لا مكان لهم في الجنة، فكّلهم جاحدون، وفي أوساط بعض السنة تجاه الشيعة وأنّهم مشركون مبتدعون مأواهم النار، هذه ثقافة تحريض على الكراهية، بوجودها لا يمكن أن تكون هناك وحدة أو وئام؛ لأنها تمنع هذا التوجه النفسي والقلبي.

تعزير التآلف بين الناس

إنّ الإسلام يهتم بإنتاج ونشر ثقافة المحبة بين الناس، وإن اختلفت انتماءاتهم القبلية والمذهبية والمناطقية والدينية، الإسلام لا يقول لك إن من يختلف معك في الدين تحقد عليه وتكرهه وتبغضه، إلّا أن يكون معتدياً، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٨] والرسول ﷺ يقول فيما روي عنه: «من أذى ذمياً فقد آذاني»، إن إنتاج ثقافة المحبة، والترويج لها بين الناس من شأنه أن يعزز الوحدة والألفة.

ونكتفي بذكر بعض النصوص التي تؤكّد جانب المحبة:

عن إبراهيم بن شعيب قال إنه سمع الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ يقول: «سأل داود النبي ابنه سليمان - ليعلم ما بلغ من الحكمة - قال له: بني أي شيء أحلى؟

فأجابه نبي الله سليمان ﷺ: «المحبة وهي روح الله في عباده»^(١).

ورد في رواية أخرى عن الإمام الباقر ﷺ: «وהל الدين إلا الحب»^(٢)، الدين في عمقه الحب، للحياة وللناس، وروي عن النبي ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما تحابوا»^(٣)، وعن النبي ﷺ: «رأس العقل - بعد الإيمان بالله - التحبب إلى الناس»^(٤)، وعن النبي ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله - التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل برّ وفاجر»^(٥) حتى لا يتوهم الإنسان أنّ التودد إلى المؤمنين فقط، بل اصطناع الخير لكل برّ وفاجر، وعنه ﷺ: «التودد نصف الدين»^(٦)، وعنه ﷺ في وصف شرّ الناس، قال: «مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ»^(٧)، وعنه ﷺ: «جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»^(٨)، وعنه ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا. ولا تؤمنوا حتى تحابوا»^(٩)، وفي وصية جميلة للنبي ﷺ أوصاها لعليّ ﷺ: «يا علي، إذا أردت مدينة أو قرية، فقل حينما تعانينا: اللهم إني أسألك خيرها وأعوذ بك من شرّها. اللهم حبنا إلى أهلها، وحب صالحي أهلها إلينا»^(١٠).

وهناك نصوص كثيرة جدًّا على هذا الصعيد من أجل أن تكون نفس الإنسان عامرة بالحبّ تجاه الآخرين، وليس الحقد عليهم، فإذا قال هذا أكرهه لأنه يختلف معي في الدين، أو لأنه يختلف في المذهب، أو يختلف معي في المرجع أو الفئة التي أنتمي

(١) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٦٨.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٦٧، حديث ٣٥.

(٣) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٥٤.

(٤) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٥٨.

(٥) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٩٥.

(٦) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٩٢، حديث ١١.

(٧) المصدر نفسه، ج ٧٤، ص ١٢٨، حديث ٣٤.

(٨) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨١.

(٩) صحيح مسلم، ص ٤٧، حديث ٥٤.

(١٠) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٤٤.



لها، وأكره ذلك لأنه يختلف معي في الرأي، إذاً من يبقى له من الناس؟
 سمع بعض الناس خطيباً يتحدث عن حوض الكوثر، ويقول إنَّ صفته كذا
 ومساحته كذا، وإنَّ عدد الكؤوس التي عليها كذا، ثم أخذ يتحدث عن الذين سيردون
 هذا الحوض ويشربون منه فاستثنى اليهود والنصارى، وقال إنَّهم لن يردوه، ثم عطف
 على أتباع المذاهب الأخرى وقال إنَّهم لن يردوه، ثم أشار إلى الذين يردونه من داخل
 أهل المذهب، وقال الفرقة الكذائية لا ترد والكذائية لا تستحق، فقال هذا الرجل إلى
 الخطيب: إذاً لن يرد هذا الحوض إلا الإمام عليّ عليه السلام وحده.

نسأل الله أن يعيننا على الالتزام بأحكامه، وللاخذ بمكارم الأخلاق، وأن يجعلنا
 وإياكم ممن يحفظون إخوانهم في غيبتهم وأن يبعد أسماعنا عن الغيبة وعن فضول
 الكلام وما يسبب الإثم والعذاب، إنه وليّ التوفيق، والحمد لله ربّ العالمين وصلى
 الله على محمد وآله الطاهرين.





الإِنسان مكلف بإعمار الأرض*

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود، الآية: ٦١]

حين نتأمل في آيات القرآن الحكيم، نرى مجموعة كبيرة من الآيات الكريمة قد تصل إلى العشرات، تتحدث عن مهمة أساس للإنسان في هذه الحياة، وهي مهمة إعمار الأرض، واستثمار الخيرات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود، الآية: ٦١]، فالإنسان مخلوق من تراب الأرض، أمّا لماذا أنشأنا الله منها؟ وما هي مهمتنا في هذا الوجود؟ فالله تعالى يقول: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، يشير المفسرون، وتصرح بعض النصوص الواردة في هذا المجال أنّ المعنى «طلب منكم عمارة الأرض»، أي أن «تعمروها».

هناك كلمة رويت عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب يتحدث فيها عن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ قال: (أما وجه العمارة فقوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ فأعلمنا سبحانه أنه قد أمرهم بالعمارة)^(١)، يعني أنت مطلوب منك عمارة الأرض، وهذا ليس مسألة كمالية إضافية، بل هو أمرٌ صادرٌ من قبل الله تعالى.

* محاضرة ألقيت في مكتب الشيخ حسن الصفار يوم الخميس ٢/٣/١٤٣٣ هـ الموافق ٢٦/١/٢٠١٢ م.

(٢) بحار الأنوار. ج ٩٠ ص ٤٧.

وهنا نقف مع ملاحظة مهمة وهي أنّ الله سبحانه وتعالى لم يقل إنّ عمر الأرض لكم، بل إنّ سبحانه خلق هذا الكون وأودع فيه الثروات والخيرات والإمكانات، ثم فوّض إلى الإنسان أن يستغلّ هذه الثروات والإمكانات من أجل إعمار الأرض.

أرأيت كيف أنّ المالك يأتي بمواد البناء، ويطلب من البنا أن يبني أرضه؟ يقول له تفضّل، هذه الأرض، وهذه مواد البناء، وهذه أدوات التعمير جاهزة، وكلّ ما تحتاجه موجود، هيّا قم ببناء مسكن أو عمارة.

هذا ما فعله الخالق سبحانه وله المثل الأعلى، فقد خلق الإنسان، وخلق له هذا الكون، ثم قال له: أيها الإنسان، اعمّر هذه الأرض بما مكّنك من ثروات الكون وطاقاته.

بالعقل تستثمر ثروات الكون

الله سبحانه عندما طلب من الإنسان أن يعمر الأرض لم يتركه تائهاً، بل وفرّ له أهمّ المقومات وتمثل في أمرين:

الأول: الإمكانات والوسائل التي يتمكن بها من عمارة الأرض.

الثاني: القدرة العقلية التي تجعله قادرًا على الاستفادة من هذه الثروات، وهذه الإمكانات.

ومما يدلّ على ذلك وجود عشرات الآيات الكريمة التي تتحدث عن تسخير الكون للإنسان، لماذا يقول الله تعالى: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؟ إنّما يقول ذلك ليبين للإنسان أن كلّ الإمكانات تحت تصرفه، فيا أيها الإنسان استفد منها، اشتغل فيها، استخدمها من أجل إعمار الأرض.

في أكثر من عشرين آية يتحدث القرآن الكريم بهذا اللفظ (التسخير) وفي آيات أخرى يتحدث عن خلق الله لهذه الخيرات، ولهذا الوجود من أجل الإنسان، ﴿خَلَقَ لَكُمْ﴾ ماذا خلق؟ خلق سبحانه ما تستفيدون منه، بأن تستثمروه، وأن تسخروه

لمصلحتكم، الله سبحانه يقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٣٣].

وفي آيات أخرى يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٠]. كل ما في السموات وما في الأرض سخّره الله تعالى لكم، ويقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٩٦]، هذه الآيات جاءت موجهة للإنسان إلى هذه المهمة المطلوبة منه في هذه الحياة.

أين موقع المسلمين؟

لكن مما يؤسف عليه أنّ المسلمين غفلوا عن هذه الآيات، وخاصة في هذه العصور المتأخرة، ما عاد المسلم ملتفتاً ولا مهتماً بعمارة الأرض، وكأنّها أصبحت مهمّة الأمم الأخرى، والأقوام الآخرين، أمّا هو فكأنّ الله خلقه في هذه الأرض لكي يؤدّي طقوساً عبادية فقط.

وقد قال أحد المشائخ: «إنّ الله سبحانه وتعالى سخّر للمسلمين أمماً أخرى، حتى يكتشفوا ويخترعوا، والمسلمون يستفيدون من ذلك ليتفرغوا لعبادة ربهم»، هكذا يتصور البعض أنّ الله خلقنا حتى نصلي ونصوم، والأمم الأخرى خلقها حتى تعمّر الأرض من أجلنا.

هذا فهم سقيم، الله سبحانه وتعالى طلب منّا، والقرآن الكريم موجّه إلينا بشكل أساس، طلب منّا أن نقوم بهذه المهمة وبمقتضى العبودية لله تعالى علينا أن نستجيب لهذا الأمر، يجب على كلّ إنسان أن يفكر في دوره في عمارة الأرض، ويسأل نفسه: ماذا يستطيع أن يعمل في عمارة الحياة، وتنمية الحالة العمرانية والاقتصادية؟ بحيث يكون هناك حراك في هذه الحياة، وهذا ما تؤكّده كثير من النصوص.

إن المجتمع الإسلامي مهمته الكبيرة والأساس هي القيام بإعمار الأرض، ضمن سياق الخضوع لأوامر الله سبحانه وتعالى، وإعمار الأرض في طليعة هذه الأوامر، وفي ظلال المبادئ، وفي إطار القيم التي شرعها الله سبحانه وتعالى.

استثمار الثروات

من المؤسف جداً ألا تستفيد البلدان الإسلامية من الإمكانيات الهائلة الموجودة في بيئتها، بينما تجد الأمم الأخرى تستغل كل الثروات التي عندها، إنهم يستفيدون من وجود كل شيء، من وجود الأجواء الطبيعية، والبحر والأراضي الخصبة، والخيرات الموجودة في بيئتهم، وفي الطبيعة التي يعيشون فيها.

وماذا عنا نحن المسلمون؟ إننا ورغم أن الطبيعة في بلداننا زاخرة بالإمكانيات والثروات، لكننا مع الأسف الشديد لا نستثمرها الاستثمار المناسب، ولا نستفيد منها في عمارة بلداننا.

التنمية مقياس أداء الحكومات

حينما نريد أن نقوم أداء أي حكومة فبأي مقياس نقيّم؟

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إنه قال: (فضيلة السلطان عمارة البلدان)^(١)، هذا منهج نقدي يضعه الإمام عليّ، يشير فيه إلى أن مقياس التقويم هو إنجاز الحكومات في تنمية البلد، فهل استطاعت أن تحقق تقدماً في البلد؟

التنمية هي المقياس وهذا هو المعمول به عالمياً اليوم، حينما تقاس الحكومات وأداؤها، يؤخذ بعين الاعتبار مدى التقدم الذي حققته في البلد، ومدى التنمية الذي صنعتها، وهذا هو المقياس الصحيح.

وينبغي للمجتمعات المسلمة أن تتفاعل مع برامج التنمية ومشاريع الإعمار، وأن

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٧٦، حكمة ٥٠.

يتوجه كل مواطن للإنجاز والفاعلية، من أجل بناء وطنه وإعمار بلاده.

قد تفخر بعض المجتمعات الإسلامية بما حققته من إنجازات في الناحية الدينية، ونفخر بأن هذا المجتمع، وهذه البلاد بها كذا من المساجد، فيها كذا من الحسينيات، فيها كذا من الأعمال الدينية، هذه الأمور الدينية العبادية أمر مطلوب يُفخر به، لكن لا بُدَّ أن يرتبط الفخر بمدى انعكاس هذه الأمور في حياة الناس، وهل تربي الإنسان ليقوم بالمهام التي أوكلها الله سبحانه إليه، أمّا في غير هذه الحالة فتكون طقوساً فارغة من المضمون والمحتوى.

بعض المجتمعات تتباهى بالأنشطة الدينية والشعائرية، ولكن ينبغي ألا يغيب عن البال أنّ هذه الأنشطة الدينية ليست مقصودة بذاتها، وإنما هي مقصودة للعطاء الذي تقدمه في حياة الإنسان، لذلك حينما نتحدث الآيات الكريمة عن الصلاة أو الصوم والحج، فإنّها تشير إلى النتائج التي تؤديها هذه العبادات في نفس وسلوك الإنسان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٥]، ويقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١]، القرآن الكريم يتحدث عن مردود هذه العبادات، فما هو العطاء؟ وما هو التأثير الذي تتركه هذه العبادة على شخصية الإنسان؟

النصوص الدينية منظومة متكاملة

من ناحية أخرى، فإنّ النصوص الدينية تشكل منظومة متكاملة، لا ينبغي لنا أن نركز على النصوص التي توجهنا إلى هذه الأمور الشعائرية، ونغفل عن النصوص التي توجهنا إلى إعمار الأرض، وإلى التنمية، وإلى العمل الجادّ في مختلف المجالات والحقول، نحن نجد في النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة ؑ ما يؤكّد هذا الأمر، فالنبي ﷺ يقول موجّهاً الدعوة للعمل حتى آخر لحظة من لحظات الدنيا: (إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها

فليغرسها^(١)، وورد عنه ﷺ أنه قال: (ما من مسلمٍ يغرُسُ غرسًا أو يزرعُ زرعًا فيأكلُ منه طيرًا أو إنسانًا أو بهيمةً إلاَّ كانَ له بهِ صدقةٌ)^(٢).

إننا مطالبون ببثِّ ثقافة الإعمار والتنمية، لا ينبغي أن يعيش المسلم انفصلاً بين الحالة الدنيوية التي يعيشها، والخطاب الديني الذي يسمعه، وبين المهام الموكلة إليه كإنسان في هذه الحياة.

حينما نقرأ النصوص التي تأمرنا بالدعاء، وتلاوة القرآن، والصلاة والزيارة، وسائر العبادات، ينبغي ألاَّ نعرض عن النصوص الأخرى التي تأمرنا بالتجارة، والزراعة وطلب العلم، وإعمار الكون، وتأمرنا بالعمل والتحرك، لماذا نعيش ازدواجية فنغصُّ الطرف عن هذه النصوص ونتمسك بتلك؟ إنَّها منظومة متكاملة، ولا بُدَّ من العمل بمجمل النصوص.

إنَّ كلَّ إنسان في أيِّ أرض، وفي أيِّ وطن، ومجتمع، ينبغي أن يفتح ذهنه، وأن يفكر في استغلال الثروات الموجودة في بلاده، من الأرض والمياه والثروات المعدنية، وهذه الطبيعة التي مكننا الله منها، وأن يتساءل: كيف نستغلها؟ كيف نستفيد منها؟ لا ينبغي لك أن تعزف عن هذا الأمر، بل لا بُدَّ أن تفكر فيما تضيف إلى مجتمعك، إلى وطنك، في مجال الإعمار، والتنمية الاقتصادية.

لو أنَّ كلَّ إنسان فكر على هذا الصعيد، كيف نقوي الزراعة في بلادنا؟ كيف نقوي الصناعة في بلادنا؟ كيف نقوي التجارة في بلادنا؟ كيف نقوي الحركة الاقتصادية والتنمية في بلادنا؟

لو أنَّ كلَّ إنسان شغل ذهنه بهذا الأمر، لكانت النتيجة أن يكون عندنا اهتمام عام، ونحن نرى في المجتمعات الأخرى كيف أنَّ هذا هو ما يشغل أذهانهم، نحن نأخذ عليهم أنَّ الاهتمامات الروحية ضعيفة عندهم، ولكن في المقابل يؤخذ علينا

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ١، ص ١١، حديث ٩.

(٢) صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧٦، حديث ٢٣٢٠.



اهتمامات الإعمار، والتنمية ضعيفة عندنا، ما أوجبنا أن نستفيد من همتهم في مجال العمل، وأن نعطيهم شيئاً مما لدينا في مجال التنمية الروحية والمعنوية.

بالطبع إن إعمار الأرض وتنميتها في أيّ مجتمع يحتاج إلى منظومة متكاملة، الأمر يرتبط بالوضع السياسي، وبالمستوى العلمي المعرفي، وبالبيئة المشجعة، ولكن كلّ إنسان منا يستطيع أن يقوم بدورٍ ما على هذا الصعيد.

نسأل الله أن يوفّقنا وإياكم لكي نقوم بما أمرنا الله تعالى به في مختلف المجالات والحقول المعنوية والمادية، فالإسلام برنامج واحد لإسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٠١].

والحمد لله ربّ العالمين.. وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.







كلمة في عيد الغدير*

السادة العلماء والخطباء والفضلاء، الإخوة الأعزاء جميعاً، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أولاً أشكر استجابتكم لهذه الدعوة، وأحمد الله تعالى أن يسّر لنا ولكم هذا اللقاء في هذا اليوم المبارك.

الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الطاهرين، لا أريد الإطالة عليكم، فكلكم والحمد لله أبناء منابر الولاية، وخريجوا مدارس المحبة والمودة، ولكنني بهذه المناسبة وددت التأكيد على أمرين:

الأمر الأول:

إلفات النظر إلى أحد المستحبات التي ذكرتها كتب الأدعية في هذا اليوم، وهو إعلان المؤاخاة مع إخوانك المؤمنين، حيث يستحب للإنسان أن يضع يده على يد أخيه المؤمن ويقول له العبارات التالية:

آخيتك في الله، وصافيتك في الله، وصافحتك في الله، وعاهدت الله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وأنبياءه، والأئمة المعصومين عليهم السلام، على أنني إن كنت من أهل الجنة

* ألقاها ساحة الشيخ حسن الصفار في الاحتفال بيوم الغدير في مجلس الحاج سعيد المقايي بتاريخ ١٨ ذوالحجة ١٤٣٧هـ الموافق ٢١ سبتمبر ٢٠١٦م.

والشفاعة، وأذن لي بأن أدخل الجنة، لا أدخلها إلا وأنت معي، فيقول الأخ المؤمن: قبلت^(١).

هذا الدعاء وهذا النصّ المهم هو محتوى علاقة المؤاخاة، وعلاقة المحبة بين المؤمنين وانتماؤنا لأمر المؤمنين ﷺ ولأهل البيت ﷺ، يجب أن يعمّق مشاعر الإخوة والمودة في ما بيننا.

نحن نرى الأمة الإسلامية الآن تعيش هذا الوضع المأساوي، من الاحتراب، ومن الاقتتال، ومن الفتن، لم يعد هناك بلد من بلدان المسلمين بعيداً عن شرر هذا الحالة السيئة، لو بحثنا ما هي الجذور والأسباب لوجدنا أن من الأسباب انتشار ثقافة القطيعة والتشكيك في أديان الآخرين، اتهام الآخرين في أديانهم، هذه المدارس التكفيرية، والتيارات المتطرفة جعلت الدين على مقاس فكرها، وكل من خالفها فهو مشرك كافر مبتدع، هذه التوجهات المتشددة رسّخت في أذهان أجيالنا عبر مناهج التعليم، وعبر الفتاوى، وعبر خطب المنابر، فكانت النتيجة ما يعيشه المسلمون الآن، نحن نتألم لما يعيشه إخوتنا أهل السنة، والحمد لله وضعنا كموالين وكأتباع لأهل البيت ﷺ لحدّ الآن في منجى من هذا الخطر. لكن علينا أن نأخذ العبرة، فهذه الحالة التي تحصل في هذه المجتمعات هي ثمرة لفكر التطرف والتشدد، لفكر اتهام الآخرين في أديانهم، وعلينا أن نكون حذرين ألاّ تتسرب إلينا بذور هذه التوجهات.

إن أي توجه يشكّك في أديان الناس من حوله؛ لأنهم يختلفون معه في فكر أو رأي فهو تطرف وتشدد. الإمام الصادق ﷺ يقول: «ما أنتم والبراءة، يبرء بعضكم من بعض، إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض وبعضهم أكثر صلاة من بعض وبعضهم أنفذ بصراً من بعض وهي الدرجات»^(٢)، حتى لو رأيت نفسك أنك أكمل عقيدة، وأن معارفك الدينية أفضل من معارف الآخرين، لكن لا ينبغي أن يسوّل لك الشيطان أن

(١) مستدرک الوسائل، ج ٦، ص ٢٧٩، حديث ٣.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٥، حديث ٤.

تشكك في أديان وتوجهات إخوانك المؤمنين، لأنهم يختلفون معك في هذا الرأي أو في تلك الفكرة، يجب أن نحذر إذا سكتنا على هذا التوجهات المتطرفة التكفيرية، ماذا يعني التكفير؟ التكفير قد لا يأتي ضمن فتوى أنت كافر، وإنما الاتهام بالابتداع والضلال يمثل أفضية للتكفير، إذا سكتنا عن مثل هذه التوجهات نبتلى بما ابتلى به الآخرون، لذلك يجب أن نتواصى بهذا الحق، ويجب أن يذكر بعضنا بعضاً، وإذا سمعنا من يتحدث بهذا المنحى، أو يطرح مثل هذه الآراء، علينا أن ننصحه، وأن نقف أمامه، وإلا فالمصير رأيناه يحصل عند الآخرين.

الأمر الآخر:

ترتبط بالمناسبة المقبلة علينا وهي مناسبة عاشوراء، نسأل الله أن يبلغنا وإياكم، وأن يوفقنا وإياكم لإحياء الشعائر الحسينية والمشاركة فيها، وتعلمون أننا في هذه السنوات نواجه أمراً مستجداً، هو الإرهاب، هذا الخطر الذي لم يوفر أحداً، ولا مكاناً، ولا ديناً، ولا طائفةً، ولا مذهباً، وفي كل مكان يستخدم مبررات معينة، هو لا يستهدف الشيعة فقط، ولا المسيحيين فقط، وإنما يستهدف كل البشر، وأهل السنة من حيث الأرقام هم الضحايا الأكثر لهذا الإرهاب في أفغانستان، والعراق، وسوريا، والصومال، وفي المناطق المختلفة. إذا فهو إرهاب أعمى قذر، يستهدف الجميع، وخطر على الجميع، ومع الأسف الشديد وصل إلينا، وكنا نأمل أن نكون في مناعة، ولكن الوضع مضطرب في الإقليم وفي العالم، فلا بد أن يصل إلينا شيء من شرره وأضراره.

وكما تعلمون حصلت كوارث بدءاً من حادث الدالوة، وحادث القديح، وحادث مسجد العنود، الحوادث الأخيرة في القطيف في شهر رمضان المبارك، نحن مقبلون على هذه المناسبة وهذا الخطر يتهددنا.

في السنة الماضية في المحرم كان استهداف للحسينية الحيدرية كما تعلمون، ولكن الله تعالى دفع ما هو أعظم، نحن نستقبل هذه المناسبة بثقة واطمئنان، لا نشعر بقلق،

ولا بخوف، ثقتنا بالله عظيمة، واطمئناننا بأننا نقوم بعمل مقدّس، مهما أصابنا في هذا السبيل نوطن أنفسنا على تحمله، لذلك لا ينبغي أن ننشر أجواء الرعب والخوف، لكن ذلك لا يعني عدم أخذ الحيطة والحذر، لا بدّ من التوازن، نحن نقبل بكل ثقة وشجاعة على إحياء شعائرنا، ولكن ينبغي أيضاً أن نأخذ الاحتياطات اللازمة، الحمد لله إن شبابنا خلال هذه السنوات الثلاث صارت لديهم خبرة وتجارب، وأصبحوا في مستوى متقدم، حتى أن الجهات الأمنية في البلد تشيد بشبابنا وبتعاونهم وبمواقفهم، ونأمل في هذا العام أن يكون الحذر أكبر، واليقظة أوسع، وعلى شبابنا الذين يحمون المساجد والمآتم والمواكب أن يتحلوا باليقظة والوعي، وروح المبادرة، حتى يكونوا متبهيين لأي شيء مشبوه، الحذر أمر مطلوب، والأمر المهم هو التعاون مع الأجهزة الأمنية، هناك أخطار جادة تستهدف هذا المجتمع الولائي، وتستهدف المناسبة، وسيكون هناك تواجد أمني حسب ما وعد المسؤولون حول المنطقة كلها، على أساس ثلاثة أحزمة أمنية، حول المنطقة، وداخل المناطق، وعلى المواقع التي فيها تجمعات.

ينبغي أن نتعاون مع هذه الجهات، وأن نحسن الاستفادة من المناسبة للانفتاح على هؤلاء المعنيين بحفظ الأمن، إذا كان هناك ألف أو خمس مائة شخص من رجال الأجهزة الأمنية نزلوا عند مآتمنا ومواكبنا، هؤلاء أبناء أمتنا ووطننا، قد لا تكون لهم معرفة بنا، قد لا تكون لهم انطباعات وصورة واضحة عنا، الآن جاؤونا فعلينا أن نستفيد من هذه الفرصة.

أولاً: أن نتعاون معهم في مواجهة الأخطار، ثانياً: أن يكون الخطاب العام لنا كما هو الخطاب الذي أراده أهل البيت عليهم السلام، الخطاب الذي يستقطب ويجتذب ولا ينفر، المسألة ليست أن هذا الكلام صحيح أو خطأ، حتى الكلام الصحيح لا يقال في كل وقت وفي كل وضع، وبأي لغة إن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ لذلك يجب أن نراعي هذا الأمر، وخاصة الخطباء الواعون المتميزون يدركون أن هذه فرصة لإيصال رسالة المجتمع لأذهان هؤلاء، وأن تكون



جاذبة لا منقّرة، حتى لو أدى ذلك للتنازل عن بعض المظاهر والأمر، وهذا ما نستشفه من كلام أئمتنا عليهم السلام.

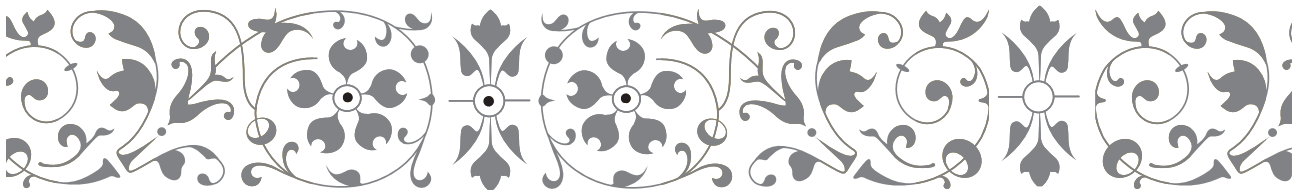
هؤلاء الجنود حول ماتمنا ومواكبنا ينبغي أن نستضيفهم، وأن نحسن إليهم، خاصة أن مائدة الحسين عامة ووافرة، وثقوا أن هذه التصرفات الإيجابية تترك أثراً كبيراً، وقد سمعت كثيرين من مناطق مختلفة من المملكة ينقلون مشاهد وصوراً عن بعض رجال الأمن الذين كانوا في السنة الماضية هنا ينقلون إلى أهاليهم، وإلى أصدقائهم الصور المشرقة، والمشاهد الجميلة، التي رآوها في المنطقة، والأصل في البشر هو الطيب، غالب الناس أطياب، الخبثاء حالة محدودة ويجب أن نراهن على طيب الناس، أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لإحياء هذه الشعائر على أفضل وجه، وأن يدفع عنا الأخطار والمكاره، وعن جميع المؤمنين والمسلمين وأبناء البشرية جمعاء، وأجدد التبريك لكم بهذه المناسبة، أهلاً وسهلاً بكم، وكل عام وانتم بخير.







حوارات





حذر من تشويه سمعة الإسلام بالتطرف والكرهية

الصفار: اللحظات الحرجة تستوجب لمرّ الصف وتجاوز الخلاف*

حاوره: علي الرباعي - القطيف

يرتقي الحوار في مراتب الفكر ودرجات السّموم، بارتقاء لغة ووعي الضيف، وقدرته على سبر أغوار السؤال، والذهاب في الإجابة إلى إرواء غليل السائل، ولطالما كان الشيخ حسن الصفار مدهشاً لسامعيه ومحاوريه، ذلك أنه فقيه ولغوي ومفكر ومثقف ووطني، ومن أبرز مكونات الشخصية الحضارية فيه، إنه لا يتبرّم من طرح أيّ سؤال، وإلى نصّ الحوار:

□ إلى أيّ مستوى نجح الحوار الوطني في إزالة الحواجز بين الأطياف في المملكة؟

◀ حينما تتنوع فئات المجتمع وشرائحه، كما هي طبيعة كلّ مجتمع بشري، فإنّ التلاقي والتواصل بين هذه الفئات المتنوعة عرقياً أو فكرياً أو سياسياً، هو الحرف الأول من أبجدية تعايشها، وحفظ كيائها الاجتماعي، فالتواصل يحقق ألفة النفوس، ويربط وشائج العواطف، ويصنع لغة العلاقة الإنسانية المنبثقة من حالة فطرية، تجذب الإنسان إلى أخيه الإنسان.

ذلك أنّه إذا ما انعدم التواصل بين فئة وأخرى، وحتى بين شخص وآخر، فإنّ

الجفاء النفسي، والجفاف العاطفي يصبح أرضية لنمو بذور التنافر والكرهية، لذلك اعتبر الحديث النبوي الشريف أن الألفة مع الآخرين مقياس لخيرية الإنسان، كما روي عنه ﷺ: «خياركم أحسنكم أخلاقاً الذين يألفون ويؤلفون»، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ يتضح أن التعارف يجب أن يكون هدف الحوار، وليس التبشير برأي المذهب، أو تسجيل نقاط غلبة وانتصار، وتحديد أهداف الحوار بين أطرافه شرط هام لإنجاحه، ولترشيد مساراته، ليتمكن خدمة الأهداف وتحقيقها، ذلك أنه إذا لم يكن للمتحاورين هدف محدد، أو اختلفت الاستهدافات بين أطراف الحوار، فلن يكون الحوار ناجحاً مثمراً، ولن تنتظم إيقاعاته بشكل موضوعي سليم.

□ كيف ترى أثر الحوار على الوحدة الوطنية؟

◀ الوحدة ضرورة ملحة لكل أمة ومجتمع في كل وقت، لكنها تصبح أكثر ضرورة وأشدّ إلحاحاً عند المنعطفات الخطيرة، وأمام التحديات الصعبة، وكنت وما زلت وسأظلّ أوكد على وحدة الأمة الإسلامية بشكل عام، وحماية وحدتنا الوطنية في المملكة العربية السعودية بشكل خاص، وعندما نمّر بلحظات حرجة، لا بُدّ من الاهتمام بجمع الشمل، ولم الصفوف، وتجاوز الخلافات والصراعات، لتركز جهودنا واهتماماتنا.

□ هل تأثرت علاقات المسلمين ببعض النصوص النقلية الحاضرة في التراث الإسلامي؟

◀ هناك تأثر بنصوص وآثار قد لا تبلغ مرتبة الصحة، أو أنّها ضعيفة، انبت عليها ظنون المسلمين في بعضهم، وتكرّست عن أطراف وأطراف انطباعات مشوشة ومشوهة ما خلق قطيعة، وفي ظلّ أجواء القطيعة والتباعد تكرست الانطباعات، وتأكدت ألوانها القاتمة، بفعل التعبئة والتحريض المتبادل على الكراهية.



□ متى يمكننا توظيف النصّ الشرعي لخدمة غايات إنسانية؟

◀ التوظيف يأتي بعد الفهم والوعي، وقراءة الواقع جيّدًا، ولعلّ مشروع الأنسنة لم يكن حاضرًا في أذهان بعض العلماء والمفكرين من السابقين والمعاصرين، وربما يغفل البعض أو يُغفل أنّ دين الإسلام جاء بنصّ القرآن رحمة للعالمين.

□ ألا ترى أنّ أخذ العبر من الواقع ومن الأمم السابقة ضعيف في واقع المسلمين؟

◀ علمنا القرآن الكريم أنّ الحديث عن مظالم ومفاسد الأمم الأخرى، يجب أن يكون مبعثًا للتفكير والاعتبار، لاستفادة الدروس من تجارب وتحولات سائر الأمم، حتى نتلافى ما وقعوا فيه من أخطاء، ليحذرننا من الوقوع فيما وقعوا فيه، وما فعلوه بدينهم، إذ حرفوه، وتلاعبوا به، وأسأؤوا استخدام عنوانه وشعاراته.

□ هل يمكن إلزام أو إكراه الناس على مذهب واحد؟

◀ نشأة المذاهب والمدارس العقديّة والفقهية ليس أمرًا جديدًا في حياة الأمة، ولا حالة طارئة مستحدثة، بل هو واقع معيش منذ العهد الإسلامي الأول، ومن التفكير العبثي التنكر لهذه الحقيقة وتجاهلها، والنظر إلى تعدد المذاهب وكأنه حالة مرضية، لا بُدّ من رفضها واستئصالها، علمًا بأنّه لكلّ مذهب تاريخه العريق، ومنظومته المعرفية، التي تكرر القناعة به عند أتباعه، وقد يمكن تغيير قناعة بعض الأفراد، ليتحولوا من مذهبهم إلى مذهب آخر، لكن التيار العام، والكيان الاجتماعي، لن يتأثر بخروج عدد من الأفراد، ويظلّ الوطن للجميع، والدولة دولة الجميع.

□ أين تقف من القراءة المتجدّدة للنصّ المقدّس؟

◀ بالطبع، كون النصّ القرآني تحديدًا حمّال أوجه، وثرثيًا بالدلالات، ولا يمكن أن

يأتي من يقول انتهى مراد النصوص، إلا من انتهت قدراته وإمكاناته في التعامل مع النصوص، والقراءة المتجددة ألمح إليها العالم التونسي محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره الكبير (التحرير والتنوير) ودعا إليها الشيخ الحبيب بلخوجة من خلال بحثه (قراءة جديدة لمقاصد الشريعة)، ولو عدت للقرآن ستجد فيه آيات تتحدث عن الرقيق وأحكامه، وفي الواقع اليوم البشر كلهم أحرار، وعن القتال بلغة توحى بفرضيته الدائمة، علماً بأن السلم هو الأصل والحرب استثناء، والنبي ﷺ أدرك مبكراً دلالة النص، ولذا قال عند آخر غزواته: «عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، وأتمنى أن نُعلي من شأن الحوار والقيم الإسلامية السلمية الحضارية، الواردة في كتاب الله، لنقدم وجهًا حسنًا عن ديننا.

□ ألم يستغل البعض النص الديني في توظيف غير إنساني؟

◀ أرى أن البعض يقع في هذا، وبعض النصوص والآثار يستغلها البعض لظلم المرأة أو الجور عليها، والبعض يحرص على النصوص المبررة للعنف، لكنه لا يلتفت لآيات ميراث المرأة، وهذا من التناقض.

□ على ماذا الرهان مع الأجيال والشباب؟

◀ على العلم والمعرفة، في السنوات التأسيسية في عمر الإنسان، أي مرحلة الطفولة، هي السنوات التي تصوغ شخصيته، وتؤسس لتوجهاته وسلوكه، فمن كان يهمله أمر الجيل الصاعد، فعليه أن يبدي الاهتمام بهذا الجيل في المرحلة التأسيسية، في مرحلة الطفولة.

□ هل يمكن من خلال المدرسة التصدي للتطرف؟

◀ البعض من الناس يفكر أمام حدوث الجرائم والمشاكل في الردع أو التوجيه، فينادي بسن العقوبات، ويطالب الخطباء والوعاظ بالحديث على المنابر، ولكن



هذه الأمور وحدها لا تكفي. نحن بحاجة إلى خطط وبرامج لحلّ المشكلات، وبحاجة إلى مال لتنفيذ هذه الخطط، وكلّ مؤسسات الدولة إذا وضعت خططاً وبرامج تكاملية ولا ينقض بعضها بعضاً يمكنها التصدي.

□ ماذا تقول لمن يدعم التطرف أو الإرهاب من الوعاظ أو الدعاة؟

◀ عليهم أن يتأمّلوا في نتائج وتداعيات التوجهات الإرهابية والمتطرفة على الدين والأمة، فقد تشوهت سمعة الإسلام في العالم، وساد الخراب والدمار بلاد المسلمين، وأصبحت ساحة مفتوحة لتدخلات ونفوذ الآخرين، ولم تعد للمسلمين قيمة، ولا لدمائهم حرمة، فهل ترضيهم هذه النتائج؟ وهل يسرّهم هذا الواقع الأليم؟

المحتويات

٧	أول المسار.....
١٥	خُطْبُ الْجُمُعَةِ.....
١٧	عقلية المغالبة وخراب الأوطان.....
٢٥	الخطاب الديني حين يخدم الإرهاب.....
٣٥	دروس تربية من العفو الإلهي.....
٤١	الأغراض السياسية والتحريض الطائفي.....
٤٩	يوم التسامح العالمي.. كيف تستقبله الأمة.....
٦١	الصراع مع الغرب بين منهجين.....
٦٩	الأمة بين رهايين.....
٧٧	تطورات العلاقة بين المجتمعات المسيحية والإسلامية.....
٨٧	الاحتياط في الدين بين حقوق الله وحقوق الناس.....
٩٥	معالجة الأزمات واطفاء الحرائق.....
١٠١	الاقتصاد في العبادة.....
١٠٩	مجتمعاتنا وما يصرفها عن إنتاج العلم.....

- ١١٧ تنمية الدخل وترشيد الإنفاق
- ١٢٥ استلاب العقول بإسم الدين
- ١٣٣ استقلال الشخصية وتأثير الروابط الاجتماعية
- ١٤٣ لقاء الكنيستين واحترابنا المذهبي
- ١٥١ الأبوة لا تبرر التسلط
- ١٥٩ قوامة الرجل والحرية الفكرية للمرأة
- ١٦٥ تكافؤ الفرص بين المرأة والرجل
- ١٧٥ استضعاف المرأة وانتهاك سلطتها المالية
- ١٨٣ الإقبال على الدين وتسويق الخرافات
- ١٩١ مرض التوحد وإنسانية المجتمع
- ٢٠١ الوضع الصحي ومواجهة أمراض العصر
- ٢٠٩ هل تمتلك المرأة قرار زواجها؟
- ٢١٩ أحكام شرعية يغيرها الزمان
- ٢٢٧ الاجتهاد والتجديد ضرورة في كل عصر
- ٢٣٥ الإسلام والحضارات الأخرى قطيعة أم تفاعل
- ٢٤٥ تراثنا الأخلاقي وواقع التخلف والفساد
- ٢٥١ تجدد الأمل في مسيرة الوحدة والتقارب
- ٢٥٩ التاريخ للعبارة أو للفتنة
- ٢٦٧ أفضلية الزهراء وحياتها العائلية
- ٢٧٧ الحالة الدينية والنقد البناء
- ٢٨٥ تصاعد وتيرة الانحراف السلوكي والأخلاقي في المجتمع
- ٢٩١ التوافق الصعب في المجتمعات العربية



٢٩٧ كتابات

- ٢٩٩ بيان لعلماء الشيعة في المنطقة حول العراق
- ٣٠١ ليس هناك إساءة للإسلام أكبر من أن يصبح عنواناً للإرهاب
- ٣٠٣ إلى أصحاب مواقع الإنترنت: اتقوا الله في مجتمعكم
- ٣٠٥ ينعى آية الله السيد محمد رضا الشيرازي
- ٣٠٧ غياب المشروع العربي الوحدوي يُذكي الخلاف الطائفي
- ٣٠٩ الصفار يخالف القرضاوي ويرفض التنكر لدوره
- ٣١١ ينعى آية الله العظمى الشيخ بهجت
- ٣١٣ يعزّي بوفاة السيد الحكيم
- ٣١٥ لماذا الشحن والتحريض على الكراهية
- ٣١٧ حادثة سيهات لن تزيدنا إلا صموداً وولاءً
- ٣١٩ مناقشة لخادم الحرمين الشريفين
- ٣٢١ إشادة وتقدير لدور اللجنة الأهلية لتكريم المتفوقين بصفوى
- ٣٢٣ تقديم لكتاب «أعداد مجلة الوعي التاريخية»
- ٣٢٩ علماء القطيف: نستنكر عملية قتل الشهيد العنزي
- ٣٣١ كلمة للجنة أنوار القرآن بسيهات
- ٣٣٣ أيّ اعتداء خارج القانون مرفوض
- ٣٣٥ تقديم لكتاب «بيوتات جمرية»
- ٣٣٩ مراجعة التراث ونقد الذات
- ٣٤٥ إشادة بمجلة ريادة للدراسات الدينية

٣٤٩ متابعات

- ٣٥١ جهد متواصل في التنوير والتقريب

- فقہ التعایش ٣٥٥
- الشیخ الصفار.. منهجہ الإصلاحی ومقاومة الخوف من التجدید ٣٥٧
- الشیخ الصفار یزور الحسینیة الحیدریة ٣٧٥
- التصریحات الدینیة المسیئة للشیعة توفر الغطاء للإرهاب ٣٧٧
- تجدید الفکر والخطاب الدینی مهمة جمیع الواعین ٣٨١
- الصفار یحذر من الانخداع بالتأجیح تظاهراً بالدفاع عن الدین ٣٨٣
- الصفار یحثّ علی التسامح علی مستوى الأفراد والحکومات ٣٨٥
- التعبئة الانفعالیة ضدّ الغرب والطوائف الأخری خلقت الإرهاب ٣٨٧
- الصفار یدعو الحسینیات لتبني طباعة الكتب ٣٨٩
- الصفار یدعو الحکومات إلى تجريم العنصریة والطائفیة ٣٩٣
- زیارة شخصیات ومراكز إسلامیة فی لندن ٣٩٥
- تُریدُ شَتَاتَنَا الْأُمَّمُ ٣٩٩
- الجماعات المتطرفة أفسدت العلاقة بین المسلمین والشعوب ٤٠٣
- الشیخ الصفار وخطاب الاعتدال ٤٠٥
- الشیخ البلوشي یدعو للتعلم من الغرب عمق البحث العلمی ٤٠٩
- لا یعجبهم الکلام عن «الاقتصاد فی العبادة» ٤١٣
- مجتمعاتنا وما یصرفها عن إنتاج العلم ٤١٥
- «الصفار»: یشید بالمواقف الحکیمة ٤٢١
- الصفار یدین حادثة الأحساء الإرهابیة وقتل الجنیدین فی سیهات ٤٢٣
- الصفار یؤكد ضرورة التصدی للشأن الاجتماعی ٤٢٥
- لا شأن للزوج بأيّ فكرة أو مذهب تعتنقه الزوجة ٤٢٩
- «الصفار» یرفض الفهم الدینی الخطأ والمنحاز ضدّ المرأة ٤٣١

- مؤبناً السيد الوداعي..... ٤٣٥
- الصفار يهاجم «الخرافيين الذين خلقوا سوقاً سوداء للدين» ٤٣٧
- الصفار يدعو إلى وقفة أكثر إنسانية حيال ذوي الاحتياجات الخاصة ... ٤٣٩
- ١٤٠ شخصية تشارك في افتتاح "البيت السعيد" بصفوى..... ٤٤١
- تجسير العلاقة بين السنة والشيعه واجب ديني وطني ٤٤٥
- الانفتاح والتواصل منهج يتمسك به الواعون ٤٤٩
- لا نهضة حضارية للأمة مع العزلة والروح الانهزامية..... ٤٥١
- محافظ القطيف يزور الشيخ الصفار..... ٤٥٣
- إجراء عملية قلب جراحية..... ٤٥٥
- تحية قلب لقلب ٤٥٧
- محافظ القطيف يطمئن على صحة الشيخ الصفار ٤٥٩
- نفحات شهر رمضان ٤٦١
- المئات يعودون الشيخ الصفار ٤٦٣
- قلبٌ لَنْ يَشِيخَ..... ٤٦٥
- الصفار يشكر المطمئنين على صحته..... ٤٦٩
- الصفار يطالب الجمعيات الخيرية بجذب الكفاءات..... ٤٧١
- الصفار: مطلوب ضبط غياب الطلاب باسم المناسبات الدينية..... ٤٧٣
- التواضع في سيرة الإمام علي ٤٧٥
- للسحافة دور أساس في تعزيز الوعي الوطني ٤٧٩
- الشيخ الصفار في عمان قاد حراكاً اجتماعياً رغم حداثة سنه! ٤٨١
- على المجتمع الأهلي احتضان الأندية الرياضية ٤٨٥
- أجواء التحديات فرصة لصقل المواهب..... ٤٨٧

- مؤبناً المقابي ٤٨٩
- الصفار يدعو الحوزات العلمية إلى تنمية قدرات البحث ٤٩١
- الصفار يدعو إلى التزام الحذر على أعتاب مناسبة عاشوراء ٤٩٣
- الصفار يدعو إلى اتّخاذ الاحتياطات خلال عاشوراء ٤٩٧
- الصفار يدعو المعلمين لغرس قيم الصلاح ومنهجية التفكير ٥٠١
- تتطلع إلى دور اجتماعي أكبر للمرأة في المنطقة ٥٠٥
- ملتقى الصحة النفسية استجابة ضرورية واعية لتحديّ كبير ٥٠٧
- الصفار: يدعو لتعزيز العمل التنموي الاجتماعي ٥٠٩
- الصفار يُندد بتعرّض مواطن لاعتداء في القطيف ٥١٣
- ندوات ومحاضرات ٥١٥**
- التعارف رؤية قرآنية ٥١٧
- الودّ الذي يمنحه الله ٥٢٣
- قواعد الألفة والمحبة في الهدى النبوي ٥٣١
- الإنسان مكلف بإعمار الأرض ٥٤١
- كلمة في عيد الغدير ٥٤٩
- حوارات ٥٥٥**
- الصفار: اللحظات الحرجة تستوجب لمّ الصف وتجاوز الخلاف ٥٥٧